مكتبة

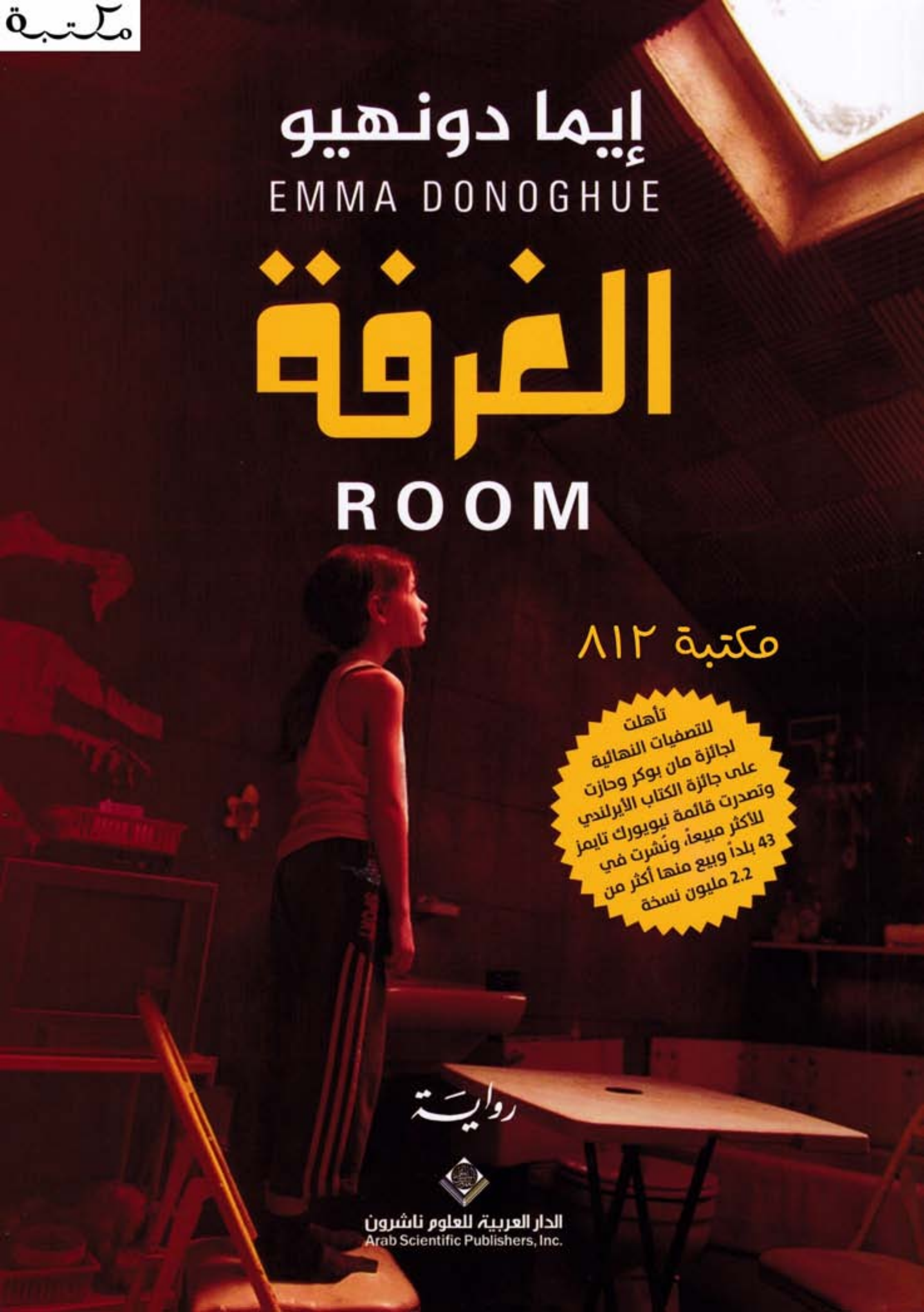

إيما دونهيو
EMMA DONOGHUE

الغرفة
ROOM

مكتبة ٨١٢

تأهلت للتصفيات النهائية لجائزة مان بوكر وحازت على جائزة الكتاب الأيرلندي وتصدرت قائمة نيويورك تايمز للأكثر مبيعاً، ونُشرت في 43 بلداً وبيع منها أكثر من 2.2 مليون نسخة

رواية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

الغرفة
ROOM

مكتبة | 812
سُر مَن قرأ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
ROOM
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا من الناشر
Back Bay Books / Little, Brown and Company
Hachette Book Group
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Copyright © 2010 by Emma Donoghue Ltd.
All rights reserved
Arabic Copyright © 2020 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: تشرين الثاني/نوفمبر 2020 م - 1442 هـ

ردمك 978-614-01-3173-6

مكتبة
t.me/t_pdf

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

إيما دونهيو

EMMA DONOGHUE

الغرفة

ROOM

رواية

الرواية المتأهلة للتصفيات النهائية لجائزة مان بوكر

والحائزة على جائزة الكتاب الأيرلندي

مكتبة | 812

سُر مَن قرأ

ترجمة

منتدى فايز علمي

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الهدايا

اليوم، بلغتُ الخامسة من عمري، وليلة أمس، كنت في الرابعة حين ذهبت إلى النوم في خزانة الملابس، لكن عندما استيقظت في فراشي كبرت، فقد بلغت الخامسة، كالسحر أبرا كادا برا. وقبل ذلك كنت في الثالثة، وفي الثانية، ثم في العام الأول، ومن ثم صفر: "هل خضت في عالم الأرقام السالبة؟".

تمطّطت *ما* بشكل كبير: "ممم؟".

"في الجنّة، هل كنت ناقص واحد، ناقص اثنين، ناقص ثلاث...؟".

"كلا، لم تبدأ الأرقام حتى نَزَلتَ إلى هنا".

"عبر كوّة السقف، كُنتِ غارقة في الحزن إلى أن تكوّنت في بطنك".

قالت *ما* وهي تنحني في السرير لتشغل المصباح الذي غمر المكان بالضياء: "لقد قلتها بنفسك".

أغمضتُ عينيَّ في الوقت المناسب، فتحت إحداهما بشكل جزئيّ ثم فتحت الأخرى.

قالت لي: "بكيت حتى جفّت دموعي، استلقيت هنا أعدُّ الثواني".

سألتها: "كم بلغ عدد الثواني؟".

"الملايين والملايين".

مكتبة
t.me/t_pdf

"كلا، أعني كم بلغ عددها بالضبط؟".

قالت *ما*: "لقد ضِعتُ في أثناء العدّ".

"ثم تمنيتِ وتمنيتِ أن تنمو بيضتك، فأصبحتِ بدينة".

ابتسمت ابتسامةً عريضة: "كان في وسعي الشعور بركلاتك".

"ماذا ركلت؟".

"ركلتني أنا، بالطبع".

لطالما أضحكني هذا الأمر قليلًا.

"من الداخل، بوووم بوووم"، رفعت *ما* قميص نومها، وحرّكت معدتها كما لو أنها تثب، "وعندما اعتقدت أن جاك في طريقه إلى هذه الحياة، انزلقت في الصباح الباكر على السجّادة وكانت عيناك مفتوحتين على وسعهما".

نظرتُ إلى السجّادة ذات الألوان الحمراء والبنّية والسوداء وقد تعرّجت خطوطها المتجاورة من بعضها، فوجدت اللطخة التي سببتها عن غير قصد عند ولادتي، وقالت *ما*: "قطعنا حبل السّرة ثم أصبحت حرًّا، أصبحت صبيًّا".

نهضتْ من السرير، وتوجّهت إلى منظّم الحرارة لترفع درجة حرارة الهواء: "في الحقيقة، لقد كنت صبيًّا سلفًا".

لا أظنّ أنه جاء في الليلة الماضية بعد الساعة التاسعة، يتوتّر الجوّ على الدوام عند قدومه، ولا أسأل عنه لأنها لا تحبّ التحدّث عنه.

"أخبرني أيها السيّد ذو الخمسة أعوام، هل ترغب في فتح هديتك الآن أم بعد تناول وجبة الفطور؟".

"ما هي، ما هي؟".

قالت: "أعرف أنك متحمّس، لكن تذكّر ألا تقضم أظافرك فقد تتسلّل الجراثيم عبر الفجوة".

"لتصيبني بالمرض مثل تلك المرّة التي أصابني فيها التقيّؤ والإسهال عندما كنت في الثالثة من عمري".

قالت *ما*: "وربما يتفاقم الأمر ويصل إلى أسوأ من ذلك، وربما تودي الجراثيم بحياتك".

"لأعود إلى الجنّة باكرًا؟".

أبعدت يدي قائلةً: "أما زلت تقضمها؟!".

جلستُ على يدها المتضرّرة: "أنا آسف، هلّا ناديتني بالسيّد ذي الخمسة أعوام مجدّدًا".

قالت: "حسنًا إذًا، أيها السيّد ذو الخمسة أعوام، هل ترغب في فتحها الآن أم لاحقًا؟".

قفزت إلى الكرسي الهزّاز لألقي نظرة على الساعة التي أشارت إلى 07:14، أستطيع التزلّج على الكرسي الهزّاز من دون أن أتشبّث به، ثم أعود إلى اللحاف مصدرًا صوت صخب مرح وييبيي، وأنا أتزحلق عوضًا عن ذلك: "متى يفترض أن تُفتح الهدايا؟"

سألت *ما*: "من الممتع القيام بذلك في كلتا الحالتين، هل ترغب في أن أختار نيابةً عنك؟".

"كلا، عمري خمسة أعوام، ويجب أن اختار بنفسي"، إصبعي في فمي مجدّدًا، ثم وضعتها تحت إبطي وأقفلت عليها. "أختار.. الآن".

أخرجت شيئًا من تحت وسادتها، أعتقد أنها خبّأته هناك طوال الليل، إنه عبارة عن أسطوانة من الورق المسطّر، لُفت بالكامل بشريط أرجوانيّ من آلاف أوراق الشوكولاتة التي حصلنا عليها في أعياد الميلاد، وقالت لي: "افتحها، بهدوء".

تدبّرت فتحها بعيدًا عن العقدة، ففضضت الورقة، إنها عبارة عن رسمٍ، رُسم بقلم رصاص، من دون أيّ ألوان، لا أدري ما هو، قلبته: "هذا أنا!" كما لو أني أمام مرآة، تضمّن رأسي وذراعي وكتفي في ثياب النوم: "لماذا عيناي مغمضتان؟".

قالت: "كنت تغطّ في النوم".

"كيف أنجزت الرسم وأنت نائمة؟".

"كلا، كنت مستيقظة، في صبيحة الأمس وأوّل أمس واليوم الذي سبقه، شغّلت مصباحًا ورسمتك"، توقّفت عن الابتسام وسألت: "ما الأمر يا جاك؟ ألم تعجبك؟".

"كلا، لم يعجبني أنك كنت مستيقظة بينما كنت نائمًا".

"حسنًا لا أستطيع رسمك وأنت مستيقظ، وإلا فلن تكون مفاجأة لك، أليس كذلك؟"، انتظرت *ما*: "اعتقدت أنك ستتفاجأ".

"أُفضّل الحصول على مفاجأة أعلم بشأنها".

تبسّمتْ.

اعتليت الكرسي الهزّاز مرّة أخرى لآخذ دبوسًا من علبة الأدوات الموجودة على الرفّ، فإذا نقص واحد سيبقى هناك من الخمسة صفر، في الأصل كانت الدبابيس ستّة ولكن فُقد أحدها، حمل واحدًا منها إحدى روائع الفنّ الغربي، رقم 3: لوحة العذراء والطفل مع القدّيسة آن والقدّيس يوحنا المعمدان خلف الكرسي الهزّاز، فيما حمل الآخر إحدى روائع الفنّ الغربي، رقم 8: لوحة انطباعية تبرز شروق الشمس؛ وقد عُلّقت بالقرب من الحمام، وحمل واحد آخر لوحة الأخطبوط الأزرق، وواحد صورة الحصان المجنون التي تسمّى برائعة الفنّ الغربي، رقم 11: غرنيكا. لقد جاءت هذه الروائع الفنّية مع حبوب الفطور باستثناء لوحة الأخطبوط التي رسمتها أنا، كانت أفضل أعمالي في شهر آذار، وقد تجعّدت بعض الشيء بسبب تصاعد البخار الذي يخرج من الحمام، فعلّقت مفاجأة *ما* وسط لوح الفلّين الموجود فوق السرير.

هزّت رأسها نافية: "لا تعلّقها هناك؟".

لم ترغب في أن يراها العجوز نيك، فسألتها: "ربما يتوجّب عليَّ أن أعلّقها في خزانة الملابس، من الخلف؟".

"فكرة جيّدة".

صُنعت خزانة الملابس من الخشب، لذا توجّب عليَّ الضغط على الدبوس بقوّة أكبر، ثم أغلقتُ درفتيها السخيفتين، اللتين لطالما أصدرتا صريرًا مزعجًا، حتى بعد أن يصار إلى مسح المفصّلات بزيت الذرة. ونظرت عبر الدرفتين لكن الظلام كان حالكًا، ففتحتهما قليلًا كي يتاح لي اختلاس النظر، فكانت قد اتّشحت اللوحة السرّية بالبياض بشكل كامل باستثناء الخطوط الرمادية الصغيرة، وتدلّى ثوب *ما* الأزرق فوق عيني النائمة بقليل، أعني العين المرسومة في اللوحة، لكن الثوب كان حقيقيًا في الخزانة.

أستطيع شمّ رائحة *ما* بالقرب منّي، فقد حظيت بأفضل أنف في العائلة: "أوه، لقد نسيت أن أحظى بالقليل عندما استيقظت".

"لا بأس بذلك، ربما في وسعنا التغاضي عن ذلك بين الفينة والأخرى، لقد بلغت الخامسة الآن".

"مستحيل يا جميل".

لذا، استلقت على اللحاف الأبيض، واستلقيت عليه بدوري وحظيت بالكثير.

* * *

أحصيت مئة حبّة من حبوب الفطور، وشلّالات من الحليب الأبيض الذي يشبه لونه تقريبًا لون الزُبدية التي لم يسكب خارجها، ثم شكرنا الطفل يسوع. اخترت الملعقة الذائبة التي انحنى مقبضها الأبيض بشكل كامل عندما استندت إلى قدر المعكرونة المغليّة عن طريق الخطأ، وبالرغم من أن *ما* لا تحبّها إلا أنها المفضّلة لديّ لأنها مختلفة.

ربتُّ على خدوش الطاولة لجعلها أملس، فهي مستديرة وبيضاء بالكامل باستثناء الخدوش الرمادية الناجمة عن تقطيع الطعام. وكما اعتدنا بدأنا نلعب لعبة *الدندنة* في أثناء تناولنا الطعام لأنها لا تتطلّب استخدام أفواهنا، فخمّنت *أغنية ماكرينا: وستأتي من خلف الجبل، وتأرجحي بهدوء أيتها العربة الجميلة* لكنها كانت في الحقيقة *طقسًا عاصفًا*. لذا، سجّلت نقطتين وهذا يعني أني سأحصل على قبلتين.

دندنتُ *جنّف، جنّف، جنّف بقاربك*، فخمّنتها *ما* على الفور، ثم دندنت *توب ثومبينغ*، ولكن تغيّرت ملامحها، وقالت: "أوه، أنا أعرفها، تلك التي تقول إنّك يجب أن تنهض بعد أن يطاح بك، ماذا كان اسمها؟" تذكّرتها بشكل صحيح في نهاية المطاف، دندنت في فرصتي الثالثة أغنية *لا أستطيع أن أخرجك من رأسي*، فلم تتمكّن *ما* من تخمينها، "لقد اخترت أغنية صعبة... هل سمعتها عبر التلفاز؟".

قالت *ما* إنها حمقاء: "لا، سمعتها منك".

أعطيتها قبلتيها: "أغنية الجمجمة الخدرة".

أزحت كرسيّي إلى حوض غسل الأطباق، إذ توجّب عليَّ غسل الزَباديّ برفق بينما كان في وسعي أن أقعقع بالمعالق كما أشاء، وأخرجت لساني أمام المرآة، وحين وقفت *ما* خلفي، بتّ أستطيع أن أرى وجهي الذي حلّ محلّ وجهها في المرآة، فبدا كما لو أنه القناع الذي صنعناه في الهالوين، وقالت: "أتمنّى لو أن اللوحة كانت أفضل، إلا أنها تظهر على الأقلّ كيف تبدو".

"كيف أبدو؟".

نقرت على انعكاس جبهتي على المرآة، ورسمت دائرة بإصبعها: "كما لو أني بصقتك على البلاط".

اختفت الدائرة: "لماذا بصقتني على البلاط؟".

"إنها عبارة تعني أنك تشبهني، أعتقد لأنك جُبلت مني، فلك ذات العينين البنّيتين، وذات الفم الكبير، وذات الذقن المدبّبة..."

حدّقتُ إلى انعكاسينا الظاهرين على المرآة، فبادلانني التحديق بدورهما: "ولكن لا نملك ذات الأنف".

"حسنًا، لك أنف طفل في الوقت الحالي".

أمسكت به: "هل سيسقط إذًا لينمو مكانه أنف شخصٍ بالغ؟".

"كلا، كلا، سيصبح أكبر حجمًا فحسب، كما أن لدينا ذات الشعر البنّي...".

"لكن شعري طويل يصل إلى خصري بينما لا يصل شعرك حتّى إلى كتفيكِ".

قالت *ما* وهي تمدّ يدها نحو معجون الأسنان: "هذا صحيح، يبلغ عدد خلاياك الحيّة ضعف عدد الخلايا التي أمتلكها".

لم أعرف أن الأشياء يمكن أن تكون نصف حيّة فحسب، نظرت إلى المرآة مجددًا، فقد اختلف ثوبا نومنا أيضًا، وثيابنا الداخلية، وليس هناك رسوم دببة على ملابسها.

حان دوري في استخدام معجون الأسنان، وعندما بَصَقْتُ للمرّة الثانية، كنت قد فركت كلّ سنّ من أسناني بفرشاة الأسنان حتى آخر سنّ، ولكن لم يبدُ بُصاق أمي في المغسلة قريب الشبه منّي، ولا حتى بُصاقي أيضًا، فغسلت أسناني، ورسمت على شفتي ابتسامة مصاص دماء.

غطّت *ما* عينيها: "أوه، أسنانك نظيفة للغاية، يبهرني لمعانها".

فسدت أسنانها إلى حدّ كبير لأنها نسيت أن تنظّفها بفرشاة الأسنان، وهي نادمة على ذلك، وعلى الرغم من أنها لم تعد تنسى القيام بذلك، إلا أنها بقيت فاسدة على حالها.

طويت الكرسي ليصبح مسطّحًا، ووضعته بجانب الباب مقابل علّاقة الملابس، ويتأفّف الكرسي دائمًا، ويخبرني بأن المكان لا يتّسع له، ولكن يمكن أن يتّسع له إن وقف بشكل مستقيم تمامًا. كما أستطيع أن أنطوي أيضًا، لكن لن أصبح مسطّحًا مثله بسبب عضلاتي، لأنني على قيد الحياة. لقد صُنع الباب من معدن سحريّ لامع، يصدر صوت بيب- بيب بعد الساعة التاسعة عندما يحين موعد إطفائي ووضعي في خزانة الملابس، ولم يطلّ وجه الله الأصفر اليوم(*)، أخبرتني *ما* أنه يواجه صعوبة في التسلّل عبر الثلج.

"أيُّ ثلج؟".

قالت وهي تشير إلى الأعلى: "انظر".

تسلّل بعض الضياء من كوّة السقف، إلا أن بقيّتها كانت معتمة، فظهر لون الثلج أبيض على التلفاز، لكنه لم يكن كذلك في الحقيقة، هذا غريب، "لماذا لا يتساقط علينا؟".

"لأنه في الخارج".

"في الفضاء الخارجي؟ أتمنّى لو أنه يتساقط في الداخل حتى أتمكّن من اللعب به".

(*) تعبير ساذج لطفل سجين طوال حياته غير قادر على التعبير عن طبيعة الأشياء وواقعها.

"آه، لكنه سيذوب عندها، لأن المكان هنا دافئ"، قالت وهي تشرع في الدندنة، فخمّنتها مباشرة، أغنية *دعها تثلج*، وغنّيت المقطع الثاني، ثم دندنت *أرض عجائب الشتاء*، ثم انضمّت *ما* إليّ ودندنت بصوت أعلى.

هنا آلاف الأشياء لنقوم بها كلّ صباح مثل ريّ النبتة بكأس من الماء بعد وضعها في الحوض كي لا نسكب أيًّا منها في الخارج، ثم نعيدها إلى الطبق المخصّص لها فوق خزانة الملابس، وقد اعتادت النبتة أن تعيش على الطاولة إلا أن وجه الله(*) أحرق ورقة منها، فبقي لديها تسع أوراق، بحجم راحة يدي كساها نوع من الزغب مثل ذلك الذي يكسو الكلاب كما أخبرتني *ما*، لكن لا يوجد كلاب إلا على شاشة التلفاز.

لا أحبّ الرقم تسعة، فرأيت ورقة صغيرة وهي تنمو، يمكن اعتبارها العاشرة.

أنثى العنكبوت حقيقية، رأيتها مرّتين، وأبحث عنها الآن، لكنني لم أرَ سوى الشبكة بين قائمة الطاولة وسطحها. وقد توازنت هذه الطاولة بشكل تامّ، إلّا أنها مسألة معقّدة للغاية، فعندما أحاول التوازن على قدم واحدة يستغرقني الأمر وقتًا طويلًا، وعندما أنجح بذلك أقع في النهاية. ولم أخبر *ما* بشأن أنثى العنكبوت، لأنها تزيل الشبكة، وتقول إنّها قذرة، لكنها تبدو لي مجرّد خيوط فضّية دقيقة للغاية.

تحبّ *ما* الحيوانات التي تجري وتأكل بعضها بعضًا على كوكب الحياة البرّية، لكن لا تحبّ الحقيقية منها. ذات مرّة كنت أشاهد النملات، وأنا في الرابعة من عمري وهي تصعد إلى الموقد، فرَكَضت وسحقتها كي لا تأكل طعامنا. فتحوّلت في لحظة من كائن حيّ إلى مجرّد حبّات رمل، فبكيت حتى كادت عيناي تذوبان. وفي مرّة أخرى شعرت بشيء يقرصني في الليل مصدرًا صوت وززززز وززز، فخبطته بيدي على الجدار قبالة الباب تحت الرفّ، كان ذلك الشيء بعوضة، لا يزال أثرها موجودًا على لوح الفلين على الرغم من أنه مُسح وقتها، إلى جانب دمي الذي امتصّته مثل مصّاصة دماء صغيرة، وكانت تلك المرّة الوحيدة التي يخرج فيها الدم منّي.

(*) تعبير ساذج لطفل سجين طوال حياته غير قادر على التعبير عن طبيعة الأشياء وواقعها.

أخذت *ما* حبّة دواء من حقيبتها الفضّية التي رسم عليها ثمانٍ وعشرون مركبة فضائية، فأنا أتناول حبّة فيتامينات من عبوة تحمل صورة فتى يقف على يديه، وهي تتناول حبّتها من عبوة أكبر تحمل صورة امرأة تلعب التنس. لطالما اعتبرت الفيتامينات دواء يقينا من الإصابة من المرض، كي لا نذهب إلى الجنّة إثر ذلك، فلا أرغب في الذهاب إلى الجنة، ولا أحبّ الموت، لكن *ما* تقول إنه لا بأس بالموت عندما أبلغ من العمر مئة عام، وأتعب من اللعب. بالإضافة إلى الفيتامينات تتناول *ما* مسكّن ألم، وفي بعض الأحيان تتناول منه حبّتين، ولكنها لا تتناول أكثر من ذلك لأن الأشياء المفيدة كثرتها قد تضرّ.

سألتها: "هل هي سنٌّ سيئة؟". كان في الفكّ العلويّ قريبًا من نهايته، إنه الأسوأ.

هزّت *ما* رأسها.

"لماذا لا تأخذين حبّتي مسكّن كلّ قليل خلال النهار؟".

تغيّرت تعابير وجهها: "سأدمن عليها إن فعلت ذلك".

"ماذا..؟".

"كما لو أني علقت بخطّاف صنّارة، فعندها سأحتاج إليها طوال الوقت، في الحقيقة قد أحتاج إلى المزيد والمزيد".

مكتبة
t.me/t_pdf

"ما العيب في الاحتياج إليها؟".

"من الصعب أن أشرح الأمر".

تعرف *ما* كلّ شيء إلّا الأشياء التي لا تتذكّرها بشكل صحيح، أو تقول في بعض الأحيان إنني أصغر من أن تشرح لي شيئًا ما.

ثم تقول لي: "يتحسّن ألم أسناني إن لم أفكّر فيه".

"لماذا يحصل ذلك؟".

"يُدعى ذلك سيطرة العقل، إن لم نفكّر في الشيء، فيستبعد".

عندما يؤلمني جزء، أفكّر فيه، وأحيانًا تفرك *ما* كتفي لكن كتفي لا تؤلمني، لكن ذلك يعجبني على أيّ حال.

لم أُخبر *ما* عن الشبكة، لأنه من النادر أن أحظى بشيء ملكي وليس ملكًا*لما*، أما كلّ الأشياء الباقية فملكنا نحن الاثنين، إذ أعتقد أن جسدي ملكي، وكذلك الأفكار التي تدور في رأسي، لكن جسدي صُنع من خلايا جسدها. لذا، فإنني ملكها، كما أنني عندما أخبرها بما أفكّر فيه وتخبرني بما تفكّر فيه، تقفز أفكار كلّ منا إلى ذهن الآخر، مثل تمازُج قلمي التلوين الأزرق والأصفر لينتج عنهما اللون الأخضر.

أضغط زرّ التلفاز عند الساعة 8:30 وأتنقّل بين القنوات الثلاث، أعثر على دورا المستكشفة، فأشعر بالسعادة يوبييي، فتحرّك *ما* الأرنب ببطء شديد لتُحسّن من جودة الصورة مستخدمةً أذنيه ورأسه، فقد توفّي التلفاز ذات يوم عندما كنت في الرابعة من عمري فبكيت كثيرًا، لكن العجوز نيك أتى بصندوق محوّل سحريّ في الليل، وأعاد التلفاز إلى الحياة، إلّا أن القنوات الأخرى التي تلي الثلاث محطّات فهي غير واضحة على الإطلاق، لذا فإننا لا نشاهدها كي لا نؤذي أعيننا، أما إذا كانت تبثّ الموسيقى فنضع بطّانية حول خصرينا ونهزّ مؤخّرتينا.

وضعت اليوم إصبعي على رأس دورا من أجل الحصول على عناق، ولأخبرها عن قوّتي الخارقة الآن، فأنا قد بلغت الخمس سنوات، ابتسمت. هي تمتلك الشعر الأكثر كثافة، والذي يشبه خوذة بنية حقيقية بأطراف مدبّبة مقصوصة، توازي ضخامتها باقي جسدها. جلست على السرير في حضن *ما* كي أشاهد بارتياح، فتملّصت من عظامها الناتئة عبر الابتعاد عنها بحثًا عن جزء طريّ، فهي لا تمتلك الكثير من الأجزاء الطرية إلا أنها هشّة للغاية.

تقول دورا أشياء ليست باللغة المحلّية، إنها بالإسبانية مثل لقد فعلناها [lo hicimos]، وهي دائمًا تضع حقيبة ظهر تحتوي في داخلها أكثر مما يبدو من الخارج، ففيها كلّ ما تحتاج إليه دورا، مثل السلّم وبذلة الفضاء، وكلّ ما تحتاج إليه للرقص، ولعب كرة القدم، وعزف الفلوت، وما يمكّنها من أن تحظى بمغامرة مثيرة برفقة صديقها المقرّب القرد موزو.

تقول دورا دائمًا إنها تحتاج إلى مساعدتي، فهي تسألني إن كنت قادرًا على إيجاد غرض سحريّ، وتنتظر مني أن أجيب بـ "نعم"، فأصيح قائلًا: "خلف شجرة النخيل"، فيوجّه السهم الأزرق خلف شجرة النخيل، وتقول: "شكرًا لك". سائر شخصيات التلفاز الأخرى لا تصغي إلى الآخرين. ففي كلّ مرّة، تُظهر الخريطة ثلاثة مواقع علينا أن نتوجّه إلى الأوّل لنصل إلى الثاني ومن هناك إلى الثالث، فأسير مع دورا وموزو ممسكًا بيديهما، وأشاركهما جميع الأغاني خاصّة تلك التي تتضمّن شقلبات أو مصافحة أو رقصة الدجاجة السخيفة. كما يتوجّب علينا أيضًا الاحتراس من سنقر الغدّار، فنصرخ: "سنقر، لا تسرق"، ثلاث مرّات حتى يصيبه الغيظ ويقول: "يا إلهي!". ثم يهرب بعيدًا.

صنع سنقر ذات مرّة فراشة آلية يتمّ التحكّم بها عن بعد، لم تعمل كما هو مفترض، وسرقت قناعه وقفازيه عوضًا عن ذلك، فكان ذلك مضحكًا للغاية. وفي بعض الأحيان، نصطاد النجوم أيضًا، ونضعها في جيب حقيبة الظهر، كم أودّ أن أختار النجمة الصاخبة التي توقظ كلّ شيء والنجم الذي يمكن أن يتحوّل إلى كل الأشكال.!

على الكواكب الأخرى، يمكن أن يتّسع المئات داخل الشاشة، ولكن في معظم الأحيان يصبح شخصًا واحدًا كبيرًا وقريبًا، وهذه الشخصيات لديها ملابس عوضًا عن الجلد، وجوهها زهرية أو صفراء أو بنّية أو مرقّعة أو مكسوّة بالشعر، وذات أفواه حمراء جدًّا، وعيون كبيرة ذات حواف سوداء. هذه الشخصيات تضحك كثيرًا وتصرخ. لذا، أحبّ مشاهدة التلفاز طوال الوقت، إلا أنه يفسد أدمغتنا. فقبل أن أنزل من الجنّة، اعتادت *ما* أن تتركه يعمل طوال النهار، فتحوّلت إلى زومبي، فهي تشبه شبحًا يمشي مصدرًا صوت ارتطام. لذا، هي تطفئه الآن بعد مشاهدة برنامج واحد، وحين تتضاعف الخلايا مرّة أخرى خلال اليوم يمكننا مشاهدة برنامج آخر بعد العشاء، كما أننا ننمّي الدماغ أكثر في أثناء نومنا.

"هل أستطيع أن أشاهد برنامجًا آخر فقط بما أن اليوم عيد ميلادي؟ أرجوكِ؟".

تفتح *ما* فمها، ثم تغلقه، وتقول: "لـمَ لا؟". وهي تكتم الصوت في أثناء عرض الإعلانات لأنها تهرس أدمغتنا بسرعة شديدة لدرجة أنها تقطر خارج آذاننا.

أشاهد الألعاب، فهناك شاحنة ممتازة، وترامبولين، وألعاب الفكّ والتركيب، وصبيّان يتقاتلان بواسطة الرجال الآليين المتحوّلين بأيديهما، ولكنهما ودودان على عكس الأشرار.

بعدها يُعرض البرنامج، إنه سبونج بوب سكوير بانتس فأهجم لألمسه، إضافة إلى بسيط نجم البحر، لكنه ليس كشفيق الحُبّار، إنه غريب الأطوار، كما أنها قصّة مخيفة تدور حول قلم رصاص عملاق، فأشاهد من بين أصابع *ما* التي تبلغ ضعف طول أصابعي.

ما من شيء يخيف *ما*، ربما باستثناء العجوز نيك، عادة تشير إليه بهو فقط، فلم أعرف حتى ما اسم هو إلى أن رأيت فيلم رسوم متحرّكة لرجل يأتي في الليل اسمه العجوز نيك، فأطلقت على هذا الرجل الحقيقي هذا الاسم لأنه يأتي دائمًا في الليل، إلا أنه لا يشبه ذاك الذي يظهر على شاشة التلفاز والذي له لحية، وقرون، وأشياء أخرى. فسألت *ما* مرّة هل هو عجوز، فأجابت أنه يبلغ من العمر ضعف سنّها، وهذا ما يجعله عجوزًا للغاية.

فنَهَضَت لتوقف التلفاز عن العمل ما إن ظهرت شارة النهاية.

لون بولي أصفر بسبب الفيتامينات، جلست لأتغوّط، وقلت له: "وداعًا وداعًا، اذهب إلى البحر". وأنا أراقب الخزّان بعد أن أشدّ السيفون، وهو يمتلئ بفقاقيع الهواء ويصدر صوت غرغرغر. ثم أفرك يدي حتى أكاد أشعر أن بشرتي ستنسلخ عنها، فهذه هي الطريقة الوحيدة التي أعرف فيها أنني غسلتها بما يكفي.

قلت لا شعوريًّا: "هناك شبكة تحت الطاولة، إنها شبكة أنثى العنكبوت، إنها حقيقية، رأيتها مرّتين".

ابتسمت *ما* ابتسامة متصنعة.

"هل يمكنك ألا تكنسيها من فضلك؟ فأنثى العنكبوت ليست هنا، لكنها قد تعود".

ركعت *ما* لتنظر تحت الطاولة، فلم أتمكن من رؤية وجهها حتى أزاحت شعرها إلى خلف أذنها: "أتعلم ماذا، ما رأيك أن أتركها حتى يحين موعد التنظيف؟".

موعد التنظيف يوم الثلاثاء، لا يزال هناك ثلاثة أيام: "حسنًا".

نهضت: "أتعلم؟ علينا أن نضع علامة لتحديد طولك، أنت الآن في الخامسة من عمرك".

قفزتُ عاليًا في الهواء.

لا يُسمَح لي عادة بالرسم على أي جزء من الغرفة أو الأثاث، خربشت على إحدى قوائم السرير عندما كنت في الثانية، تلك القريبة من خزانة الملابس. لذا، في كل مرّة تنظّف فيها *ما* المنزل، تنقر على الخربشة وتقول: "انظر، يتعيّن علينا أن نعيش مع ذلك إلى الأبد". لكن طول عيد الميلاد أمر مختلف، إنه عبارة عن أرقام صغيرة قرب الباب، 4 باللون الأسود، وتحتها 3 بالأسود، واثنان بالأحمر، كان ذلك لون قلمنا القديم، الذي استخدمناه حتى نفد، وفي الأسفل 1 بالأحمر.

قالت *ما* والقلم يدغدغ الجزء العلوي من رأسي: "قف مستقيمًا".

عندما ابتعدت وجدت هناك 5 بالأسود، فوق الـ 4 بقليل، أحبّ الخمسة أكثر من أيّ رقم آخر، أملك خمس أصابع في كلّ يد وكذلك خمس أصابع في كلّ قدم، وتمتلك *ما* مثلها، ونحن متطابقان. أمّا رقم تسعة فهو أسوأ أرقامي المفضّلة: "كم بلغ طولي؟".

أجابتني: "طولك، حسنًا، لا أدري على وجه الدقّة، ربما في وسعنا أن نطلب شريطًا للقياس يومًا ما، كهدية ليوم الأحد".

اعتقدت أن أشرطة القياس موجودة على التلفاز فقط: "كلا، دعينا نطلب الشكولاتة". وضعت إصبعي على الرقم 4، ووقفت ووجهي قبالته، ووضعت إصبعي على شعري: "لم أطُلْ كثيرًا هذه المرّة".

"هذا أمر طبيعي".

"ما الطبيعي في الأمر؟".

"إنه..." عضّت باطن خدّيها: "أعني لا بأس بذلك، لا تقلق".

قفزت على السرير: "لكن، انظري إلى حجم عضلاتي، أنا جاك قاتل العملاق في حذائه الأسطوريّ ذي السبعة فراسخ".

قالت *ما*: "كبيرة".

"عملاقة".

"هائلة".

"ضخمة".

قالت *ما*: "عظيمة".

هذه كلمة كالشطيرة عندما ندمج اثنتين: "ضخيمة"

"أحسنت".

سألتها: "أتعرفين ماذا؟ سأنضج حين أبلغ العاشرة".

"هل هذا صحيح؟".

"سأصبح أكبر وأكبر وأكبر إلى أن أتحوّل إلى إنسان".

علّقت *ما*: "في الواقع أنت إنسان بالفعل، أنت إنسان وأنا إنسانة أيضًا".

أعتقد أن الكلمة حقيقية بالنسبة إلينا، أما الأشخاص على شاشة التلفاز فهم مصنوعون من الألوان فقط.

"هل تقصدين إنسانة، بحرف الـ ة؟".

قالت: "أجل، أكون امرأة أحمل ولدًا داخل بيضة في بطني، وهو أيضًا سوف يكون حقيقيًا، أو سوف أنمو حتى هذا الطول لأتحوّل إلى عملاق، ولكن سوف أكون لطيفًا". قفزت لألمس جدار السرير عاليًا جدًا حتى كدت أصل إلى حيث يبدأ السقف بالانحدار.

قالت *ما*: "يبدو هذا عظيمًا".

أصبح وجهها خاليًا من التعابير، وهذا يعني أنني قلت شيئًا خاطئًا لكن لا أدري ما هو.

قلت لها: "سأنطلق مثل الصاروخ إلى الفضاء الخارجيّ عبر كوّة السقف، وأندفعُ مرتطمًا بوينغ بوينغ بين كلّ الكواكب، وسأزور دورا وسبونج بوب وكلّ أصدقائي، وسأملك كلبًا اسمه لاكي".

ارتسمت ابتسامة على شفتيّ *ما*، وهي تعيد القلم إلى الرفّ.

سألتها: "كم ستبلغين من العمر في عيد ميلادك؟".

"سبعة وعشرين".

"واو".

لا أعتقد أن هذا أبهجها.

تجلب *ما* متاهة وحصنًا من فوق الخزانة في أثناء استخدام الحمام، فنحن نصنع المتاهات منذ كنت في الثانية من عمري، نصنعها من لفافات ورق مرحاض تلصق ببعضها وتثنى لتشكّل طرقات، وتحبّ الكرة النطّاطة أن تضيع في المتاهة، وأن تختبئ، فأطلب منها الخروج، وأهزّها، وأقلبها إلى الجانبين رأسًا على عقب إلى أن تخرج، فأتنهّد. ثم أرسل أشياء أخرى إلى المتاهة مثل الفول السوداني، وأجزاء صغيرة مكسورة من قلم التلوين الأزرق والمعكرونة القصيرة غير المطبوخة، فتطارد بعضها في الأنفاق وتتسلّل خلسةً لتصرخ بووو، لا أستطيع أن أراها، ولكنني أستمع إلى الورق المقوّى وأستطيع أن أعرف مكان تواجدها. وترغب فرشاة الأسنان المشاركة في جولة إلا أنني أعتذر منها، إنها طويلة للغاية، وتثّبت إلى القلعة عوضًا عن ذلك لتحرس البرج. لقد صنع الحصن من الزجاجات وعلب الفيتامين، فكلما حصلنا على علب فارغة، وسّعنا الحصن الذي يمكن أن يشرف على كلّ الطرق، وأن يسكب الزيت المغليّ على الأعداء الذين لا يعرفون بشأن السكّين السرّية، هاها. أودّ أن أحضره إلى الحمام حتى يكون بمثابة جزيرة لكن *ما* تقول إنَّ الماء سيفكّك الشريط اللاصق.

نفكّ تسريحة ذيل الحصان، ونسمح لشعرنا أن يسبح، أستلقي في حضن *ما* من دون أن أنطق بأيّ حرف، أحبّ الاستماع إلى ضربات قلبها، عندما تتنفس فنعلو قليلًا ثم ننخفض، ويطفو القضيب.

بما أنه عيد ميلادي فلدي الحقّ في أن أختار ما سألبس وما ستلبس *ما*، تعيش ثياب *ما* في الدرج العلوي بينما تعيش ثيابي في الدرج السفلي، اختارت الجينز الأزرق ذا القطب الحمراء المفضّل لديها والذي لا ترتديه إلا في المناسبات الخاصّة لأن له سلاسل عند الركبة، أما أنا فاخترت أن ألبس كنزتي الصفراء ذات القبعة، فأنا حريص على الدُرج إلا أن الجهة اليمنى لا تزال تخرج من مكانها لتقوم *ما* بإعادتها إلى الداخل.

قالت *ما*: "ما رأيك إن قصصتها قليلًا وسط الياقة ذات الشكل v؟".

"مستحيل يا جميل".

بالنسبة إلى التربية البدنية نترك قدمينا من دون جوارب لأن الأقدام العارية أكثر قدرة على التشبّث، وسأختار اليوم المضمار أولًا، نقلب الطاولة رأسًا على عقب فوق السرير، ونضع الكرسي الهزّاز فوقها والبساط فوقها كلّها. فيلتفّ المضمار حول السرير من خزانة الملابس حتى المصباح، ليتشكّل مضمار أسود اللون على شكل C، "حسنًا، انظري، أستطيع الذهاب والعودة في ستّ عشرة خطوة".

سألتني *ما*: "واو، عندما كنت في الرابعة قطعتها في ثماني عشرة خطوة، أليس كذلك؟ كم مرّة تستطيع الركض جيئة وذهابًا اليوم؟".

"خمس مرّات".

"ما رأيك بالقيام بخمسة أضعاف؟ سيكون هذا نوعك المفضّل من التربيع".

نعدّ على أصابعنا، وأحصي ستًّا وعشرين مرّة، إلا أن *ما* تقول خمسًا وعشرين، أي عليّ أن أنجز خمسًا وعشرين مرّة فقط، وتعدّ لي وهي تراقب الساعة: "اثنتا عشرة"، فتصيح بصوت عالٍ: "سبع عشرة، أنت تبلي بلاءً حسنًا".

تتصاعد أنفاسي هوو هوو هوو.

"أسرع...".

أُسرع أكثر كما لو أنني أطير مثل سوبرمان.

يتعيّن عليّ، عندما يحين دور *ما* في الركض، أن أدوّن رقم الساعة الذي تبدأ عنده، والرقم الذي تنتهي عنده على كرّاس مخصّص للجامعة، ثم نطرح الرقمين لنرى السرعة التي ركضت خلالها. اليوم كان رقمها أكبر بتسع ثوان من رقمي، وهذا يعني أنني الفائز، فقفزت محتفِيًا، ومددت لساني مصدرًا صوت سخرية: "فلنتسابق في الوقت ذاته".

سألتني: "يبدو هذا ممتعًا، أليس كذلك؟ لكن هل تذكر أننا جربنا ذلك في ما مضى، ويومها اصطدم كتفي بالخزانة؟".

عندما أنسى الأشياء في بعض الأحيان، تذكّرني بها *ما*.

أنزلنا كل الأثاث عن السرير، وأعدنا السجّادة إلى مكانها السابق، لنخبّئ المضمار حتى لا يرى نيك العجوز الشكل C المتّسخ.

اختارت ما الترامبولين، فقفزتُ على السرير، أما *ما* فقد تكسره إن فعلت، وعلّقت قائلة: "شقلبة هوائية مزدوجة جريئة من بطل أميركي فتيّ..".

بعدها اخترت لعبة *سايمون يقول*، فقالت *ما* إنه يتوجّب علينا ارتداء جواربنا مرة أخرى، وأن نستلقي كجثّة هامدة، مثل نجمة بحر ذات أطراف مرتخية، صرّة بطن مرتخية، لسان مرتخٍ، وحتى دماغ مرتخٍ، فتحرّكت *ما* بعد أن شعرت بحكّة خلف ركبتها، فقفزت مجدّدًا.

إنها الساعة 12:13، إنه وقت الغداء، وأفضل جزء من التضرّع هو صلاة الخبز اليومي. وأُعدُّ سيّد اللعب، أما *ما* فهي سيّدة الطعام، فعلى سبيل المثال لا تسمح لنا بتناول حبوب الفطور على الفطور والغداء والعشاء كي لا نمرض، كما أن الإفراط في استخدامها سيؤدّي إلى نفادها بشكل أسرع، كما اعتادت *ما* أن تمضغ الطعام لي عندما كنت أبلغ من العمر صفرًا حتى بلغت عامًا واحدًا، ولكن بعد ذلك اكتمل نموّ

أسناني العشرين، وأصبحت قادرًا على مضغ كلّ شيء. وقد تألّف غداء اليوم من سمك الطون والبسكويت، وأوكلت إليَّ مهمة فتح العلب عبر سحبها إلى الخلف لأن معصم *ما* لا يساعدها على فعل ذلك.

شعرت بالإحباط فقلت *لما* فلنلعب لعبة الأوركسترا، حيث نركض في الأرجاء لنستمتع بالضوضاء التي تصدر عن الأشياء عند ضربها، أطبّل على الطاولة، وتنقر *ما* على قوائم السرير، ثم يصدر من الوسائد صوت فلومف فلومف، وأستخدمُ الشوكة والمِلعقة لأصدر صوت دينغ دينغ على الباب بينما يصدر عن ارتطام أصابع أقدامنا بالموقد صوت بام، لكن الصوت المفضّل لديّ هو حين أدوس على دواسة حاوية القمامة ليندفع الغطاء مصدرًا صوت بينغ، وأفضل أداةٍ في نظري تصدر صوت توانغ هي علبة الحبوب التي ألصقت عليها السيقان الملونة والأحذية والمعاطف والرؤوس من المجلّة القديمة، ثم مددت ثلاثة أشرطة مطاطية وسطها، ولكن لم يعد نيك العجوز يجلب المجلّات لنا كي نختار ملابسنا الخاصّة، وتقول *ما* إنه أصبح أكثر لؤمًا.

تسلّقت الكرسي الهزّاز لأجلب الكتب من الرفّ، فقد صنعت على السجّادة ناطحة سحاب من عشر قصّات، "عشر قصص"، صحّحت لي *ما* وهي تضحك على الرغم من أن الأمر لم يكن مضحكًا.

اعتدنا قراءة تسعة كتب، لكن لم يكن هناك سوى أربعة تحتوي صورًا داخلها...

كتاب أناشيد الأطفال الكبير خاصّتي.

ديلان الحفّار.

الأرنب الهارب.

صور المطار المنبثقة.

وهناك خمسة كتب تحمل صورًا على الغلاف فقط...

الكوخ

الشفق

الحارس

حلاوة الحبّ ومرّه

شيفرة دافنشي

نادرًا ما قرأتْ *ما* الكتب التي لا تحتوي على صور إلا عندما تكون يائسة، وقد طلبنا عندما كنت في الرابعة من عمري كتابًا آخر يحتوي صورًا كهدية ليوم الأحد، وهكذا حصلنا على كتاب أليس في بلاد العجائب، أحبّ هذا الكتاب إلا أنه يحتوي الكثير من الكلمات ومعظمها قديمة.

اخترت اليوم قراءة دايلان الحفّار، الذي يقع في الأسفل. لذا، هدمت ناطحة السحاب كراشششش.

"دايلان مجدّدًا"، تغيّرت ملامح *ما*، ثم نادت بأعلى صوت لديها، "ها هو ذااااااااا ديلان، الحفّار القوي، تزداد الأحمال التي يجرفها أكثر فأكثر، شاهِد ذراعه الطويلة وهي تغوص في الأرض، لا يوجد حفّار مثله يحبّ مضغ التراب. تجوب مجرفته الضخمة في أرجاء الموقع، تغرف وتمهّد ليلًا ونهارًا".

هناك قطة في الصورة الثانية، وفي الصورة الثالثة كومة من الصخور، والصخور عبارة عن أحجار، وهذا يعني أنها ثقيلة مثل السيراميك الذي صنع منه الحمام، والمغسلة، والمرحاض، ولكن ليس بذات درجة النعومة. وعلى شاشة التلفاز، تظهر القطط والحجارة كذلك، ثم يسقط القطّ في الصورة الخامسة، لكن القطط تملك تسع أرواح، وليس مثلي ومثل *ما* إذ يملك كلّ واحد منا روحًا واحدة فقط.

تختار *ما* دائمًا قصّة الأرنب الهارب، بسبب الطريقة التي تمسك فيها الأرنبة الأم بالأرنب الطفل في النهاية وتقول، "تناول الجزر"، فليس هناك أرانب إلا على شاشة التلفاز لكن الجزر حقيقيّ، أحبّ صوته المرتفع، والصورة المفضّلة لديّ هي حين يتحوّل الطفل الأرنب إلى حجر أعلى الجبل، ويتوجّب على الأم أن تتسلّق إلى الأعلى فالأعلى كي تتمكّن من إيجاده. ولكن الجبال أكبر بكثير من أن تكون حقيقية، وقد

شاهدت أحدها على شاشة التلفاز حيث تعلّقت به امرأة عبر الحبال، والنساء لسن حقيقيات كما هي *ما* ولا حتى الفتيات أو الفتية، والرجال ليسوا حقيقيين باستثناء نيك العجوز، ولست واثقًا حتى إن كان حقيقيًا بالفعل، ربما نصف حقيقي؟ هو يجلب البقالة وهدايا الأحد ويخفي القمامة، لكنه ليس بشريًا مثلنا، فهو لا يحضر إلا في الليل، مثل الخفافيش، وربما يبقيه الباب مستيقظًا بصريره بيب بيب ليتجدّد الهواء، ولا تفضّل *ما* التحدّث عنه تحسّبًا من أن يصبح حقيقيًا أكثر.

أتملّص الآن من حضنها وأنظر إلى صورتي المفضّلة للطفل يسوع وهو يلعب مع يوحنا المعمدان الذي كان صديقه وابن عمه الأكبر في الوقت ذاته. ووجدت مريم هناك أيضًا في حضن أمّها التي تكون جدّة الطفل يسوع، مثل *جدّة* دورا، إنها صورة غريبة بلا ألوان، وبعض الأيدي والأقدام غير موجودة، وتقول *ما* إنها لم تنتهِ بعد، وأن الملاك الذي نزل من السماء هو الذي جعل الطفل يسوع ينمو في بطن مريم، فبدا مثل شبح، ولكنه كان رائعًا بالفعل ولديه ريش. وقد تفاجأت مريم وقالت، "كيف يعقل هذا؟". ثم "حسنًا، فليكن ذلك". وعندما خرج الطفل يسوع من رحمها في عيد الميلاد وضعته في المعلف لا ليؤكل بل لتبقيه الأبقار دافئًا بأنفاسها لأنه كان ساحرًا.

أطفأت *ما* المصباح واستلقت، ولكن علينا أوّلًا تلاوة صلاة الراعي الصالح في المراعي الخضراء، أعتقد أنها تشبه اللحاف، ولكنها خضراء طريّة بدلًا من كونها بيضاء مسطّحة، (لابدّ أن الكأس التي تفيض ستسبّب فوضى مروّعة). أحظى بالقليل منه، من الأيمن، لأن الأيسر لم يعد فيه الكثير، فحين كنت في الثالثة كنت أحظى بالكثير في أي وقت، ولكن انشغلت منذ أن بلغت الرابعة بفعل أشياء... لذا، تسنّى لي الحصول على القليل بضع مرّات في النهار والليل. أتمنّى لو أن في وسعي الحديث والحصول على بعضه في الوقت ذاته إلا أنني لا أملك سوى فم واحد.

كدت أن أُطفأ لكن ليس بشكل حقيقي، لكني أعتقد أن *ما* كانت مطفأة وهذا ما تبيّن لي من خلال أنفاسها.

* * *

بعد القيلولة قالت *ما* إنها توصّلت إلى أننا لن نحتاج إلى طلب شريط قياس، إذ في وسعنا أن نصنع مسطرة بأنفسنا.

أعدنا تدوير علبة حبوب الفطور التي تعود إلى عصر الأهرامات المصرية العتيقة، فقد علّمتني *ما* كيفية قصّ شريط لا يزيد طوله عن قدمها، وهذا الطول الذي يطلق عليه القدم، ثم رَسَمَت اثني عشر خطًّا صغيرًا، فقِست أنفها الذي يبلغ طوله بوصتين، بينما يبلغ طول أنفي بوصة وربع، ودوّنت ذلك. قلبت *ما* المسطرة بالحركة البطيئة لتشقلبها فوق جدار الباب حيث توجد قياسات طولي، وقالت إن طولي يبلغ ثلاث أقدام وثلاث بوصات.

قلت: "مهلًا، لنقس الغرفة؟".

"ماذا، هل تريد قياسها كلّها؟".

"هل لدينا أي شيء آخر لنفعله؟".

نظرت إليّ بطريقة غريبة: "لا أظنّ ذلك".

كتبت كلّ الأرقام، مثل ارتفاع جدار الباب حتى الخطّ الذي يبدأ منه السقف، فبلغ طوله ستّ أقدام وسبع بوصات. قلت *لما*: "احزري ماذا، كلّ مربع هو أكبر بقليل من المسطرة".

قالت وهي تلطم رأسها: "هذا بديهي، أعتقد أنها تبلغ قدمًا مربّعة، لابدّ أني صنعت المسطرة أقصر بكثير من المطلوب، دعنا نحصي عدد البلاطات، سيكون ذلك أسهل".

بدأتُ بحساب ارتفاع جدار السرير، لكن *ما* قالت إن جميع الجدران متماثلة، كما أن هناك قاعدة أخرى تقول إنَّ عرض الجدران مطابق لعرض الأرضية، فعددت إحدى عشرة قدمًا بكلا الاتجاهين، هذا يعني أن الأرضية مربّعة. بينما الطاولة دائرية لذا كنت محتارًا، لكن *ما* قاست امتداد منتصفها في النقطة التي تبلغ فيها أقصى اتّساع لها، فبلغت ثلاث أقدام وتسع بوصات، وبلغ ارتفاع كرسيّي ثلاث أقدام وبوصتين، أما كرسي *ما* فماثلها تقريبًا، إذ زاد بالضبط عن كرسيي بوصة واحدة، ثم سئمت *ما* من قياس الأشياء. لذا، توقّفنا.

أُلوِّنُ خلف الأرقام بألوان مختلفة باستخدام أقلام التلوين الخمسة والتي تضم اللون الأزرق، والبرتقالي، والأخضر، والأحمر، والبنّي، فبدت الصفحة عندما انتهيت من تلوينها كما لو أنها سجّادة مزركشة لكنها أكثر جنونًا، تقول *ما* لماذا لا أستخدمها كغطاء طاولة عند تناول وجبة العشاء.

اخترت الليلة تناول المعكرونة، هناك أيضًا بروكلي طازج لم أختره، إنه مفيد لنا وحسب، وحين أفرم البروكلي إلى قطع باستخدام سكّين محزّز، أبتلع بعضها عندما لا تنظر إليّ *ما* التي تقول: "أوه، لا، أين ذهبت تلك القطعة الكبيرة؟"، لكنها لا تبدو غاضبة لأن الخضروات النيئة تجعلنا أصحّاء بشكل مضاعف.

تطهو *ما* باستخدام حلقتين من الموقد تتوهّجان باللون الأحمر، ويمنع عليّ استخدام مفاتيح الموقد لأن مهمّة *ما* تتجلّى بالحرص على ألا يحصل حريق كما حصل على شاشة التلفاز، فإذا ما التقطت الحلقات بشيء ما مثل منشفة الأطباق أو حتى بملابسنا فإن ألسنة اللهب ستنتشر في كلّ مكان بلونها البرتقالي لتحرق الغرفة محوّلة إياها إلى رماد، وعندها سنسعل، ونختنق، ونصرخ، وستعاني مَرافقنا من أسوأ ألم على الإطلاق.

لا أحبّ رائحة البروكلي المطهوّ، إلا أنها أقلّ سوءًا من رائحة الفاصولياء الخضراء، فجميع الخضراوات حقيقية، إلا أن المثلّجات موجودة على شاشة التلفاز فقط، أتمنى لو أنها حقيقية أيضًا: "هل النبتة عبارة عن شيء نيِّئ؟".

"حسنًا، نعم، ولكن ليس النوع الذي يجب تناوله".

"لماذا لم يعد لديها زهور؟".

رفعت *ما* كتفيها وحرّكت المعكرونة: "ربما تعبت".

"يتوجّب عليها النوم".

"تبقى تعبة حتى بعد أن تستيقظ، ربما لم يعد هناك ما يكفي من الطعام في التربة الموجودة في الأصيص".

"يمكنها أن تأكل حصّتي من البروكلي".

ضحكت *ما*: "ليس هذا النوع من الطعام، إنه طعام خاصّ بالنباتات".

"في وسعنا أن نطلب بعضًا منه كهدية ليوم الأحد".

"لديّ مسبقًا لائحة طويلة من الأشياء التي ينبغي طلبها".

"أين؟".

"إنها في رأسي"، قالت، وهي ترفع دودة من المعكرونة وتتذوّقها: "أعتقد أنها تحبّ السمك".

"من يحبّ السمك؟".

"النباتات، إنها تحبّ السمك الفاسد، أم أنها تحبّ عظام السمك؟".

"مقزّز".

"ربما نستطيع في المرّة القادمة التي نحظى فيها بأصابع السمك، أن ندفن القليل منها تحت النبتة".

"لا تدفني إحدى قطعي".

"حسنًا، سأدفن جزءًا من قطعي فقط".

يكمن السبب وراء حبّي للمعكرونة في أغنية كرات اللحم التي أغنّيها عندما تملأ *ما* طبقينا.

هناك شيء مذهل بعد العشاء، سنعدّ كعكة عيد ميلاد، أراهن أنها ستكون شهية وسيكون هناك شموع بنفس عدد سنوات عمري، ستشتعل بنار لم أرها على أرض الواقع من قبل.

أنا أفضل من يخفق البيض، أجعل المادّة اللزجة تراق بشكل مستمرّ. ويتوجّب عليّ أن أخفق ثلاث بيضات من أجل الكعكة، وسأستخدم الدبوس الخاصّ باللوحة الانطباعية: لوحة شروق الشمس، لأني أعتقد أن الحصان المجنون سيغضب إن أنزلت لوحة غرنيكا، على الرغم من أني أعيد وضع الدبوس في مكانه بشكل مباشر بعد أن أنتهي من عملي. تعتقد *ما* أن غرنيكا هي أفضل تحفة فنية لأنها الأكثر واقعية، إلا أن الأمر برمّته عبارة عن فوضى عارمة، يظهر فيها حصان يصرخ مظهرًا كثيرًا من الأسنان

لأن هناك رمحًا مغروسًا فيه، إضافة إلى ثور وامرأة تحمل طفلًا، متراخية أطرافه، مقلوب الرأس، ومصباحًا على شكل عين، والأسوأ من ذلك هو صورة قدم كبيرة منتفخة في الزاوية، لطالما اعتقدت أنها ستدوسني.

في العادة، يتاح لي لعق الملعقة، ثم تضع *ما* الكعكة في بطن الموقد الساخن، فرحت أحاول أن أقذف قشور البيض دفعةً واحدة في الهواء كالبهلوان، أمسكت *ما* إحداها: "ما رأيك أن نصنع ليتل جاكس مع الوجوه؟"

قلتُ: "كلا".

"هل سنجعل منها عشًّا لعجينة الدقيق؟ في وسعنا أن نستخدم العصارة إذا أزلنا القشر عن الشمندر في الغد لنصبغها باللون الأرجواني".

هززت رأسي رافضًا: "لنضفها إلى ثعبان البيض".

إن ثعبان البيض أطول بكثير من محيط الغرفة، نحن نعمل عليه منذ كنت في الثالثة من عمري، إنه يعيش تحت السرير، ملتفًّا كسلسلة ويبقينا آمنين. كانت معظم البيضات ذات لون بنّي، ولكن وُجد بينها في بعض الأحيان اللون الأبيض، وحمل بعضها أشكالًا رسمت بقلم الرصاص أو أقلام التلوين أو قلم حبر إضافة إلى قطع عالقة مع غراء الدقيق، وحملت أيضًا تاجًا من قصدير، وحزامًا من الشرائط الصفراء، وخيوطًا وقصاصات من المناديل الورقية استخدمت كشعر، أما لسان الثعبان فعبارة عن إبرة تتيح للخيط الأحمر المرور عبره، ولم نعد نسمح لثعبان البيض بالخروج كثيرًا لأنه يتشابك في بعض الأحيان وتتشقّق قشور البيض حول الثقوب وحتى أن بعضها يتكسّر، فنستخدم أجزاء القشور في صناعة الفسيفساء. وضعتُ اليوم إبرته في أحد ثقوب البيض الجديد، وعليّ أن أدليها حتى تخرج من الثقب الآخر بالضبط، إنه أمر في غاية التعقيد، أصبح الآن أطول بثلاث بيضات، لففته بهدوء حتى يتّسع كلّه مجدّدًا تحت السرير.

إن انتظار قالب الحلوى يستغرق ساعات وساعات، ونحن نتنفّس الهواء اللطيف، ثم عندما يبرد، نصنع مادّة تسمّى غطاء الثلج، ولكنها ليست باردة مثل

الثلج، وإنما هي عبارة عن سكّر مذاب بالماء، توزّعه *ما* على الكعكة، "يمكنك الآن وضع الشوكولاتة ويمكنني غسل الأطباق".

"لكن لا يوجد أيٌّ منها".

"آه"، قالت وهي تحمل كيسًا صغيرًا وتهزّه تشك تشك تشك: "لقد احتفظت بالقليل من هدية يوم الأحد قبل ثلاثة أسابيع".

"أين هي أيتها الماكرة *ما*؟".

أغلقت فمها كالسّحاب: "ماذا إن احتجت إلى مخبإٍ مرّةً أخرى؟"

"أخبريني".

توقّفت ما عن الابتسام: "الصراخ يؤلم أذني".

"أخبريني أين المخبأ؟".

"جاك...".

"لا يروق لي وجود مخبإٍ سرّي".

"ماذا في ذلك؟".

"إنهم الأحياء الأموات".

"ماذا؟"

"أو الغيلان أو مصّاصو الدماء...".

فتحت الخزانة، وأخرجت علبة الأرز، وأشارت إلى التجويف المظلم: "إنها في الداخل لقد أخفيتها مع الأرز، هل هذا جيد؟"

"جيد".

"لا يتّسع أي شيء مخيف هنا، في وسعك فحصه في أيّ وقت".

هناك خمس قطع شوكولاتة في الكيس، زهرية، وزرقاء، وخضراء وقطعتان حمراوان، يزول لون بعضها ليعلق على أصابعي بمجرّد أن ألمسها، فألوّث نفسي بغطاء الثلج وأنا أضعها لألعق ما علق كلّ حين، والآن آن أوان وضع الشموع، لكن ما من شموع.

قالت *ما* وهي تغطّي أذنيها: "أنت تصرخ مجدّدًا".

"لكنك قلت إنّها كعكة عيد ميلاد، لن تصبح كعكة عيد ميلاد ما لم نضئْ خمس شموع".

تأفّفت وزفرت: "كان ينبغي لي أن أوضح ذلك على نحو أفضل، هذا ما تعنيه قطع الشوكولاتة الخمس، إنها إشارة إلى أنك بلغت الخامسة".

"لا أريد هذه الكعكة"، أكره عندما تنتظر *ما* بصمت: "كعكة مقرفة".

"اهدأ يا جاك".

"توجّب عليكِ طلب الشمع كهدية ليوم الأحد".

"حسنًا، لقد احتجنا الأسبوع الماضي إلى مسكّنات الألم".

صرختُ: "لم أحتج إلى أيّ منها، أنت من احتاج إليها".

نظرت *ما* إليّ كما لو أن لي وجهًا جديدًا لم يسبق لها أن رأته، ثم قالت: "أيًّا يكن الأمر، تذكّر، يجب أن نختار الأشياء التي يمكن أن يُحصل عليها بسهولة".

"لكن في وسعه أي يجلب أيّ شيء".

قالت: "حسنًا، نعم، إذا سبّب له ذلك الإزعاج...".

"لماذا قد يسبّب ذلك الإزعاج؟"

"أنا أعني فقط أنه قد يضطرّ إلى التوجّه إلى متجرين أو ثلاثة، وقد يجعله ذلك نزقًا حادّ الطباع، وماذا لو لم يجد الشيء المستحيل، فلربما لن نحصل على هدية يوم الأحد على الإطلاق".

"لكن يا *ما*"، ضحكتُ: "إنه لا يذهب إلى المتاجر، فهي توجد على شاشة التلفاز فقط".

عضّت على شفتيها، ثم نظرت إلى الكعكة: "حسنًا، أنا آسفة بكلّ الأحوال، اعتقدتُ أن قطع الشوكولاتة ستفي بالغرض".

"يا لكِ من سخيفةٍ يا *ما*".

صَفعَت رأسها: "يا لي من حمقاء".

قلت، لكن ليس بأسلوب سيّئ: "الجمجمة الخدرة، من الأفضل أن تحضري الشموع في الأسبوع القادم عندما أبلغ السادسة".

قالت *ما*: "العام القادم، تقصد العام القادم" أغمضت عينيها، ففي بعض الأحيان، تفعل ذلك، وتصمت لدقيقة، فاعتقدتُ عندما كنت صغيرًا أن بطاريتها قد استُنفدت كما حصل للساعة ذات مرّة، وتوجّب علينا أن نطلب لها بطاريات جديدة كهدية ليوم الأحد.

"هل تعدينني بذلك؟".

فتحت عينيها وقالت: "أعدك".

قطعت لي قطعة عملاقة، فاختلست قطع الشكولاتة الخمسة لأضعها على قطعتي عندما لم تكن تنظر. القطعتان الحمراوان، والزهرية، والخضراء، والزرقاء، فقالت: "أوه، اختلست واحدة أخرى، كيف حصل ذلك؟"

"لن تحزري أبدًا، ها ها ها"، قلّدت سنقر عندما يسرق الأشياء من دورا، وأخذت قطعة من الشكولاتة الحمراء وألقيت بها في فم *ما*، فوضعتها بين أسنانها الأمامية لأنها أقلّ فسادًا من الأخرى، ومضغتها وهي تبتسم.

أريتها: "انظري، هناك ثقوب في كعكتي حيث كانت قطع الشوكولاتة الآن".

قالت وهي تضع بنانها على إحداها: "كما لو أنها فوهات".

"ما هي الفوهات؟"

"إنها عبارة عن ثقوب تظهر حيث تحصل الأشياء، مثل بركان أو انفجار أو شيء ما".

وضعت القطعة الخضراء على فوهتها، وعدّت عشرة، تسعة، ثمانية، سبعة، ستّة، خمسة، أربعة، ثلاثة، اثنين، واحد، بوم. فطارت بعيدًا في الفضاء الخارجيّ لتعود إلى فمي، إن كعكة عيد ميلادي هي ألذّ ما تناولته في حياتي.

لكن *ما* لا تشتهي تناول أيّ منها، لقد شفطت كوّة السقف كلّ الضياء، وبدت كأنها سوداء تقريبًا، فقالت *ما*: "إنه الاعتدال الربيعيّ، أتذكّر أن ذلك قيل على شاشة

التلفاز، صبيحة ولادتك، في ذلك العام، كانت تثلج أيضًا".

"ما هو الاعتدال الربيعي؟".

"يعني التساوي، حين يكون هناك ذات القدر من الضوء والظلام".

تأخّر الوقت على مشاهدة التلفاز بسبب الكعكة، إذ تشير الساعة إلى الـ 08:33، وكادت كنزتي الصفراء ذات القبعة أن تنتزع رأسي من مكانه عندما سحبتها *ما*، ثم ارتديت ثياب النوم ونظّفت أسناني بينما كانت *ما* تربط كيس القمامة جيّدًا وتضعه إلى جانب الباب مع لائحتنا التي كتبتها، والتي ذكر فيها، من فضلك، معكرونة، عدس، طون، وجبنة (إن لم تكلّف الكثير من الدولارات) شكرًا يا ج.ع.

"هل في وسعنا طلب العنب؟ إنه مفيد لنا".

تضع *ما* العنب في الأسفل إن كان متاحًا (أو أي نوع من الفواكه الطازجة أو المعلّبة).

"هلّا حكيت لي حكاية؟".

"حكاية سريعة وحسب، ما رأيك بـ... رجل كعكة الزنجبيل؟".

روتها بسرعة كبيرة وبطريقة مرحة، ققفز رجل كعكة الزنجبيل من الفرن، وركض وتدحرج وتدحرج وركض حتى لا يتاح لاحد الإمساك به، لا امرأة عجوز ولا رجل عجوز ولا الحصادات أو المحاريث، لكنه بدا أحمق في نهاية المطاف، لأنه سمح للثعلب بحمله عبر النهر ليلتهمه هذا الأخير بلمح البصر.

لو أنني صُنعتُ من قالب حلوى، لأكلت نفسي قبل أن يتمكّن أي شخص آخر من فعل ذلك.

نتضرّع إلى الله عبر صلاة سريعة للغاية بيدين مضمومتين وعينين مغمضتين، وأصلي لكي ينضمّ يوحنا المعمدان والطفل يسوع إلى موعد لعبٍ مع دورا وموزو، وتصلي *ما* كي تذيب أشعّة الشمس الثلج عن كوّة السقف.

"هل في وسعي أن أحظى بالقليل؟".

قالت *ما* وهي تسحب قميصها إلى الأسفل: "سيكون ذلك أوّل شيء تفعله في الغد".

"كلا، الليلة".

أومأت إلى الأعلى نحو الساعة التي أشارت إلى 08:57، هذا يسبق الساعة التاسعة بثلاث دقائق. لذا، ركضت إلى خزانة الملابس، واستلقيت على وسادتي، ولففت نفسي ببطانية رمادية خفيفة تحمل أشكال أنابيب حمراء، وها أنا تحت لوحتي التي نسيت أنها موجودة هناك، فمدّت *ما* رأسها إلى الداخل وقالت، "ثلاث قبلات".

"كلا، خمس قبلٍ للسيّد ذي الخمسة أعوام".

أعطتني خمس قبلات، فأصدرت الدرفتان صريرًا وهي تغلقهما.

لا يزال الضوء يدخل من بين درفتي الباب. لذا، استطعت رؤية نفسي في الرسم، تشبه أجزائي *ما*، لكن الأنف وحده يشبهني أنا، تحسّست الورقة، إنها ناعمة كالحرير، فاستلقيت بشكل مستقيم بحيث لامس رأسي الخزانة وكذلك فعلت قدماي، فأحسست بحركة *ما* وهي ترتدي قميص نومها، وتتناول المسكّنات، فهي تتناول حبّتين قبل النوم، لأنها تقول إنَّ الألم يشبه الماء، وينتشر ما إن تستلقي، وبصقت معجون الأسنان: "صديقنا زاك أصاب ظهره حُكاك".

فكّرت في واحدة: "صديقنا زاه يقول ناه ناه ناه".

مكتبة
t.me/t_pdf

"يعيش صديقنا إبينيزر داخل الفريزر".

"دخلت صديقتنا دورا إلى المتجورا".

قالت *ما*: "لقد غششت في القافية".

تأوّهتُ مثل سنقر: "يا إلهي، صديقنا الطفل يسوع... يحبّ تناول الجبن على الأكل".

"غنّى صديقنا ملعقة أغنية للقُمْرة".

القمر هو وجه الله الفضّي(*) الذي لا يظهر إلا في مناسبات خاصّة.

(*) تعبير ساذج لطفل سجين طوال حياته غير قادر على التعبير عن طبيعة الأشياء وواقعها.

جلستُ وركّزت وجهي مقابل درفتي الباب، ففي وسعي أن أرى التلفاز مطفأً، المرحاض، الحمام، لوحة الأخطبوط الأزرق المجعّدة، و*ما* وهي تعيد ثيابنا إلى الدروج: "*ما*؟".

"ممم؟".

"لماذا تخبّئينني كالشوكولاتة؟".

أعتقد أنها تجلس على السرير، وتتحدّث بصوت منخفض حتى إنني بالكاد تمكّنت من سماعها: "لأني لا أريده أن ينظر إليك، حتى عندما كنت طفلًا، اعتدت دائمًا لفّك ببطانية قبل أن يأتي".

"هل يؤلم ذلك؟".

"ما الذي قد يؤلم؟".

"إن رآني".

أخبرتني *ما*: "لا، لا، أخلد إلى النوم الآن".

"قولي لي ذاك الشيء المتعلّق بالحشرات".

"طاب ليلك، هانئٌ نومك، لا تدع حشرات السرير تقرصك".

حشرات السرير غير مرئية، لكني أتحدّث إليها، وفي بعض الأحيان أحصيها، أحصيت آخر مرّة حتى الرقم 347. سمعت قرقعة المفتاح، فأطفأت المصباح في ذات اللحظة، وسمعت حركة *ما* وهي تتدثّر باللحاف.

في بعض الليالي، رأيت العجوز نيك عبر درفتي باب الخزانة، لكن لم يسبق لي أن رأيته بشكل كامل عن قرب. هناك بعض الشعرات البيضاء في شعره وهي أقصر من أذنيه، ربما قد تحوّلني عيناه إلى حجر، يقوم الزومبي بعضِّ الأطفال ليحوّلوهم إلى أموات أحياء، فيما يقوم مصّاصو الدماء بمصّ دمائهم إلى أن يرتخوا، أما الغيلان فيدلّونهم من أقدامهم رأسًا على عقب ويبدأون بمضغهم، و قد يكون العمالقة على القدر ذاته من السوء، إذ قد يطحنون العظام لصنع الخبز سواء أكان الطفل حياً أم ميتًا، لكن جاك هرب مصطحبًا الدجاجة الذهبية، وانزلق إلى الأسفل عبر شجرة الفاصولياء

بسرعة بسرعة، وبدأ العملاق بالنزول خلفه، لكن جاك صرخ مناديًا أمّه طالبًا الفأس، وهو شيء يشبه سكاكيننا لكنه أكبر حجمًا، إلا أنَّ أمّه خافت من أن تقطع شجرة الفاصولياء بنفسها، وما إن وصل جاك إلى الأرض حتى فعلا ذلك معًا، فسقط العملاق ليرتطم بالأرض وتخرج أحشاؤه، هاها.. وهكذا حاز جاك لقب جاك قاتل العمالقة.

أتساءل إن كانت *ما* قد انطفأت بالفعل.

في أثناء تواجدي في الخزانة أحاول أن أغمض عيني بقوّة، وأنطفئ بأسرع ما يمكن حتى لا أسمع وصول نيك العجوز، وحين أستيقظ سيكون قد حلّ الصباح، وأنا إلى جوار *ما* في السرير حيث أحظى بالقليل من الوقت حيث يكون كلّ شيء على ما يرام. لكن الليلة لا زلت شغّالًا، والكعكة تفور في معدتي، عددت أسناني العلوية بلساني من اليمين إلى اليسار إلى أن وصلت إلى الرقم 10، ثم أسناني السفلية من اليسار إلى اليمين، ذهابًا وإيابًا، يجب أن أصل إلى العشرة في كلّ مرّة وضعف العدد عشرة هو عشرين، هذا هو العدد الذي أملكه.

لم يصدر صوت بيب بيب، لا بدّ أن الساعة تجاوزت التاسعة بكثير، عددت أسناني مرّةً أخرى لأحصي تسعة عشر، لا بدّ أني أخطأت العدّ أو أن إحداها قد اختفت، عضضت أصبعي قليلًا فقط، ثم كرّرت ذلك، انتظرت ساعات. "*ما*؟"، همست: "هل سيأتي أم لا؟".

"لا يبدو أنه سيفعل، تعال إلى هنا".

قفزت وفتحت خزانة الملابس، ووصلت إلى السرير في غضون ثانيتين، فكان الجوّ دافئًا بشكل مضاعف تحت اللحاف، عليَّ أن أخرج قدميَّ من تحته كي لا تحترقا، لديّ الكثير، اليمين ومن ثم اليسار، ولا أريد أن أنام، لأن ذلك يعني أنه سينتهي يوم عيد ميلادي.

* * *

هناك ضوء مصباح مسلّط عليّ، إنه يخز عيني، نظرت خارج اللحاف لكن عينيّ أجهدتا، وقفت *ما* قرب المصباح وغمر الضوء كلّ شيء، ثم دوّى صوت طقّة

وغرق كلّ شيء في الظلمة من جديد، ثمّ عادت الإضاءة مجدّدًا، فتركتها تشعّ لمدة ثلاث ثوان ثم عمّ الظلام، لتضيء مرّةً أخرى لثانية واحدة فقط، وحدّقت إلى الأعلى إلى كوّة السقف، ثمّ عمّ الظلام مجدّدًا، إنها تفعل هذا عادة خلال الليل، وأعتقد أن هذا يساعدها على النوم مرّةً أخرى.

انتظرت إلى أن أنطفأ المصباح نهائيًا، وهمست في الظلمة: "هل انتهينا من ذلك؟".

قالت: "آسفة لأني أيقظتك".

"لا بأس بذلك".

عادت إلى السرير أبرد مني، وطوّقت وسطها بذراعي.

* * *

أصبح عمري الآن خمسة أعوام ويوم.

القضيب السخيف يقف دائمًا في الصباح، فأدفعه إلى الأسفل.

أغنّي عندما أغسل يدي بعد التبوّل: "يملك العالم كلّه بين يديه"، ثم لا أستطيع التفكير في واحدة أخرى عن الأيادي، لكن أغنية العصفور الصغير تدور حول الأصابع.

"طر بعيدًا يا بيتر

طر بعيدًا يا بول".

يتحرّك إصبعاي في أرجاء الغرفة ويكادان أن يصطدما ببعضهما في الهواء.

"عُد يا بيتر.

عُد يا بول".

قالت *ما*: "في الحقيقة أعتقد أنهما ملاكان".

"ماذا؟".

"أو كلاهما، اعتذر، قدّيسان".

"ما القدّيسون؟".

"أناس مقدّسون للغاية، مثل ملائكة من دون أجنحة".

أصابتني الحيرة: "لماذا يطيرون فوق الجدار إذا؟".

"كلا، كانت تلك الطيور الصغيرة، وفي وسعها أن تطير بشكل جيّد، ما عنيته بقولي إنها سمّيت تيمّنًا بالقدّيسين بيتر وبول، وهما اثنان من أصدقاء الطفل يسوع".

لم أعرف أنه حظي بالمزيد من الأصدقاء بعد جون المعمدان.

"في الواقع، دخل القدّيس بيتر إلى السجن في إحدى المرّات...".

ضحكت: "الأطفال لا يدخلون إلى السجن".

"حصل ذلك بعد أن أصبحوا جميعًا بالغين".

لم أعلم أن الطفل يسوع قد أصبح بالغًا: "هل القدّيس بيتر رجل سيّئ؟".

"كلا، كلا، لقد دخل إلى السجن عن طريق الخطأ، ما أعنيه أنه قد زُجَّ به في السجن بسبب بعض رجال الشرطة السيّئين، على كل حال، لقد صلّى مرارًا وتكرارًا للخروج، واحزر ما الذي جرى؟ طار إليه ملاك وحطّم الأبواب".

قلت: "رائع"، على الرغم من أني أفضّلهم وهم أطفال عراة يركضون في الأرجاء.

دوّى صوت قرقعة مضحكة، ثم صوت طق طق، وبدأ الضوء ينساب من كوّة السقف، زال الثلج المعتم تقريبًا بالكامل، فنظرت *ما* إلى الكوّة أيضًا، فارتسم على فمها طيف ابتسامة صغيرة، أعتقد أن ذلك من تأثير الصلاة.

"هل لا يزال أمر التساوي ذلك قائمًا؟".

سألتني: "آه، تقصد الاعتدال الربيعي؟ كلا بدأ الضوء يحقّق بعض النصر".

سمحت لي بتناول الكعكة على الفطور، لم يسبق لي أن فعلت ذلك من قبل، فقد أصبحت مقرمشة، لكنها لا تزال لذيذة.

عرض التلفاز برنامجًا للأطفال *الحيوانات المدهشة*، ولكن الصورة كانت مشوشة للغاية، فاستمرّت *ما* بتحريك الأرنب إلا أنه لم يوضح الصورة كثيرًا، فصنعت قوسًا على أذنه السلكية بواسطة شريط أرجواني، فتمنّيت لو عرض برنامج *ساحة المرح*، الذي لم أشاهده منذ دهر، كما لم تصل هدية يوم الأحد بعد لأن نيك العجوز لم يأتِ في الليلة الماضية، في الحقيقة كان ذلك أفضل جزء في عيد ميلادي.

أيًّا يكن الأمر، لم يكن ما طلبناه يبعث في النفس الإثارة، فقد كان بنطالًا جديدًا لأن بنطالي الأسود تخلّلته الثقوب عند الركبتين، ولا أمانع بوجودها، لكن *ما* أخبرتني بأنها تجعلني أبدو مشرّدًا، ولم تستطع أن تشرح لي ما يعنيه ذلك.

لعبتُ بالثياب بعد أن استحممت، فتحوّل قميص *ما* الزهري هذا الصباح إلى أفعى، ووقع خلاف بينه وبين جوربي الأبيض: "أنا صديق جاك المفضّل".

"كلا، أنا صديق جاك المفضّل".

"سأضربك".

"سأصعقك".

"سأطلق عليك النار بمدفعي الناري".

"أجل، حسنًا، لدي ميغاترون العملاق من فريق المتحوّلين بلاستر...".

قالت *ما*: "مهلًا، ألن نلعب لعبة التقاط الكرة؟".

ذكّرتها: "لم يعد لدينا كرة شاطئ"، انفجرت عندما ركلتها بقوّة كبيرة نحو الخزانة، وأردت أن أطلب واحدة أخرى عوضًا عن البنطال الغبي.

لكن *ما* قالت إننا نستطيع أن نصنع واحدة، فعلينا أولًا أن نجعّد كل الأوراق التي استخدمها للتمرّن على الكتابة ثم نضعها في كيسٍ للبقالة، ونضغطها حتى تأخذ شكل كرة، ثم نرسم عليها وجهًا مخيفًا له ثلاث عيون، وهكذا أصبحت كرة ثقيلة الظلّ لا تعلو مثل كرة الشاطئ، ولكن في كلّ مرّة نلتقطها تصدر صوت طق، و*ما* هي الأفضل في الالتقاط، إلا أنها كانت ترتطم بقوّة بالمعصم الذي يؤلمها في بعض الأحيان، فأنا أفضل رامٍ.

يوم الأحد، تناولنا الفطائر المحلّاة على الغداء لأننا تناولنا الكعكة على الفطور بدلًا منها، فلم يبقَ الكثير من المزيج لذلك كانت رقيقة وممدودة، أحبّها على هذا الشكل، إذ يتاح لي أن أطويها، فيتشقّق بعضها حين أفعل ذلك. لم يتبقَ الكثير من حلوى الهلام لذا، مددناها بالماء أيضًا.

قطرت إحدى زوايا فطيرتي، فمسحت *ما* الأرضية بالإسفنجة.

قالت *ما* عبر أسنانها المطبقة: "بدأ الفلّين بالتلف، كيف يفترض بنا أن نبقيه نظيفًا؟".

"أين؟".

"حيث تحتكّ أقدامنا".

نزلتُ إلى أسفل الطاولة حيث كان هناك ثقب في الأرضية امتلأ بأشياء بنية أسفله أشدّ صلابة من أظافري.

"لا تزد الأمور سوءًا يا جاك".

إنها أشبه بفوهة صغيرة: "أنا لا أفعل شيئًا، أنا ألمسها بإصبعي فحسب".

حرّكنا الطاولة إلى جوار الحمام حتى يتسنّى لنا أخذ حمام شمس فوق السجّادة تحت الضياء الذي تبثّه كوّة السقف حيث يصبح الجوّ دافئا للغاية، وغنّيت أغنية *لا تشرق الشمس*، بينما غنّت *ما* أغنية *أشرقت الشمس*، فاخترت غناء *أنتِ شمسي*، ثم أردت أن أحظى بالقليل، وقد اتّصفت الجهة اليسرى بأنها دسمة للغاية بعد ظهر اليوم.

يتحوّل وجه الله الأصفر إلى اللون الأحمر عبر أجفاني(*)، فيصبح الضياء مبهرًا للغاية عندما أفتحها، وترسم أصابعي ظلالًا على السجّادة، ظلالًا صغيرة مسطّحة.

غفت ما.

سمعت صوتًا، لذا، نهضت كي لا أُوقظها، فتناهى من جهة الموقد صوت خشخشة خشنة.

شيء حيّ، حيوان، حقيقي بالفعل وليس على شاشة التلفاز، إنه على الأرض، يتناول شيئًا ما، ربما فتات الفطائر، له ذيل، أعتقد أني أعرف ما هو، إنه فأر.

اقتربتُ منه أكثر، وفجأة وييبي اختفى أسفل الموقد. لذا، بالكاد رأيته، لم يسبق لي أن رأيت شيئًا يتحرّك بهذه السرعة. "أوه يا فأر"، قلتُ هامسًا كي لا أخيفه، هذه هي الطريقة التي يجب أن تتحدّث بها إلى فأر، هكذا ذُكر في كتاب أليس، إلا أنها تَحَدّثَت عن قطّتها دينا عن طريق الخطإ وإذ بالفئران تتوتّر وتسبح بعيدًا، فرفعتُ

(*) تعبير ساذج لطفل سجين طوال حياته غير قادر على التعبير عن طبيعة الأشياء وواقعها.

يدي للصلاة الآن: "ارجع أيها الفأر، أرجوك، أرجوك، أرجوك..."

انتظرت لساعات إلا أنه لم يعد.

من المؤكّد أن *ما* تغطّ في نوم عميق.

فتحت باب الثلاجة، لا يوجد في داخلها الكثير، تحبّ الفئران الجبنة، لكن لم يبقَ لدينا أيّ منها، فأخرجتُ الخبز، وفتّت بعضه في صحنٍ، ووضعته على الأرض حيث رأيت الفأر، وجلست القرفصاء، وانتظرت لساعات وساعات.

ثم حصل أكثر الأشياء روعة على الإطلاق، أخرج الفأر فمه، إنه مدبّب، فكدت أن أقفز في الهواء تقريبًا ولكنني لم أفعل، بل بقيت ساكنًا. توجّه الفأر إلى الفتات وشمّها، وأنا أقف على بعد قدمين منه فقط، أتمنّى لو أن المسطرة بحوزتي لأقيس المسافة إلا أنها وُضعت في الصندوق الموجود تحت السرير، لا أرغب في الحركة كي لا أخيف الفأر، فشاهدت يديه، شاربيه، وذيله وهو ملتفّ بالكامل، إنه حيّ فعلًا، هو أكبر شيء حيّ رأيته على الإطلاق، إنَّه أكبر من النمل أو العنكبوت بملايين المرات.

ثم اصطدم شيء ما بالموقد طججججج، فصرخت ودست على الصحن عن طريق الخطإ، فاختفى الفأر، أين ذهب؟ هل سحقه الكتاب؟ إنه كتاب صور المطار البارزة، بحثت بين صفحاته إلا أنّي لم أجده، لقد تمّ تدمير كامل قسم استلام الحقائب ولم يعد من الممكن أن يبرز.

بدت ملامح *ما* غريبة، فصرخت في وجهها: "لقد جعلته يختفي".

حملت بيدها مكنسة، كنست أجزاء الطبق المكسورة: "ما الذي يفعله هذا على الأرض؟ لم يبقَ لدينا الآن سوى طبقين كبيرين وواحد صغير، هذا كلّ..."

يلقي الطبّاخ الموجود في أليس الأطباق على الطفل وقدرًا كاد أن يخلع أنفه.

"أحبَّ الفأر الفُتات".

"جاك".

"إنه حقيقي، لقد رأيته".

جرّت الموقد، فكان هناك شقّ صغير أسفل حائط الباب، جاءت برزمة من رقائق الألومنيوم وبدأت في دفع كرات منها في الشقّ.

"أرجوكِ لا تفعلي ذلك".

"أنا آسفة، ولكن إن وجد واحد منها فهذا يعني أنه يوجد العشرات أمثاله".

هذه طريقة مجنونة للحساب.

وضعت *ما* الرقاقات جانبًا وأمسكتني بقوّة من كتفيّ: "إن تركناه ستغزونا أطفاله قريبًا، وستسرق طعامنا، حاملة معها الجراثيم بأقدامها القذرة..."

"بإمكانها الحصول على طعامي، أنا لست جائعًا".

لم تصغِ *ما* إليّ، ودفعت الموقد لتعيده إلى حائط الباب.

في وقت لاحق، استخدمنا الصمغ لإلصاق صفحة حظيرة الطائرات، لتبرز مجدّدًا في كتاب صور المطار البارزة. إلا أن صفحة قسم استلام الحقائب كانت ممزّقة إلى حد كبير فتعذّر إصلاحها.

جلسنا منكمشين على أنفسنا فوق الكرسي الهزّاز، وقرأت لي *ما* قصّة دايلان الحفّار ثلاث مرات، هذا يعني أنها آسفة، فقلت لها: "دعينا نطلب كتابًا جديدًا كهدية ليوم الأحد".

زمّت شفتيها: "فعلت ذلك قبل بضعة أسابيع، أردتك أن تحصل عليه في عيد ميلادك، لكنه قال إنَّ ذلك يزعجه للغاية، ألا نملك رفًّا كاملًا منها بالفعل".

نظرتُ إلى الرفّ الذي يقع خلف رأسها، في وسع الرف أن يتّسع أيضًا لمئات الكتب، إذا وضعنا بعض الأشياء الأخرى تحت السرير إلى جانب ثعبان البيض، أو فوق الخزانة... لكن يعيش هناك الحصن والمتاهة، ومن المربك في بعض الأحيان معرفة المكان الذي يعيش فيه كلّ شيء، أحيانًا تقول *ما* إنه يتوجّب علينا رمي الأشياء في القمامة، ولكني عادة لا أجد فسحة لها.

"يعتقد أنه ينبغي لنا مشاهدة التلفاز طوال الوقت".

يبدو هذا مسلّيًا.

قالت *ما*: "ثم تتعفّن أدمغتنا، مثل دماغه". مالت إلى الأعلى لتلتقط كتابي الكبير الخاصّ بأناشيد الأطفال، وتقرأ لي واحدة أختارها من كلّ صفحة، لكن المفضّلة لدي هي أناشيد جاك، مثل جاك سمك الاسبرط أو جاك هورنر الصغير

كن رشيقًا يا جاك

كن سريعًا يا جاك

اقفز فوق الشمعدان يا جاك..

أعتقد أنه أراد أن يرى إن كان في استطاعته ألا يحرق قميصه الليلي، ويعرض على شاشة التلفاز بدلًا من ذلك بيجامات أو ملابس نوم للفتيات، إن قميص نومي هو أكبر ملابسي، فيه ثقب عند كتفه حيث أحبّ أن أضع أصبعي فيه، وأدغدغ نفسي وأنا أنطفئ. هناك أيضًا جاكي واكي حلوى فطائر، ولكن عندما تعلّمت القراءة أدركت أنها في الحقيقة جورجي بورجي، لقد عدّلتها *ما* لتلائمني، هذا ليس كذبًا، إنه تظاهر فحسب.

كذلك الأمر مع جاك، جاك ابن المزمار

سرق خنزيرًا ولاذ بالفرار.

ذُكِرَ في الكتاب أنه توم لكن جاك يبدو أفضل، تعني السرقة قيام صبي بسرقة شيء ما ينتمي إلى صبي آخر، لأن كلّ الأشخاص الذين يظهرون على شاشة التلفاز أو يَرِدون في الكتب يملكون أشياء تخصّهم، إنه أمر في غاية التعقيد.

إنها الساعة 05:39 لذا يمكننا تناول العشاء، إنه عبارة عن وجبة نودلز سريعة التحضير، في أثناء وضعها في المياه الساخنة، تجد *ما* على كرتونة الحليب كلمات صعبة لاختباري مثل الغذاء الذي يعني الطعام، ومبستر والذي يعني أن مدافع الليزر صعقت الجراثيم.

أريد مزيدًا من الكعك لكن *ما* تقول إنَّ عليَّ تناول قطع الشوندر المليئة بالعصارة أوّلًا، ثم تناولت كعكة جافّة للغاية وكذلك فعلت هي.

وقفتُ على الكرسي الهزّاز لأبحث عن صندوق الألعاب في نهاية الرفّ، أرغب اليوم في لعب الداما وأريد اختيار اللعب باللون الأحمر، فهي تشبه قطعه الشوكولاتة

الصغيرة، وسبق لي أن لعقتها عدّة مرّات ولم يكن مذاقها يشبه أي شيء، كما أنها تلتصق باللوح بسحر مغناطيسي، تحبّ *ما* الشطرنج أكثر ولكنه يؤلم رأسي.

اختارت *ما* خلال الوقت المخصّص للتلفاز مشاهدة برنامج كوكب الحياة البرّية، فعرض سلاحف تدفن بيوضها في الرمال، فعندما ازداد طول أليس بعد أن تناولت الفطر، جُنّ جنون الحمامة لأنها اعتقدت أن أليس عبارة عن ثعبان شرير يحاول أكل بيوضها، وها هي ذا أطفال السلاحف تخرج من قشورها.

إلا أن الأمهات غادرت قبل ذلك، هذا غريب، أتساءل إن كانت الصغار ستلتقي بأمهاتها يومًا ما في البحر، وهل ستتعرّف الأمهات والأطفال إلى بعضها أم ستسبح بجوار بعضها مثل الغرباء.

انتهى برنامج الحياة البرية بسرعة كبيرة، فانتقلتُ إلى برنامج يعرض رجلين يرتديان بنطالين قصيرين وينتعلان أحذية رياضية ويتصبّبان عرقًا من الحرّ: "أوه. ممنوع الضرب"، قلت لهما: "هذا سيغضب الطفل يسوع".

يلكم الرجل الذي يرتدي بنطالًا قصيرًا أصفر عين الرجل ذي الشعر الكثيف.

تأوّهت *ما* كما لو أنها تتألّم: "هل علينا أن نشاهد هذا؟".

قلت لها: "ستصل الشرطة خلال دقيقة، وا وي وا وي وا وي، وتضع الأشرار في السجن".

"في الواقع على الرغم من أن الملاكمة خطيرة... إلا أنها مجرّد لعبة، يسمح بها عند ارتداء قفّازات خاصّة، لقد انتهى الوقت الآن".

"فلنلعب لعبة الببغاء مرّة واحدة، إنها مفيدة لحفظ المفردات".

"حسنًا"، توجّهت إلى التلفاز، وانتقلت إلى كوكب الأريكة الحمراء حيث تطرح المرأة ذات الشعر الأشعث والتي تدير كل شيء الأسئلة على الأشخاص الآخرين، ويصفّق مئات الأشخاص.

أنصتت بتركيز شديد، فتَحَدَّثَت إلى رجلٍ ذي ساقٍ واحدة، أعتقد أنه فقد الأخرى في الحرب.

صاحت *ما* وقد كتمت الصوت عبر الزرّ: "ببغاء".

"أكثر الجوانب مأساوية، باعتقادي أن هذا أكثر ما يثير مشاعر مشاهدينا بعمق حول ما تحمّلته.."، نفدت مني الكلمات.

قالت *ما*: "لفظ جيد، المأساوية تعني الحزن".

"مجدّدًا".

"ذات البرنامج؟".

"كلا برنامج مختلف".

عثرت على نشرة أخبار أكثر صعوبة، *ببغاء*، وكتمت الصوت مجدّدًا.

"آه، مع انطلاق المناظرات التصنيفية بقوّة في أعقاب إصلاح الرعاية الصحّية، ومع الأخذ بعين الاعتبار بالطبع الانتخابات النصفية..."

انتظرت *ما*: "هل لديك المزيد؟ مرّةً أخرى، هذا جيّد، لكن ذُكر قانون العمل وليس التصنيف".

"ما الفرق؟".

"يقُصد بالتصنيف مثل الملصقات التصنيفية التي توضع على الطماطم على سبيل المثال، أما قانون العمل...".

تثاءبت ملء شدقيّ.

ابتسمت *ما* ابتسامة عريضة وأطفأت التلفاز قائلةً: "لا تشغل بالك بذلك".

أكره عندما تختفي الصور وتتحوّل الشاشة إلى اللون الرمادي مجدّدًا، أرغب دائمًا في البكاء، ولكن للحظة فقط.

صعدت إلى حضن *ما* في الكرسي الهزّاز، ومددنا أرجلنا إلى الأعلى، إنه الساحر الذي تحوّل إلى حبّار عملاق، وأنا الأمير جاكرجاك الذي يهرب في النهاية، فندغدغ بعضنا، ونقفز ونرسم أشكالًا بالظلال على حائط السرير.

ثم طلبتُ الأرنب جاكرجاك فهو دائمًا ما يؤدّي حيلًا ماكرة على الثعلب برير، إنه يستلقي على السرير ويتظاهر بأنه ميت فيشمّه الثعلب ويقول: "من الأفضل ألا

أصطحبه معي إلى المنزل إنه نتن الرائحة للغاية..." شمّتني *ما*، وتظاهرت بالاشمئزاز، فحاولت ألا أضحك كي لا يعرف الثعلب برير أنني على قيد الحياة، ولكني كالعادة فشلت.

أرغب في أغنية مضحكة، وبدأت الغناء: *تزحف الدودات إلى الخارج، تزحف الدودات إلى الداخل.*

أغني: *تأكل أحشاءك مثل ملفوف مخلّل.*

تأكل أنفك، تأكل عينيك...

تأكل أوساخ أصابع قدميك.

حظيت بالكثير على السرير لكن فمي نعسان، حملتني *ما* إلى خزانة الملابس، لفّت البطانية حول عنقي، لكنني جذبتها بعيدًا لأكشفها مرّة أخرى، فسارت أصابعي كالقطار على طول خطّها الأحمر تشو-تشو.

صدر صوت بيب بيب، إنه الباب، قفزت *ما* وأحدثت صوتًا، أعتقد أنها ضربت رأسها، وأغلقت درفتي الخزانة بإحكام.

دخل هواء بارد جدًّا، أظنّه جزءًا من الفضاء الخارجيّ، فاحت منه رائحة لذيذة، فصدر عن الباب صوت ارتطام، هذا يعني أن نيك العجوز دخل، لم أعد أشعر بالنعاس، جثوت على ركبتي، ونظرت عبر درفتي الخزانة، ولكن كلّ ما تمكّنت من رؤيته هو خزانة الملابس، الحمام، وجانب الطاولة.

بدا صوت نيك العجوز أكثر عمقًا: "تبدو لذيذة".

قالت *ما*: "آه إنها آخر ما تبقّى من كعكة عيد الميلاد فحسب".

"توجّب عليكِ أن تذكريني، كنت جلبت له شيئًا، كم يبلغ من العمر الآن، أربعة أعوام؟".

انتظرت من *ما* أن تجيب لكنها لم تقل شيئًا، همستُ: "خمسة".

لكنني أظنّ أن *ما* سمعتني، لأنها اقتربت من الخزانة، وقالت بصوت غاضب: "جاك".

ضحك نيك العجوز، لم أعلم أن في وسعه الضحك: "هذا الشيء يتحدّث".

لماذا أشار إليَّ بالشيء عوضًا عن ضمير هو؟

"هل تريد الخروج من هناك وتجريب ارتداء الجينز الجديد؟".

لم يوجّه حديثه هذا *إلى ما* بل إليّ، فبدأ قلبي يدقّ دق دق.

قالت ماما: "إنه شبه نائم".

كلا، أنا لست نائمًا، أتمنّى لو أني لم أهمس خمسة كي لا يسمعني، أتمنّى لو أنني لم أفعل شيئًا.

قيل شيء آخر، لكنني لم أسمعه بوضوح.

قال نيك العجوز: "حسنًا، حسنًا، هل أستطيع أن أحظى بقطعة".

"أصبحت قديمة نوعًا مًا، إن كنت تريد فعلًا...".

"كلا، دعكِ من ذلك، أنت الزعيمة".

لم تنبس *ما* ببنت شفة.

"أنا فتى البقالة فحسب، أُخرج قمامتك، وأتجوّل في أرجاء ممرّات ملابس الأطفال، أصعد على السلم لأزيل الثلج عن كوّة السقف، أنا في خدمتك يا سيّدتي...".

أعتقد أنه يسخر منها، عندما يقول النقيض تمامًا مستخدمًا صوتًا ملتويًا.

لم تبدُ *ما* على سجيّتها: "شكرًا لقيامك بهذا، فقد جعلها ذلك مضيئة أكثر".

"ها أنت ذا، هذا ليس مؤلمًا، أليس كذلك؟".

"أنا آسفة، شكرًا جزيلًا لك".

قال نيك العجوز: "مثل قلع الأسنان في بعض الأحيان".

"أيضًا شكرًا لجلب البقالة وبنطال الجينز".

"على الرحب والسعة".

"هاك سأجلب لك طبقًا، ربما أجد قطعة في الوسط ليست سيّئة كثيرًا".

صدرت بعض القرقعة، أعتقد أنها تناوله الكعكة، كعكتي أنا.

بعد دقيقة، تحدّث بشكل غير واضح: "أجل، إنها قديمة للغاية".

فمه ممتلئ بكعكتي.

انطفأ المصباح، جعلني ذلك أجفل، فلا أبالي بالظلام، لكني لا أحبّ أن يباغتني، فتدثّرت بالبطانية وانتظرت.

أنصتُ، عندما يصدر نيك العجوز صريرًا على السرير، وأعدّ حتى خمسة على أصابعي، ولكن بلغ عدد أصوات الصرير اليوم 217، وعليَّ أن أعدَّ دائمًا إلى أن يصدر صوت اللهاث ذاك ويتوقّف، لا أعرف ما الذي قد يحصل إن لم أقم بالعدّ، لأنني أفعل ذلك دائمًا.

ماذا بشأن الأيّام التي أنام فيها؟

لا أعلم، ربما تتولّى *ما* مهمة العدّ.

عمّ الصمت بعد الرقم 217.

سمعت صوت تشغيل التلفاز، إنه كوكب الأخبار فحسب، أشاهد أجزاء من الدبّابات عبر درفتي الباب، هذا غير مثير للاهتمام كثيرًا، وضعت رأسي تحت البطانية، وتبادلت *ما* ونيك العجوز أطراف الحديث لبعض الوقت لكني لم أستطع سماعهما.

* * *

استيقظت وأنا في السرير والسماء تمطر، يحصل ذلك عندما تصبح كوّة السقف ضبابية، فغنّت لي *ما* قليلًا: *الغناء تحت المطر*، بصوت خفيض.

لم يكن طعم اليمين لذيذًا، جلست متذكّرًا: "لماذا لم تخبريه من قبل عن عيد ميلادي؟".

توقّفت عن الابتسام: "من المفترض أن تنام عندما يكون هنا".

"لكن لو أخبرته كان سيجلب لي شيئًا".

قالت: "يجلب لك شيئاَ ما!".

"أي نوع من الأشياء؟"، انتظرت، "توجّب عليكِ تذكيره".

مدّت ذراعيها فوق رأسها: "لا أريده أن يحضر لك شيئًا".

"لكن هدية يوم الأحد...".

"هذا أمر مختلف يا جاك، نحن بحاجة إلى الأشياء التي أطلبها"، أشارت إلى خزانة الملابس، فوجد هناك شيئًا أزرق مطويًا، "بالمناسبة، هذا بنطال الجينز الجديد".

تَوَجَّهَت إلى المرحاض للتبوّل.

"كان في وسعك أن تطلبي منه هدية لي، فلم أحظَ بأي هدية في حياتي".

"تلقّيت هدية مني، ألا تتذكّر؟ إنها الرسم".

بكيت: "لا أريد الرسم الغبيّ".

جففتْ يديها وتوجّهت إليَّ لتضمني: "هوّن عليك".

"ربما...".

"لا أستطيع سماعك، خذ نفسًا عميقًا".

"ربما...".

"أخبرني ما الأمر".

"ربما كانت كلبًا".

"ما الذي تعنيه".

لم أستطع التوقّف، تحدّثت وأنا أبكي: "الهدية، ربما كانت كلبًا تحوّل إلى حقيقة، وربما سمّيناه حينها لاكي".

مسحت عينيّ براحة يدها: "تعرف أنه لا يوجد لدينا متّسع لكلب".

"بلى، لدينا متّسع".

"تحتاج الكلاب إلى السير".

"في وسعنا السير".

"لكن الكلاب...".

"نحن نركض مسافة طويلة طويلة جدًّا، يمكن أن يركض لاكي بجوارنا أراهن أنه سيركض أسرع منك".

"سيجعلنا الكلب نجنّ يا جاك".

"كلا لن يفعل ذلك".

"بل سيفعل ذلك، سيحشر هنا مع كل ما يرافقه من نباح وخرمشة..."

"لاكي لن يُخرمش".

أدارت عينيها، توجّهت إلى الخزانة، وأخرجت علبة حبوب الفطور، وسكبت منها في وعائينا من دون أن تعدّ حتى.

قلّدتُ وجه الأسد عندما يزأر: "ستغطّين في النوم ليلًا، وسأكون مستيقظًا، سأخرج القصدير من الحفرة وسيعود الفأر مجدّدًا".

"لا تكن سخيفًا".

"لستُ سخيفًا، أنت الجمجمة الخدرة السخيفة".

"اسمع، أنا أتفهّم...".

بكيت مجدّدًا: "الفأر ولاكي هما صديقاي".

قالت من خلال أسنانها المطبقة: "لا وجود للاكي".

"بلى، إنه موجود وأنا أحبّه".

"إنه من بنات أفكارك فحسب".

"هناك فأر أيضًا وهو صديقي الحقيقي وأنت دفعته إلى الرحيل...".

صرختْ: "أجل، حتى لا يركض وينحني فوق وجهك في الليل ويعضّه".

بكيت حتى كادت أنفاسي تنقطع، لم أعلم أنه يمكن للفأر أن يعضّ وجهي، اعتقدت أن مصّاصي الدماء فقط من يفعلون ذلك.

سقطت *ما* على اللحاف ولم تتحرّك.

بعد دقيقة، ذهبت واستلقيت إلى جوارها، رفعت قميصها لأحظى بالقليل، توجّب عليَّ التوقّف لمسح أنفي

الأيسر، لذيذ لكن لا يوجد فيه الكثير.

جرّبت في وقت لاحق بنطال الجينز الجديد، فاستمرّ بالسقوط إلى الأسفل.

سحبت *ما* الخيط الناتئ.

"لا تفعلي ذلك".

"إنه مرتخٍ في الأصل، قطعة رخيصة من..."، لم تقل من ماذا.

قلت لها: "القماش الأزرق، هذا ما يُصنع منه سروال الجينز"، وضعتُ الخيط داخل علبة الحرف اليدوية في خزانة الملابس.

أنزلت *ما* علبة العدّة لتخيط بعض الغرز حول الخصر.

بعد ذلك، بقي بنطالي ثابتًا في مكانه.

حظينا بصباح حافل بالأنشطة، في البداية، فككنا سفينة القراصنة التي بنيناها في الأسبوع الماضي وحوّلناها إلى دبابة، فأصبح البالون هو السائق، كان سابقًا كبيرًا بحجم رأس *ما*، وزهريًا، وممتلئًا، أما الآن فأصبح صغيرًا بحجم قبضة يدي، وأحمر اللون، ومجعّدًا. فجّرنا واحدًا فقط في بداية الشهر، لذا لا يمكن أن نصنع أخًا للبالون حتى يحلّ شهر نيسان، ولعبت *ما* بالدبابة أيضًا لكن لفترة قصيرة، لأنها تسأم من الأشياء بسرعة، لأنها شخص بالغ.

يوم الاثنين مخصّص للغسيل، ندخل إلى الحمام حاملين الجوارب والثياب الداخلية، وبنطالي الرمادي الذي سكب عليه الكاتشاب، إضافة إلى الملاءات ومناشف الأطباق، لنتخلّص من كلّ الأوساخ، رفعت *ما* درجة منظّم الحرارة عاليًا لتجفيف الغسيل، وسحبت حصان الملابس من قرب الباب، وفتحته، وقلتُ له أن يتحلّى بالقوّة، فأتمنّى لو أمكنني امتطاؤه، كما اعتدت أن أفعل في طفولتي، لكني ضخم الآن، ويُحتمل أنني سأكسر ظهره. من الرائع لو أن في وسعي أن أكبر في بعض الأحيان أو أصغر مثل أليس، وعندما نفرغ من عصر الماء من كلّ شيء وتعليقه، يتوجّب علينا أن ننزع عنا قمصاننا ثم نتناوب على الوقوف أمام الثلاجة لنحظى ببعض البرودة.

تكوّن طعام الغداء من سلطة الفاصولياء، ثاني أسوأ أنواعي المفضّلة. وكلّ يوم بعد القيلولة، نلعب لعبة الصراخ باستثناء يومي السبت والأحد، كي ننظّف حلقينا، فنعتلي الطاولة، لنقترب أكثر من كوّة السقف، ممسكين بأيدي بعضنا كي لا نقع، ونقول: "عند الإشارة، استعداد، انطلق"، ثم نفتح فمينا على مصراعيهما مطلقين شتّى

أنواع الصراخ من عويل، عواء، زعيق، صياح، وصراخ بأعلى صوت ممكن، واليوم أصبحتُ أصرخ بأعلى صوت على الإطلاق لأن رئتيَّ تمدّدتا منذ بلغت الخامسة.

ثم نصمت مطلقين صوت شوش واضعين أصابعنا على شفاهنا، ذات مرّة سألت *ما* ما الذي ننصت إليه، فأجابتني أننا نفعل ذلك تحسّبًا، إذ لا يمكن للمرء أن يعرف على الإطلاق ماذا سيحصل.

ثم أفرك بشوكة، ومشط وأغطية العلب، جانبي بنطال الجينز، إلا أن الورق المسطّر هو الأكثر سلاسة للاستخدام في الفرك، ولكن ورق المرحاض مناسب لرسم يستمرّ على حاله إلى الأبد. رسمت اليوم نفسي برفقة قطّة، وببغاء، وحرباء، وراكون، وسانتا، ونمل، ولاكي وكلّ أصدقائي من التلفاز، كما لو أننا في موكب وأنا الملك جاك. وألفّها مرّة أخرى عندما أنتهي كي نستخدمها لمسح مؤخّراتنا. أخذت جزءًا نظيفًا من اللفّة التالية حتى أكتب رسالة لدورا، عليّ أن أبري قلم الرصاص الأحمر باستخدام سكّين ملساء، فأضغط على قلم الرصاص بشدّة لأنه قصير للغاية فقد شارف على الانتهاء تقريبًا، فأنا أكتب بشكل مثالي إلا أن أحرفي تكتب بشكل مقلوب في بعض الأحيان. *بلغت الخامسة أوّل من أمس، ويُمكنكِ الحصول على آخر قطعة من الكعكة لكن لا يوجد شموع، وداعًا، جاك مع محبّتي. لكنها* تمزّقت قليلًا عند كلمة مع، "متى يمكنها استلامها؟".

قالت *ما*: "حسنًا، أتخيّل أنها ستستغرق بضع ساعات لتصل إلى البحر ثم سينقلها إلى الشاطئ.."

بدا كلامها مضحكًا لأنها تمصّ مكعب ثلج بسبب ألم أسنانها. "هناك شواطئ وبحار على شاشة التلفاز لكن أعتقد أن إرسال الرسالة يجعل منها حقيقية إلى حدّ ما، فيغرق البراز فيما تطفو الرسالة على الأمواج".

"من سيعثر عليها؟ هل هو ديجو؟".

"على الأرجح، وهو بدوره سيأخذها إلى قريبته دورا...".

"سيستخدم سيارته الجيب السفاري- عنن عنن- عبر الغابة".

"أعتقد أنها ستصل صباح الغد، أو في وقت الغداء على أبعد تقدير".

صغر حجم النتوء الذي يسببه مكعب الثلج في وجه *ما*، "دعنا نرى؟".

أخرجته مادّةً لسانها.

"أعتقد أن أسناني تؤلمني أيضًا".

مكتبة
t.me/t_pdf

تأوّهت: "آه يا جاك".

"هذا حقيقي للغاية، بصدق، آه آه آه".

تغيّرت ملامح وجهها: "يمكنك مصّ مكعب ثلج إذا أردت، ليس من الضروري أن تعاني من ألم أسنان كي تفعل ذلك".

"رائع".

"لا تُخفني هكذا".

لم أعرف أن باستطاعتي إخافتها: "ربما ستؤلمني عندما أبلغ السادسة".

زفرت عندما أخرجت المكعّب من الثلاجة: "الكاذب المدّعي، تشوي النار بنطاله شيًّا".

لكني لم أكن أكذب، أنا أدّعي فحسب.

أمطرت طوال بعد الظهر، لم يظهر وجه الله على الإطلاق(*)، غنّينا أغنيتي *طقس عاصف* و*إنها تمطر رجالًا*، تلك الأغنية عن الصحراء التي تتوق إلى المطر.

العشاء عبارة عن أصابع السمك والأرز، تسنّى لي أن أعصر الليمون الحامض الذي لم يكن حقيقيًا، وإنما من البلاستيك، حصلنا على ليمونة حقيقية ذات مرّة لكنها ذبلت بسرعة، وضعت *ما* القليل من قشرتها في التراب تحت النبتة.

لا يُعرض كوكب برامج الكرتون في المساء، ربما بسبب حلول الظلام وعدم وجود مصابيح هناك، اخترت برنامج الطبخ اليوم، إلا أنّه ليس طعاما حقيقيًا، لا يملكون أي معلّبات، ابتسم الهوَ والهيَ لبعضهما وأعدّا اللحم، وفطيرة فوقه، وأشياء خضراء في باقات حول أشياءٍ خضراء. ثم انتقلت إلى كوكب اللياقة البدنية

(*) تعبير ساذج لطفل سجين طوال حياته غير قادر على التعبير عن طبيعة الأشياء وواقعها.

حيث يضطرّ الأشخاص الذين يرتدون ثيابًا داخلية ويستخدمون آلات رياضية أن يكرّروا الأشياء مرارًا، أعتقد أنهم عالقون هناك، انتهى البرنامج بسرعة، ثم ظهر برنامج مجدّدي المنازل، حيث يحوّلون المنازل إلى أشكال مختلفة ويصنعون ملايين الألوان بالطلاء، وليس فقط على اللوحات، بل على أيّ شيء. المنازل هي عبارة عن العديد من الغرف الملتصقة ببعضها، يقضي الأشخاص عبر شاشة التلفاز معظم وقتهم في الداخل، لكنهم يخرجون في بعض الأحيان ويتعرّضون للظروف الجوية المختلفة.

قالت *ما*: "ما رأيك في أن نضع السرير هناك؟".

حدّقتُ إليها، ثمَّ إلى المكان الذي أشارت إليه: "لكن ذلك هو جدار التلفاز".

قالت: "هذا ما نطلقه عليه فحسب، لكن من الممكن أن يتّسع السرير هناك بين المرحاض و... سيتوجّب علينا أن نزيح الخزانة قليلًا ثم ستحلّ خزانة الملابس محلّ السرير، وسنضع التلفاز فوقها".

فهززت رأسي رافضًا بشدّة: "لن يتاح لنا عندها الرؤية".

"ستتمكّن من الرؤية، يتوجّب علينا الجلوس هناك على الكرسي الهزّاز".

"إنها فكرة سيّئة".

عقدت *ما* ذراعيها بإحكام: "حسنًا، انسَ الأمر".

تبكي امرأة التلفاز لأن منزلها أصبح أصفر اللون الآن، فسألتُ *ما*: "هل أحبّت اللون البنّي أكثر؟".

أجابتني: "كلا، إنها سعيدة للغاية لدرجة دفعتها إلى البكاء".

هذا غريب: "هل هي سعيدة حزينة، كما يحصل معك عندما يعرض التلفاز موسيقى جميلة؟".

"لا، إنها مجرّد امرأة حمقاء، فلنطفئ التلفاز الآن".

"هلا منحتني خمس دقائق إضافية؟ من فضلك؟".

هزّت رأسها رافضة.

"سأقوم بالببغاء أنا أتحسّن"، أصغيت جيّدًا إلى المرأة وقلت: "*تحوّل الحلم إلى حقيقة، يجب عليَّ أن أخبرك يا دارين أن هذا الأمر يتخطّى أكثر الخيالات جموحًا، الافاريز...*

ضغطت *ما* زرّ إطفاء التلفاز، أردت أن أسألها عن معنى كلمة أفاريز، لكني أعتقد أنها لاتزال غاضبة بشأن تحريك الأثاث، فقد كانت خطّة مجنونة.

في الخزانة، توجّب عليَّ النوم إلا أني أقوم بعدّ الشجارات، لقد خضنا ثلاثة منها خلال ثلاثة أيام، واحدًا بسبب الشموع، وواحدًا بسبب الفأر، وواحدًا بسبب لاكي، وأفضّل أن أعود إلى الرابعة، إذ يبدو أن بلوغ الخامسة يعني الشجار طوال النهار.

قلت بصوت خفيض: "تصبحين على خير يا غرفة، تصبح على خير يا مصباح، ويا بالون".

قالت *ما*: "تصبح على خير يا موقد، تصبحين على خير يا طاولة".

ابتسمتُ ابتسامة عريضة: "تصبحين على خير أيتها الكرة الثقيلة الظلّ، تصبح على خير يا حصن، تصبحين على خير يا سجّادة".

قالت *ما*: "تصبح على خير أيها الهواء".

"تصبح على خير أيها الضجيج في كلّ مكان".

"تصبح على خير يا جاك".

"تصبحين على خير يا م.. والحشرات، لا تنسي الحشرات".

قالت *ما*: "طابت ليلتك، هانئٌ نومك، لا تدع حشرات السرير تقرصك".

* * *

عندما استيقظتُ، وجدت زجاج كوّة السقف أزرق، لم يبقَ أيّ ثلج حتى في الزوايا، وجلست *ما* على كرسيّها واضعةً وجهها بين راحتيها، هذا يعني أنها تشعر بالألم، إنها تنظر إلى شيء على الطاولة، إلى شيئين.

قفزتُ وأمسكتها: "إنها سيارة جيب، سيارة جيب تعمل بالتحكّم عن بعد!" حلّقت بها في الهواء، لونها أحمر، يبلغ حجمها حجم راحة يدي، ولون جهاز التحكّم فضّي ومستطيل الشكل، عندما أُحرّك أحد المفاتيح بإبهامي، تدور عجلات الجيب؛ زووووونغ.

"إنها هدية عيد ميلاد متأخّرة".

أعرف من جلبها، إنه نيك العجوز إلا أن *ما* لن تخبرني.

لا أرغب في تناول حبوب الفطور، إلا أن *ما* تقول إنَّ في وسعي معاودة اللعب بسيارة الجيب بعد أن أنتهي من تناول طعامي مباشرة، فأكلت تسعًا وعشرين واحدة منها، فشبعت، قالت *ما* إن هذا عبارة عن هدر الطعام، لذلك تناولت الباقي.

عرفتُ كيفية تحريك السيارة عبر جهاز التحكّم فحسب، وفي وسعي أن أجعل الهوائي الفضّي الرفيع طويلًا للغاية أو قصيرًا جدًّا. ويسمح أحد المفاتيح لسيارة الجيب بأن تتقدّم وتتراجع، أما الثاني فيوجّهها من جانب إلى آخر، أما إذا ضغطت على كليهما في الوقت نفسه، فستُصاب السيارة بالشلل كما لو أنها أصيبت بسهم مسموم، وتصدر صوت غررررررررب.

قالت *ما* إنه من الأفضل أن نبدأ التنظيف لأن اليوم هو الثلاثاء، وقالت: "بلطف، تذكّر أنها قابلة للعَطب".

أعرف هذا مسبقًا، كلّ شيء قابل للعَطب.

"سيتمّ استهلاك البطاريات بالكامل إن أبقيتها تعمل لفترات طويلة، ولا يتوفّر لدينا أي بطاريات احتياطية".

في وسعي أن أجعل سيارة الجيب تدور في كافّة أرجاء الغرفة، ذلك سهل باستثناء أطراف السجّادة، إنها تلتفّ تحت عجلاتها، فجهاز التحكّم عن بعد هو الزعيم، يقول: "انطلِقِي الآن، أيتها السيارة الجيب البطيئة، والتفّي مرتين حول قائمة الطاولة، وبلمح البصر، أبقي هذه العجلات تدور". في بعض الأحيان، تتعب سيارة الجيب، فيدير جهاز التحكّم عجلاتها غرررررررر، فتختبئ هذه السيارة المشاكسة تحت الخزانة، إلا أن جهاز التحكّم عن بعد يستطيع إيجادها عن طريق السحر،

ويجعلها تندفع إلى الأمام والخلف مصطدمة بالألواح الخشبية.

دائمًا، تعبق أيام الثلاثاء والجمعة برائحة الخلّ، إذ تُنظف *ما* تحت الطاولة بالخرقة التي كانت إحدى الحفاضات التي استخدمتها حتى بلغت عامي الأول، أراهن أنها تزيل شبكة العنكبوت إلا أنني لا أعير الأمر اهتمامًا كبيرًا، ثم تمسك بالمكنسة الكهربائية التي تثير الغبار والصخب فان فان فان.

تتسلّل سيارة الجيب لتتوغّل عميقًا تحت السرير، فقال جهاز التحكّم عن بعد: "عودي إلى هنا يا طفلتي الحبيبة الصغيرة، إذا أصبحتِ سمكة في النهر، سأكون صيادًا وأصطادك في شبكتي". لكن سيارة الجيب المخادعة بقيت صامتة إلى أن أخذ جهاز التحكّم غفوة واتّجه الهوائي إلى الأسفل، ثم تسلّلت سيارة الجيب من خلفه، وأخذت بطارياته، هاهاها.

ألعبُ بسيارة الجيب وجهاز التحكّم طوال النهار إلا عندما أستحمّ، يجب أن يُركنا على الطاولة كي لا يصيبهما الصدأ، وعندما نصرخ أرفعها عاليًا بالقرب من كوّة السقف، فتحرّك سيارة الجيب عجلاتها فروم مصدرة أعلى صوت في وسعها إصداره.

مجدّدًا، استلقت *ما* وأمسكت بأسنانها، ففي بعض الأحيان تتنفّس بقوّة زفير زفير زفير.

"لماذا تصدرين صوت هسيس طويل؟".

"أحاول السيطرة على الألم".

أجلس إلى جوار يدها أمسّد شعرها ابتداءً من فوق عينيها، جبهتها رطبة، تمسك بيدي وتضغط عليها بشدّة: "أنا على ما يرام".

لا يبدو أنها على ما يرام: "هل ترغبين في اللعب معي بسيارة الجيب وجهاز التحكّم؟".

"ربما في وقت لاحق".

"إن لعبتِ فلن تفكّري في الأمر وبالتالي لن يحصل..".

ابتسمت قليلًا، لكن النفس التالي خرج بقوّة أكبر كما لو أنه أنين.

قلتُ عند الساعة05:57: "لقد قاربت الساعة السادسة"، لذا نهضتْ لتعدّ لي العشاء، لكنها لم تتناول أيّ طعام. وانتظرتْ سيارة الجيب وجهاز التحكّم في الحمام لأنه جافّ، فهو الآن كهفهما السرّي، وقلت وأنا أتناول شرائح الدجاج بسرعة كبيرة: "في الحقيقة، لقد ماتت سيارة الجيب وصعدت إلى الجنّة".

"أوه، هل هذا صحيح؟".

"لكن السيارة تسلّلت في الليل عندما كان الله نائمًا، وتزحلقت على شجرة الفاصولياء إلى الغرفة لزيارتي".

"يا لها من حركة مخادعة".

تناولتُ ثلاث حبّات فاصولياء، وارتشفت رشفة كبيرة من الحليب ثم ثلاث حبّات أخرى، إذ إنها تُبلع بسرعة أكبر متى تألّفت المجموعة من ثلاث قطع، وقد تكون الحبّات الخمس أكثر سرعة، لكني لا أستطيع تدبّر ابتلاعها، وستسدّ بلعومي. ذات مرّة كتبت *ما* عندما كنت في الرابعة من عمري: فاصولياء خضراء/ خُضار مجمّدة على لائحة التسوّق، إلا أنني شطبت الفاصولياء الخضراء بقلم الرصاص البرتقالي، واعتقَدت أن ذلك مضحك. وفي النهاية، تناولتُ الخبز الطريّ الذي أحبّ أن أبقيه في فمي كما لو أنه وسادة، ثم قلت: "شكرًا أيها الطفل يسوع خصوصًا على شرائح الدجاج، وأرجوك أن تتوقّف عن إرسال الفاصولياء الخضراء لفترة طويلة، ولكن مهلًا، لماذا نشكر الطفل يسوع وليس هو؟".

"من هو؟".

أومأتُ إليها نحو الباب.

اختفت التعابير عن ملامح وجهها على الرغم من أني لم أنطق الاسم: "لماذا علينا شكره؟".

"لقد شكرتِه في الليلة السابقة لأنه جلب البقالة ورفع الثلج عن كوّة السقف ولأنه أحضر البنطال".

"لا يجب عليك أن تسترق السمع"، أحيانًا تتكلّم وهي مُطبقة فمها عندما تكون غاضبة للغاية: "كان شكرًا وهميًّا".

"لماذا هو...".

أردفت قائلة: "يقتصر دوره على جلب الأغراض فحسب، فهو لا يجعل القمح ينمو في الحقل".

"أيّ حقل؟".

"لا يستطيع أن يجعل الشمس تشرق أو أن يسبّب تساقط الأمطار، أو أيّ شيء آخر".

"لكن الخبز لا يأتي من الحقول يا *ما*".

كزّت على أسنانها.

"لماذا قلتِ..."

بسرعة قالت *ما*: "إنه وقت مشاهدة التلفاز".

إنه يعرض مقاطع فيديو، أنا أحبّها، تُقلّد *ما* الحركات برفقتي في أغلب الأحيان، لكنها لم تفعل ذلك الليلة. فقفزت على السرير، وعلّمت سيارة الجيب وجهاز التحكّم أن يرقصا وهما يحركان مؤخّرتيهما، حين عُرضت أغاني لريانا، وتي-آي، وليدي غاغا، وكاني ويست.

سألت *ما*: "لماذا يضع مغنو الراب نظاراتٍ شمسية حتى في الليل؟ هل أعينهم حساسة؟".

"كلا، إنهم يريدون أن يظهروا على أنهم عصريّون وظرفاء، كما أنهم لا يريدون أن يحدّق المعجبون إلى وجوههم طوال الوقت لأنهم مشهورون للغاية".

احترت وسألتها: "لماذا المعجبون مشهورون؟".

"كلا، النجوم هم المشهورون".

"وهم لا يرغبون في أن يكونوا كذلك؟".

قالت وهي تنهض لإطفاء التلفاز: "حسنًا، أعتقد أنهم يرغبون في ذلك، لكنهم يرغبون في أن يحافظوا على بعض الخصوصيّة أيضًا".

لا تسمح لي *ما* أن أجلب سيارة الجيب وجهاز التحكّم إلى السرير، وأنا

أحظى بالقليل، على الرغم من أنهما صديقاي، ثم تقول: إن عليهما الصعود إلى الرفّ في أثناء نومك، وإلا ستخزانك في الليل".

"كلا لن يفعلا ذلك، لقد قطعا لي وعدًا".

"أصغِ إليّ، دعنا نضع سيارة الجيب بعيدًا، ثم يمكنك النوم وجهاز التحكّم عن بعد إلى جانبك لأنه أصغر حجمًا، شرط أن تُنزل الهوائي بالكامل إلى الأسفل، هل اتّفقنا؟".

"اتّفقنا".

نتحدّث عندما أكون في الخزانة عبر درفتي الباب، فتقول: "فليباركك الله يا جاك".

"فليباركك الله يا *ما*، ويزيل ألم أسنانك بطريقة سحريّة، فليبارك الله سيارة الجيب وجهاز التحكّم عن بعد".

"فليبارك الله الكتب".

"فليبارك الله كلّ شيء هنا وفي الفضاء الخارجيّ بالإضافة إلى سيارة الجيب يا *ما*".

"أجل".

"أين نكون عندما ننام يا *ما*؟"

سمعتها تتثاءب: "لا نبارح مكاننا".

انتظرت: "لكن الأحلام، هل هي تلفاز؟". لم تردّ، "هل ندخل إلى التلفاز لكي نحلم؟".

بدا صوتها بعيدًا للغاية: "كلا، نحن لا نبارح مكاننا، ولا نذهب إلى أيّ مكان".

استلقيت متكوّرًا ألمس المفاتيح بإصبعي، وهمستُ: "ألا تستطيعين النوم أيتها المفاتيح الصغيرة؟ لا بأس بذلك في وسعك أن تحظي بالقليل"، قرّبتُ أحدها من حلمتي، ثم تبادلت الأدوار.

بيب بيب، إنه الباب.

أصغيت جيّدًا، فتسلّل الهواء البارد إلى الداخل، وإذا أخرجت رأسي من الخزانة، فسيكون الباب مفتوحًا، وأراهن أني سأتمكّن من رؤية النجوم، والمركبات الفضائية، والكواكب، والمخلوقات الفضائية وهي تحوم في الأرجاء بالصحون الطائرة، أتمنّى، أتمنّى، أتمنّى لو أني أستطيع رؤيتها.

أُغلق الباب مصدرًا صوت بوم، وبدأ نيك العجوز باختبار *ما*، كيف يمكن ألا يوجد هذا الشيء، وأن يكون سعر شيء آخر باهظ الثمن للغاية بشكل هائل.

أتساءل إن نظر إلى الأعلى نحو الرفّ ورأى سيارة الجيب التي أحضرها لي، لكنني لا أعتقد أنه لعب بها على الإطلاق، ولن يعرف كيف ستنطلق فجأة عندما أضغط على مفاتيح جهاز التحكّم فروووووم.

هذه الليلة، لم يتحدّثا لوقت طويل، وأطفئ المصباح مصدرًا صوت كليك، وبدأ نيك العجوز يجعل السرير يصدر صوت صرير، فرحت أعدُّ الآحاد عوضًا عن العدّ خمسة خمسة كنوع من التغيير، لكني بدأت أخطئ العدّ. لذا، عدتُ إلى العدّ خمسة خمسة لأنها أسرع، فعددت حتى الرقم 378.

عمّ الصمت، وأعتقد أنه خلد إلى النوم، فهل تُطفأ *ما* عندما يُطفأ هو، أو أنها تبقى مستيقظة بانتظار ذهابه؟ ربما كانا كلاهما يُطفآن معًا، ولكنني لا أزال قيد التشغيل، هذا غريب، في وسعي النهوض والزحف خارج الخزانة، ولن يعرفا بالأمر حتى، وفي وسعي أن أرسم لهما لوحة في السرير أو شيئًا من هذا القبيل، ولكن هل استلقيا بجوار بعضهما أو على جانبين متعاكسين؟

ثم خطرت في ذهني فكرة مريعة، هل يحظى هو بالقليل؟ هل ستسمح له *ما* بالحصول على القليل أم أنها ستقول له، مستحيل يا جميل، هذا لجاك وحده؟

إذا حظي بالقليل فقد يصبح حقيقيًّا أكثر.

أرغب في القفز والصراخ.

لقد عثرت على زر تشغيل جهاز التحكّم عن بعد وجعلته أخضر، أليس مضحكًا لو جعلتُ قوى الجهاز السحريّة دواليب سيارة الجيب تغزل على الرفّ؟

ربما سيوقظ هذا الأمر نيك العجوز متفاجئًا.

جرّبت زر التوجيه إلى الأمام، لكن لم يحصل شيء، وهذا بديهي، إذ لم أرفع هوائي الإرسال، وحين جعلته طويلًا، حاولت مرّةً أخرى، لكن جهاز التحكّم لم يعمل، فأخرجت الهوائي عبر درفتي الباب، وقد أصبح الآن في الخارج وأنا في الداخل في الوقت ذاته، وما إن حرّكت المفتاح، حتى سمعت صوتًا خافتًا، ولا بدّ أنه صوت عجلات سيارة الجيب التي بدأت بالعمل ثم..

سمااااش

بدأ نيك العجوز بالصراخ كما لم أسمعه يصرخ من قبل، وقال شيئًا ما حول يسوع، لكن أنا من فعل ذلك لا الطفل يسوع، أُضيء المصباح، فعبر الضوء درفتي الباب نحوي لتضيق عيناي وتغمضان، فهربت وسحبت البطانية فوق وجهي.

صرخ: "ما الذي تحاولين فعله؟".

بدت *ما* حائرة، قالت: "ما الأمر؟ ما الأمر؟ هل راودك كابوس؟".

عضضت على البطانية، فبدت طريّةً في فمي كما لو أنها خبز رمادي.

"هل حاولتِ القيام بشيء ما؟ هل فعلتِ ذلك؟"، ثم انخفضت نبرة صوته: "لقد أخبرتك سابقًا أن اللوم سيقع عليك إن...".

قالت *ما* بصوت خفيض منكسر: "لقد كنت نائمة، أرجوك... انظر، انظر، إنها السيارة الغبية لقد انزلقت عن الرفّ".

سيارة الجيب ليست غبية.

قالت *ما*: "أنا آسفة، أنا آسفة جدًّا، توجب عليَّ وضعها في مكان لا تسقط عنه، أنا آسفة جدًّا جدًّا...".

"حسنًا".

"اسمع، فلنطفئ المصباح...".

قال نيك العجوز: "كلا، لقد نلت كفايتي".

لم يقل أحد شيئًا، فعددت، فرس نهر واحد، فرس نهر اثنان، فرس نهر ثلاثة...

بيب بيب، فتح الباب، ثم أغلق مصدرًا صوت بوم، لقد غادر.

أُطفئ المصباح مجدّدًا.

بدأت بتلمّس أرضية الخزانة بحثًا عن جهاز التحكّم، فوجدت شيئًا فظيعًا، الهوائي خاصّته قصير للغاية وحادّ، لا بدّ أنه انكسر بسبب درفتي الباب.

همستُ: "*ما*".

لم تردّ.

"كُسر جهاز التحكّم عن بعد".

بدا صوتها مبحوحًا ومرعوبًا لدرجة اعتقدت أنها ليست هي: "أخلد إلى النوم".

عددت أسناني خمس مرات، فأحصيت عشرين في كلّ مرة، لكن لا يزال عليَّ القيام بذلك مجدّدًا، لا يؤلمني أيّ منها ولكن قد أتألّم عندما أبلغ السادسة.

لابدّ أني نائم، ولكنني لا أعرف، لأني استيقظت بعد ذلك، ولا أزال في الخزانة، وتعمّ الظلمة المكان، فلم تنقلني *ما* إلى السرير بعد، لماذا لم تنقلني؟

دفعت الدرفتين واستمعت إلى تنفّسها، وهي لا تزال نائمة، فلا يمكن أن تكون غاضبةً وهي نائمة، أليس كذلك؟

زحفت تحت اللحاف، واستلقيت بالقرب منها من دون أن ألمسها، فكانت الحرارة متدنّية حولها.

الحقيقة

في الصباح تناولنا الشوفان، ورأيت علامات على رقبتها: "رقبتك متّسخة".

شربت *ما* بعض الماء، فتحرّك الجلد عندما ابتلعته.

في الواقع لا أظنّ أن هذا وسخ، هذا ما أعتقده.

تناولتُ لقمةً من الشوفان إلا أنه ساخن للغاية، فبصقته إلى الملعقة الذائبة، أعتقد أن نيك العجوز هو من وضع تلك العلامات على رقبتها، أحاول التحدّث لكن لا أجد شيئًا أقوله، فحاولت مجدّدًا: "أنا آسف لأني دفعت سيارة الجيب إلى السقوط ليلة أمس".

نهضتُ عن كرسيي، فاحتضنتني *ما* وسألتني وصوتها لا يزال خشنًا: "ما الذي كنت تحاول فعله؟".

"أن أريه".

"ماذا قلت؟".

"كنت، كنت، كنت...".

"هوّن عليك يا جاك، بهدوء".

"لكن جهاز التحكّم عن بعد كُسر وأنت غاضبة مني".

قالت *ما*: "أصغِ إليّ، لا تهمّني سيارة الجيب تلك على الإطلاق".

أغمضتُ عينيَّ وفتحتهما: "إنها هديتي".

"ما أغضبني..." أصبح صوتها أعلى وأكثر حدّةً: "أنك أيقظته".

"هل تقصدين سيارة الجيب؟".

"نيك العجوز".

أجفلني ذكر اسمه بصوت عالٍ.

"لقد أخفته".

"هل خاف مني؟".

قالت *ما*: "لم يعرف أنك الفاعل، اعتقد أنني أهاجمه، وأنني ألقي بشيء ثقيل على رأسه".

أمسكت فمي وأنفي بيدي إلا أن القهقهة تسلّلت عبرهما.

"هذا غير مضحك، إنه على النقيض من ذلك".

نظرت إلى عنقها مجددًا، لأرى العلامات التي تركها عليها، فتوقّفت عن القهقهة.

لا يزال الشوفان ساخنًا للغاية، لذا عدنا إلى السرير وتعانقنا.

عُرضت دورا في الصباح، يا للسعادة يوبيبي، كانت على متن قارب كاد يصطدم بسفينة، فتوجّب علينا التلويح بأيدينا والصراخ: "احذري"، إلّا أن *ما* لم تفعل ذلك، السفن على شاشة التلفاز فقط، وكذلك البحر، ولكنه في الواقع يتحوّل حقيقة عندما يصل إليه غائطنا ورسائلنا، أو ربما تتوقّف عن كونها حقيقية بمجرّد وصولها إلى هناك؟ تقول أليس إنها إن وُجدت في البحر فستصل إلى المنزل عبر السكّة الحديدية، وهي الطراز القديم للقطارات. وهناك غابات على شاشة التلفاز، كذلك الأدغال، والصحاري، والشوارع، وناطحات السحاب، والسيارات، وهناك حيوانات أيضًا باستثناء النمل والعنكبوت والفأر، لكنها عادت إلى هناك الآن. أما الجراثيم فحقيقية وكذلك الدم، ولكن الأطفال فقط على الشاشة، وعلى الرغم من ذلك فإنهم يبدون مثلي، أنا الذي في المرآة لست حقيقيًا، صورة فقط. أحبّ أن أحلَّ تسريحة ذيل الحصان وأرخي شعري بالكامل، وأمدّ لساني عبره، ثم أصنع شكلًا بوجهي وأقول بووو.

حلّ يوم الأربعاء، إنه اليوم المخصّص لغسل الشعر، وصنع عمائم من الفقاعات باستخدام سائل غسل الصحون، وها أنا أنظر حول عنق *ما* من دون أن أبدو أنني أنظر إليها.

وَضَعَت لي شاربًا، فدغدغني كثيرًا. لذا، مسحته، وقالت وهي تضع كلّ الفقاعات على ذقني لتصنع لي لحية: "ما رأيك بلحيةٍ بدلًا من ذلك؟".

"هو، هو، هو.. هل سانتا عملاق؟".

قالت *ما*: "أه، أعتقد أنه ضخم للغاية".

لابدّ أنه حقيقي بحسب ما أعتقد، فهو يجلب لنا الملايين من قطع الشوكولاتة في العلبة الملفوفة بشرائط بنفسجية.

"سأصبح جاك العملاق قاتل العمالقة، سأكون عملاقًا جيّدًا، سأعثر على كلّ الأشرار، وأطيح برؤوسهم".

نصنع أصوات طبولٍ مختلفة إما من خلال ملء الأوعية الزجاجية بالماء أكثر، أو سكب بعض الماء منها، وأحوّل أحدها إلى ميغاترون عملاق متحوّلًا إلى غوّاصة مع سلاح مضادّ للجاذبية، هو في الحقيقة عبارة عن ملعقة خشبية.

التفتّ حولي لأرى اللوحة الانطباعية: شروق الشمس، وهناك قارب أسود وعلى متنه شخصان صغيران ووجه الله الأصفر في الأعلى(*) وانعكاس لضوء برتقالي باهت على الماء إضافة إلى أشياء زرقاء ربما هي زوارق أُخرى بحسب ما أعتقد، فمن الصعب معرفة ذلك لأنه فنّ.

اختارت *ما* الجُزر لفترة التربية البدنية، حيث أقف على السرير وتضع *ما* المخدّات والكرسي الهزّاز، والكراسي، والسجّادة وهي جميعًا مطويّة، والطاولة وسلّة القمامة في مكانين غير مكانيهما العاديين، وعليَّ أن أزور كلّ جزيرة مرّة واحدة لا مرّتين. الكرسي الهزاز هو الأصعب، يحاول دائمًا الإطاحة بي أرضًا، وتسبح *ما* في الأرجاء محاولة أن تقلّد وحش البحيرة لوخ نيس الذي يحاول أكل قدمي.

بدوري اخترت لعبة قتال الوسائد إلّا أن *ما* قالت إن الإسفنج بدأ يخرج من وسادتي. لذا، من الأفضل لعب الكاراتيه عوضًا عن ذلك، فننحني دائمًا لإظهار الاحترام لخصمنا، ونصدر أصوات: هووو- هيي يا- بقوّة. ذات مرة، وجّهت

(*) تعبير ساذج لطفل سجين طوال حياته غير قادر على التعبير عن طبيعة الأشياء وواقعها.

ضربة قاطعة قوّية لدرجة آذيت فيها معصم *ما* الذي يؤلمها، لكن ذلك حدث عن طريق الخطإ.

تَعِبَت. لذا، اختارت أن تلعب لعبة مدّ النظر حيث نستلقي جنبًا إلى جنب على السجّادة وأيدينا إلى جانبينا لكي يتّسع المكان لكلينا، فننظر إلى أماكن بعيدة مثل كوّة السقف، ثم بالقرب من أنوفنا لنرى ما بينهما بسرعة.

جبت بسيارة الجيب المسكينة في كافّة الأرجاء في أثناء قيام *ما* بتسخين وجبة الغداء، لأنها لم تعد تستطيع التحرّك بمفردها.

يوقف جهاز التحكّم الأشياء بشكلٍ مؤقّت، ويجمّد *ما* كما لو أنها إنسان آلي، فأقول: "والآن تشغيل".

عاودت تحريك القدر، وقالت: "ها قد جهز الطعام".

"حساء الخضار، يعععععع"، أنفخ الفقاعات لأجعلها أكثر مرحًا.

لست تعبًا بعد بالقدر الكافي لآخذ قيلولة. لذا، أحضرت بعض الكتب من الأعلى.

صدر عن *ما*: "هاااااا هو ذا دايلان"، ثم تتوقّف: "أنا لا أطيق دايلان".

أحدّق إليها: "إنه صديقي".

"آه يا جاك، أنا لا أستطيع تحمّل الكتاب، اتّفقنا؟ لا أستطيع، لا يتعلّق الأمر بأني لم أعد أطيق دايلان نفسه".

"لماذا لا تستطيعين تحمّل كتاب دايلان".

"لقد قرأته بما فيه الكفاية".

لكن عندما أريد شيئًا ما، فأنا أريده طوال الوقت، مثل الشوكولاتة، أنا لا آكلها أبدًا بما فيه الكفاية.

قالت: "في وسعك قراءته بنفسك".

هذا سخيف، أستطيع قراءتها جميعًا بنفسي، حتى قصّة أليس بكلماتها القديمة الطراز "أحبّها أكثر عندما تقرئينها".

بدت عيناها صارمتين وبرّاقتين، ثم فتحت الكتاب مجدّدًا: "هااااااا هو ذا دايلان".

سمحتُ لها بسرد قصّة الأرنب الهارب وشيئًا من قصة أليس لأنها كانت متعكّرة المزاج، أغنيتي المفضّلة هي حساء العشاء، أراهن أنها ليست خُضارًا، فلا تنفكّ أليس تتواجد في قاعة مليئة بالأبواب، أحدها صغير للغاية، وعندما تجده تفتحه بالمفتاح الذهبي فتجد حديقة أزهار بهيّة ونوافير رائعة، إلا أنها دائمًا بحجم غير مناسب. ولكن عندما تتمكّن أخيرًا من دخول الحديقة ترى أن الأزهار غير حقيقية وهي عبارة عن لوحات، وأن عليها لعب الكروكيت بواسطة طيور الفلامينغو والقنافذ.

استلقينا على اللحاف، وحظيتُ بالكثير، اعتقدُ أن الفأر قد يعود إذا بقينا هادئين إلّا أنه لم يعد، لابدّ أن *ما* حشت كل الفتحات، فهي على الرغم من أنها ليست لئيمة إلا أنها تفعل أحيانًا أشياء لئيمة.

صرخنا عندما نهضنا، أضرب أغطية القدور ببعضها كما لو أنها أصناج، يستمرّ الصراخ لدهر، لأن *ما* تستمرّ بالصراخ في كلّ مرّة أتوقف فيها، تصرخ حتى يكاد صوتها يختفي، كم تشبه العلامات الموجودة على عنقها اللوحات التي أرسمها باستخدام عصير الشمندر! أعتقد أن هذه العلامات تعود إلى أصابع نيك العجوز.

لاحقًا لعبت لعبة الهاتف باستخدام لفائف ورق المرحاض، فأنا أحب عندما تدوّي الكلمات عندما أتحدّث عبر غطاء كبير، وغالبًا ما تؤدّي *ما* كافّة الأصوات إلا أنها تحتاج إلى الاستلقاء والقراءة خلال فترة ما بعد الظهيرة هذه، إنها تقرأ كتاب شيفرة دافينشي الذي يحمل غلافه صورة امرأة تسترق النظر، وتبدو مثل أم الطفل يسوع.

اتّصلتُ بموزو، وبسيط، والطفل يسوع، وأخبرتهم جميعًا عن قدراتي الجديدة بعد أن بلغت الخامسة، وهمست عبر الهاتف: "أستطيع أن أصبح خفيًّا، وفي وسعي أن أدير لساني بالمقلوب، وأنطلق مثل الصاروخ إلى الفضاء الخارجيّ".

أغمضت *ما* عينيها، فكيف تتمكّن من القراءة عبرهما؟

ألعب لعبة لوحة المفاتيح، فأقف على كرسيّي بالقرب من الباب، وتخبرني *ما* بالأرقام عادة إلا أنه توجّب عليَّ اختراعها اليوم.

أضغط بسرعة على لوحة التحكّم من دون أخطاء، ولكن لا تجعل الأرقام التي أدخلها الباب يصدر صوت بيب ليفتح، إلّا أني أحبّ صوت *الكليك* الذي يصدر عندما أضغط الأزرار.

لعبة ارتداء الملابس لعبة هادئة، ارتديت التاج الملكيّ المصنوع من بعض أوراق القصدير الذهبيّ وبعض أوراق القصدير الفضّي الذي لُفّت فيه كرتونة الحليب، وابتكرت سوارًا *لما* من خلال ربط جوربيها ببعضهما، أحدهما أبيض والآخر أخضر.

أنزلت صندوق الألعاب عن الرفّ، واستخدمت المسطرة للقياس، يبلغ طول كلّ حجر دومينو بوصة واحدة، أما قطع لعبة الداما فنصف بوصة، وأحوّل أصبعيَّ إلى القدّيسين بيتر وبول، وأجعلهما ينحنيان لبعضهما قبل أن يطير كلّ منهما بدوره.

فتحت *ما* عينيها مجدّدًا، فأحضرتُ لها سوار الجوارب، فقالت إنه جميل، وطوّقت به معصمها على الفور.

"هل نستطيع أن نلعب لعبة الورق افقار *الجار*؟".

قالت *ما*: "أمهلني لحظة"، توجّهت إلى المغسلة، وغسلت وجهها، ولم أعرف لماذا، فهي ليست متّسخة، ولكن ربما هناك جراثيم.

أفقرتها مرّتين، وأفقرتني مرّة واحدة، فأنا أكره الخسارة. وبعد ذلك لعبنا لعبة الورق جين *رومي واصطد* سمكة وغالبًا أفوز بها، ثم لعبنا لعبة البطاقات: رقص، وقتال، وأشياء أخرى. ولعبة *أمير الديناري* وهي المفضّلة لديّ مع أصدقائه الأمراء الآخرين.

أشرت إلى الساعة: "انظري، إنها 05:01. نستطيع أن نتناول وجبة العشاء".

إنها تتألّف من الهوت دوغ لكلّ منا، هي لذيذة يميي.

جلست على الكرسي الهزّاز، وأنا أشاهد التلفاز بينما جلست *ما* مع عدّة الأدوات، ووضعت الحاشية مجدّدًا على فستانها البنّي مع أجزاء زهرية اللون.

شاهدنا الكوكب الطبّي حيث يصنع الأطباء والممرّضون ثقوبًا في الأشخاص لإخراج الجراثيم، والأشخاص نائمون لا أموات، ولا يقضم الأطباء الخيط بأسنانهم مثلما تفعل *ما*، بل إنهم يستخدمون خناجر حادّة للغاية ثم يخيطون الأشخاص مثل فرانكنشتاين.

خلال الإعلانات طلبت مني *ما* أن أضغط على زرّ كتم الصوت، فكان هناك رجل يرتدي خوذة صفراء يحفر ثقبًا في أحد الشوارع، ويمسك جبينه لتتغيّر ملامح وجهه، فأسأل *ما*: "هل يتألّم؟".

ترفع نظرها عن الخياطة: "لا بدّ أنه يعاني من صداع بسبب الضوضاء الناجمة عن الحفر".

لا نستطيع سماع ضوضاء الحفر بسبب كتم الصوت، يقف الرجل على شاشة التلفاز عند المغسلة، ويتناول حبّة دواء من العلبة، ثم يبتسم ويرمي كرة باتجاه طفل. "*ما*، *ما*".

قالت وهي تصنع عقدة: "ما الأمر؟".

"إنها علبتنا، هل كنت تنظرين؟ هل كنت تنظرين إلى الرجل الذي يعاني من صداع؟".

"كلا".

"العلبة التي أخذ منها الحبّة تشبه تماما العلبة التي لدينا، مسكّنات الألم".

نظرت *ما* إلى التلفاز لترى سيارة مسرعة تنعطف حول الجبل.

قُلتُ: "كلا، قبل ذلك، في الحقيقة إنه يمتلك ذات علبة المسكّنات".

"حسنًا، ربما امتلك علبة مشابهة، لكنها ليست علبتنا".

مكتبة
t.me/t_pdf

"بلى، إنها هي".

"كلا هناك الكثير منها".

"أين؟".

نظرت *ما* إليّ، ثم عادت إلى الفستان، وشدّت الحاشية: "حسنًا، علبتنا هنا على الرفّ أما العلب الأخرى..".

سألتها: "في التلفاز؟".

حدّقت إلى الخيوط وهي تلفّها حول البطاقات الصغيرة كي تتّسع في علبة الأدوات.

قلت وأنا أثب: "أتعرفين؟ هل تعرفين ما الذي يعنيه هذا؟ لابدّ أنه يذهب إلى التلفاز". عُرض الكوكب الطبّي من جديد لكنني لم أكن أُشاهده، فقلت: "نيك العجوز"، حتى لا تظنّ أني أقصد الرجل الذي يرتدي الخوذة الصفراء. "أتعرفين؟ عندما لا يتواجد هنا في فترة النهار، يكون داخل التلفاز، إنه يجلب مسكّنات الألم من المتجر ويأتيها إلى هنا".

قالت *ما* وهي تنهض: "يحضرها، يحضرها وليس يأتيها، حان موعد الخلود إلى النوم"، فبدأت تغني: *أرني الطريق إلى منزلي*، إلّا أنني لم أشاركها الغناء.

لا أعتقد أنها تدرك مدى روعة هذا الأمر، فكّرت في ذلك وأنا أرتدي قميص النوم، وأنا أنظّف أسناني، حتى وأنا أحظى بالقليل على السرير، أرجعت فمي إلى الخلف، وسألتها: "لماذا لا نراه أبدًا على شاشة التلفاز؟".

تثاءبت وجلست.

"لماذا لم نره في أيّ من المرّات التي شاهدنا فيها التلفاز؟".

"لأنه ليس هناك".

"لكن كيف حصل على العلبة إذًا؟".

"لا أعرف".

قالت ذلك بطريقة غريبة، أعتقد أنها تدّعي: "يجب أن تعرفي، فأنت تعرفين كلّ شيء".

"انظر، هذا لا يهمّ حقًا".

أوشكتُ على الصراخ: "إنه مهمّ وأنا مهتمّ به".

"جاك.."

جاك ماذا؟ ماذا يعني جاك؟

أسندت *ما* ظهرها إلى الوسائد وقالت: "يصعب عليّ أن أشرح لك".

أعتقد أن في وسعها الشرح، لكنها لا تريد: "بإمكانك القيام بذلك لأني أبلغ الخامسة الآن".

نظرت إلى الباب: "أحضرَ علبة الحبوب خاصّتنا من المتجر، ثم جاء بها كهدية ليوم الأحد".

"متجر في التلفاز؟"، أنظرُ إلى الأعلى نحو الرفّ لأتحقّق من العلبة الموجودة هناك: "لكن مسكّنات الألم حقيقية".

فركت *ما* عينيها: "إنه متجر حقيقي".

"كيف...؟".

"حسنًا، حسنًا، حسنًا".

لماذا تصرخ؟

"أصغِ إليّ، الأشياء التي نراها على شاشة التلفاز... هي صورة للأشياء الموجودة في الحقيقة".

لم يسبق لي أن سمعت شيئًا أكثر إدهاشًا.

وضعت *ما* يدها على فمها.

"هل دورا حقيقية؟".

أبعدت يدها: "كلا، أنا آسفة، هناك الكثير من برامج التلفاز هي عبارة عن صور، ولوحات مختلقة، مثل دورا –عبارة عن رسومات– لكن الناس الآخرون،

أولئك الذين يمتلكون وجوهًا تشبهني وتشبهك، هم حقيقيون".

"بشرٌ حقيقيون؟".

هزّت رأسها: "والأماكن حقيقية أيضًا، مثل المزارع، والغابات، والطائرات، والمدن.."

"هراء"، لماذا تخدعني؟ "أين سيتّسعون جميعهم؟".

أجابت *ما*: "هناك، في الخارج"، وحكت رأسها بالوسادة.

حدّقت إلى ما خلفها: "هل تقصدين خارج جدار السرير؟".

أشارت إلى الطرف الآخر، إلى جدار الموقد، وحرّكت إصبعها ليرسم دائرة: "خارج الغرفة".

"هل تطفو المتاجر والغابات في الأرجاء في الفضاء الخارجيّ؟".

"كلا، انسَ الأمر يا جاك، لم يتوجّب عليَّ أن.."

هززت ركبتها بقوّةٍ أكبر وقلتُ: "كلا يتوجّب عليكِ، أخبريني".

"ليس الليلة، لا أستطيع التفكير في الكلمات المناسبة للتفسير".

تقول أليس إنها لا تستطيع أن تشرح نفسها لأنها ليست هي نفسها، فهي تعرف من كانت هذا الصباح، ولكنها تغيّرت عدّة مرّات منذ ذلك الحين.

فجأة، وقفت *ما* وجلبت مسكّن الألم من الرفّ، اعتقدتُ أنها تتأكّد إن كان مطابقًا لذلك الذي ظهر على شاشة التلفاز، لكنها عوضًا عن ذلك فتحت العلبة، وتناولت حبّة، وأتبعتها بأخرى.

"هل ستتمكّنين من العثور على الكلمات غدًا؟".

أحكمت ربط كيس القمامة، ووضعته بجوار الباب: "إنها الساعة الثامنة وتسعٌ وأربعون دقيقة يا جاك، هلّا خلدت إلى النوم".

استلقي في الخزانة لكن من دون أن يغمض لي جفن.

* * *

هذا أحد الأيّام الذي تغيب فيه *ما*.

لن تستيقظ كما ينبغي، إنها موجودة هنا، لكنها غائبة في الوقت ذاته، بقيت في السرير ووضعت الوسائد فوق رأسها.

وقف القضيب السخيف، فأنزلته إلى الأسفل.

أكلتُ مئةَ حبّة من حبوب الفطور، ثم وقفت على الكرسيّ لغسل الطبق والملعقة الذائبة. وصار المكان هادئًا للغاية عندما أغلقت صنبور المياه.

أتساءل إن أتى نيك العجوز ليلًا، لا أعتقد أنه أتى، لأن كيس القمامة لا يزال إلى جانب الباب، لكن لعلّه نسي أخذ القمامة فحسب؟ وربما *ما* ليست غائبة، ربما ضغط على عنقها بقوّة أكبر وهي الآن...

اقتربتُ منها، وأصغيت حتى سمعت تنفّسها، فلم أكن بعيدًا عنها سوى بوصة واحدة فقط، حتى إن شعري لامس أنفها، وحين رَفَعَت يدها لتضعها على وجهها، تراجعت إلى الوراء.

عادة، لا استحمّ بمفردي. لذا، اكتفيت بارتداء ملابسي.

مرّت ساعات وساعات، بل مرّت المئات منها.

وأخيرًا نهضت *ما* لتتبوّل لكنها لم تتحدّث على الإطلاق، بدا وجهها خاليًا من أي تعابير، فسبقتها ووضعت كأس ماء قرب السرير، لكنها عادت ونامت متدثّرة باللحاف.

أكره عندما تغيب، لكني أحبّ ذلك لأنه يتيح لي أن أشاهد التلفاز طوال اليوم. في البداية، وضعته على أدنى صوت ثم رفعته شيئًا فشيئًا، فحوّلتني مشاهدة التلفاز لفترة طويلة إلى واحد من أولئك الأحياء الأموات، لكن *ما* نفسها اليوم هي أحد هؤلاء الأحياء الأموات على الرغم من أنها لا تشاهد التلفاز. عُرض برنامج بوب البنّاء، والحيوانات المدهشة، وبارني. أقترب من التلفاز عند عرض كلّ واحد منها، لألقي التحيّة، وكثيرًا ما يحتضن بارني وأصدقاؤه بعضهم، فأركض لأنضمّ إليهم، لكني أتأخّر كثيرًا في بعض الأحيان. حلقة اليوم عن جنيّة تتسلّل ليلًا وتحوّل

الأسنان القديمة إلى نقود، فأردتُ أن أشاهد دورا لكنها لم تُعرض.

الخميس مخصّص للغسيل، إلّا أني لا أستطيع فعل ذلك وحدي، و*ما* لا تزال مستلقية على الملاءات.

نظرت إلى الساعة، عندما شعرت بالجوع مرّة أخرى، إلّا أنها تشير إلى الـ 09:47 فحسب، انتهت برامج الأطفال. لذا، شاهدت كرة القدم والكوكب الذي يفوز فيه الناس بالجوائز، فجلست المرأة ذات الشعر الأشعث على أريكتها الحمراء، وهي تتحدّث إلى رجل كان بطل غولف في يوم من الأيّام. وهناك كوكب آخر تُمسك فيه النساء بقلادات ويتحدّثن عن مدى روعتها، وتقول *ما* دائمًا عندما تشاهد هذا الكوكب: "يا لهم من حمقى"، ولكنها لم تقل أيّ شيء اليوم، لم تلاحظ أني أستمرّ بالمشاهدة والمشاهدة حتى أن دماغي بدأ يتعفّن.

كيف يمكن للتلفاز أن يحتوي صورًا لأشياء حقيقية؟

لا أنفكّ أفكر فيها جميعًا وهي تطوف في الأرجاء خارج الجدران في الفضاء الخارجي: الأريكة، والقلادات، والخبز، والحبوب المسكّنة، والطائرات وكلّ *الهم والهنّ*، والملاكمين، والرجل ذي الساق الواحدة، والمرأة ذات الشعر الأشعث، إنهم يطوفون جميعًا خارج كوّة السقف. لوّحت لهم، لكن هناك أيضًا ناطحات سحاب، وأبقارًا، وسفنًا، وشاحنات... الوضع مزدحم في الخارج، أحصي كل الأشياء التي قد تصطدم بالغرفة، وأعجز عن التنفّس بشكل صحيح. لذا، توجّب عليَّ عدُّ أسناني عوضًا عن ذلك، من اليسار إلى اليمين في الفكّ العلوي ومن اليمين إلى اليسار في الفكّ السفلي، وبالعكس، فعددت عشرين سنًّا وضرسًا في كلّ مرّة، لكن لا أزال أعتقد أنني أخطأت العدّ.

عندما بلغت الساعة 12:04 والتي تعتبر وقتًا مناسبًا لوجبة الغداء، فتحت إحدى علب الفاصولياء المعلّبة بحذر، وتساءلتُ، هل ستستيقظ *ما* إذا ما جرحت يدي وصرخت طالبًا المساعدة؟ لم يسبق لي أن تناولت الفاصولياء باردة، ولكنني تناولت تسع حبّات ثم شبعت، ووضعت *ما* تبقّى في وعاء كي لا تُرمى كالفضلات،

فعلق بعضها في قعر العلبة. لذا، صببت المياه في داخلها، فربما قد تنهض *ما* وتنظّفها لاحقًا، وربما ستكون جائعة، وتقول: "آه، يا جاك، كم هو لطيف أن تحتفظ ببعض الفاصولياء من أجلي في الوعاء!".

قست مزيدًا من الأشياء بواسطة المسطرة، لكن يصعب عليَّ حساب الأرقام بمفردي، أنقّل نهاياتها من طرف إلى آخر، وهي تنقلب كما لو أنها بهلوان في السيرك، وألعب بجهاز التحكّم عن بعد، فأوجّهه إلى *ما* وأهمس، "استيقظي". إلّا أنها لا تستجيب، والبالون طريّ للغاية، يذهب للقيام بجولة بالقرب من كوّة السقف بواسطة زجاجة عصير البرقوق ليجعلا الضوء متلألئًا بلون بنّي. إنهما خائفان من جهاز التحكّم عن بعد بسبب نهايته الحادّة، لذا وضعته في الخزانة وأغلقت الدرفتين. ورحت أخبر كلّ الأشياء أن كلّ شيء سيكون على ما يرام لأن *ما* ستستيقظ في الغد، ثم قرأت الكتب الخمسة بمفردي، لكن لم أقرأ سوى بعض الأجزاء من أليس، وبقيتُ معظم الوقت جالسًا فحسب.

لم أصرخ كي لا أزعج *ما*، أعتقد أنه لا بأس من تفويت القيام بذلك ليوم واحد، وشغّلت التلفاز مرّة أخرى، وحرّكت الهوائيّ، فهو يجعل الكواكب أكثر وضوحًا بعض الشيء. فكان يعرض برنامج سباق السيارات، أحبّ أن أرى السيارات تسير بسرعة فائقة، ولكن الأمر لا يعود مثيرًا للاهتمام بعد مئة دورة. أرغب الآن في إيقاظ *ما* وسؤالها عن الخارج وكلّ ما فيه من بشر حقيقيين وأشياء تحوم في الجوار، لكنها ستغضب إن فعلت، وربما لن تعود إلى العمل حتى وإن هززتها. لذا، لم أفعل ذلك، أقترب منها إلى حدّ كبيرة، فيظهر نصف وجهها وعنقها، وقد تحوّل لون العلامات إلى البنفسجي الآن.

سأركل نيك العجوز حتى أكسر مؤخّرته، وسأفتح الباب بواسطة جهاز التحكّم، ثم سأنطلق إلى الفضاء الخارجيّ مصدرًا صوت ويزز، وأجلب كلّ الأشياء من المتجر الحقيقيّ لأحضرها إلى *ما*.

بكيتُ قليلًا، لكن من دون أن أصدر ضجيجًا.

شاهدتُ برنامجًا عن الطقس وعن أعداء يحاصرون قلعة، فبنى الأخيار المتاريس كي لا يُفتح الباب، فعضضت إصبعي، ولأوّل مرّة لا تستطيع *ما* أن تأمرني بالتوقّف. ولكن ما حجم الضرر الذي أُلحق بدماغي حتى الآن، وكم بقي منه سليمًا؟ أعتقد أني سأتقيّأ كما حصل معي عندما كنت في الثالثة من عمري، وسأصاب بالإسهال أيضًا، ماذا لو تقيّأت على كامل السجادة، كيف سأنظّفها بمفردي؟

نظرت إلى البقعة التي خلفتها يوم ولادتي، فجثوت على ركبتي وحففتها، إنها تمنح الشعور بالدفء، وتسبّب الحكّة كبقية أجزاء السجّادة، التي لا تختلف عنها أبدًا.

لا تغيب *ما* أكثر من يوم واحد، لا أدري ما الذي سأفعله إذا استيقظت في الغد وهي لا تزال غائبة.

شعرت بالجوع مجدّدًا، فتناولت موزة على الرغم من أنها لا تزال خضراء بعض الشيء.

على الرغم من أن دورا عبارة عن رسم في التلفاز، إلا أنها صديقتي الحقيقية، إنه أمر مربك، سيارة الجيب حقيقية على أرض الواقع، وفي وسعي أن ألمسها بأصابعي، لكن ليس هناك من سوبرمان إلا في التلفاز فقط، كذلك هناك أشجار في التلفاز لكن النبتة حقيقية، أوه، لقد نسيت أن أرويها، فأنزلتها عن سطح خزانة الملابس إلى المغسلة ورويتها في الحال، وتساءلت إن تناولت قطعة السمك التي وضعتها *ما*.

هناك ألواح تزلّج في التلفاز، كذلك الفتيات والفتية إلّا أن *ما* تقول إنهم موجودون في الحقيقة، كيف يعقل أن يكونوا موجودين وهم مسطّحون إلى هذا الحدّ؟ نستطيع أن نصنع المتاريس أنا و*ما*، وفي وسعنا أن ندفع السرير ليسدّ الباب حتى لا يفتح، ألن يصاب بالصدمة؟ هاها.. سيصرخ قائلًا اسمح لي بالدخول وإلا سأنفخ وأنفخ حتى أقتلع منزلك من مكانه. هناك العشب في التلفاز وكذلك النار، ولكن قد تصبح حقيقية في الغرفة إذا سخّنتُ الحبوب وقفز اللهب الأحمر على

كمّيّ وأحرقني، أحبّ أن أشاهد ذلك لكني لا أحب حدوثه. الهواء حقيقيّ والماء أيضًا لكن في الحمام والمغسلة فقط. هناك أنهار وبحيرات في التلفاز فقط، ولا أعلم بشأن البحر فإذا ما فاض في الخارج سيتبلّل كل شيء، أريد أن أهزّ *ما* وأسألها إن كان البحر حقيقيًا، الغرفة موجودة على أرض الواقع بشكل حقيقيّ، وربما هي كذلك في الخارج أيضًا، إلا أنها ترتدي ساعة إخفاء كتلك التي يملكها الأمير جاكرجاك في القصّة، وهناك الطفل يسوع في التلفاز وكذلك في اللوحة مع أمه وقريبه وجدته، لكن الله حقيقي، إنه يطلّ بوجهه الأصفر عبر كوّة السقف(*)، لكن ليس اليوم، فقد طغى اللون الرمادي.

أريد أن آوي إلى السرير بجوار *ما*، لكني أجلس عوضًا عن ذلك على السجّادة واضعًا يدي حيث قدمها تحت اللحاف. تعبت ذراعي لذلك أنزلتها قليلًا وأعدتها مرّة أخرى، لففت نهاية السجادة وأفلتّها لتنبسط وتعود إلى وضعها السابق مجدّدًا، وقد فعلت ذلك مئات المرّات.

حاولت تناول المزيد من الفاصولياء المشوية عندما حلّ الظلام، إلّا أن طعمها مقزّز، فتناولت بعض الخبز وزبدة الفول السودانيّ عوضًا عن ذلك، فتحت الثلاجة، ووضعت وجهي بجانب أكياس البازلاء والسبانخ والفاصولياء الخضراء المروّعة، وأبقيته هناك حتى شعرت بالخدر يسري وصولًا إلى أجفاني، فقفزتُ مبتعدًا، وأغلقت الباب، وفركت خدّيّ بكلتا يدي لأدفئهما، أستطيع أن أتحسّسهما بيدي، لكنني لا أستطيع الشعور بيديّ وهما تلمسانهما، هذا أمر غريب.

أصبحت كوّة السقف مظلمة بشكل كامل الآن، أَمِلتُ أن يرتدي الله وجهه الفضّي(*).

ارتديت قميص النوم، وتساءلت هل أنا متّسخ لأني لم أستحمّ، فحاولت أن أشمّ نفسي، فاستلقيت في الخزانة تحت البطانية إلا أني لا أزال أشعر بالبرد، لا بدّ أن

(*) تعبير ساذج لطفل سجين طوال حياته غير قادر على التعبير عن طبيعة الأشياء وواقعها.
(*) تعبير ساذج لطفل سجين طوال حياته غير قادر على التعبير عن طبيعة الأشياء وواقعها.

السبب يعود إلى أنني قد نسيت أن أرفع درجة حرارة الغرفة اليوم، ولم أتذكّر سوى الآن، لكن لم أعد أستطيع فعل ذلك لأن الليل قد حلّ.

أرغب بشدّة في الحصول على القليل، فلم أحظَ بأيّ منه طوال اليوم، لم أحظَ حتّى من الجهة اليمنى، على الرغم أنني أفضّل الجهة اليسرى، لو أن في وسعي الدخول إلى السرير بجوار *ما* والحصول على القليل، لكنها قد تبعدني وربما تقوم بما هو أسوأ.

ماذا لو أتى نيك العجوز وأنا إلى جوارها في السرير؟ لا أعرف إن بلغت الساعة التاسعة، لا أستطيع أن أرى الساعة بسبب الظلمة التي تعمّ المكان.

تسلّلت إلى السرير، ببطء شديد حتى لا تلاحظني *ما*، واستلقيت في مكان قريب، بحيث أستطيع القفز عائدًا إلى الخزانة بسرعة في حال سمعت صوت بيب بيب.

ماذا لو أتى ولم تستيقظ *ما*، هل سيجعله ذلك أكثر غضبًا؟ هل سيسبّب لها علامات أسوأ؟".

بقيتُ مستيقظًا حتى أسمعه عندما يأتي.

لم يأتِ، لكنني بقيت مستيقظًا.

* * *

لا يزال كيس القمامة بجوار الباب، هذا الصباح، استيقظت *ما* قبلي، وفتحت الكيس وأضافت إليه الفاصولياء التي كشطتها خارج العلبة، بما أن الكيس لا يزال بجوار الباب فهذا يعني أنه لم يأتِ ليلة أمس، وبالتالي فهو لم يحضر لليلتين متتاليتين، يا للسعادة يوبيبي.

يوم الجمعة مخصّص للمرتبة، نقلّبها من الأمام إلى الخلف ومن الجانبين أيضًا حتى لا تصبح غير مستوية، إنها ثقيلة جدًّا لدرجة يجب أن أستخدم فيها كلّ عضلاتي، وعندما تسقط تطيح بي على السجّادة. فأرى العلامة البنّية على الفراش

والتي تعود إلى يوم خروجي من بطن *ما* للمرّة الأولى. وبعد ذلك، خضنا سباق تنظيف الغبار، الذي هو عبارة عن أجزاء صغيرة غير مرئية من جلودنا لم نعد بحاجة إليها بعد الآن، لأننا استبدلناها بأجزاء جديدة مثل الثعابين، فعطست *ما* كما لو أنها مغنّي أوبرا رأيناه ذات مرّة على التلفاز.

أعددنا قائمة البقالة من دون أن نتمكّن من تحديد هدية يوم الأحد، وقلت: "لنطلب حلويات، "لا أقصد الشوكولاتة، بل بعض أنواع الحلوى التي لم نتناولها من قبل".

"هل تقصد بعض الحلويات من النوع اللزج لتنتهي بأسنان كأسناني؟".

لا أحبّ عندما تسخر *ما*.

نقرأ الآن بعض الجمل من أحد الكتب التي لا تحتوي صورًا، وتعود إلى رواية الكوخ التي تتحدّث عن منزل مخيف حيث الثلج الأبيض في كلّ مكان، فقرأتُ: "منذ ذلك الحين، أنا وهو نتسكّع، وفقًا للمصطلح الدارج بين الأطفال هذه الأيام، نتشارك القهوة، أو الشاي بالحليب بالنسبة إليّ، أحبّه ساخنًا للغاية مع الصويا".

قالت *ما*: "ممتاز، باستثناء أنه يجب عليك لفظ كلمة الصويا [soy] على وزن كلمة طفل [boy]".

يشعر الأشخاص الموجودون في الكتب وفي التلفاز بالعطش بشكل دائم، فهم يشربون البيرة، والعصير، والشامبانيا، والقهوة بالحليب إضافة إلى جميع أنواع السوائل. وفي بعض الأحيان يطرقون كؤوسهم بكؤوس الآخرين وهم سعداء ولكنهم لا يكسرونها، قرأت السطر مرّةً أخرى، لكنه لا يزال محيّرًا: "من يكون هو ومن أنا، هل هما طفلان؟".

قالت *ما* وهي تقرأ من فوق رأسي: "مممم، أعتقد أن كلمة أطفال تشير إلى الأطفال بشكل عام".

"ما الذي تعنيه بشكل عام؟".

"أعني الكثير من الأطفال".

أحاول أن أتخيّلهم، جميعهم وهم يلعبون مع بعضهم: "هل هم بشر حقيقيون؟".

لبرهة لم تقل *ما* شيئًا، ثم قالت بصوت خافت: "أجل"، وهذا يعني أن كلّ ما قالته صحيح.

لا تزال العلامات ظاهرة على عنقها، فتساءلت هل ستزول بمرور الأيام.

* * *

أومضت بالضوء في الليل، فاستيقظت وأنا في السرير، وكان المصباح مضاء، وحين عددت حتى الخمسة، أطفئ المصباح، ثمّ عددت واحدًا، فأنير المصباح، ثم عددت اثنين، فأطفئ المصباح، وأخيرًا عددت اثنين... ثم تأفّفت.

استمرّت تحدق إلى كوّة السقف التي اكتست بالسواد بالكامل: "أنا بحاجة إلى مزيد من الوقت".

لا يوجد كيس قمامة بجوار الباب، هذا يعني أنه كان هنا في أثناء نومي: "أرجوكِ يا *ما*".

"أمهلني دقيقة".

"إنها تؤلم عيني".

انحنت نحو السرير وقبلتني بالقرب من فمي، ثم غطّت وجهي باللحاف، لا يزال الضوء يومض لكن بشكل خافت أكثر.

عادت بعد فترة إلى السرير، وأعطتني القليل حتى أنام مجدّدًا.

* * *

يوم السبت ضفرت *ما* شعري بثلاث ضفائر، كنوع من التغيير، فبدت مضحكة، ثم هززت رأسي لأجلد نفسي بها.

هذا الصباح، لم أشاهد كوكب برامج الأطفال، اخترتُ مشاهدة القليل من البستنة واللياقة البدنية والأخبار، وعلّقت على كلّ ما أشاهده: "هل هذا حقيقي

يا *ما*؟". وهي تجيب بنعم، باستثناء فيلم واحد عن مستذئبين وامرأة تنفجّر مثل البالون، قالت إنه لا يتعدّى كونه مؤثّرات بصرية من صنع حاسوب.

تناولنا على الغداء وجبة مكوّنة من حمص الكاري المعلّب والأرزّ.

أودّ أن أصرخ بقوّة لمرّةٍ إضافية، لكن لا نستطيع الصراخ في عطلات نهاية الأسبوع.

أمضينا فترة بعد الظهر بأكملها ونحن نلعب لعبة خيوط *مهد القطّة*، نستطيع أن نصنع شكل الشمع والألماس، إضافة إلى المِذود وسِنّارات الحياكة، ولا نزال نتدرّب على صنع شكل العقرب إلا أن أصابع *ما* تعلق على الدوام.

العشاء كان عبارة عن قطع البيتزا الصغيرة، وقد حظي كلّ منا بقطعة وتشاركنا قطعة إضافية، ثم شاهدنا كوكبًا ارتدى فيه الأشخاص الكثير من الملابس المزركشة، وكانوا ذوي شعر أبيض ضخم، تقول *ما* إنهم أناس حقيقيون لكنهم يدّعون أنهم أشخاص ماتوا قبل مئات السنين، إنها لعبة من نوع ما إلّا أنها لا تبدو ممتعة.

أطفَأت التلفاز وشمّت الرائحة: "لا أزال أستطيع شمّ رائحة الكاري الذي تناولناه على الغداء".

"وأنا أيضًا".

"كان مذاقه جيّدًا، ولكن من السيّئ أن رائحته لا تزال عابقة في المكان".

قلت لها: "وجبتي كانت سيّئة أيضًا".

فضَحِكَت، لقد بدأت العلامات تزول عن عنقها، وأصبح لونها أخضر مائلًا إلى الأصفر.

"هل يمكنك أن تروي لي قصّة؟".

"أي واحدة؟".

"واحدة لم تروِها لي من قبل".

ابتسمت لي: "أعتقد أنك تعرف كلّ ما أعرفه حتى الآن، ما رأيك بقصّة الكونت مونت كريستو؟".

"سمعتها ملايين المرّات".

ما رأيك بجاك الغول في ليليبوت؟

"سمعتها تِرليون مرّة".

"ما رأيك إذًا بجزيرة نيلسون وروبين؟

"ثم خرج بعد سبعة وعشرين عامًا وأصبح الحاكم".

"ماذا عن ذات الخصلة الذهبية؟

"إنها مخيفة للغاية".

قالت *ما*: "لا تقوم الدببة سوى بالزمجرة عليها".

"لكنها لا تزال مخيفة".

"الأميرة ديانا؟".

"كان يجب أن تضع حزام الأمان".

قالت ما متأفّفة: "هل ترى، أنت تعرفها جميعًا، انتظر لحظة هناك واحدة عن حورية البحر...".

"الحورية الصغيرة".

"كلا، إنها واحدة أخرى، تدور هذه القصّة حول حورية البحر التي تجلس على الصخور، وفي إحدى الأمسيات، وهي تمشّط شعرها، زحف صيّاد خلسة ورمى عليها شبكته".

"ليقليها على العشاء؟".

قالت *ما*: "كلا، كلا، اصطحبها إلى الكوخ، وتوجّب عليها الزواج منه، فسلبها مشطها السحريّ حتى لا تتمكّن من العودة إلى البحر أبدًا، ثم حظيت حورية البحر بطفل بعد ذلك...".

قلت لها: "وأسمته جاكر جاك".

"هذا صحيح، اعتادت البحث في أرجاء الكوخ كلّما خرج الصيّاد للصيد. وذات يوم، تمكّنت من إيجاد المكان الذي خبّأ فيه مشطها السحريّ..."

"هاها".

"وهربت إلى الصخور، وانزلقت إلى البحر".

"كلا".

نظرت *ما* إليّ عن كثب وقالت: "ألا تعجبك القصّة؟".

"لماذا توجّب عليها الرحيل".

مسحت الدمعة من عيني بإصبعها: "هوّن على نفسك، نسيت أن أخبرك، فمن البديهي أنها اصطحبت طفلها، جاكرجاك، معها، وقد ربطته إلى شعرها، وعندما عاد الصيّاد وجد الكوخ فارغًا، ولم يرَهما مجدّدًا".

"هل غرق؟".

"أتقصد صياد السمك؟".

"كلا أعني هل غرق جاكرجاك تحت الماء؟".

قالت *ما*: "أوه لا تقلق، إنه نصف حورية بحر، ألا تتذكّر؟ يستطيع تنفّس الهواء أو الماء"، ذهبت لتلقي نظرة إلى الساعة، إنها 08:27.

منذ دهور وأنا أستلقي داخل الخزانة، لكن لم يغلبني النعاس، غنّينا وصلّينا، "أغنية أطفال واحدة فقط"، قلت: "أرجوكِ"، فاخترت أغنية "المنزل الذي بناه جاك" لأنها الأطول.

غنّت *ما* بصوت ناعس: "هذا هو الرجل ذو الملابس الرثّة والممزّقة..."

"الذي قبّل العذراء بطريقة متوحّشة..."

"الذي حلب البقرة ذات القرون المجعّدة..."

سرقتُ بعض الجمل على عجلة: "الذي رمى الكلب، الذي أخاف القطّ، الذي قتل الفأرة، الذي..."

بيب بيب.

أطبقت فمي بإحكام.

لم أسمع أوّل شيء قاله نيك العجوز.

قالت *ما*: "مممم، أنا آسفة بما يخصّ ذلك، لقد تناولنا الكاري، في الحقيقة كنت أتساءل إذا كانت هناك أيّ فرصة.." ثم رفعت صوتها وهي تكمل: "لتركيب مروحة شفّاط في يوم من الأيّام أو شيء من هذا القبيل".

لم يقل شيئًا، أعتقد أنهما جلسا على السرير.

قالت: "مروحة صغيرة للغاية".

قال نيك العجوز: "صحيح، إنها فكرة، دعينا ندفع كلّ الجيران إلى التساؤل عن السبب الذي يجعلني أطهو الأطعمة المليئة بالتوابل في ورشتي".

أعتقد أنه عاد إلى السخرية مجدّدًا.

قالت *ما*: "أوه، أنا آسفة، "لم أعتقد.."

"لماذا لا أضع سهمًا مضيئًا وامضًا على السطح وأنا أقوم بذلك؟".

أتساءل كيف يمكن للسهم أن يومض.

قالت *ما*: "أنا آسفة للغاية، كلّ ما في الأمر أني لم ألاحظ أن الرائحة، وأن المروحة يمكن.."

قال نيك العجوز: "أعتقد أنك لا تقدّرين مدى الخير الذي تحظين به هنا أليس كذلك؟".

لم تنبس *ما* ببنت شفة.

"هناك فوق سطح الأرض، ضوء طبيعي وهواء عليل، لكنهما لا شيء، أؤكّد لك، تفرقعين بإصبعك هنا لتصلك الفواكه الطازجة وأدوات التنظيف، كثيرات هنّ الفتيات اللواتي سيشكرن ربّهن على النعمة التي تنعمين بها، حيث تعيشين بمنزل آمن لاسيّما فيما يخصّ الطفل...".

هل يقصدني أنا؟

قال: "يجب عليك أن لا تقلقي من السائقين السكارى، ولا مروّجي المخدّرات، ولا الأشخاص المنحرفين..."

سرعان ما قاطعته *ما*: "ما كان يجدر بي أن أطلب مروحة، هذا غباء منّي، كلّ شيء على ما يرام".

"حسنًا إذًا"، لبرهة لم ينبس أحد ببنت شفة، فعددت أسناني، لا أزال أخطئ العدّ، أحصي تسعة عشر سنًّا، ثم عشرين ثم تسعة عشر مجدّدًا، عضضت لساني حتى آلمني.

"بطبيعة الحال، هناك تآكل وتلف، وهذا جزء طبيعي من سنّة الأشياء"، بدأ بالحديث وهو يتحرّك، أعتقد أنه بلغ الحمام الآن، "يبدو هذا مَلويًّا، وسيكون لزامًا عليَّ أن أملأه بالرمل وأعيد عزله، وانظري هنا، تظهر طبقة الأساس".

قالت *ما* بصوت خافت للغاية: "إننا نتوخّى الحذر".

"لستم حذرين بما فيه الكفاية، فالفلّين غير مصمّم لتحمل المشي كثيرًا، لقد وضعت ذلك في حسباني مستخدمًا واحدًا قليل الحركة".

سألت *ما* بصوتها العالي المرح: "ألن تأوي إلى السرير؟".

"دعيني أخلع حذائي"، صدر صوت فيه نوع من التذمّر، وسمعت شيئًا ما يسقط على الأرض: "هل أنتِ الشخصُ ذاته الذي صدّع رأسي بخصوص أعمال التجديد قبل دقيقتين..."

وأُطفئت الأنوار.

ها هو نيك العجوز يجعل السرير يصدر صريرًا، عددت حتى الرقم سبعة وتسعين ثم أعتقد أنني أخطأت العدّ بواحد لذا أضعت الحساب.

بقيت مستيقظًا وأنا أصغي حتى في الأوقات التي عمّ فيها الصمت.

* * *

تناولنا خبز البيغل على العشاء يوم الأحد، إنه صعب المضغ، وإلى جانبه الجيلي وزبدة الفول السوداني أيضًا. أخرجت *ما* قطعة الخبز من فمها وظهر شيء مدبّب عالق فيها، قالت: "وأخيرًا".

التقطته، لونه أصفر بالكامل إضافة إلى أجزاء بنّية داكنة: "أهذا هو السنّ الذي يؤلمك؟".

هزتْ رأسها، وأخذت تتحسّس مؤخّرة فمها.

بدا ذلك غريبًا للغاية: "بإمكاننا إعادته مرَّةً أخرى، ربما باستخدام غراء الدقيق".

هزتْ رأسها نافية وهي تبتسم ابتسامة عريضة: "أنا سعيدة أني تخلّصت منه، لن يؤلمني بعد الآن".

قبل دقيقة، كان جزءًا منها ولم يعد كذلك بعد الآن، أصبح عبارة عن شيء فحسب: "صحيح، أتعرفين ماذا، ستأتي جنّية الأسنان خلسةً في الليل لتحوّله إلى نقود إذا ما وضعته تحت وسادتك".

قالت *ما*: "أنا آسفة، لن تأتي الجنّية إلى هنا".

"لماذا؟".

نقّلت ناظريها عبر جدران الغرفة: "لأنها لا تعرف بأمر هذه الغرفة".

كلّ شيء في الخارج، عليَّ الآن أن أتذكّر كلّما فكّرت بشيء ما مثل السماء أو الألعاب النارية أو الجُزر أو المصاعد أو ألعاب اليويو، أنها حقيقية، وجميعها أشياء موجودة في الخارج، فيسبّب لي ذلك ألمًا في الرأس، والناس أيضًا، من رجال الإطفاء، والأساتذة، ولصوص المنازل، والأطفال، والقدّيسين، ولاعبي كرة القدم، وكلّ الآخرين موجودون في الخارج، وأنا لست هناك، يبدو أنني و*ما* الشخصان الوحيدان اللذان لا يتواجدان هناك، فهل مازلنا حقيقيين؟

روت لي *ما* قصّة هانسيل وغريتل بعد العشاء، وقصّة انهيار جدار برلين، وقصّة رامبلستنسكن، أحبّ الجزء الذي يتوجّب فيه على الملكة أن تخمّن اسم الرجل القصير وإلّا سيقوم بأخذ ابنها: "هل القصص حقيقية؟".

"أيٌّ منها؟".

"الحورية الأم وهانسيل وغريتل وكلّ القصص الأخرى".

قالت *ما*: "في الحقيقة، ليس بالمعنى الحرفيّ".

"ماذا؟".

"إنها سحر، إنها لا تتعلّق بالأشخاص الحقيقيين الموجودين في الوقت الحاضر".

"هل هم مزيّفون؟".

"كلا، كلا، القصص عبارة عن نوع مختلف من الحقيقة".

تجهّم وجهي وبدوت منكمشًا على نفسي وأنا أحاول أن أفهم: "هل جدار برلين حقيقيّ؟".

"في الواقع لقد كان موجودًا أمّا الآن فلا".

أرهقت للغاية، سأتمزّق إلى اثنين كما حصل مع رامبلستنسكن في النهاية.

قالت *ما* وهي تغلق أبواب الخزانة: "تصبح على خير، طاب ليلك، هانئٌ نومك، لا تدع حشرات السرير تقرصك".

* * *

لا أعتقد أني كنت قد أُطفئت، حين ملأ نيك العجوز المكان صخبًا.

قالت *ما*: "لكن الفيتامينات..".

"إنها سرقة في وضح النهار".

"هل تريدنا أن نمرض؟".

قال نيك العجوز: "إنها عملية سطو كبيرة، لقد شاهدت تقريرًا صحفيًا ذات مرّة، يقول إنها تنتهي جميعًا في المرحاض".

من الذي سينتهي في المرحاض؟

"لو كنا نحظى بنظام غذائيّ أفضل...".

أستطيع رؤيته عبر درفتي الباب وهو يجلس على حافّة حوض الاستحمام: "آه، ها نحن ذا، تذمّر، تذمّر، تذمّر..."

بدا الغضب في صوت *ما*: "أعتقد أن رعايتنا أوفر من رعاية كلب، نحن لا نحتاج حتى إلى أحذية".

"ليس لديكِ أيُّ فكرة عن عالم اليوم، ما أعنيه، من أين تعتقدين أن الأموال ستستمرّ بالتدفّق؟".

لم ينبس أي منهما ببنت شفة، ثم قالت *ما*.

"ما الذي تعنيه؟ هل تقصد المال بشكل عام أم...".

عقد ذراعيه الضخمتين وقال: "لقد سُرّحتُ من العمل منذ ستّة أشهر، هل يمكنك أن تشغلي رأسك الجميل بأيّ شيء؟".

استطعت أن أرى *ما* من خلال الفتحة بين درفتي الباب وهي تجلس إلى جانبه وتسأله: "ما الذي جرى؟".

"كأن لذلك أي أهمّية".

"هل تبحث عن عمل آخر؟".

حدّقا إلى بعضهما.

سَألَته: "هل أنت مَدين؟ كيف ستقوم بـ...؟".

"أغلق فمك".

اندفع الصوت خارجًا من رأسي على الرغم من أني لم أتعمّد إصداره إلا أنني خفت أن يؤذيها مجدّدًا.

ها هو نيك العجوز ينظر إليَّ مباشرةً، اقترب منّي خطوة، ثم خطا خطوة أخرى، ثم طرق على درفتي الباب، فرأيت ظلال يديه: "مرحبًا".

إنه يتحدّث إليّ، فدوّى في صدري صوت بوم بوم، وضممت رُكبتي، وكززت على أسناني، وأردت أن أنسلَّ تحت البطانية إلا أنني لا أستطيع، لا أستطيع القيام بأي شيء.

قالت *ما*: "إنه نائم".

"هل تبقيك طوال النهار في الخزانة كما تفعل طوال الليل أيضًا؟".

عندما يشير بأنت فهو يعنيني، انتظرت أن تجيب *ما* بكلا، إلا أنها لم تقل شيئًا.

"لا يبدو طبيعيًّا"، أستطيع أن أرى عينيه، إنهما تبدوان شاحبتين بالكامل، هل يستطيع رؤيتي، هل سأتحوّل إلى حجر؟ ماذا لو فتح الباب؟ أعتقد أني قد...

قال *لما*: "أعتقد أن هناك خطبًا ما، فأنت لم تسمحي لي برؤية مظهره منذ أن ولد، هل يمتلك هذا المسخ الصغير رأسين أو شيئًا ما من هذا القبيل؟".

لماذا قال ذلك؟ كنت أريد تقريبًا أن أخرج رأسي من خزانة الملابس، لأريه فقط.

وقفت *ما* أمام درفتي الباب، أستطيع أن أرى نتوءات عظام كتفها عبر قميصها: "إنه خجول فحسب".

قال نيك العجوز: "لا يوجد سبب يدفعه إلى الخجل مني، فأنا لم يسبق لي أن مسسته".

لماذا قد يمسّني؟

"لقد اشتريت له سيارة الجيب الفاخرة، ألم أفعل ذلك؟ أعرف طباع الفتية، فقد كنت فتى ذات يوم، هيا يا جاك".

لقد ذكر اسمي.

مكتبة
t.me/t_pdf

"هيا اخرج واحصل على مصّاصة".

مصّاصة!

بدا صوت *ما* غريبًا: "دعنا نذهب إلى السرير فحسب".

ضحك نيك العجوز: "أعرف ما الذي تحتاجين إليه يا فتاة".

ما الذي تحتاج إليه *ما*؟ هل هو شيء موجود على القائمة؟

مجدّدًا قالت *ما*: "هيا بنا".

"ألم تعلّمك أمك أيًّا من آداب السلوك على الإطلاق؟".

انطفأ المصباح.

لكن *ما* لا تملك أمًّا.

أصدر السرير صوتًا مرتفعًا، إنه فوقه الآن.

وضعتُ بطانية على رأسي، وضغطت على أذنيّ حتى لا أسمع، لا أريد أن أعدّ أصوات الصرير ولكنني أفعل ذلك.

* * *

عندما استيقظت وجدت نفسي لا أزال في الخزانة وهي مظلمة بالكامل.

أتساءل إن كان نيك العجوز لا يزال هنا، إضافة إلى المصّاصة؟

تفيد القاعدة أن عليَّ البقاء في الخزانة إلى أن تأتي *ما* وتخرجني.

أتساءل عن لون المصّاصة، هل هناك ألوان في الظلام؟

أحاول أن أطفئ نفسي مجدّدًا، إلا أني قيد التشغيل بشكل كامل.

في وسعي أن أخرج رأسي فقط لأقوم بـ...

أدفع الأبواب بتمهّل وهدوء كبيرين، وكلّ ما أستطيع سماعه هو طنين الثلاجة. وقفت، وخطوت خطوة، اثنتين، ثلاث. فصدمت إصبع قدمي بشيء ما آآآآآآخ. التقطتُه لاكتشف أنه حذاء، حذاء عملاق، فنظرت إلى السرير، وها هو ذا، نيك العجوز، أعتقد أن وجهه مصنوع من الصخر، أخرجت إصبعي، ولم أمسسه، لكني كدت أن أفعل.

ظهر بياض عينيه فجأة، فقفزت إلى الخلف وأسقطت الحذاء، اعتقدت أنه سيصرخ إلّا أنه ابتسم ابتسامة عريضة عوضًا عن ذلك وقال: "مرحبًا يا بني".

"لا أعرف ما الذي قد..."

ثم صدر عن *ما* أعلى صوت سمعته منها على الإطلاق، أعلى حتى من الصوت عندما نصرخ: "ابتعد، ابتعد عنه".

ركضتُ عائدًا إلى خزانة الملابس، فصدمت رأسي، آآآآاه، وواصلت *ما* الصراخ: "ابتعد عنه".

قال نيك العجوز: "اخرسي"، وقال لها كلمات لم أستطع سماعها بسبب الصراخ، ثم أصبح صوتها غير واضح، ثم قال لها: "أوقفي هذا الضجيج".

صدر عن *ما* صوت مممممممم عوضًا عن الكلمات، فأمسكتُ رأسي حيثُ صدمته، ولففت يدي.

"أنتِ حالة ميؤوس منها، هل تعرفين ذلك؟".

قالت: "في وسعي أن أهدأ"، بدا صوتها أقرب إلى الهمس، فسمعت أنفاسها مبحوحة: "أنت تعرف كم يمكنني أن أكون هادئة، إذا تركته وشأنه، هذا كلّ ما أطلبه منك على الإطلاق".

نخر نيك العجوز وهو يقول: "أنت تطلبين ذلك في كلّ مرّة أفتح فيها الباب".

"جميعها من أجل جاك".

"أجل، حسنًا، لا تنسي من أين حصلتِ عليه".

أنصتُّ إلى كلّ هذا الحديث، لكن *ما* لم تقل شيئًا.

سمعتُ أصواتًا، هل يُحضر ملابسه؟ إنه حذاء، أعتقد أنه ينتعل حذاءه.

لم أخلد إلى النوم إثر رحيله، بل بقيت مستيقظًا طوال الليل في الخزانة، انتظرتُ مئات الساعات إلا أن *ما* لم تأتِ وتخرجني، كنت أنظر إلى السقف الذي بدا وكأنه انخلع فجأة، واندفعت السماء والصواريخ والأبقار والأشجار لتتحطّم فوق رأسي...

كلا، أنا في السرير، وبدأت كوّة السقف تسرّب بعض الضوء، لابدّ أن الصباح قد حلّ.

قالت *ما* وهي تفرك خدي: "إنه مجرّد كابوس".

حظيت بالقليل فقط، من الأيسر اللذيذ.

ثم تذكّرت، وبدأت أتحرّك في السرير، لأتفحّصها بحثًا عن علامات جديدة عليها إلا أني لم أجد أيًّ منها: "أنا آسف أني خرجت من الخزانة في الليل".

قالت: "أعرف ذلك".

هل يعني هذا أنها سامحتني؟ سألتها: "ما الذي يعنيه المسخ الصغير؟".

"آه يا جاك".

"لماذا يقول إنَّني أعاني من خطب ما؟".

تأوّهت *ما*: "لا تعاني من أيّ خطب، فأنت سليم بالتمام والكمال". قبّلت أنفي.

"لكن لماذا قال ذلك؟".

"إنه يحاول أن يدفعني إلى الجنون فحسب".

"لماذا هو...؟".

نقرت على رأسها: "أتعرف كم تحبُّ اللعب بالسيارات والبالونات وكلّ الأشياء الأخرى؟ حسنًا، إنه يحبّ التلاعب برأسي بالطريقة ذاتها".

لا أعرف كيفية اللعب بالرؤوس: "هل يشابه التسريح من العمل الاستلقاء؟".

أجابتني *ما*: "كلا، هذا يعني أنه فقد عمله".

اعتقدتُ أن الأشياء فقط قد تضيع، مثل أحد الدبابيس الستّة التي امتلكناها، لابدّ أن كل شيء مختلف في الخارج. "لماذا قال لا تنسي من أين حصلت عليّ؟".

"أوه، هلّا تركت هذا الأمر وشأنه لدقيقة واحدة فقط؟".

بدأت أعدّ بصمت، فرس نهر واحد، فرسا نهر اثنان، أخذت الأسئلة تقفز في ذهني طوال الستّين ثانية.

سكبت *ما* كأس حليبٍ لها، لكنها لم تسكب كأسًا لي، حدّقت إلى داخل الثلاجة، فلم يعمل الضوء، هذا غريب، أغلقت الباب مجدّدًا.

انتهت الدقيقة: "لماذا قال لا تنسي من أين حصلت عليّ؟ ألم تحصلي عليَّ من الجنّة؟".

ضغطت *ما* على المصباح إلا أنه لم يستيقظ أيضًا: "ما عناه إلى من تنتمي".

"أنا أنتمي إليكِ".

ابتسمت لي ابتسامة صغيرة.

"هل استُهلكت لمبة المصباح؟".

أخذت ترتجف، فتوجّهت إلى منظّم الحرارة: "لا أعتقد أن هذا هو السبب".

"لماذا قال لك ألا تنسي؟".

"حسنًا في الحقيقة، لقد فهم الأمر بشكل خاطئ، إنه يعتقد انّك تنتمي إليه".

"حقًّا إنه جمجمة خدرة".

قالت *ما* وهي تحدّق إلى مُنظّم الحرارة: "أعتقد أن التيّار الكهربائيّ انقطع".

"ماذا يكون ذلك؟".

"لا يوجد طاقة في أيّ شيء الآن".

إنه يوم غريب.

تناولنا حبوب الفطور، ونظّفنا أسناننا، وارتدينا ملابسنا، وروينا النبتة، ثم حاولنا ملء حوض الاستحمام بالماء، ولكن المياه خرجت باردة كالثلج بعد أول دفقة. لذا، اغتسلنا ونحن نرتدي ملابسنا، فقد ازداد انتشار الإضاءة المنبعثة من كوّة السقف في المكان ولكنه لم يكن سوى نزر يسير منها فحسب، ولم يعمل التلفاز أيضًا، فافتقدت أصدقائي، وتظاهرت بأنهم يظهرون على الشاشة، فربّتُّ عليهم بإصبعي، فقالت *ما* دعنا نرتدِ بنطالًا وقميصًا إضافيًا حتى نشعر بالدفء وجوربين في كلّ قدم أيضًا، فركضنا في المضمار لأميال وأميال وأميال لندفِئ أنفسنا، وسمحت لي *ما* بخلع الجورب الخارجيّ لأنه ضغط على أصابع أقدامي، وقلت لها: "أذناي تؤلمانني".

رفعت حاجبيها.

"الصمت مطبق داخلهما".

"آه، ربما لأننا لم نعد نسمع كلّ تلك الأصوات الخافتة التي اعتدنا سماعها، مثل صوت التدفئة أو الطنين الصادر عن الثلاجة".

لعبت بالسنّ المسوّس، الذي أخفيته في عدّة أماكن مثل تحت خزانة الملابس، وفي الأرزّ، وخلف علبة سائل غسل الأطباق، وكلمّا حاولت أن أنسى أين هو أتفاجأ بإيجاده، وكانت *ما* تقطّع كلّ الفاصولياء الخضراء الموجودة في الثلاجة، فلماذا تُقطع كلّ هذه الكمية يا تُرى؟

تـذكّرت حينهـا جـزءًا وحيـدًا جيّـدًا مـن ليلـة البارحـة: "أوه *ما*، المصّاصـة". استمرّت بالتقطيع: "إنها في القمامة".

لماذا تركها هناك؟ ركضتُ سريعًا إليها، ودست على الدواسة لينفتح الغطاء مصدرًا صوت بينغ، لكني لـم أرَ المصّاصـة، فتحسّست قشور البرتقال، والأرز، وبقايا الطعام، والبلاستيك.

أمسكتني ما من كتفي وقالت: "دعها".

قلت لها: "لكنها الحلوى خاصّتي، إنها هدية يوم الأحد".

"إنها سيّئةٌ جدًا".

"كلا ليست كذلك".

"لقد كلّفته خمسين سنتًا، إنه يضحك عليك".

تملّصت من يدها: "لم يسبق لي أن حصلت على مصّاصة".

لا يمكن تسخين أي شيء في الموقد بسبب انقطاع التيار الكهربائي. لـذا، كانت وجبة الغداء عبارة عن فاصولياء خضراء زلقة ومتجمّدة، وقد كان طعمها أسوأ من طعم الفاصولياء الخضراء المطهوّة. وقد توجّب علينا تناولها لأننا إن لم نفعل ذلك سيذوب عنها الثلج وستفسد، في الحقيقة لا أمانع ذلك إلا أنه محض هدر.

قالت *ما* عندما اغتسلنا بالمياه البـاردة: "هـل ترغـب في أن أقـصّ عليك قصّـة الأرنب الهارب؟".

هززت رأسي نافيًا: "متى يصبح التيار الكهربائيّ غير منقطع؟".

"لا أعلم، أنا آسفة".

ذهبنا إلى السرير لأحظى بالقليـل فرفعـت *ما* ملابسـها، وحظيـت بـالكثير من الأيسر والأيمن.

"ماذا لو أصبحت الغرفة أبرد وأبرد".

قالت وهـي تعـانقني: "أوه، لـن يحـدث ذلـك، سـيحلّ شـهر نيسـان في غضـون ثلاثة أيام، ولا يمكن أن يبرد الطقس إلى تلك الدرجة".

غلبنا النعاس، لكنني لم أغفُ سوى قليلًا فقط، فانتظرت إلى أن نامت *ما* بعمق، لأتملّص منها، وأتّجه نحو سلّة القمامة مرّة أخرى.

عثرت على المصّاصة في أسفل السلّة تقريبًا، إنها على شكل كرة حمراء، غسلت يدي والمصّاصة أيضًا لأنه علقت عليها بعض بقايا الطعام المقرفة، ونزعت الغطاء البلاستيكي عنها ومصصتها ومصصتها، إنها أحلى شيء تناولته على الإطلاق، وأتساءل إن كان هذا هو طعم العالم في الخارج.

سأصبح كرسيًّا إن تمكّنت من الهروب، ولن تستطيع *ما* أن تتعرّف إليّ، أو سأحوّل نفسي إلى شخص خفيّ وألازم كوّة السقف لتنظر *ما* عبري، أو إلى مجرّد ذرّةٍ صغيرةٍ من الغبار وأدخل إلى أنفها لتعطسني مباشرةً إلى الخارج.

فتحت عينيها.

خبّأت المصّاصة خلف ظهري.

وأغلقتهما مرّة أخرى.

استمررت بالمصّ لساعات على الرغم من أني شعرت ببعض الإعياء، ولم يبقَ بعدها سوى العود لذا رميته في القمامة.

عندما استيقظت، لم تقل *ما* شيئًا عن المصّاصة، ربما لا تزال نائمة حين فتحت عينيها، حاولت إنارة المصباح إلا أنه بقي مطفأً، فقالت إنها ستبقيه بوضع التشغيل حتى نعرف بانتهاء انقطاع التيار الكهربائي في لحظتها.

"ماذا لو أتى إلى هنا في منتصف الليل وأيقظنا؟".

"لا أعتقد أنه سيأتي في منتصف الليل".

لعبنا البولينغ باستخدام الكرة النطّاطة والكرة الصاخبة لنطيح بعلب الفيتامينات التي وضعنا عليها رؤوسًا مختلفة عندما كنت في الرابعة من عمري مثل التنين ومخلوق فضائي وأميرة وتمساح، فكنت أنا الرابح الأكبر.

قمتُ بالتمرّن على الجمع والطرح والمتواليات والضرب والقسمة وقمت بكتابة أكبر رقم ممكن، خاطت لي *ما* دميتين جديدتين من الجوارب التي ارتديتها

عندما كنت طفلًا صغيرًا، وخاطت لهما ابتسامة وأزرارًا مختلفة كأعين، أعرف كيف أخيط لكن الأمر ليس ممتعًا، وأتمنى لو أن في وسعي تذكّر نفسي وأنا طفل وكيف كنت.

كتبت رسالة إلى سبونج بوب مع صورة لي و*لما* على الخلف، ثمّ بدأنا نرقص بحثًا عن الدفء، ولعبنا لعبة أوراق الشدّة سناب، ولعبة الذاكرة، ولعبة اصطد سمكة، وأرادت *ما* أن تلعب الشطرنج إلا أنه يجعل رأسي ثقيلًا لذلك قالت لا بأس فلنلعب الداما عوضًا عن ذلك.

أصبحت أصابعي دبقة للغاية، فوضعتها في فمي، وقالت *ما* إن هذا ينقل الجراثيم، فأجبرتني على الذهاب وغسلها بالماء البارد.

صنعنا الكثير من حبّات الخرز من عجين الدقيق لنجمعها على شكل عِقد، ولكن لا نستطيع وضعها في خيط حتى تجفّ وتتصلّب، وصنعنا سفن فضاء من الصناديق واللاصق، الذي كاد أن ينتهي إلّا أن *ما* قالت: "أوه، لم لا". لنستخدم آخر جزء منها.

بدأت كوّة السقف تُظلم.

العشاء عبارة عن جبنة متعرّقة وبروكلي أُزيل الجليد عنها، تقول *ما* إن عليَّ تناول الطعام أو سأشعر بمزيد من البرد.

تناولتْ حبّتي مسكّن وجرعة كبيرة من الماء حتى تتمكّن من ابتلاعهما.

"لماذا لازلتِ تتألّمين رغم أن السنّ المسوّس قد اقتلع؟".

"أعتقد أني أشعر أكثر بألم الأسنان الأخرى الآن".

ارتدينا ثياب النوم وارتدينا مزيدًا من الملابس في الجزء العلوي، وبدأت *ما* بغناء أغنية، *على الجانب الآخر من الجبل*.

غنيّت *على الجانب الآخر من الجبل*...

"الجانب الآخر من الجبل..".

"كان كلّ ما في وسعه أن يراه..".

غنّيت: *"تسعٌ وتسعون قنينة من البيرة على الجدار"* وصولًا إلى السبعين.

وضعت *ما* يديها على أذنيها، وقالت: "أرجوك هل في وسعنا أن نكمل ما تبقّى في الغد، ومن المؤكّد أن التيار الكهربائي سيعود بحلول ذلك الوقت".

قلت: "اتّفقنا".

"وحتى إذا لم يكن الأمر كذلك، فإنه لا يستطيع أن يوقف شروق الشمس".

من تقصد؟ نيك العجوز؟

"لماذا قد يوقف شروق الشمس؟".

"قلت لك إنه لا يستطيع"، عانقتني ما بقوّة وقالت لي: "أنا آسفة".

"لماذا أنت آسفة؟".

زفرت: "إنه خطأي، أنا التي أغضبته".

حدّقتُ إلى وجهها، ولكن بالكاد أستطيع رؤيته.

"لا يستطع تحمّل الأمر عندما أبدأ بالصراخ، لم أفعل ذلك لأعوام، إنه يريد معاقبتنا".

خفق قلبي بقوّة كبيرة: "كيف سيعاقبنا؟".

"كلا، أعني أنه بدأ بمعاقبتنا عبر قطع التيار الكهربائي".

"حسنًا، لا بأس بذلك".

ضحكت *ما*: "ما الذي تعنيه؟ نحن نتجمّد، ونتناول خُضروات لزجة.."

حاولتُ أن أتخيّل: "نعم، لكني اعتقدتُ أنه سيعاقبنا أيضًا، كأن يضع كلّ منا في غرفة منفصلة، لو كان لدينا غرفتان".

"أنت رائع يا جاك".

"لماذا أنا رائع؟".

قالت *ما*: "لا أعرف، لقد ولدت هكذا فحسب".

على السرير احتضنا بعضنا بشدّة، قلتُ لها: "لا أحبّ الظلمة".

"حسنًا لقد حان موعد النوم الآن، لذا ستكون الغرفة مظلمة في كلّ الأحوال".

"أعتقد ذلك".

"نحن نعرف بعضنا بعضًا ولا نحتاج أن ننظر إلى بعضنا، أليس كذلك؟".

"أجل".

"طاب ليلك، هانئٌ نومك، لا تدع حشرات السرير تقرصك".

"ألا يتوجّب علي الذهاب إلى الخزانة؟".

قالت *ما*: "ليس الليلة".

* * *

كان الهواء باردًا للغاية حين استيقظنا، وقد أشارت الساعة إلى 07:09، إنها تملك بطارية، إنها بمثابة طاقتها الخاصّة المخبّأة داخلها.

استمرّت *ما* بالتثاؤب لأنها بقيت مستيقظة في الليل.

أصابني ألم معدة، فقالت *ما* إن السبب ربما يعود إلى الخُضروات النيئة، وسأحتاج إلى مسكّن من العبوة، فأعطتني نصف حبّة فقط، وانتظرت إلّا أن ألم معدتي لم يتوقّف، وازداد سطوع الضوء القادم من كوّة السقف.

قلتُ *لما*: "أنا مسرور لأنه لم يأتِ في الليلة السابقة، أراهن أن الأمر سيكون رائعًا للغاية إن لم يأتِ على الإطلاق".

بدت متجهّمة بعض الشيء: "جاك، فكّر في الأمر".

"أنا أفكّر".

"أعني، ما الذي قد يحصل، من أين سنؤمّن الطعام؟".

أعرف إجابة هذا السؤال: "من الطفل يسوع في الحقول الموجودة في الخارج".

"ولكن من سيجلبها؟".

أوه.

نهضت *ما*، وقالت: "إن بقاء صنابير الماء تعمل هو إشارة جيّدة، فكان في وسعه أن يقطع الماء أيضًا، إلا أنه لم يفعل".

لا أعرف إلى ماذا يشير ذلك.

تناولنا بيغل على الفطور ولكنه بارد وطريّ.

سألتها: "ماذا سيحصل ما لم يُعد وصل التيار الكهربائي؟".

"أنا واثقةٌ من أنه سيفعل، ربما في وقت لاحق من اليوم".

بين الحين والآخر جرّبت تشغيل التلفاز، إنه مجرّد صندوق رماديّ غبي، أستطيع رؤية انعكاس وجهي فيه إلا أنه ليس بذات جودة المرآة.

أدّينا تمارين اللياقة البدنية التي استطعنا تذكّرها كي نشعر بالدفء، فلعبنا الكاراتيه، ولعبة الجذر، ولعبة يقول سايمون، وقفزنا على الترامبولين، ولعبنا لعبة الحَجلة التي يتوجّب علينا فيها القفز من بلاطة فلين إلى أخرى من دون أن نطأ الخطّ المحدّد أو نسقط على الأرض، ثم اختارت *ما* لعبة الغميضة، فربطت سروالي المموّه حول عينيها، واختبأتُ تحت السرير إلى جوار ثعبان البيض من دون أن أتنفّس، فبقيت ساكنًا كما لو أني صفحة في كتاب، استغرقت *ما* مئات الساعات حتى تمكّنت من إيجادي. اخترتُ لاحقًا لعبة التدلّي، فأمسَكَت *ما* بيدي وصعدتُ ماشيًا على ساقيها حتى أصبحت قدماي أعلى من مستوى رأسي، ثم تشقلبت رأسًا على عقب، فانسدلت ضفائري على وجهي ودغدغتني، وتشقلبت وها أنا ذا أعود واقفًا، أردتُ القيام بذلك عدّة مرّات، لكن معصم *ما* المصاب آلمها.

ثم أنهكنا التعب.

صنعنا جوّالًا من معكرونة طويلة وخيوط مربوطة وأشياء ملصقة بها، من صور صغيرة تعود إليّ ذات لون برتقالي وصور *لما* كلّها خضراء ورقاقات قصدير ملتوية وقصاصات من ورق المرحاض. ثبّتت *ما* طرف الخيط إلى السقف باستخدام آخر دبوس في صندوق المعدّات، فتدلّت المعكرونة محمّلة بكل الأشياء الصغيرة التي تطير منها عندما نقف تحتها وننفخ بقوّة.

أشعر بالجوع. لذا، قالت *ما* إن في وسعي تناول آخر تفاحة.

ماذا لو لم يقم نيك العجوز بجلب المزيد من التفاح؟

سألتها: "لماذا يستمرّ بمعاقبتنا؟".

لوت *ما* شفتيها: "انه يعتقد أننا أشياء يملكها، لأنه يملك الغرفة".

"كيف؟".

"في الحقيقة، هو من بناها".

يا له من أمر غريب، اعتقدت أن الغرفة وجدت من تلقاء نفسها: "ألم يصنع الله كلّ شيء؟".

لدقيقة لم تقل ما شيئًا، ثم فركت عنقي: "كلّ الأشياء الجيّدة، على كلّ حال".

لعبنا لعبة سفينة نوح على الطاولة، فتوجّب على كلّ الأشياء مثل المشط، والطبق الصغير، والمغرفة، والكتب، وسيارة الجيب أن تصطفّ للدخول إلى صندوق بسرعة قبل أن يأتي طوفان عملاق. في الواقع، لم تعد *ما* تلعب، بل وضعت رأسها بين راحتيها كما لو كان ثقيلًا.

قضمت التفاحة: "هل تؤلمك أسنانك الأخرى؟".

نظرت إليَّ عبر أصابعها، وبدت عيناها أكثر اتّساعًا.

"أيّ منها؟".

وقفت *ما* فجأة، وهذا أشعرني بالخوف، ثم جَلَسَت على الكرسي الهزّاز ومدّت يديها.

"تعالَ إلى هنا، أريد أن أروي لك حكاية".

"حكاية جديدة؟".

"نعم".

"ممتاز"، انتظرتْ إلى أن آويت إلى ذراعيها، فقضمت الجانب الآخر من التفاحة حتى أجعلها تدوم لفترة أطول، "أنت تعلم أن أليس لم تكن طوال الوقت في بلاد العجائب، أليس كذلك؟".

كانت تلك خدعة، فقد سبق لي أن عرفت هذه المعلومة: "نعم لقد دخلت بيت الأرنب الأبيض، وكبرت إلى درجة أنها اضطرّت أن تُخرج ذراعيها من النوافذ

وقدمها من المدخنة، فركلت بيل السحلية خارج المنزل بقوّة، مصدرة صوتَ كابوم، وهذا الجزء كان مضحكًا".

"كلا، أعني قبل حصول ذلك، هل تذكر أنها كانت مستلقية على العشب؟".

"ثم سقطت في حفرة لآلاف الأميال من دون أن تؤذي نفسها".

قالت *ما*: "حسنًا أنا مثل أليس".

ضحكت: "كلا، إنها فتاة صغيرة ذات رأس كبير، حتى إنّه أكبر من رأس دورا نفسها".

عضّت *ما* على شفتها، فهناك جزء داكن: "أجل، لكني انحدر من مكان آخر، مثلها تمامًا، كنت قبل وقت طويل...".

"في الجنّة".

وضعت *ما* أصبعها على فمي لتسكتني: "نَزَلتُ وكنتُ طفلة مثلك، عِشتُ مع أمي وأبي".

هززت رأسي رافضًا: "أنتِ هي الأم".

قالت: "لكني امتلكت واحدة أيضًا وكنت أناديها ماما، لازلت أملك واحدة".

لماذا تدّعين هذا، هل هذه لعبةٌ لا أعرفها؟

"إنها... أعتقد أن في وسعك مناداتها جدّتي".

مثل جدّة دورا، والقدّيسة آن في الصورة حيث جلست مريم العذراء في حجرها، أقوم الآن بأكل اللبّ، وتكاد أن تختفي التفاحة الآن، فوضعتها على الطاولة: "هل كبرتِ في بطنها؟".

"حسنًا، في الحقيقة لا، لقد كُنتُ متبنّاة، وقد قامت بذلك ووالدي- الذي يفترض بك أن تناديه جدّي- وكان لدي- ولا يزال- أخ أكبر منّي يدعى بول".

هززت رأسي غير مصدّق: "هو بذاته القدّيس".

"كلا، إنه بول مختلف".

كيف يعقل أن يوجد شخصان يسمّيان بول؟

"يمكنك أن تطلق عليه الخال بول".

هذا كمٌّ كبير من الأسماء، امتلأ رأسي، أما معدتي فلا تزال فارغة كما لو أن التفاحة لم تكن موجودة هناك.

"ماذا سنتناول على الغداء؟".

ابتسمت *ما* وقالت: "أنا أخبرك عن عائلتك".

هززت رأسي رافضًا.

"عدم لقائك بهم لا يعني أنهم غير حقيقيين، كثيرة هي الأشياء التي على سطح الأرض لا يمكنك حتى أن تحلم بوجودها".

"هل لدينا أي جبنة غير متعرّقة؟".

"ما أخبرك به مهمّ يا جاك، لقد عشتُ في منزل مع بابا وماما وبول".

توجّب عليَّ أن أشاركها اللعب حتى لا تغضب: "هل تقصدين منزلًا في التلفاز؟".

"كلا، لديّ منزل في الخارج".

هذا سخيف، لم تكن *ما* في الخارج مطلقًا.

"لكن، أجل، إنه يبدو مثل المنازل التي قد تراها على شاشة التلفاز، منزل يقع في أطراف المدينة، له فناء خلفي وأرجوحة شبكية".

"ما هي الأرجوحة الشبكية؟".

جلبتْ قلم رصاص من الرفّ ورسمت شجرتين، ومدّت بينهما حبالًا تشابكت مع بعضها ورسمت شخصًا يستلقي على الحبال.

"هل هذا قرصان؟".

"هذا أنا أتأرجّح على الأرجوحة الشبكية"، أرجحت الورقة من جانب إلى آخر، وبدت متحمّسة للغاية. "كما اعتدت الذهاب إلى ساحة اللعب برفقة بول لأتأرجح في الأراجيح أيضًا، وأتناول المثلّجات، واعتاد جدّك وجدّتك اصطحابنا في السيارة إلى حديقة الحيوانات وإلى الشاطئ، فكنت طفلتهما المدلّلة".

"كلا".

رفعت *ما* رأسها عن الصورة، فكانت الطاولة مبلّلة بالماء، ما جعل بياضها لماعًا.

قُلتُ لها: "لا تبكي".

مسحتْ الدموع عن وجهها: "لا أستطيع تمالك نفسي".

"لماذا لا تستطيعين تمالك نفسك؟".

"أتمنّى لو كان في وسعي وصف الأمر بطريقة أفضل، أنا أشتاق إلى ذلك".

"تشتاقين إلى أرجوحتك الشبكية؟".

"أشتاق إلى كلّ شيء، أشتاق إلى وجودي في الخارج".

تمسّكت بيدها، فهي تريدني أن أصدّقها، وأنا أحاول فعل ذلك، إلا أنه يسبّب لي ألمًا في رأسي: "هل عشتِ حقًّا في التلفاز في يوم من الأيام؟".

"قلت لك ليس في التلفاز، إنه العالم الحقيقيّ، لن تصدّق كم هو كبير"، رفعت ذراعيها، وأشارت إلى الجدران: "الغرفة مجرّد جزء صغير نتن منه".

قلت بما يشبه الزئير: "الغرفة ليست نتنة".

مسحت *ما* عينيها مجدّدًا: تكون كذلك فقط عندما تُطلق الريح".

"الريح التي تطلقينها أنت أسوأ من التي أطلقها، أنتِ تحاولين خداعي فحسب، توقّفي عن فعل ذلك في هذه اللحظة".

قالت: "حسنًا"، وبدت أنفاسها مثل الهسيس الذي يصدر عن البالون: "دعنا نتناول شطيرة".

"لماذا؟".

"قلت إنّك جائع".

"كلا أنا لست جائعًا".

بدت ملامح وجهها قاسية من جديد وقالت: "سأعدّ لك شطيرة وستتناولها، هل ستفهم؟".

أعدّت لي شطيرة زبدة الفستق فقط لأن الجبنة أصبحت لزجة، وجلستْ إلى جواري وأنا أتناولها، إلا أنها لم تعدّ واحدة لها: "أعرف أن هذا أكثر من قدرتك على الاستيعاب".

هل تقصد الشطيرة؟

تشاطرتُ وإياها عبوة من مربّى اليوسفي كتحلية، تناولتُ القطع الكبيرة لأنها تفضّل القطع الصغيرة.

قالت *ما* وأنا أرتشف العصير: "لن أكذب عليك بهذا الشأن، لم أستطع أن أخبرك من قبل لأنك كنت أصغر من أن تفهم. لذا، أعتقد أني كنت أكذب نوعًا ما حينها، ولكنك الآن تبلغ الخامسة، أعتقد أنّك تستطيع فهمي".

هززت رأسي غير مصدّق.

"ما أفعله الآن هو نقيض الكذب، إنه بمثابة التراجع عن الكذب".

حظينا بقيلولة طويلة.

استيقظت *ما* قبلي، ونظرت إليَّ عن بعد بوصتين فحسب، فتملّصت منها نزولًا إلى الأسفل لأحظى بالقليل من الجهة اليسرى.

سألتها: "لماذا لا تحبّين المكان هنا؟".

اعتدلت في جلستها، وسحبت قميصها إلى الأسفل.

"لم أنتهِ بعد".

قالت: "بل انتهيت، لقد كنت تتكلّم".

جلست بدوري: "لماذا لا تحبّين العيش معي في الغرفة؟".

ضمّتني ما بشدّة: "أحب دائمًا العيش برفقتك".

"لكنكِ قلت إنها صغيرة ونتنة".

"أوه يا جاك"، لم تنبس ببنت شفة لدقيقة: "نعم أفضّل العيش في الخارج، لكن برفقتك".

"أحبّ العيش برفقتك هنا".

"حسنًا".

"كيف صنعها؟".

أعتقد أنها عرفت من أعني، ظننتُ أنها لن تخبرني، ثم فعلت: "في الحقيقة، كانت عبارة عن سقيفة حديقة عندما بدأ بها، تبلغ مساحتها 12|12، من الفولاذ المكسوّ بالفلين، إلا أنّه أضاف كوّة سقف عازلة للصوت، والكثير من الموادّ العازلة بين الجدران إضافة إلى طبقة من الرصاص، لأن الرصاص يعزل كلّ الأصوات، أوه، وبابًا آمنًا له مفتاح برقم سرّي، وهو دائمًا يتباهى بالعمل الأنيق الذي أنجزه"، مرّت فترة بعد الظهر ببطء.

قرأنا كلّ الكتب المصوّرة في جوّ يتجمّد فيه المرء، وبدت كوّة السقف مختلفة اليوم، فيها جزء أسود كالعين: "انظري يا ماما".

حدّقت *ما* إلى الأعلى وابتسمت: "إنها ورقة شجر".

"لماذا؟".

"لابدّ أن الريح اقتلعتها من الشجرة، وطيّرتها ورمت بها على الزجاج".

"هل يوجد شجرة حقيقية في الخارج؟".

"أجل، هل ترى؟ إنها بمثابة إثبات، العالم بأكمله هناك في الخارج".

"دعينا نلعب شجرة الفاصولياء، نضع كرسيّي على الطاولة.." ساعدتني على القيام بذلك، "ثم سلّة القمامة فوق كرسيّي"، وقلت لها، "ثم سأتسلّق إلى الأعلى..."

"هذا ليس آمنًا".

"كلا إنه كذلك إن وقفتِ على الطاولة وأمسكتِ سلّة القمامة حتى لا يختلّ توازني".

قالت *ما* بما يشبه النفي: "همم".

"دعينا نجرّب، أرجوكِ، أرجوكِ؟".

سار الأمر بشكل مثالي، فلم أسقط على الإطلاق، عندما أقف فوق سلّة القمامة أستطيع أن أمسك حوافي سقف الفلّين حيث ينحرف بشكل مائل عند كوّة

السقف، هناك شيء ما فوق زجاج كوّة السقف لم أرَه من قبل، "خلية نحل" أخبرت *ما*، وأنا أمسّدها.

قالت: "إنها شبكة من مادّة البوليكاربونات، إنها غير قابلة للكسر، اعتدتُ الوقوف هنا كثيرًا للنظر إلى الخارج، قبل أن تولد".

"الورقة سوداء اللون بالكامل ومثقّبَة".

"نعم، أعتقد أنها ورقة ميتة، من الشتاء الماضي".

أستطيع رؤية اللون الأزرق حولها، إنها السماء، وهناك بعض اللون الأبيض فيها، قالت *ما* إن ذلك هو الغيم، حدّقت عبر خلية النحل، حدّقت وحدّقت لكن كلّ ما رأيته هو السماء فحسب، لم يكن فيها شيء يحوم في الأرجاء مثل السفن، أو القطارات، أو الخيول، أو الفتيات، أو ناطحات السماء.

دفعت يد *ما* بعيدًا عندما نزلت عن سلّة القمامة وكرسيّي.

"جاك..".

قفزت إلى الأرض بمفردي: "الكاذب المدّعي، تشوي النار بنطاله شويًا، لا يوجد خارج".

بدأت تفسّر لي أكثر، لكني وضعت أصابعي في أذني وصرخت: "هراء، هراء، هراء، هراء".

لعبت بالجيب وحدي، وكدت أن أبكي، لكني ادّعيت عكس ذلك.

نظرت *ما* من فوق خزانة الملابس، إنها تقوم بطرق العلب، أعتقد أني أستطيع سماعها تقوم بالعدّ، إنها تعدّ الكمّية المتبقّية لدينا.

أشعر بالبرد الشديد الآن، يداي خدرتان تحت الجوارب التي ارتديها فوقهما.

ظللت أتساءل إن كنّا نستطيع تناول ما تبقّى من حبوب الفطور حتى قالت *ما* أجل، أرقت بعضًا منها لأني لم أعد أشعر بأيّ من أصابعي.

بدأ الظلام يحلّ، و*ما* تحفظ في رأسها كلّ أغاني كتاب أناشيد الأطفال الكبير، فطلبت سماع أنشودة، *برتقال وليمون*. أفضل مقطع بالنسبة إليّ هو: "لا أعلم، قال

جرس الأُنشوطة العظيم"، لأن كلّ شيء يبدو عميقًا مثل الأسد، كذلك عن حوّامة آتية لتقطع رأسك. "ما هي الحوّامة؟".

"إنها سكين كبير على ما أعتقد".

قلت لها: "لا أظنّ ذلك، إنها طائرة مروحية تدور شفرتها بسرعة كبيرة وتقوم بفرم الرؤوس".

"مقزّز".

لسنا نعسين، لكن ما من شيء يمكننا القيام به بما أننا لا نستطيع الرؤية.

جلسنا على السرير، وغنّينا أناشيدنا الخاصّة.

"صديقنا زوبعة يحبّ الدغدغة".

"أصدقاؤنا الذين يسكنون الفناء الخلفي يجب أن يحاولوا بشكل قويّ".

قلتُ *لما*: "هذه جميلة، صديقتنا فيروز في السباق تفوز".

قالت *ما*: "لقد ربحت صديقتنا مرح تحبّ المسبح". "صديقنا بارني يعيش في المزرعة–ني".

"هذا غشّ".

قُلت: "حسنًا، صديقنا الخال بول سقط سقوطًا مهول".

"لقد سقط عن دراجته النارية ذات مرّة".

نسيتُ أنه حقيقي: "لماذا سقط عن دراجته النارية؟".

"عن طريق الخطأ، لكن سيارة الإسعاف أخذته إلى المستشفى وعالجه الأطباء".

"هل أجروا له عملية؟".

"كلا، كلا، وضعوا جبيرة على يده فحسب ليوقفوا الألم".

إذًا المشافي حقيقية وكذلك الدراجات النارية، يكاد دماغي ينفجر من كثرة الأشياء الجديدة التي عليَّ تصديقها.

اتّشح كلّ شيء بالظلمة باستثناء كوّة السقف حيث امتزجت العتمة ببعض الضياء، فقالت *ما* إن هناك ضياء ينبعث بشكل دائم من مصابيح الشوارع في المدينة،

ومصابيح الأبنية، وكل الأشياء الأخرى.

"أين تقع المدينة؟".

قالت وهي تشير إلى جدار السرير: "إنها تقع هناك في الخارج".

"نظرتُ عبر كوّة السقف إلا أني لم أرَها على الإطلاق".

"نعم، لهذا غَضِبتَ مني".

"أنا لست غاضبًا منك".

ردَّت لي قُبلتي: "تُطلّ كوّة السقف مباشرة نحو الأعلى إلى السماء، ومعظم الأشياء التي أخبرتك عنها تقع حولنا على الأرض، ولكي نراها نحن بحاجة إلى نافذة تطلّ على الجوانب".

"في وسعنا أن نطلب نوافذ جانبية كهدية ليوم الأحد".

بدت *ما* وكأنها تضحك.

نسيتُ أن نيك العجوز لم يعد يأتي، ولعلّ المصّاصة التي حظيت بها هي آخر هدية يوم أحد على الإطلاق.

أعتقدُ أنني على وشك البكاء، لكن عوضًا عن ذلك تثاءبت ملء شدقيّ، وقلت: "تصبحين على خيرٍ يا غرفة".

قالت *ما*: "أحان الوقت؟ حسنًا إذًا، تصبح على خير".

"تصبح على خير أيها المصباح والبالون"، انتظرتُ *ما* إلّا أنها لم تقل المزيد من العبارات: "تصبحين على خير يا سيارة الجيب، تصبح على خير يا جهاز التحكّم، تصبحين على خير أيتها السجّادة، تصبحين على خير أيتها البطانية. وهانئ نومك، ولا تدع الحشرات تقرصك"

* * *

أيقظني صوت ضوضاء تتعالى وتتعالى، لم تكن *ما* في السرير، وهناك ضوء خافت، والهواء لا يزال قارص البرودة، فنظرت إلى الحافّة وها هي ذا موجودة في وسط

الأرضية تضربها بيدها مصدرة صوت طاخ، طاخ، طاخ: "ماذا فعلت الأرضية؟".

توقّفت *ما* وأطلقت زفيرًا طويلًا وقالت: "أشعر برغبة في ضرب شيء ما، لكنني لا أريد أن أحطّم أي شيء".

"لم لا؟".

"في الحقيقة أرغب في أن أحطّم شيئًا ما، أودّ لو أحطّم كل شيء".

لا أحبّ أن أراها هكذا: "ماذا سنتناول على الفطور؟".

حدّقت *ما* إليّ، ونهضت وتوجّهت نحو خزانة الطعام، وجلبت خبز بيغل، أعتقد أنها القطعة الأخيرة.

تَنَاوَلَت ربعها فحسب، إنها لا تشعر بجوع شديد.

ينتشر ضباب عندما نزفر ونخرج أنفاسنا، فقالت *ما*: "يحصل هذا لأن الطقس أبرد اليوم".

"قُلتِ لن يزداد الطقس برودةً".

"آسفة لقد كنت مخطئة".

أنهيت تناول البيغل: "هل لا أزال أملك جدّةً وجدًّا والخال بول؟".

قالت *ما* وقد ارتسم على فمها طيف ابتسامة: "أجل".

"هل هم في الجنة؟".

"كلا، كلا"، ضغطت على شفتيها: "لا أعتقد ذلك على أي حال، يكبرني بول بثلاثة أعوام فحسب، هذا يعني أنه يبلغ، يا إلهي، لابدّ أنه يبلغ التاسعة والعشرين الآن".

قُلتُ هامسًا: "في الحقيقة إنهم هنا، مختبئون".

نظرت *ما* في الأرجاء: "أين؟".

"تحت السرير".

"لابدّ أنهم محشورون في مكان ضيّق، إنهم ثلاثة، وهم كبار الحجم للغاية".

"هل هم بحجم أفراس النهر؟".

"ليس بذلك الحجم".

"ربما هم في... الخزانة".

"مع فساتيني؟".

"نعم، وصوت القرقعة الذي نسمعه يصدر عنهم عندما يرتطمون بالعلّاقات".

أصبح وجه *ما* جامد الملامح.

قلت لها: "أنا أمزح فحسب".

هزّت رأسها.

"ألا يستطيعون الحضور إلى هنا بشكلٍ حقيقيّ في يومٍ من الأيّام؟".

قالت: "أتمنّى لو أنهم يستطيعون، أصلّي لحصول هذا في كلّ يوم".

"لا أسمعك تقومين بذلك".

قالت *ما*: "أصلّي بصمت".

لم أعرف أنها تُصلّي لأشياءٍ في رأسها فقط حيث لا أستطيع أن أسمعها.

قالت: "إنهم يتمنّون حصول ذلك أيضًا إلا أنهم لا يعرفون مكان تواجدي".

"أنتِ في الغرفة برفقتي".

"لكنهم لا يعرفون أين تقع، وهم لا يعرفون بوجودك على الإطلاق".

هذا أمر غريب: "في وسعهم إلقاء نظرةٍ على خريطة دورا، وفي وسعي أن أقفز فجأة لأفاجئهم عندما يأتون".

كادت *ما* أن تضحك: "لا توجد الغرفة على أيّةِ خريطة".

"في وسعنا إخبارهم عبر الهاتف، يملك بوب البنّاءُ واحدًا".

"لكننا لا نملك".

"بإمكاننا أن نطلب واحدًا كهدية ليوم الأحد"، ثم تذكّرت: "إذا توقّف نيك العجوز عن الغضب".

"لن يعطينا هاتفًا على الإطلاق يا جاك، ولا حتى نافذة"، أمسكت *ما* بإبهاميّ وضغطتهما: "نحن مثل الأشخاص الذين يعيشون في الكتب، وهو لن يسمح لأي شخص آخر أن يقرأها".

ركضنا على المسار كتدريب على اللياقة البدنية، فمن الصعوبة بمكان تحريك الطاولة والكراسي عند عدم إمكان الإحساس بأيدينا وأقدامنا. ركضتُ عشر مرّات ذهابًا وإيابًا إلا أني لم أشعر بالدفء، وتعثّرت أصابع قدمي. ولعبنا الكاراتيه وقفزنا على الترامبولين، ثم اخترتُ لعبة شجرة الفاصولياء مرّة أخرى، بعد أن قالت *ما*، لا بأس بذلك إن وعدتها بألا أهلع عندما لا أرى شيئًا، فتسلّقت الطاولة، ثمَّ كرسيي، فسلّة القمامة من دون أن أتمايل حتى، وتمسّكت بالحافّة حيث يميل السقف عند الكوّة، وحدّقت بتركيز إلى اللون الأزرق عبر خلية النحل لدرجةٍ اضطررتُ فيها إلى أن أرمش. وبعد برهة قالت *ما* إنها تريد النزول لإعداد الغداء.

"لا أريد أن أتناول الخضار، أرجوك، لا تستطيع معدتي هضمها".

"علينا أن نستهلكها كلّها قبل أن تفسد".

"في وسعنا أن نتناول المعكرونة".

"تكاد أن تنفد من عندنا".

"ماذا عن الأرز. ماذا لو...". ثم نسيت أن أتكلّم بسبب ما شاهدته عبر خلية النحل، رأيت شيئًا صغيرًا للغاية لدرجة اعتقدتُ أنه أحد تلك الأشياء التي تطوف في عيني، إلّا أنها لم تكن كذلك، إنه خطّ صغير يصنع خيطًا أبيض سميكًا في السماء. "*ما*...".

"ما الأمر؟".

"إنها طائرة".

"حقًّا؟".

"إنها حقيقية. أوه..".

ثم قفزت إلى *ما* ومنها إلى السجّادة لتسقط سلّة القمامة علينا وتتبعها كرسيّي أيضًا، فقالت *ما* أخ أخ أخ وفركت معصمها: "أنا آسف، أنا آسف"، قبّلتها لتشعر بتحسّن: "لقد رأيتها، إنها طائرة حقيقية إلا أنها صغيرة".

قالت وهي تبتسم: "لأنها بعيدة للغاية فحسب، أراهن أنك إن رأيتها عن قرب ستكون كبيرة جدًّا في الواقع".

"إنها أروع شيء على الإطلاق، إنها ترسم الحرف i في السماء".

صَفَعَت رأسها: "هذا يدعى..، لا أستطيع أن أتذكّر، إنه نوع من الخطوط، أو دخان الطائرة أو شيء من هذا القبيل".

على الغداء تناولنا قطع البسكويت السبع المتبقية مع الجبنة اللزجة، وحبسنا أنفاسنا حتى لا نشعر بطعمها.

سمحت لي *ما* بالحصول على القليل تحت اللحاف، فتسلّل بريق وجه الله الأصفر، ولكن ليس بما يكفي للحصول على حمّامٍ شمسيّ، لا أستطيع التوقّف عن التشغيل، حدّقتُ إلى كوّة السقف بتركيز كبير لدرجة أنني شعرت بحكّةٍ في عينيّ إلا أني لم أرَ مزيدًا من الطائرات، لقد رأيت تلك الطائرة بالفعل عندما كنت على شجرة الفاصولياء، لم تكن حلمًا، لقد شاهدتها وهي تطير في الخارج، وبالتالي هناك خارج بالفعل حيث كانت *ما* طفلة صغيرة.

نهضنا ولعبنا مهد القطّة والدومينو والغواصّة، ولعبنا بالدمى، وبكثير من الأشياء الأخرى، وقد خصّصنا القليل من الوقت لكلّ منها، ثم دندنّا، فمن السهل أن نخمّن الأغاني، وأخيرًا عدنا إلى السرير لنحظى ببعض الدفء.

قلت: "دعينا نذهب إلى الخارج في الغد".

"آه يا جاك".

استلقيتُ على ذراع *ما* التي بدت سميكة بسبب الكنزتين اللتين ارتدتهما: "أحب الرائحةِ التي تفوح من هناك".

أزاحت يدها حتى تتمكّن من رؤيتي.

"يختلف الهواء الذي يندفع عندما يُفتح الباب عند الساعة التاسعة عن هواء الغرفة".

قالت *ما*: "هل لاحظت ذلك".

"أنا ألاحظ كلّ الأشياء".

"نعم، إنه أكثر نقاءً، تفوح رائحة العشب المقصوص في الصيف، لأننا نسكن في فنائه الخلفي".

"ألمحُ في بعض الأحيان شجيرات وأسيجة في الحديقة الخلفية، لمن هي؟".

"لنيك العجوز، صُنعت الغرفة من كوخه ألا تذكر؟".

من الصعب تذكّر كل الأشياء، لا يبدو أيّ منها حقيقيًا بما فيه الكفاية.

"هو الشخص الوحيد الذي يعرف الرموز التي يجب الضغط عليها في لوحة المفاتيح الخارجية".

حدّقتُ إلى لوحة المفاتيح، لم أعرف أن هناك لوحة أخرى: "أنا أضغط الأرقام".

"نعم، ولكن ليست الأرقام السرّية التي تفتح الباب، إنها بمثابة مفتاح خفيّ"، قالت *ما*، وهي تشير إلى لوحة المفاتيح: "ثم يُدخل الرمز السرّي مجدّدًا على هذه اللوحة، عندما يعود أدراجه إلى المنزل".

"هل تقصدين المنزل الذي يحتوي على أرجوحةٍ شبكية؟".

قالت *ما* بصوت مرتفع: "كلا، يعيش نيك العجوز في منزل مختلف".

"هل نستطيع زيارة منزله في يوم من الأيّام؟"

ضغطت على فمها براحة يدها: "أُفضّل الذهاب إلى منزل جدّتك وجدّك".

"نستطيع أن نتأرجّح في الأرجوحة الشبكية".

"سنتمكّن من القيام بما نشاء، سنكون أحرارًا".

"هل سنفعل ذلك عندما أبلغ السادسة من عمري؟".

"سنفعل ذلك في يوم من الأيّام".

انسكبت بعض قطرات الماء على وجهي، فقفَزت، إنه مالح الطعم.

قالت وهي تفرك خدها: "أنا على ما يرام"، أنا على ما يرام، كلّ ما في الأمر أني خائفة بعض الشيء".

قُلتُ بما يشبه الصراخ: "لا يمكنك أن تخافي، هذه فكرة سيّئة".

"فقط بعض الشيء، سنكون على ما يرام، لا تزال لدينا الأساسيات".

أشعرُ بخوف أكثر الآن: "لكن ماذا إن لم يُعِدْ نيك العجوز وصل التيار الكهربائي مرّةً أخرى، ولم يجلب لنا مزيدًا من الطعام، أبدًا أبدًا أبدًا؟".

قالت وهي تتنفّس بعمق: "سيفعل ذلك، أنا على يقين مئة بالمئة أنه سيفعل ذلك"، تقريبًا مئة بالمئة، هذا يعني تسعًا وتسعين، فهل تكفي تسع وتسعون؟

جلست *ما* وحكّت وجهها بكم الكنزة الصوفية.

أخذت معدتي تقرقر، وتساءلت ما الذي تبقّى لدينا، لقد بدأ الظلام يحلّ من جديد، ولا أعتقد أن الضوء سينتصر.

"أنصت يا جاك، أريد أن أقصّ عليك حكاية أخرى".

"حكاية حقيقية؟".

"حقيقية بالكامل، هل تعرف كيف اعتدتُ أن أكون حزينةً بالكامل؟".

أحبّ هذه الحكاية: "ثم نزلتُ من الجنّة وكبرتُ في بطنك".

قالت *ما*: "أجل، لكن انظر، السبب الذي دفعني إلى الحزن هو الغرفة، لم أكن أعرف من هو نيك العجوز، كنت في التاسعة عشرة من عمري، عندما سرقني".

أحاول أن أفهم، سنقر لا تَسرق، لكن لم أسمع من قبل عن أناسٍ يسرقون بأنفسهم.

أمسكت بي *ما* بشدّة: "كنتُ طالبةً، وكنت أعبر مرآب السيارات للوصول إلى مكتبة الكلية في الصباح الباكر، وأنا أستمع إلى... إنها آلة صغيرة تَحمِلُ ألف أغنية تسمعها من خلال سمّاعة تضعها في أذنك، وكنتُ الأولى بين أصدقائي التي تحصل على واحدةٍ منها.

أتمنّى لو أني أملك مثل تلك الآلة.

"على كلّ حال، اندفع الرجل طالبًا المساعدة، قائلًا إن كلبه قد أصابته نوبة ما، وهو يعتقد أنه يُحتضر".

"ما اسمه؟".

"هل تقصد الرجل؟".

هززت رأسي نافيًا: "الكلب".

"كلا، كان الكلب مجرّد خدعة ليستدرجني إلى شاحنة النقل الصغيرة، شاحنة نيك العجوز".

"ما لونها؟".

"هل تقصد الشاحنة؟ لونها بنّي، لا يزال يمتلكها، إنه يتذمّر دائمًا بشأنها".

"كم عجلة لديها؟".

قالت *ما*: "أريدك أن تركّز على الأشياء المهمّة".

هززت رأسي إيجابًا، فأحكمت قبضتيها على يديّ، فأرخيتهما.

"عَصَبَ عينيّ...".

"مثل لعبة الغميضة؟".

"أجل، إلّا أنها غير ممتعة، ثم قاد السيارة طويلًا، فانتابني الرعب".

"أين كنتُ أنا؟".

"لم تكن قد ولدت بعد، ألا تتذكّر؟".

نسيت.

"هل كان الكلب في الشاحنة أيضًا؟".

بدا صوت *ما* نزقًا: "لم يكن هناك كلب، عليكَ أن تسمح لي بأن أقصّ عليك الحكاية".

"هل أستطيع أن اختار واحدة أخرى؟".

"ذلك ما قد حصل".

"هل تستطيعين أن تقصّي عليَّ حكاية جاك قاتل العمالقة؟".

قالت *ما* وهي تضع يدها على فمي: "اسمع، أرغمني على تناول دواءٍ سيّئ حتى أنام، وعندما استيقظت وجدت نفسي هنا".

عمّ الظلام بشكل شبه كامل، ولم أعد أستطيع الآن رؤية وجه *ما* على الإطلاق، فأشاحت بوجهها بعيدًا حتى يتسنّى لي سماعها فقط.

"في المرّة الأولى التي فتح فيها الباب صرخت طالبة المساعدة، إلا أنه طرحني أرضًا، فلم أحاول القيام بذلك مجدّدًا".

أشعر بألم في معدتي.

قالت *ما*: "اعتدتُ الخوف من الخلود إلى النوم خشية أن يعود مجدّدًا، إلا أن الوقت الذي أنام فيه هو الوقت الوحيد الذي أقضيه من دون بكاء. لذا، اعتدت النوم ستّ عشرة ساعة في اليوم الواحد".

"هل صنعتِ بِركَة؟".

"ماذا؟".

"بَكَت أليس حتى صنعت بِركة لأنها لم تتمكّن من تذكّر كلّ قصائدها وكلّ الأرقام، ثم غرقت".

قال *ما*: "كلا، لكن رأسي آلمني طوال الوقت، وكانت عيناي مثقلتين، وجعلتني رائحة الفلّين أشعر بالإعياء".

أيّة رائحة؟

"كِدتُ أُجنّ وأنا أراقب ساعتي وأعدّ الثواني، لقد أفزعني الأمر، بدت وكأنها تكبر أو تصغر وأنا أراقبها، ولكن إن أشحت بنظري عنها كانت تمرّ بسلاسة وسرعة. وفي نهاية المطاف، عندما جَلَبَ لي تلفازًا تركتهُ يعمل طوال الأسبوع على مدار أربعٍ وعشرين ساعة، فكان يعرض أشياء تافهة، ودعايات لأطعمةٍ أتذكّرها، حتى أصبح رأسي يؤلمني من كثرة التفكير، ومن شدّة ما أشتهيها جميعًا. كما بتُّ أسمع أصواتًا تخاطبني من التلفاز وتخبرني بأشياء كثيرة".

"مثل دورا؟".

هزّت رأسها نافية: "حاولت أن أهرب في أثناء تواجده في العمل، فجرّبت كلّ شيء، وقفت على أطراف أصابعي على الطاولة لأيّام وأنا أحاول أن أحفر حول كوّة

السقف، لكني كسرت أظافري، وقذفت بكلّ شيء استطعت التفكير فيه، إلّا أن الشبكة كانت متينة للغاية، فلم أستطع حتى أن أتمكّن من كسر الزجاج".

تبدو كوّة السقف كما لو أنها مربّع من الظلمة: "ماذا تقصدين بكلّ شيء؟".

"القِدر الكبير، الكراسي، سلّة القمامة.."

يا إلهي، أتمنّى لو أني رأيتها وهي تقذف سلّة القمامة.

"في بعض الأحيان حفرت حفرة".

شعرت بالحيرة: "أين؟".

"في وسعك تحسّسها، هل ترغب في القيام بذلك؟ علينا أن نزحف..." رمت *ما* اللحاف بعيدًا، وأخرجت الصندوق من أسفل السرير، وأصدرت صوت نخر ضعيف، فانزلقت إلى جوارها، وها نحن بالقرب من ثعبان البَيض، لكننا لم نسحقه: "اقتبستُ الفكرة من فيلم الهروب العظيم"، فبدا صوتها مكتومًا بالقرب من رأسي.

تذكّرتُ تلك القصّة التي تدور حول المعسكر النازيّ، لا أقصد المعسكر الصيفيّ الذي يحتوي على حلوى المارشملو، لكنه معسكر شتويّ يتضمّن ملايين الأشخاص الذين يشربون حساء يرقات الحشرات. وقد فَتَحَ الحلفاء البوّابات واندفع الجميع هاربين، أعتقد أن الحلفاء ملائكة يشبهون ملائكة القدّيس بيتر.

"أعطِني أصابعك..." سحبتها *ما*، فتحسّست فلين الأرضية: "هنا بالضبط"، فشعرت فجأة ببقعة غائرة ذات حوافٍ حادّة، فتزايدت نبضات قلبي بوم بوم. لم أعرف من قبل بوجود حفرة، فقالت: "احذر من أن تجرح نفسك، لقد حفرتها بواسطة سكّين مسنّن، فأزلت الفلّين، لكن الخشب استغرق منّي فترة من الزمن، وبعد ذلك كانت طبقة الرصاص والمادّة الرغوية سهلة بما فيه الكفاية، لكن أتعرف ماذا وجدت بعد ذلك؟".

"بلاد العجائب؟".

أصدرت *ما* صوتًا غاضبًا مرتفعًا لدرجة أنه أجفلني فصدمتُ رأسي بالسرير.

"آسف".

"وجدت سياجًا شبكيًا".

"أين؟".

"ها هنا في الحفرة".

سياج في الحفرة؟ مددت يدي عميقًا نحو الأسفل ثم أعمق.

"هناك شيء معدنيّ، هل وصلت إليه؟".

"نعم، إنه بارد، ومصقول، سحبته بأصابعي".

قالت *ما*: "أخفى طبقة من السياج تحت الأساسات، عندما كان يحوّل الكوخ إلى غرفة، وفعل ذلك في كلّ الجدران إضافة إلى السقف أيضًا. لذا، لم أتمكّن من اختراقها".

زحفنا إلى الخارج، وجلسنا وقد أسندنا ظهرينا إلى السرير، وأنا أشعر بأن أنفاسي انقطعت بشكل كامل.

قالت *ما*: "عندما اكتشف أمر الحفرة أخذ يصدر صوتًا كالعويل".

"مثل الذئب؟".

"كلا، أخذ يضحك، فخِفتُ أن يؤذيني، إلا أنه اعتقد في حينها أن الأمر مثير للضحك".

كززت على أسناني بقوّة.

قالت *ما*: "ضحك أكثر في ذلك الحين".

نيك العجوز عبارة عن سارقٍ زومبي لصّ مقرف، قلت لها: "بإمكاننا أن نتمرّد عليه، سأحطّم أجزاءه بواسطة المتحوّل ميغاترون خاصّتي".

طَبَعَت قبلة على طرف عيني: "لن نستفيد شيئًا إن أذيناه، جرّبتُ ذلك ذات مرّة، بعد أن أمضيت هنا قرابة عام ونصف".

لابدّ أن ذلك رائع: "لقد آذيت نيك العجوز".

"ما فعلتهُ هو التالي، أزلت غطاء المرحاض، وأخذت السكّين الحادّة أيضًا، ووقفت ذات أمسية إلى جانب جدار الباب قبل أن تصبح الساعة التاسعة".

غمرتني الحيرة: "لا يملك المرحاض أيّ غطاء".

"كان هناك واحد في السابق، أعلى الخزّان، كان أثقل شيء موجود في الغرفة".

"السرير ثقيل للغاية".

قالت *ما*: "لكنني لا أستطيع حمل السرير أليس كذلك؟ لذا، عندما سمعته قادمًا.."

"هل تقصدين عند صدور صوت بيب بيب؟".

"بالضبط، كسرت غطاء الحمام على رأسه".

فوضعتُ إبهامي في فمي وعضضته أكثر وأكثر.

"لكني لم أضربه بالقوّة الكافية، فوقع الغطاء على الأرض وانشقّ إلى قطعتين، وتمكّن- نيك العجوز- من تدبّر أمر إغلاق الباب".

شعرتُ بطعم شيء غريب.

بدا صوت *ما* عميقًا: "عرفتُ أن فرصتي الوحيدة هي أن أجبره على إخباري بالرقم السرّي. لذا، وضعت السكّين على حنجرته، هكذا"، وضعت ظفر إصبعها تحت ذقني، فلم أستسغ ذلك: "قلتُ له، أخبرني بالرقم السرّي".

"هل فعل ذلك؟".

زفرت: "أخبرني ببعض الأرقام، وتوجّهتُ مسرعة إلى اللوحة لإدخالها".

"أيّة أرقام؟"

"لا أعتقد أنها كانت الأرقام الحقيقية، وفي الحال قفز وكسر معصمي وانتزع السكّين من يدي".

"المعصم الذي يؤلمك".

قالت *ما* وقد لامست شفتاها شعري: "في الحقيقة، لم يكن يؤلمني قبل تلك الحادثة، لا تبكِ، حَصَلَ ذلك قبل وقت طويل".

حاولت أن أتكلّم إلا أنني عجزت عن قول أيّ شيء.

"لذا، يتوجب علينا أن لا نحاول مرّة أخرى وإلحاق الأذى به يا جاك، إذ أخبرني عندما عاد في الليلة التالية أمرين، أوّلهما أنه لن يجبره أيّ شيء على إخباري بالرقم السرّي إطلاقًا، وثانيهما، أنه إن جرّبت يومًا المجازفة مجدّدًا فسيختفي حتى أتضوّر جوعًا أكثر فأكثر إلى أن أموت".

لذا، أعتقد أنها توقّفت.

أخذت معدتي تصدر قرقرة بصوت مرتفع، واكتشفت السبب، لماذا أخبرتني *ما* بهذه القصّة المروّعة؟ أهي تخبرني أننا...

ثم أخذت أرمشُ، وغطّيت عينيّ، فبدا كلّ شيء مبهرًا عندما فتحتهما، لأن المصباح عاد وأضاء المكان من جديد.

مكتبة
t.me/t_pdf

الاحتضار

غمر الدفء كلّ شيء، استيقظت *ما* قبلي، فوجدت على الطاولة علبةً جديدةً من حبوب الفطور وأربع موزات، يا للفرح يوبيبي، لابدّ أن نيك العجوز قد أتى في الليل، فقفزتُ خارج السرير، وهناك معكرونة أيضًا، وهوت دوغ ومندرين و...

لم تأكل *ما* أيًّا منها، وقد وقفت بالقرب من خزانه الملابس وهي تنظر إلى النبتة، وقد تساقطت ثلاث أوراق، فلمست *ما* ساق النبتة و...

"كلا!".

"إنها ميتة".

"لقد حطّمتها".

هزّت *ما* رأسها نافية: "الأشياء الحيّةُ تنتهي يا جاك، أعتقد أن البرد هو السبب، لقد أدّى إلى تيبّس النبتة من جذورها بالكامل".

حاولتُ أن أعيد تثبيت جذعها على ما كان عليه في السابق: "تحتاج إلى شريط لاصق"، فتذكّرتُ أننا لم نعد نملك أيًّا منه، فقد وضعت *ما* آخر قسم متبقٍّ على المركبة الفضائية، *ما* غبية. ركضتُ لأخرج الصندوق من تحت السرير، وعثرت على سفينة الفضاء، ونزعت عنها الشريط اللاصق.

اكتفت *ما* بمراقبتي، ضَغَطتُ الشريط اللاصق على النبتة، إلا أنها انزلقت، وتفتّتت أجزاؤها.

"أنا آسفة للغاية".

قلتُ *لما*: "أعيديها إلى الحياة مجدّدًا".

"يا ليتني أستطيع".

انتَظَرَت إلى أن توقّفتُ عن البكاء، فمسحت عينيّ، وبدأت أشعر بحرارة عالية الآن. لذا، خلعت ملابسي الإضافية.

قالت *ما*: "أعتقد أنه من الأفضل رميها في القمامة".

قلت: "كلا، فلنضعها في المرحاض".

"قد يتسبّب ذلك في انسداد الأنابيب".

"نستطيع أن نُفتّتها أجزاءً صغيرة..."

قبّلت عدّة أوراق من النبتة وتخلّصت منها في المرحاض، ثم أتّبعتها ببضع أوراق أخرى وتخلّصت منها، ثم تخلّصت من الساق بعد أن قطّعته إلى عدّة أجزاء، وهمست: "وداعًا أيتها النبتة"، ربما تلتصق أجزاؤها من جديد في البحر وتنمو هناك حتى تعود إلى الجنّة.

تذكّرتُ أن البحر حقيقيّ، إنه حقيقيّ في الخارج، وكلّ شيء حقيقيّ هناك، لأنني رأيت الطائرة في المساحة الواسعة ذات اللون الأزرق بين الغيوم، ولكن لا أستطيع و*ما* أن نخرج لأننا لا نعرف الرمز السرّي، ومع ذلك لا تزال حقيقيةً بغضّ النظر عن ذلك.

لم أعرف من قبل أنه يتوجّب عليَّ الغضب لأننا لا نستطيع فتح الباب، فرأسي أصغر بكثير من أن يتّسع للعالم الخارجيّ، وقد اعتدتُ التفكير مثل ولد صغير عندما كنت أبلغ عامًا واحدًا، لكنني أعرف كلّ شيء وأنا أبلغ الخامسة من عمري الآن.

استحممنا بعد أن تناولنا الفطور، فكانت المياه دافئة، فمرحى بالدفء. ملأنا حوض الاستحمام بالمياه لدرجة أنه كاد أن يفيض، واستلقت *ما* وكادت تغفو، فأيقظتها لأغسل شعرها وهي فعلت لي مثل ذلك، وغسلنا الملابس أيضًا، فوجدنا الكثير من الشعر الطويل على الملاءات، فتوجّب علينا أن نلتقطه، وقد دخلنا في سباق لنرى من يستطيع جمع العدد الأكبر في الوقت الأسرع.

وقتها كانت برامج الرسوم المتحرّكة قد انتهت، إلّا أنه كان يعرض برنامج يلوّن فيه الأولاد البَيض من أجل الأرنب الهارب، فرحت انظرُ إلى كلّ طفل مختلف وأقول في رأسي: أنتَ حقيقيّ.

قالت *ما*: "إنه أرنب عيد الفصح، وليس الأرنب الهارب، وقد اعتدت وبول... اعتاد أرنب عيد الفصح، عندما كنا صغارًا، أن يجلب بيض الشوكولاتة في الليل ويخبّئه في كافّة أرجاء الحديقة، تحت الشجيرات وفي حفر الأشجار، وحتى في الأرجوحة".

سألتها: "هل أخذ سنّك؟".

بدا وجهها خاليًا من التعابير: "كلا، كلّ ذلك كان مجّانًا".

لا أعتقد أن أرنب عيد الفصح يعرف أين تقع الغرفة، ناهيك عن ذلك نحن لا نملك شجيرات وأشجارًا على كلّ حال، إنها تقع خارج الباب.

إنه يوم مرح بسبب الدفء والطعام، إلّا أن *ما* لم تكن سعيدة، لعلّها تشتاق إلى النبتة.

اخترتُ تمارين اللياقة البدنية، التي تتطلّب أن نسير في المسار المحدّد يدًا بيد، ونادي الأشياء التي نراها: "انظري *ما*، شلّال".

قلتُ بعد دقيقة: "انظري، حيوان برّي".

"واو".

"حان دورك".

قالت *ما*: "آه، أانظر إنها حلزونة".

جلست القرفصاء لأراها: "انظري، جرّافة عملاقة تهدم كوّةَ السقف".

قالت: "انظر، إنه طائر فلامينغو يطير في الجوار".

"انظري، إنه زومبي يسيل لعابه بالكامل".

جعلها ذلك تبتسم لجزء من الثانية: "جاك!"

مشينا بسرعة أكبر وغنّينا *هذه الأرض أرضك*.

أعدنا السجّادة إلى مكانها مجدّدًا، فتحوّلت إلى سجّادتنا الطائرة، وحلّقنا بها فوق القطب الشماليّ.

اختارت *ما* لعبة الجثث، حيث نستلقي من دون أن نؤتي بأدنى حركة، فنسيت وحككت أنفي. لذا، فازت هي، واخترتُ تاليًا الترامبولين، لكنها قالت إنّها لا

ترغب في أداء المزيد من التمارين الرياضية.

"ستعلّقين على الأمر، وسأؤدّي الجزء الخاصّ بالقفز بوينغ".

"كلا، أنا آسفة، سآوي إلى الفراش لبرهة".

إنها غير مسلّية اليوم.

أخرجتُ ثعبان البيض من تحت السرير ببطء شديد، وأنا أعتقد أن في وسعي سماع الهسيس الذي يصدره بلسانه المدبّب، ســـســـســـســـلامات، وتحسّسته لا سيّما البيضات المتشقّقة والهشّة، فتفتّت إحداها بين أصابع يدي، وفي الحال توجّهتُ إلى المطبخ لصنع غراء بواسطة حفنة من الدقيق، ثم وضعت الأجزاء على ورق مسطّر لأصنع جبلًا ذا نهاياتٍ مدبّبة، وقد أردتُ أن تشاهد *ما* ذلك إلا أنها كانت مغمضة العينين.

توجّهت إلى الخزانة لألعب لعبة أدّعي فيها أني عامل منجم فحم، ووجدتُ قطعة ذهبٍ تحت وسادتي، إنها في الحقيقة عبارة عن سِنّ، ولكنه ليس على قيد الحياة ولا ينثني، إنه مكسور، لكن لا يتوجّب عليها التخلّص منه في المرحاض. إنه جزء من *ما*، إنه بُصاقها الميت.

أخرجتُ رأسي لأرى عينيّ *ما* مفتوحتين، فسألتها: "ما الذي تفعلينه؟".

"أفكّر وحسب".

في وسعي التفكير والقيام بأشياء مثيرة للاهتمام في الوقت ذاته، ألا تستطيع فعل ذلك؟

نَهَضَت لتعدَّ وجبة الغداء، وهي عبارة عن علبة من المعكرونة ذات اللون البرتقاليّ بالكامل، فكان طعمها لذيذًا.

لعبتُ بعد ذلك، لعبة إيكاروس ذي الأجنحة التي تذوب، واغتسلت *ما* ببطء شديد، وانتظرتها حتى تنتهي إلا أنها لا ترغب في اللعب، جلست على الكرسي الهزّاز واكتفت بأرجحته.

"ماذا تفعلين؟".

"ما زلت أفكّر".

سألتني بعد دقيقة: "ماذا يوجد في كيس المخدّة؟".

"إنها حقيبة ظهري"، ربطت طرفيها حول عنقي: "أنها خاصّة للذهاب إلى الخارج عندما يتمّ إنقاذنا". وقد وضعتُ فيها السِنّ، وسيارة الجيب، وجهاز التحكّم، وثيابًا داخلية لي *ولما* وجوارب ومقصّات والتفاحات الأربع في حال جعنا، وسألتها: "هل يوجد ماء؟"

أومأت *ما* إليّ إيجابًا: "أنهار وبحيرات..."

"كلا، أقصدُ ماءً للشرب، هل يوجد هناك صنبور؟".

"هناك الكثير من الصنابير".

شعرتُ بالسعادة لأني لن أحتاج إلى أن أُحضر زجاجة ماء، لأن الحقيبة ثقيلة للغاية الآن، وأحتاج إلى أن أعلّقها حول عنقي ولا أرغب في أن تسحقها.

تَأَرجَحَت *ما* مرارًا وتكرارًا، وقالت: "اعتدتُ أن أحلم أنني سأُنقذ من هذا السجن، إذ كَتبتُ العديد من الملاحظاتِ وخبّأتها في كيس القمامة، لكن أحدًا لم يعثر عليها".

"توجّب عليك إرسالها عبر المرحاض".

قالت: "وعندما نصرخ لا يسمعنا أحد، كنتُ أومض المصباح عبر إطفائه وإشعاله ليلة أمس، ثم فكّرت، أن لا أحد يلتفت إلى هنا".

"لكن..."

"لن يُنقذنا أحد".

لم أقل شيئًا، ثم قُلت: "أنت لا تعرفين كلّ ما يجري".

ظهر على وجهها أغرب ملامح رأيتها على الإطلاق.

أفضّل أن أرى *ما* غائبة ليومٍ كاملٍ على أن أراها لا تشبه نفسها هكذا.

أنزلت كلّ كتبي عن الرفّ وقرأتها، كتاب صور المطار البارزة، وكتاب أناشيد الحضانة، والكتاب المفضّل لديّ دايلان الحفّار، وكتاب الأرنب الهارب، إلا أنني توقّفت في منتصف الطريق واحتفظت به من أجل *ما*، وقرأتُ أليس عوضًا عنه،

فتخطيت الجزء المتعلّق بالدوقة المخيفة.

أخيرًا، توقّفت *ما* عن التأرجح.

"هل أستطيع أن أحظى بالقليل؟".

قالت *ما*: "بالطبع، تعال إلى هنا".

جلستُ في حضنها ورفعت قميصها وحظيت بالكثير لفترة طويلة.

هَمَسَت في أذني: "هل انتهيت؟".

"أجل".

"اسمعني يا جاك، هل أنت مصغٍ؟".

"أنا أصغي بشكل دائم".

"علينا أن نخرج من هنا".

حدّقت إليها.

"وعلينا القيام بذلك بمفردنا".

لكنها قالت إننا موجودون هنا كما لو أننا في كتاب، فكيف يمكن للناس الموجودين في الكتب أن يهربوا منها؟

تكلّمت بصوت مرتفع: "علينا أن نضع خطّة".

"مثل ماذا؟".

"أنا لا أعرف، مفهوم؟ أنا أحاول أن أصل إلى فكرة ما منذ سبعة أعوام".

"بإمكاننا أن نهدم الجدران"، لكننا لا نملك سيارة جيب لنهدمها ولا حتى جرّافة: "في وسعنا أن... نفجّر الباب".

"بواسطة ماذا؟".

"تمكّنت القطة من فعل ذلك في برامج توم أند جيري".

قالت *ما*: "من الرائع أنك تعصر أفكارك، لكننا نحتاج إلى خطّة يمكن أن تنجح على أرض الواقع".

قلتُ لها: "انفجار كبير للغاية".

"إذا حصل انفجار كبير للغاية، سيطيح بنا أيضًا".

لم أفكّر في ذلك، فعصرت أفكاري مجدّدًا: "أوه، *ما*... بإمكاننا أن ننتظر إلى أن يأتي نيك العجوز في أحد الأيّام، ثم تقولين له، *أوه، انظر لقد أعددنا كعكة لذيذة يمييي، وسيتناول قطعة كبيرة من كعكة عيد الفصح اللذيذة* يمييي والتي ستحتوي في الحقيقة على السمّ".

هزّت رأسها رافضة: "حتى إذا سبّبنا له المرض، فهذا لا يضمن أن يعطينا الرمز السرّي".

فكّرت بتركيز لدرجة آلمني فيها رأسي.

"هل لديك أيّ أفكار أخرى؟".

"أنتِ تقولين لا لكلّ الأفكار".

"أنا آسفة، أنا آسفة، أحاول أن أكون واقعيّة فحسب".

"ما هي الأفكار الواقعيّة؟".

"لا أعلم، لا أعلم"، عضّت *ما* على شفتيها: "لا أزال مهووسة بتلك اللحظة التي يُفتح فيها الباب، هل سنتمكّن من تجاوزه، إن نجحنا بتوقيت اندفاعنا بشكل متزامن مع ذلك الجزء من الثانية".

"أوه، أجل، هذه فكرة جيّدة".

"لو أن في وسعك أن تنسلّ من الغرفة بينما أحاول أن أهاجم عينيه.." ثم هزّت *ما* رأسها حين تخلّت فورًا عن الفكرة: "مستحيل".

"بل ممكن".

"سيتمكّن من الإمساك بك يا جاك، سيمسك بك قبل أن تتمكّن حتى من عبور نصف الفناء و..." تَوَقّفَت عن الحديث.

قُلتُ بعد دقيقة: "هل من أفكار أخرى؟".

قالت وهي تكزّ على أسنانها: "تدور الأفكار ذاتها في ذهني مرارًا وتكرارًا كما يدور الفأر في الدولاب".

لماذا يدور الفأر في الدولاب؟ هل يشبه ذلك الدولاب الهوائيّ في المهرجانات؟

قُلتُ لها: "علينا أن نجد خدعة ماكرة".

"مثل ماذا؟".

"مثل، ربما كما خدعك بقصّة كلبه غير الحقيقيّ لتتوجّهي إلى شاحنته عندما كُنتِ طالبة".

زفرت *ما*: "أعرف أنك تحاول المساعدة لكن هل في وسعك أن تصمت لبرهة الآن حتى يتسنّى لي التفكير؟".

لكننا نفكّر، كنا نفكّر معًا بتركيز، فنهضتُ وتوجّهت إلى المطبخ لأكل الموزة التي تحتوي على جزء بنّي كبير، فالجزء البنّي هو الأكثر حلاوة.

"جاك!"، فغرت *ما* عينيها وتحدّثت بسرعة كبيرة: "الأمر الذي قلته عن الكلب.. هو في الحقيقة فكرة لامعة، ماذا لو ادّعينا أنك مريض؟".

أصابتني الحيرة، ثم فهمت الأمر: "هل تقصدين مثل الكلب الذي لم يكن مريضًا؟".

"بالضبط، عندما يأتي إلى هنا، سأخبره أنك مريض للغاية".

"أيّ نوع من المرض؟".

قالت *ما*: "ربما نزلة بردٍ حادّة جدًّا، حاول أن تسعل بشدّة".

سعلت وسعلت وأنصتت إليّ قبل أن تقول: "هممم".

لا أعتقد أني أفعل ذلك بشكل جيّد، سعلت بصوت أعلى، فجعلني ذلك أشعر كما لو أن حنجرتي ستتمزّق.

فهزّت برأسها: "انسَ أمر السعال".

"أستطيع حتى أن أسعل بصوت أعلى...".

"أنت تؤدّي بشكل رائع، ولكن على الرغم من ذلك يبدو وكأنه تظاهر".

سَعَلتُ بصوت أعلى وهذا ما بدا أفظع سعال على الإطلاق.

قالت *ما*: "لا أعلم، ربما تزييف السعال أمر صعب للغاية، على أيّة حال..." صَفَعَت رأسها: "أنا حمقاء للغاية".

مسّدت المكان الذي ضربته: "كلا أنت لست كذلك".

"لابدّ أن تكون عدوى التقطتها من نيك العجوز، هل تفهم؟ هو الشخص الوحيد الذي يجلب الجراثيم، وهو غير مصاب بالزكام، كلا، نحتاج إلى شيء له علاقة بالطعام؟". نظرت إلى الموز نظرةً متّقدة: "الإي كولاي؟ هل سيتسبّب لك ذلك بحمّى؟".

لم تقصد *ما* أن تطرح أسئلة عليّ، وإنما أرادت أن تسأل نفسها لتبعد الشكّ والحيرة.

"حمّى شديدة للغاية، لدرجة ألّا تستطيع فيها الكلام، أو الاستيقاظ كما ينبغي.."

"لماذا لا أستطيع التكلّم؟".

قالت *ما*، وعيناها تلمعان: "سيكون من الأسهل التظاهر بذلك، أجل، وسأقول له، *يجب عليك نقل جاك إلى المستشفى في شاحنتك حتى يتمكّن الأطباء من إعطائه الدواء الملائم*".

"هل سأركب في الشاحنة البنّية؟".

أومأت إليه برأسها إيجابًا: "إلى المستشفى".

لا أستطيع أن أصدّق ذلك، ثمَّ فكّرت في الكوكب الطبّي: "لا أريد أن يُجروا لي عملية جراحيّة".

"أوه، في الواقع، لن يفعل الأطبّاء أيّ شيء لك، لأنك لا تعاني من أيّ خطب، ألا تتذكّر؟"، فركت كتفي: "إنها مجرّد خدعة من أجل هروبنا العظيم، سيقلّك نيك العجوز إلى المستشفى، وستصرخ طلبًا للمساعدة، النجدة!، حال رؤيتك أيّ طبيب أو ممرّضة أو أيّ كان".

"يمكنكِ أنتِ أن تصرخي أيضًا".

اعتقدت أن *ما* لم تسمعني، ثم قالت: "لن أكون في المستشفى".

"أين ستكونين؟".

"ها هنا، في الغرفة".

لديّ فكرة أفضل: "في وسعك الادّعاء أنك مريضة أيضًا، مثل تلك المرّة التي أصابنا فيها الإسهال معًا، وسيضطرّ حينها إلى اصطحابنا معًا في الشاحنة".

عضّت على شفتها: "لن يمرّ عليه هذا الأمر، أعلمُ أنه سيكون من الغريب حقًّا أن تذهب بمفردك، لكنني سأتحدّث إليك عبر رأسك كلّ دقيقة، أعدك بذلك، وتذكّر أن أليس كانت تتحدّث إلى قطّتها دينا وهي تسقط عميقًا وعميقًا وعميقًا".

لن تكون *ما* في رأسي حقًّا، آلمتني معدتي لمجرّد التفكير في الأمر: "لم تعجبني هذه الخطّة".

"جاك...".

"إنها فكرة سيّئة".

"في الحقيقة...".

"لن أغادر من دونك".

"جاك...".

"مستحيل يا جميل، مستحيل يا جميل، مستحيل يا جميل".

"حسنًا، هدّئ من روعك، انسَ الأمر".

"حقًّا؟".

"أجل، لا جدوى من محاولة القيام بذلك إن لم تكن مستعدًّا".

ومع ذلك لازالت تبدو متعكّرة المزاج.

حلّ شهر نيسان، فتسنيلي أن أنفخ بالونًا، بقي لدينا ثلاثة: أحمر، أصفر، وآخر أصفر، فاخترت اللون الأصفر حتى يتبقّى للشهر القادم بالونان باللونين الأحمر والأصفر. رحت أنفخه ثم أفلته ليطير في أرجاء الغرفة، فعلت ذلك مرّات كثيرة، فأنا أحبّ سماع الضوضاء التي تشبه صوت البصاق المتكرّر. فمن الصعب أن نقرّر متى نربط العقدة لأن البالون لن يعود قادرًا على التحليق، بل سيرتفع ببطء، ولكن يتعيّن

عليّ أن أربط العقدة لكي ألعب التنس بالبالون. لذا، جعلته يحوم حول الغرفة مصدرًا الكثير من صوت البصاق، ثم نفخته ثلاث مرّات إضافية، وبعد ذلك ربطت العقدة فعلقت بإصبعي عن طريق الخطإ، ولعبت مع *ما* التنس بالبالون، عندما ربطناه بشكل جيّد، ففزت خمس مرّات من أصل سبعة.

سألتني: "ألا ترغب في الحصول على القليل؟".

قلتُ وأنا أصعد إلى السرير: "الجهة اليسرى من فضلك".

لا يوجد فيه الكثير إلّا أنه لذيذ.

أعتقد أنني غفوت لبعض الوقت، ولكن *ما* همست عندها في أذني: "هل تذكر كيف زحفوا عبر النفق المظلم بعيدًا عن النازيين؟ واحد في كلّ مرّة".

"أجل".

"هذا ما سنفعله عندما تكون جاهزًا".

نظرت حولي: "أيُّ نفق؟".

"شيء يشبه النفق، ليس نفقًا حقيقيًا، ما أعنيه أنه توجّب على السجناء أن يتحلّوا بالشجاعة وأن يهربوا واحدًا في كلّ مرة".

هززت رأسي رافضًا.

"إنها الخطّة الوحيدة التي قد يُقدّر لها النجاح"، بدت عينا *ما* متألّقتين للغاية: "أنت أميري الشجاع جاكرجاك. انظر، ستذهب إلى المستشفى أوّلًا، ثم ستعود وبرفقتك الشرطة..."

"هل سيلقون القبض عليّ؟".

"كلا، كلا، سيساعدوننا، وستعود بهم إلى هنا لإنقاذي، ثم سنعيش معًا من جديد بشكل دائم".

قُلت لها: "لا أستطيع إنقاذك، أنا أبلغ خمسة أعوام فحسب".

قالت لي: "لكنك تملك قوى خارقة، أنت الشخص الوحيد الذي يستطيع القيام بذلك، هل ستفعل؟".

لا أدري ماذا يفترض أن أقول، ولكنها استمرّت بالانتظار.

"حسنًا".

"هل هذه إجابة بنعم؟".

"أجل".

أعطتني قبلة هائلة.

نهضنا من السرير، وتناول كلّ منا عبوة من اليوسفي.

ولكن بعض الصعوبات تعترض خطّتنا، فاستمرّت *ما* بالتفكير فيها والقول أوه كلا، ثم تجد حلولًا لها.

قُلتُ لها: "لن تعرف الشرطة الرمز السرّي لإخراجك".

"سيجدون حلًّا لذلك".

"مثل ماذا؟".

قالت وهي تفرك عينها: "لا أدري، ربما عبر شعلة اللحام؟".

"ما هي...؟".

"إنها أداة ذات شعلة قد تتسبّب في احتراق الباب وفتحه".

قُلتُ لها وأنا أقفز إلى الأعلى والأسفل: "بإمكاننا أن نصنع واحدة، نستطيع، نستطيع أن نأخذ زجاجة الفيتامين ذات رأس التنين ونضعها على موقدٍ قيد التشغيل إلى أن تشتعل نيرانه، و...".

قالت بنبرة غير ودودة: "ونحرق أنفسنا ونموت".

"لكن...".

"هذه ليست لعبة يا جاك، دعنا نراجع الخطّة مجدّدًا...".

ما زلت أتذكّر كلّ الأجزاء، إلا أنني أُخطئ دائمًا في ترتيبها.

قالت: "انظر، الأمر يشبه ما تفعله دورا، عندما تنتقل من المكان الأوّل، إلى الثاني ثم إلى الثالث، وبالنسبة إلى خطّتنا الخطوات هي الشاحنة فالمستشفى ثم الشرطة، هلّا كرّرتها".

"الشاحنة، المستشفى، الشرطة".

تَمَهَّلَت: "في الحقيقة، لعلّها خمس خطوات، المرض، الشاحنة، المستشفى، الشرطة، وإنقاذ *ما*".

"شاحنة...".

"المرض".

قُلتُ: "المرض".

"المستشفى، كلا، آسف، الشاحنة، المرض، الشاحنة...".

"المرض، الشاحنة، المستشفى، إنقاذ *ما*".

قالت: "نسيت الشرطة، استخدم أصابعك للعدّ، المرض، الشاحنة، المستشفى، الشرطة، إنقاذ *ما*".

أعدنا ذلك مرارًا وتكرارًا، ورسمنا خريطة ذات صورٍ على ورق مسطّر، صورة المرض وهي عبارة عن صورتي وأنا مغمض العينين، ولسان يتدلّى إلى الخارج، ثم هناك شاحنة بنّية اللون، تلاها رجل ذو معطف أبيض طويل يمثّل الطبيب، ثم سيّارة شرطة ذات صفّارة إنذار وامضة، وفي النهاية *ما* تلوح وهي مبتسمة لأنها أصبحت حرّة، بواسطة شعلة لحام تنفث النيران مثل التنين. آلمني رأسي، إلّا أن *ما* قالت إنه علينا التمرّن قليلًا على المرض، لأن هذا هو الجزء الأكثر أهمّية، "إنه إن لم يصدّقنا، لن يحصل أيٌّ من بقية الأشياء"، وفجأة لمعت في رأسها فكرة، وقالت: "سأجعل جبهتك ساخنة للغاية، ثم سأدعه يلمسها..".

"كلا".

"لا تقلق، لن أُحرقك..".

لم تفهم قصدي: "كلا لا أريده أن يلمسني".

قالت *ما*: "لمرّة واحدة فقط، أعدك بذلك، وسأكون إلى جوارك تمامًا".

هزرت رأسي رافضًا.

قالت: "أجل، قد ينجح هذا الأمر، ربما في وسعك الاستلقاء بجوار منظ.."

جثت على ركبتيها، ووضعت يدها تحت السرير قرب الحائط، ثم قطّبت حاجبيها قائلة: "ليس ساخنًا بما فيه الكفاية، ربما... علينا أن نضع كيسًا من المياه الساخنة للغاية على جبهتك، قبل أن يأتي تمامًا؟ ستستلقي في السرير، وسأخفي كيس الماء بمجرّد أن نسمع صوت الباب بيب بيب".

"أين؟".

"هذا غير ذي أهمّية".

"بل إنه ذو أهمّية".

نظرت *ما* إليّ، "أنت محقّ، علينا أن ندرس كلّ التفاصيل حتى لا يفسد أيّ شيء خطّتنا، سألقي كيس الماء تحت السرير، اتّفقنا؟ ثم سيلمس نيك العجوز جبهتك ليجد حرارتك مرتفعة للغاية، هل سنجّرب ذلك؟".

"مع كيس مياه ساخنة؟"

"كلا، سنكتفي بالتواجد في السرير للوقت الراهن، والتمرّن على الارتخاء بالكامل كما نفعل حين نلعب لعبة الجثث.

أنا بارع للغاية في ذلك، فغرتُ فمي على مصراعيه، وتَظَاهَرت *ما* بأنها هو، مستخدمة صوتًا رخيمًا للغاية، ووضعت يدها فوق حاجبيَّ وقالت بصوت أجشّ: "يا إلهي، إن حرارته مرتفعة للغاية".

قَهقَهت.

"جاك".

استلقيت ساكنًا من دون أدنى حركة: "أنا آسف".

تمرّنا أكثر، ثم شعرت بالإعياء من التظاهر بالإعياء. لذا، سمحت لي بالتوقّف.

تناولنا الهوت دوغ على وجبة العشاء، وبالكاد تناولت *ما* حصّتها، ثم سألتني: "هل تتذكّر الخطّة؟".

أومأت إليها بالإيجاب".

"أخبرني بها".

ابتلعت آخر لقمة من شطيرتي: "المرض، الشاحنة، المستشفى، الشرطة، وإنقاذ *ما*".

"رائع. هل أنت جاهزٌ إذًا؟".

"لماذا؟".

"لهروبنا العظيم الليلة؟".

لم أعرف أننا سننفّذها الليلة، لستُ جاهزًا: "لماذا سنفعل ذلك الليلة؟".

"لا أريد أن أنتظر أكثر بعد أن قطع التيار الكهربائيّ...".

"لكنه أعاده ليلة أمس".

"نعم، بعد مرور ثلاثة أيام، لقد ماتت النبتة بسبب البرد، ومن يعرف ما الذي سيُقدم على فعله في الغد؟". نهضتْ حاملةً طبقها، وهي تكاد أن تصرخ: "إنه يبدو إنسانًا إلّا أنه خاوٍ من المشاعر في الداخل".

شعرتُ بالحيرة: "مثل رجل آليّ؟".

"بل أسوأ من ذلك".

"كان هناك رجل آلي ذات مرّة في قصّة بوب البناء...".

قاطعتني: "أنت تعرف قلبك يا جاك؟".

جعلتها ترى صدري: "بام بام".

"كلا، أعني الجزء المتعلّق بالمشاعر، فتحزن أو تخاف أو تضحك أو أيّ شيء من هذا القبيل".

تحدُث هذه المشاعر في الأسفل قليلًا، أظنّ أنها تحدث في معدتي.

"حسنًا، إنه لا يملك واحدًا".

"هل تقصدين معدة؟".

قالت: "أعني جزءًا خاصًّا بالمشاعر".

نظرتُ إلى بطني: "ماذا يملك إذًا؟".

هزّت كتفيها: "تجويف فارغ".

هل تقصد مثل فوهة؟ لكن هذه الحفرة تكون حيث يحصل شيء ما، ما الذي حصل؟

لا أفهم ماذا يعني كون نيك العجوز رجلًا آليًا، ولماذا يتوجّب علينا القيام بتنفيذ خطّة الخداع الليلة: "لنفعل ذلك في ليلة أخرى".

قالت وهي ترتمي على كرسيّها: "حسنًا".

"هل أنتِ موافقة؟".

فركت جبهتها: "أجل، أنا آسفة يا جاك، أعرف أني أدفعك إلى القيام بالأشياء بسرعة، لقد فكّرت في هذا الأمر لفترة طويلة لكن الأمر برمّته لا يزال جديدًا عليك".

هززت رأسي مرارًا وتكرارًا.

ابتسمت لي: "أعتقد أن الانتظار ليومين آخرين لن يُحدث فرقًا كبيرًا، طالما لا أقوم بدفعه إلى اختلاق مشكلة أخرى، ربما سنقوم بذلك في غضون يومين".

"ربما عندما أبلغ السادسة من عمري".

حدّقت إليّ.

"نعم، سأكون جاهزًا لخداعه والذهاب إلى الخارج عندما أبلغ السادسة".

دفنت وجهها بين ذراعيها.

هززتها: "لا تفعلي ذلك".

بدا وجهها مخيفًا عندما رفعته: "لكنك وعدتني أن تكون بطلي الخارق".

لا أتذكّر أني قلتُ ذلك

"ألا ترغب في الهروب؟".

"أجل، لكن ليس بالفعل".

"جاك".

نظرتُ إلى آخر قطعة متبقّية من الهوت دوغ إلّا أني لم أرغب في تناولها: "فلنبقَ هنا فحسب".

هزّت رأسها رافضة: "إنها تصبح صغيرة للغاية".

"ما هي؟".

"الغرفة".

تسلقتُ على كرسيٍّ وقفزت فاتحًا ذراعي وأنا أدور من دون أن أصطدم بشيء: "انظري، الغرفة ليست صغيرة".

قالت بصوت مرتجف: "أنت لا تعرف ما الذي تفعله بك، عليك أن ترى الأشياء وتلمسها...".

"أنا أفعل هذا بالفعل".

"أشياء أكثر، أشياء مختلفة، تحتاج إلى مساحة أكبر، تحتاج إلى العشب، اعتقدتُ، أنّك ترغب في رؤية جدّتك وجدّك وخالك بول، وأن تتأرجّح في حديقة الألعاب وتتناول المثلّجات..."

"لا شكرًا".

"حسنًا، انسَ الأمر".

خلعت *ما* ملابسها وارتدت قميص نومها، وفعلتُ المِثل، ولكنها لم تقل شيئًا، لأنها غاضبة مني، وحين عَمِدَت إلى ربط كيس القمامة ووضعته بجوار الباب، لم تضع أيّ قائمة عليه اليوم.

نظّفنا أسناننا، وبصقَت *ما*، فكان هناك لون أبيض على شفتيها، فنظرت إلى عينيّ في المرآة، وقالت: "كنتُ سأمنحك وقتًا أطول لو أن في وسعي فعل ذلك، أقسم إنني كنت سأمنحك الوقت الذي تحتاج إليه لكنني لا أظنّ أننا آمنان".

التفتُّ بسرعة ونظرت إلى عينيها الحقيقيتين، ودفنتُ رأسي في بطنها، فلطّخت قميص نومها ببعض معجون الأسنان إلّا أنها لم تمانع ذلك.

استلقينا على السرير، فسمحت لي بالحصول على القليل من الجهة اليسرى، ولم نتكلّم.

لم أتمكّن من النوم في الخزانة، فغنّيت بصوت منخفض، *جون جاكوب جنيغل* همير شميت وانتظرت، ثم غنّيتها مجدّدًا.

فأجابت في نهاية المطاف: "اسمه اسمي أيضًا".

مكتبة
t.me/t_pdf

"كلّما أذهب إلى الخارج...".

"يصرخ الناس دائمًا...".

"ها هو ذا جون جاكوب جنيغل همير شميت...".

اعتادت أن تشاركني في غناء *نا نا نا نا نا نا* إنه الجزء الأكثر مرحًا، لكنها لم تفعل هذه المرّة.

* * *

أيقظتني *ما* إلّا أن الوقت كان لا يزال ليلًا، مالت نحو الخزانة، فصدمتُ كتفي وأنا أنهض.

هَمَسَت: "تعال وألقِ نظرة".

وقفنا إلى جوار الطاولة ونظرنا نحو الأعلى، فشاهدنا أكبر وجه فضّي مستدير على الإطلاق، إنه مشرق للغاية. أضاء الغرفة بالكامل، الصنابير، المرآة، القدور، الباب وحتى خديّ *ما*، وهمسَتْ: "أتعرف في بعض الأحيان يكون القمر عبارة عن نصف دائرة، وفي بعض الأحيان هلالًا، وفي أحيان أخرى يكون مجرّد قوس دقيق مثل الجزء المقصوص من الأظفُر".

هذا يحصل في التلفاز فقط: "غير صحيح".

أشارت إلى الأعلى نحو كوّة السقف: "لقد شاهدتَه وهو مكتمل فوق رؤوسنا فحسب، ولكن عندما نخرج، سيكون في وسعنا أن نرصده أسفل السماء عندما يتّخذ كافّة الأشكال، حتى في أثناء النهار".

"مستحيل يا جميل".

"أنا أخبرك الحقيقة، ستستمتع بالعالم كثيرًا، انتظر حتى ترى الشمس وهي تغرب وكلّ الألوان الأرجوانية والبرتقالية..."

تثاءبت.

قالت وهي تهمس من جديد: "أنا آسفة، تعالَ إلى السرير".

نظرتُ لأتحقّق إن كان كيس القمامة قد اختفى، وهو كذلك بالفعل: "هل كان نيك العجوز هنا؟".

قالت بصوت شبه ضاحك: "أجل، أخبرته أنك مصاب بشيء ما، تشنّجات وإسهال".

"لماذا قمت بـ...؟".

"حتى يبدأ بتصديق خدعتنا، ليلة غد، سننفّذها".

سحبتُ يدي من يدها: "ما كان عليك إخباره بذلك".

"جاك..."

"إنها فكرة سيّئة".

"إنها خطّة جيّدة".

"إنها خطّة غبيّة بلهاء".

قالت بصوت مرتفع للغاية: "إنها الخطّة الوحيدة المتوفّرة لدينا".

"لكنني قُلت لا".

"أجل، لكنك قُلت ربما قبل ذلك، وقلت نعم من قبل".

"أنتِ غشّاشة".

تحدّثت بصوت يشبه الزئير: "أنا والدتك، وهذا يعني أن عليَّ اتّخاذ القرار بالنيابة عن كلينا في بعض الأحيان".

صعدنا إلى السرير، وتكوّرتُ على نفسي، وكانت خلفي.

أتمنّى لو أن في وسعنا الحصول على القفّازات الخاصّة بالملاكمة كهدية ليوم الأحد حتى يصبح من المسموح لي بأن أضربها.

* * *

استيقظتُ خائفًا وبقيت خائفًا.

لا تسمح لنا *ما* بفتح مياه المرحاض بعد أن نتغوّط، فهي تفتّته بواسطة يد ملعقة خشبية ليبدو كما لو أنه حساء غائط، له رائحة سيّئة للغاية.

لم نلعب أيّ شيء، اكتفينا بالتمرّن على الارتخاء وعدم النطق بأيّ حرف، أشعر ببعض المرض بالفعل، قالت إنني أشعر بهذا بسبب قوّة الإيحاء: "أنت بارع للغاية بالادّعاء، حتى إنك خدعت نفسك".

وضّبتُ حقيبة الظهر خاصّتي والتي كانت عبارة عن غطاء الوسادة، ووضعتُ داخلها جهاز التحكّم وبالوني الأصفر إلّا أن *ما* قالت: "إذا اصطحبت أيّ شيء معك فسيكتشف نيك العجوز أنك تهرب".

"أستطيع أن أخفي جهاز التحكّم في جيب بنطالي".

هزّت برأسها رافضة: "ستكون بقميص النوم وثيابك الداخلية، لأن هذا ما سترتديه إذا كنت تعاني من حرارة مرتفعة بسبب الحمّى".

فكّرتُ في نيك العجوز وهو يحملني إلى الشاحنة وهذا ما جعلني أشعر كما لو أنني سأسقط.

قالت *ما*: "إن ما تشعر به هو الخوف، لكن ما تفعله يتّصف بالشجاعة".

"حقًّا؟".

"خائف، شجاع"

"خشاع".

يدفعها دمج الكلمات إلى الضحك دائمًا إلا أنني لا أحاول أن أكون مضحكًا.

الغداء عبارة عن حساء لحم البقر، فاكتفيت بامتصاص البسكويت فحسب.

سألتني: "أيّ جزء من الخطّة يشعرك بالقلق؟".

"المستشفى، ماذا لو لم أقل الكلمات المناسبة؟".

"كلّ ما عليك أن تفعله هو أن تقول لهم إن أمك مخطوفة، وأن الرجل الذي أتى بك إلى هنا هو خاطفها".

"لكن الكلمات...".

انتَظَرَت: "ماذا؟".

"ماذا لو لم أتمكّن من نطقها أبدًا؟"

أمالت فمها نحو أصابعها الموضوعة على خدّها، وقالت: "أنا أنسى بشكل دائم أنك لم تتحدّث إلى أيّ شخص سواي".

انتظرت.

زفرتْ زفرة دامت فترة طويلة مصدرة ضجيجًا: "أتعرف ماذا؟ لديّ فكرة، سأكتب ملاحظة حتى تبقيها مخبّأة، ملاحظة تشرح كلّ شيء".

"جيّد".

"عليك فقط أن تعطيها لأوّل شخص تقابله... لا أقصد أحد المرضى، أعني أيّ شخص يرتدي الزيّ الرسميّ".

"ما الذي سيفعله هذا الشخص بها؟".

"بالتأكيد سيقرأها".

"هل يجيد الناس في التلفاز القراءة؟".

حدّقت إليّ: "إنهم أناس حقيقيّون، ألا تتذكّر، إنهم مثلنا".

لا أزال غير مصدّق لكني لم أتكلّم.

كتبت الملاحظة على قطعة من الورق المسطّر، إنها قصّة تدور حولنا، وحول الغرفة، أرجوكم أرسلوا المساعدة. *أ.و.م*، هذا يعني بأسرع وقت ممكن. في بداية الملاحظة وردت كلمتان لم أعرفهما من قبل، فقالت إنهما اسمها بالكامل، إذ يملك الأشخاص الموجودون في التلفاز أسماءً، وهو الاسم الذي اعتاد الناس الموجودون في العالم الخارجيّ مناداتها به، فأنا الوحيد الذي يناديها *ما*.

آلمتني معدتي، لا أحبّ أن تمتلك أسماءً أخرى لا أعرفها: "هل أملك أسماء أخرى؟".

"كلا، أنت تسمّى دائمًا جاك، أوه، لكن أعتقد أنك ستحصل على اسم عائلتي أيضًا"، أشارت إلى الكلمة الثانية.

"لماذا؟".

"حسنًا، لتوضح أنك لست شبيهًا بالأشخاص الآخرين الذين يُدعَون جاك في العالم".

"أيّ أشخاص آخرين يحملون اسم جاك؟ هل يشبه هذا ما يحصل في قصص السحر؟".

قالت *ما*: "كلا، إنهم أطفال حقيقيّون، هناك الملايين من الناس في الخارج، ولا يوجد من الأسماء ما يكفي الجميع، لذا، يتوجّب عليهم أن يتشاركوا الأسماء المتاحة".

لا أرغب في أن أشارك أحدًا اسمي، أخذت معدتي تؤلمني أكثر، لا أملك جيبًا. لذا، وضعت الملاحظة في سروالي الداخليّ، ولكنها تدفع إلى الحكّة.

أخذ الضوء يتلاشى، أتمنّى أن يستمرّ النهار لوقت أطول حتى لا يحلّ الليل.

أشارت الساعة إلى 08:41 وأنا أتمرّن في السرير. ملأت *ما* كيسًا بلاستيكيًا بمياه حارّة للغاية وأحكمت ربطه حتى لا يتسرّب، ووضعته في كيس آخر وأحكمت ربطه أيضًا: "أوتش"، حاولتُ الفرار بعيدًا.

"هل هاتان عيناك؟".

وضعته مجدّدًا على وجهي: "يجب أن تكون ساخنة وإلا لن تؤدّي الغرض منها".

"لكنها تسبّب الألم".

جرّبتها على نفسها: "فلتتحمّل دقيقة أخرى".

وضعتُ قبضتيّ لتحولا بيني وبينها.

قالت *ما*: "عليك أن تتحلّى بذات شجاعة الأمير جاكر جاك، وإلّا لن ينجح الأمر، ربما عليَّ أن أخبر نيك العجوز أنك أصبحت على ما يرام؟".

"كلا".

"أراهن أن جاك قاتل العمالقة سيضع كيسًا من المياه الساخنة على وجهه إن اضطرّه الأمر لفعل ذلك، بالله عليك، اصبر قليلًا بعد".

"دعيني أفعل ذلك"، وضعتُ الكيس على الوسادة وحشرت وجهي فوق السخونة، أرفع رأسي أحيانًا لأرتاح فتتحسّس *ما* جبهتي وخديّ وتقول: "حارّ للغاية"، ثم تجعلني أضع رأسي مجدّدًا. بكيت قليلًا، لا بسبب السخونة بل بسبب اقتراب قدوم نيك العجوز، لا أرغب في قدومه الليلة إن كان سيفعل، وأعتقد أني سأمرض بشكل حقيقيّ، ورحت أصغي بشكل دائم تحّسبًا لانبعاث صوت بيب بيب. آمل ألا يأتي، أنا لست خشاعًا، أنا خائف فحسب.

ركضتُ إلى المرحاض، وتغوّطت المزيد وحرّكته *ما*، أردت أن أدفّق المياه إلّا أنها لم تسمح لي، إذ يجب أن تفوح رائحة الغرفة كما لو أني عانيت من الإسهال طوال النهار.

قبّلتْ عَقِب عنقي عندما عدتُ إلى السرير وقالت: "أنت تؤدّي بشكل رائع، والبكاء سيكون مصدر عون كبير".

لماذا...؟".

"لأنه يجعلك تبدو مريضًا أكثر دعنا نفعل شيئًا بخصوص شعرك... توجّب عليّ التفكير في ذلك في وقت سابق". وضعت القليل من سائل غسل الصحون على يدها وفركت به رأسي: "يبدو هذا جيّدًا ودهنيًا، إلّا أن رائحته جميلة للغاية، يجب أن تفوح منك رائحة نتنة". ركضت لتلقي نظرة على الساعة مجدّدًا: "لقد نفد منّا الوقت"، قالت وهي ترتجف بالكامل: "أنا حمقاء، يجب أن تفوح منك رائحة سيّئة، أنت حقًّا... انتظر قليلًا".

استندت إلى السرير، وسعلت سعالًا غريبًا، ووضعت يدها في فمها، استمرّت بإصدار هذا الصوت الغريب، ثم خرجت أشياء من فمها، تشبه البصاق إلا أنها أكثر لزوجة، يمكنني أن أرى أصابع السمك التي تناولناها على العشاء.

فركتها على المخدّة وعلى شعري: "توقّفي"، تقلصتُ، محاولًا التملّص منها.

"أنا آسفة لكن عليَّ أن أفعل هذا"، بدت عينا *ما* غريبتين ومتألّقتين، مسحت قيئها بقميصي وحتى بفمي، ففاحت منه أسوأ رائحة على الإطلاق، مقرفة وسامّة: "ضع وجهك على الكيس الساخن مرّة أخرى".

"لكن..."

"افعل ذلك يا جاك، بسرعة".

"أرغب في التوقّف الآن".

"نحن لا نلعب، لا نستطيع أن نتوقّف، افعل ذلك الآن".

بكَيتُ بسبب الرائحة المقرفة الموجودة فوق الكيس الساخن حتى إنني شعرت أنه سيذوب: "أنتِ لئيمة".

قالت *ما*: "أفعل هذا لسببٍ وجيه".

بيب بيب بيب بيب.

أخذت *ما* كيس الماء، إنه يمزّق وجهي: "اصمت"، ضغطت على عينيّ ودفعت وجهي إلى الأسفل نحو الوسادة

المروّعة، وسحبت اللحاف إلى الأعلى لتغطّي ظهري.

دخل الهواء البارد معه، فصاحت *ما* مباشرةً: "وأخيرًا أتيت".

قال نيك العجوز بصوت منخفض يشبه الزمجرة: "أبقِ صوتك منخفضًا".

"أنا فقط...".

"اصمتِي"، صدر صوت بيب بيب آخر، ثم صوت بوم، وقال: "أنت تعرفين الإجراءات، لا يجب أن تصدري أدنى صوت حتى يغلق الباب".

"أنا آسفة، أنا آسفة، الأمر أن جاك في حالة يرثى لها"، بدا صوتها مرتجفًا لدرجة كدت أن أصدّقها لوهلة، إنها تجيد الادّعاء أكثر منّي.

"إن الرائحة نتنة للغاية هنا".

"لأنه يعاني من الإسهال والقيء".

قال نيك العجوز: "ربما يعاني من إعياء بسيط ليوم واحد".

"لقد مرّت ثلاثين ساعة، إنه يعاني من القشعريرة وارتفاع الحرارة..."

"أعطيه إحدى حبوب وجع الرأس تلك".

"ماذا تظنّ أني كنتُ أفعل طوال اليوم؟ لم يتوقّف عن التقيُّؤ، لا يستطيع حتى إبقاء الماء في معدته".

زفر نيك العجوز: "دعيني ألقِ نظرة عليه".

قالت: "كلا".

"بالله عليكِ، ابتعدي عن طريقي...".

"كلا، قُلتُ كلا...".

أبقيتُ وجهي مدفونًا في المخدّة، وعيناي مغمضتان، إنها مقرفة، ها هو ذا نيك العجوز إلى جوار السرير، وفي وسعه أن يراني، فشعرتُ بيده على خدّي، أصدرتُ صوتًا لأنني خائف للغاية، فقالت *ما* إنه سيلمس جبهتي إلا أنه لم يفعل، لمس خدي بيده التي تختلف عن يد *ما*، إنها باردة وخشنة... ثم اختفت: "سأحضر له شيئًا أقوى من الصيدلية المناوبة".

"شيء ما أقوى؟ بالكاد يبلغ الخامسة من عمره، ويعاني من التجفاف الكامل وحمّى وحده الله يعلم سببها"، قالت *ما* ذلك وهي تصرخ، ولم يتوجّب عليها الصراخ، إذ سيُغضب ذلك نيك العجوز.

"اخرسي للحظة ودعيني أفكّر".

"يجب أن يذهب إلى غرفة الطوارئ في الحال، هذا ما يحتاج إليه، أنت تعرف ذلك".

أصدر نيك العجوز صوتًا لم أعرف معناه.

قالت *ما* بصوت يشبه البكاء: "إذا لم تأخذه الآن، فسوف...".

قال: "كفى هستيريا".

"أرجوك، أتوسّل إليك".

"مستحيل".

كدت أقول يا جميل، فكّرت في ذلك إلّا أني لم أنطق به، لم أنطق بأيّ كلمة، أنا مرتخٍ كما لو أنني غير موجود.

قالت *ما*: "ما عليك إلّا أن تخبرهم بأنه أجنبيّ غير قانونيّ ولا يملك أوراقًا، هو ليس في وضع يسمح له بقول أيّ شيء، ويمكنك إعادته إلى هنا بمجرّد أن يعطوه بعض السوائل..."، ثم أردفت قائلة بصوتها المرتجف: "أرجوك، سأفعل أيّ شيء".

بدا من صوته أنه بجوار الباب: "لا حديث لي معك".

"لا ترحل، أرجوك، أرجوك.."

سقط شيء ما، فشعرتُ بخوف شديد إلا أني لم أفتح عينيّ.

بدت *ما* تنوح، ثم بيب بيب، بوم، أُغلق الباب، ونحن بمفردنا.

عمّ الصمت، فعددت أسناني خمس مرّات، كانت عشرين في كلّ مرّة، إلّا مرّة واحدة عددت فيها تسع عشرة، عددتها مجدّدًا حتى بلغت العشرين مرّة أخرى، ثم اختلست نظرة خاطفة إلى الجانبين، ورفعت رأسي عن الوسادة المقرفة.

جلست *ما* على السجّادة، وأسندت ظهرها إلى جدار الباب، وحدّقت إلى لا شيء، فهَمَستُ: "*ما*".

قامت بأغرب شيء على الإطلاق، شيء يشبه الابتسام.

"هل أخفقتُ في الادّعاء؟".

"أوه، كلا، لقد كُنتَ نجمًا".

"لكنه لم يصحبني إلى المستشفى".

نهضت وبلّلت قطعة قماش في المغسلة، وتوجّهت نحوي ومسحت وجهي: "لا بأس بذلك".

بعد أن احترق وجهي وكلّ ذلك القيء، ولمسه إيّاي: "لكنك قُلتِ، مرض، شاحنة، مشفى، شرطة، إنقاذ *ما*".

أومأت إليّ برأسها إيجابًا وهي تنزع عني القميص وتمسح صدري: "كانت تلك الخطّة (أ)، استحقّت عناء المحاولة، لكنه خائف للغاية كما توقّعت".

لقد فَهِمَت الأمر بطريقة خاطئة: "هو من كان خائفًا؟".

"في حال أخبرت الأطبّاء عن الغرفة فستضعه الشرطة في السجن، وأملتُ أن يجازف، إن شعر بأنك معرّض لخطر حقيقيّ، لكني لم أعتقد أنه سيفعل ذلك حقًّا".

فَهِمت: "لقد خَدعتِني"، فزمجرتُ: "لم تسنح لي الفرصة لركوب الشاحنة البنّية".

قالت وهي تشدّني إليها لدرجةٍ أن عظامها آلمت وجهي: "جاك".

دفعتها: "قُلتِ لي إنه لن يكون هناك مزيد من الكذب، وإنك تراجعت عن الكذب الآن، لكنك كذبت بعد ذلك".

قالت *ما*: "أنا أبذل قصارى جهدي".

مصصت شفتي.

"اسمع، هلّا أنصتّ إليّ لدقيقة؟".

"لقد سئمت الإصغاء إليكِ".

هزّت برأسها: "أعرف ذلك، لكن اسمعني على كلّ حال، هناك الخطّة (ب)، والخطّة (أ) هي مجرّد جزء من الخطّة (ب)".

"لم تخبريني بذلك على الإطلاق".

"الأمر في غاية التعقيد، كُنت أحلُّ قطع الأحجية طوال الأيّام القليلة المنصرمة حتى الآن".

"أجل، حسنًا أنا أملك ملايين الأدمغة المخصّصة للأحاجي".

قالت *ما*: "لديك بالفعل".

"أكثر منك بكثير".

"هذا صحيح، لكني لم أرغب في أن تحتفظ بكلتا الخطّتين داخل ذهنك في الوقت ذاته، قد يربكك ذلك".

"أنا مرتبكٌ سلفًا، أنا مرتبكٌ مئة بالمئة".

قبّلت شعري المتّسخ: "دعني أخبرك بالخطّة (ب)".

"لا أرغب في سماع خُططك النتنة الغبية".

"حسنًا".

أخذتُ أرتجف لأني لا أرتدي أيّ قميص، فوجدت واحدًا نظيفًا في الخزانة، أزرق اللون، ارتديته.

خلدنا إلى النوم، وكانت الرائحة مروّعة، فقد علمتني *ما* أن أتنفّس عبر فمي فقط لأن الفم لا يشمّ أيّ شيء: "هل نستطيع الاستلقاء ورأسينا باتّجاه الطرف الآخر؟".

قالت *ما*: "فكرة رائعة".

إنها تتعامل معي بلطف إلّا أني لن أسامحها.

وضعنا أقدامنا في الطرف النتن من الجدار ورؤوسنا في الطرف المقابل.

أعتقد أني لن أتوقّف عن التشغيل الإطلاق.

* * *

أشارت الساعة إلى 08:21 بشكل مسبق، نِمتُ لفترة طويلة والآن أنا أحظى بالقليل، الأيسر دسم للغاية، ولم يعد نيك العجوز مرّة أخرى، لا أعتقد ذلك.

سألتها: "هل اليوم السبت؟".

"هذا صحيح".

"رائع، سنغسل شعرينا".

هزت رأسها نافية: "لا يمكن أن تفوح منك رائحة نظيفة".

لقد كدت أنسى لبرهة: "ما الأمر؟"

"الخطّة ب".

"هل أنت جاهز لسماعها؟"

لم أنطق بأيّ حرف.

تنحنحت: "حسنًا. ها نحن ذا، لقد قلّبت الأمر في رأسي مرارًا وتكرارًا

وفكّرت فيه من كلّ النواحي، وأعتقد أنها قد تنجح، لا أعرف، لستُ واثقة، تبدو خطّة مجنونة وأعرف أنها خطيرة للغاية لكن...".

قُلتُ: "أخبريني بها وحسب".

"حسنًا، حسنًا"، أخذت نفسًا عميقًا وقالت: "هل تتذكّر قصّة الكونت مونت كريستو؟".

"لقد احتُجز في زنزانة على جزيرة".

"أجل، لكن هل تتذكّر كيف هرب؟ ادّعى أنه صديقه الميت، واختبأ في الكفن، وألقى به الحارس في البحر إلّا أن الكونت لم يغرق، بل تدبّر وسيلة للخلاص، وسبح بعيدًا".

"قصّي عليّ بقية الحكاية".

لوحتّ بيدها: "لا يهمّ، النقطة المهمّة يا جاك، أن هذا ما سنفعله".

"سنُلقى في البحر؟".

"كلا، سنهرب كما فعل الكونت مونت كريستو".

أصابتني الحيرة مجدّدًا: "لا يوجد لديّ صديق ميت".

"ما أعنيه أنك ستدّعي الموت".

حدّقت إليها.

"إنها في الواقع أشبه بمسرحية شاهدتها في المدرسة الثانوية، تدّعي فيها الفتاة التي تسمّى جولييت، والتي ترغب في الهروب مع حبيبها، أنها ميتة من خلال شرب دواء يجعلها تبدو كذلك، ثم تستيقظ لاحقًا بعد بضعة أيّام. فمرحى بالحياة".

"كلا، كان ذاك الطفل يسوع".

"آه، ليس تمامًا"، فركت جبينها: "لقد توفّي بالفعل لمدّة ثلاثة أيّام، ثم عاد إلى الحياة، أما أنت فلن تموت على الإطلاق، ستدّعي الموت مثل فتاة المسرحية".

"لا أعرف كيف أدّعي أنني فتاة".

بدا صوت *ما* حادًّا بعض الشيء: "كلا، ستدّعي أنك ميت".

"لا يوجد لدينا كفن".

"آه، سنستخدم السجّادة".

حدّقتُ إلى السجادة، وإلى ألوانها الحمراء والسوداء والبنّية التي لها شكل متعرّج.

"عندما يعود نيك العجوز- مساء اليوم أو الغد أو في أيّ وقت كان- سأخبره بأنك متّ، وسأريه السجّادة ملفوفة وأنت في داخلها".

"هذا أكثر الأشياء التي سمعتها جنونًا".

"لماذا؟".

"لأن جسمك لم يبق فيه ما يكفي من الماء، وأعتقد أن الحمّى قد أوقفت قلبك".

"لا، ما أعنيه لماذا في السجّادة؟".

قالت ماما: "سؤال ذكيّ، إنها التنكّر الخاصّ بك، حتى لا يكتشف أنك على قيد الحياة، انظر، ليلة البارحة أدّيت بشكل رائع للغاية، إلّا أن ادّعاء الموت أكثر صعوبة، وإذا لاحظ أنك تتنفّس ولو لمرّة واحدة، فسيعرف أنها خدعة. ناهيك عن ذلك، فإن حرارة الأموات باردة للغاية".

"في وسعنا أن نستخدم كيسًا من المياه الباردة...".

هزّت رأسها رافضة: "يجب أن تكون باردًا بالكامل، لا وجهك فقط، أوه، كما أنهم يتصلّبون أيضًا، ويجب عليك أن تستلقي مثل رجل آليّ".

"غير مرتخٍ؟".

"على النقيض من الارتخاء".

لكن نيك العجوز هو الرجل الآليّ، أما أنا فأملك قلبًا.

"لذا، أعتقد أن لفّكَ في السجادة هو الطريقة الوحيدة لمنعه من اكتشاف أنك حيّ، ثم سأخبره أن عليه أن يأخذك إلى مكان ليدفنك، هل فهمت؟".

بدأ فمي بالارتجاف: "لماذا يجب عليه أن يدفنني؟".

"لأن الجثث تصبح نتنة بسرعة".

الغرفة نتنة جدًّا اليوم بسبب عدم دفق المياه في المرحاض، وبسبب المخدّة المليئة بالقيء وكلّ شيء، *تزحف الديدان إلى الداخل، تزحف الديدان إلى الخارج*...

"تمامًا".

"لا أريد أن أُدفن مع الديدان الزاحفة وأصبح لزجًا".

مسّدتْ شعري: "إنها خدعة فحسب، ألا تتذكّر؟".

"مثل لعبة؟".

"لكن من دون ضحك، إنها لعبة جدّية".

أومأت إليها برأسي متفهّمًا، أعتقد أنني على وشك أن أبكي.

قالت *ما*: "صدّقني لو أني أعتقد أن هناك شيئًا آخر لديه أدنى فرصة في الجحيم..."

لا أدري ما هي الفرصة في الجحيم.

نَهَضَت *ما* من الفراش: "حسنًا، دعني أخبرك كيف سيسير الأمر بعدها لن تشعر بالخوف إلى هذه الدرجة، سيضغط نيك العجوز على الأرقام ليفتح الباب، ثم سيحملك خارج الغرفة وأنت ملفوف في السجّادة".

سألت *ما* تحّسبًا، على الرغم من أني أعرف الإجابة مسبقًا: "هل ستكونين في السجّادة أيضًا؟".

قالت *ما*: "سأنتظر هنا، سينقلك إلى شاحنة البيك آب، سيضعك في الخلف، في الجزء المكشوف...".

"أرغب في الانتظار هنا أيضًا".

وضعت إصبعها على فمي لتسكتني: "وهذه هي فرصتك".

"ما هي؟".

"الشاحنة! عليك أن تتملّص من السجّادة في أوّل مرّة تبطئ فيها الشاحنة للتوقّف عند إشارة المرور، ثم تقفز إلى الشارع وتهرب بعيدًا، وتأتي بالشرطة لإنقاذي".

حدّقت إليها.

"إذًا الخطّة هذه المرة هي على الشكل التالي، ميّت، شاحنة، هروب، شرطة، إنقاذ *ما*، قُلها؟".

"ميّت، شاحنة، شرطة، هروب، إنقاذ *ما*".

تناولنا وجبة الفطور، وحظي كلّ منا بـ 125 حبّة لأننا نحتاج إلى قوّة أكبر، لا أشعر بالجوع ولكن *ما* تقول إن عليّ أن آكلها جميعًا.

بعد ذلك، ارتدينا ملابسنا وتدرّبنا على الجزء الخاصّ بالموت، إنه أكثر تمارين اللياقة البدنية التي لعبتها غرابة على الإطلاق، استلقيت على طرف السجّادة فلفّتها حولي وطلبت أن أنقلب على جهتي الأمامية ثم الخلفية ثم الأمامية، ثم الخلفية مجدّدًا، إلى أن لُففتُ بالكامل وبإحكام، ففاحت رائحة غريبة من السجّادة، غبار وشيء مختلف نتيجة استلقائي عليها.

حملتني وأنا محشور للغاية، وقالت إنني أشبه حِزمة طويلة وثقيلة، إلّا أن نيك العجوز سيحملني بسهولة لأن لديه عضلات أكثر: "سيحملك عبر الفناء، ربما إلى مرآبه، على هذ الشكل..." أشعر أننا نتحرّك في أرجاء الغرفة، شعرت بضيق في عنقي إلا أنني لم أتحرّك قيد أنملة: "أو ربما فوق كتفه على هذا الشكل..." رفعتني، وأصدرت صوت همهمة، ثم ضغطت على وسطي.

"هل الطريق طويل للغاية؟".

"ما الذي تعنيه؟".

ضاعت كلماتي وأنا ملفوف في السجّادة.

قالت *ما*: "تريّث، فكّرت للتوّ أنه قد يضعك أرضًا بضع مرّات ليفتح الأبواب"، وضعتني أرضًا، ووضعت الطرف الذي يوجد فيه رأسي أولًا.

"آه".

"لكنك لن تصدر أيّ صوت، أليس كذلك؟".

السجّادة على وجهي، إنها تثير الحكّة في أنفي إلّا أني لا أستطيع أن أصل إليه: "آسف".

"سيلقي بك في مقصورة الشاحنة المسطّحة بهذه الطريقة".

ارتطمتُ حين ألقتني، عضضت على فمي كي لا أصرخ.

"ابقَ متصلّبًا، متصلّبًا، متصلّبًا، مثل رجل آلي، اتّفقنا، مهما حصل؟".

"حسنًا".

"لأنك إن تراخيت، أو تحرّكت، أو أصدرت أدنى صوت يا جاك، إن فعلت ذلك عن طريق الخطإ، فسيعرف أنك على قيد الحياة، وسيصبح غاضبًا للغاية، وسوف...".

انتظرتها: "ما الذي سيفعله يا *ما*؟".

"لا تقلق سيصدّق أنك ميت".

كيف تعرف ذلك على وجه الدقّة؟

"ثم سيصعد في الجزء الأمامي من الشاحنة ويشرع في قيادتها".

"إلى أين؟".

"أوه، ربما خارج المدينة، إلى مكان لا يراه فيه أحد وهو يحفر حفرة، مثل غابة أو شيء من هذا القبيل، لكن بمجرّد أن يشغّل محرّك الشاحنة سيعمّ الصخب والطنين والاهتزاز على هذا الشكل..." أَصدَرَت أصواتًا بلسانها نحوي داخل السجّادة، إلّا أنها لم تفعل هذه المرّة: "هذه هي إشارتك للبدء بالخروج من السجّادة، هلّا جرّبت ذلك؟".

حاولت التملّص لكني لم أستطع إنها محكمة للغاية: "لقد عَلِقت، لقد عَلِقت يا *ما*".

فضّت السجّادة في الحال وأخذت نفسًا عميقًا فيه الكثير من الهواء.

"هل أنت بخير؟".

"أنا بخير".

ابتسمت لي، لكنها كانت ابتسامة غريبة كما لو أنها مصطنعة، ثم لفّتني مجدّدًا، لكن بطريقة أقلّ إحكامًا.

"لا تزال تضغطني".

"آسفة، لم أعتقد أنها ستكون قاسية للغاية، تمهّل"، فكّتني *ما* مجدّدًا: "اسمع، حاول طيّ ذراعيك مع إبقاء مرفقيك بارزين قليلًا لترك بعض المساحة".

تمكّنتُ، عندما لفّتني هذه المرّة وذراعاي مطويّتان، أن أخرجهما من فوق رأسي، فلوّحت بأصابعي خارج السجّادة.

"رائع، حاول أن تتملّص الآن كما لو أنها نفق".

"إنها ضيّقة للغاية"، لا أعرف كيف تمكّن الكونت من فعل ذلك وهو يغرق: "أخرجيني من هنا".

"انتظر لحظة".

"أخرجيني الآن".

قالت *ما*: "إذا استمررت بالهلع، فلن تنجح خطّتنا".

بكيت مجدّدًا، وتبلّلت السجّادة عند وجهي: "أخرجيني!".

فضّت *ما* السجّادة، وتنفست مجدّدًا بعمق.

وضعت *ما* يدها على وجهي لكني أزحتها بعيدًا.

"جاك...".

"كلا".

"أصغِ إلي".

"الخطّة (ب) ذات جمجمة خدرة".

"أعرف أنها مخيفة، أتظنّني لا أعرف ذلك؟ لكن علينا أن نجرّبها".

"لا، لا يتوجّب علينا فعل ذلك، ليس قبل أن أبلغ السادسة".

"هناك شيء يدعى نزع الملكية".

حدّقت إلى *ما*: "ماذا؟".

"من الصعب أن أشرح ذلك"، وزفرت: "نيك العجوز لا يملك منزله حقًّا، بل المصرف، وإذا خسر وظيفته ولم يعد لديه أموال، وتوقّف عن الدفع للمصرف،

فسيغضب ويحاول انتزاع الملكية".

تساءلت كيف يمكن للمصرف أن يفعل ذلك، ربما عبر حفّارة عملاقة، فسألتها: "وهل سيكون نيك العجوز في الداخل؟ مثل الإعصار الذي حاول رفع منزل دورسي؟".

أمسكت *ما* بمرفقيّ بقوّة لدرجة أنهما كادا أن يؤلماني: "أصغِ إليّ، ما أحاول أن أقوله إنه لن يدع أيّ شخص يدخل إلى منزله أو إلى فنائه الخلفي، لأنه عندها سيعثر على الغرفة، أليس كذلك؟".

"وينقذنا".

"كلا، لن يسمح بحدوث ذلك على الإطلاق".

"ما الذي قد يفعله؟".

امتصّت *ما* شفتيها حتى لم يظهر منهما شيء: "الفكرة أنه يتوجّب علينا الهروب قبل حصول ذلك، ستعود إلى السجّادة الآن وتتدرّب قليلًا حتى تتقن التملّص منها".

"كلا".

"جاك، أرجوك...".

صرخت: "أنا خائف جدًّا، لن أفعل ذلك أبدًا، إنني أكرهك".

تنفّست *ما* بصعوبة، وجلست على الأرض: "لا بأس بذلك".

كيف يكون لا بأس بذلك إذا كرهتها؟

وضعت يدها على بطنها: "لقد جئت بك إلى هذه الغرفة، لم أقصد ذلك، لكني فعلت، ولم آسف على ذلك إطلاقًا".

تبادلنا التحديق إلى بعضنا بعضًا.

"لقد أحضرتك إلى هنا وسأخرجك الليلة".

"حسنًا".

قلتها بصوت خافت للغاية، إلا أنها سمعتها وأومأت إليّ برأسها.

"وأنت ستخرجين من هنا عبر شعلة اللحام، سنخرج كلانا، لكن سيخرج واحد في كلّ مرة".

استمرّت *ما* بهزّ رأسها: "ومع ذلك، أنت الوحيد الذي يهمّ، أنت وحسب".

هززت برأسي رافضًا حتى بدأ يترنّح لأنّه لا يوجد شيء اسمه أنا وحسب.

نظرنا إلى بعضنا من دون أن نبتسم.

"هل أنت جاهز للعودة إلى السجّادة؟".

أومأت إليها برأسي إيجابًا، استلقيت، فلفّتني بإحكام: "لا أستطيع...".

شعرتُ أنها تربّت عليَّ من فوق السجّادة: "بالطبع تستطيع".

"لا أستطيع، لا أستطيع".

"هل يمكنك أن تعدّ للمئة من أجلي؟".

فعلت ذلك بسهولة وسرعة.

قالت *ما*: "لقد أصبحت أهدأ بالفعل، سنتوصّل إلى حلّ هذا الأمر في غضون دقيقة، مممم، أتساءل، إن لم تكن قادرًا على التملّص، هل تستطيع... أن تفتح السجّادة عوضًا عن ذلك؟".

"لكني موجود في الداخل".

"أعلم ذلك، لكنك تستطيع مدَّ يدك إلى الخارج وإيجاد الزاوية، دعنا نجرّب ذلك".

تلمّست في الأرجاء حتى عثرت على شيء مدبّب.

قالت *ما*: "هذا هو رائع، اسحب الآن، ليس من هذه الجهة، بل من الجهة الأخرى، حتى تشعر بأنها تصبح أكثر ارتخاءً، مثل تقشير الموز".

أنجزت جزءًا فقط.

"أنت مستلقٍ على الحافّة، وبالتالي فأنت تجعلها أثقل".

ها هي الدموع تعود من جديد: "أنا آسف".

"لا يجب عليك أن تتأسّف، أنت تؤدّي بطريقة رائعة، ماذا لو تدحرجت؟".

"إلى أيّ جهة؟".

"إلى الجهة التي تشعر بأنها أكثر ارتخاءً، ربما نحو معدتك، ثم اعثر على حافّة السجّادة مرّةً أخرى واسحبها".

"لا أستطيع".

تمكّنتُ من فعل ذلك، أخرجت مرفقًا.

قالت *ما*: "ممتاز، لقد فككتها بالفعل من الأعلى، اسمع، لماذا لا تجلس، هل تستطيع الجلوس؟".

إنه أمر مؤلم ومستحيل.

تمكّنتُ من الجلوس، وكلا مرفقيّ في الخارج، وأصبحت السجّادة مفتوحة حول وجهي، وأستطيع أن أسحبها بالكامل". صرخت: "لقد فعلتها، أنا الموزة".

"أنت الموزة"، قالت *ما* وهي تقبّلني على وجهي المبتلّ بالكامل: "دعنا نحاول مجدّدًا".

أخبرتني عن العالم في الخارج عندما تعبت للغاية وتوجّب عليَّ التوقّف: "سيقود نيك العجوز الشاحنة إلى نهاية الشارع، ستكون في الجزء الخلفيّ، في القسم المكشوف من الشاحنة. لذا، لن يستطيع رؤيتك، اتّفقنا؟ تمسك بحافّة الشاحنة حتى لا تسقط، لأنها ستسير بسرعة على هذا الشكل"، سحبتني وهي تهزنيّ من جهة إلى أخرى: "ثم عندما يضغط المكابح، ستشعر بنوع من... وكأنك تُسحب إلى الجهة الأخرى، وعند تباطؤ الشاحنة وهذا يعني وجود إشارة توقّف، حيث يجب على السائقين أن يتوقّفوا للحظات..".

"حتى هو؟".

"أه، أجل، بمجرّد أن تشعر أن الشاحنة لم تعد تتحرّك، عندها من الآمن أن تقفز من صندوق الشاحنة من الجهة الجانبية".

إلى الفضاء الخارجي، لم أقل ذلك، أعرف أنه خاطئ.

"ستسقط على الرصيف، وسيكون صلبًا مثل.." نظرت حولها: "مثل السيراميك، لكن أكثر خشونة، ثم اركض، اركض، اركض، مثل جينجرجاك".

"لقد أكل الثعلب جينجرجاك".

قالت ماما: "حسنًا، إنه مثال سيّئ، لكننا نحن من نخدع المخادعين هذه المرّة، *كن رشيقًا يا جاك، كن سريعًا يا جاك...*".

"*اقفز فوق الشمعدان يا جاك*".

"عليك أن تركض على طول الشارع، بعيدًا عن الشاحنة، بسرعة فائقة، مثل... هل تتذكّر برنامج الرسوم المتحرّكة الذي شاهدناه ذات مرّة، عدّاء الطريق؟".

"توم أند جيري يركضان أيضًا".

هزّت *ما* برأسها موافقة: "كلّ ما يهمّ هو ألا تسمح لنيك العجوز بالإمساك بك، أوه، حاول أن تصعد إلى الرصيف إن أمكنك، وهو الجزء الأكثر ارتفاعًا بقليل، حتى لا تصدمك السيارة، وعليك أن تصرخ أيضًا حتى يتمكّن شخص ما من مساعدتك".

"من؟".

"لا أدري، أيُّ شخص".

مكتبة
t.me/t_pdf

"من يعني؟".

"ما عليك سوى أن تركض باتّجاه أول شخص تراه، أو.. سوف يكون الوقت متأخّرًا جدًّا، وربما لن تجد أحدًا يمشي". عضّت على إبهامها، أو بالأحرى قضمت ظفر الإبهام، فلم أخبرها بأن تتوقّف، "إن لم تجد أحدًا عليك التلويح للسيارات للتوقّف، وإخبار الناس الموجودين في داخلها بأنك مختطف أنت وأمّك، وإذا لم تجد سيارة- يا إلهي- أعتقد أنه يتوجّب عليك أن تركض نحو منزل- أيّ منزل تنيره الأضواء- واطرق على الباب بكلّ ما أُوتيت من قوّة مستخدمًا قبضتيك، لكن اتّجه فقط نحو منزل مصابيحه مضاءة، لا المنازل الفارغة، ويجب أن تتوجّه إلى الباب الأمامي، فهل تعرف أيّ واحد هو؟".

"الموجود في الجهة الأمامية".

"حاول الآن"، انتظرت *ما*: "تحدّث إليهم تمامًا كما تتحدّث إليّ، سأتظاهر بأنني هم، ماذا ستقول؟".

"أنا وأنتِ تمّ...".

"كلا، تعامل معي وكأنني من الناس الموجودين في المنزل، أو في السيارة، أو على رصيف المشاة، أخبرهم أنتَ وماما..."

حاولت مرّةً أخرى: "أنتَ وماما...".

"كلا، يجب أن تقول، *ما* وأنا.."

"أنتِ وأنا".

زَفَرَت زفرات عميقة: "حسنًا، لا تشغل بالك، ناولهم الملاحظة.. أمازالت الملاحظة سليمة؟".

نظرتُ إلى ثيابي الداخلية: "لقد اختفت!" ثُمَّ شعرت بمكانها، لقد انزلقت إلى الخلف بين فلقتي ومؤخّرتي، فأخرجتها وجعلتها تراها.

"أبقِها في الأمام، إذا أوقعتَها لأيّ سبب، يمكنك أن تقول لهم فحسب *لقد اختطفت* قُل ذلك، بكلّ بساطة".

"لقد اختطفت".

"قُل ذلك بشكل واضح وبصوت عالٍ حتى يتمكّنوا من سماعك".

صرخت: "لقد اختطفت".

قالت *ما*: "غاية في الروعة، ثم سيتّصلون بالشرطة، أعتقد أن الشرطة ستبحث في الأفنِية الخلفية للمنازل في جميع أنحاء المكان حتى يجدوا الغرفة"، لم تبدُ ملامح وجهها واثقة للغاية.

ذكّرتها: "مع شعلة اللحام".

تمرّنا مرارًا وتكرارًا، ميت، شاحنة، أتملّص، أقفز، أركض، أحد ما، الملاحظة، الشرطة، شعلة اللحام، هذه تسعة أشياء، لا أعتقد أني أستطيع الاحتفاظ

بها كلّها في رأسي في الوقت ذاته، تقول *ما* إنني بالطبع أستطيع القيام بذلك، فأنا بطلها الخارق، أنا السيّد ذو الخمسة أعوام.

أتمنّى لو أني لا أزال في الرابعة.

أتيح لي اختيار ما سنتناوله على الغداء لأنه يوم مميّز، إنه يومنا الأخير في الغرفة، هذا ما قالته *ما* لكني في الحقيقة لم أصدّق ذلك، شعرت فجأة بأني أتضوّر جوعًا، اخترت تناول المعكرونة والهوت دوغ والبسكويت، كما لو أنها ثلاث وجبات غداء مجتمعة.

لعبنا الداما طوال الوقت، فانتابني الخوف من هروبنا العظيم. لذا، خسرت مرّتين، وبعدها لم أرغب في اللعب.

جرّبنا أخذ قيلولة إلّا أننا لم نستطع أن نتوقّف عن التشغيل، حظيت بالقليل من الأيسر ثم من الأيمن ثم من الأيسر مجدّدًا حتى لم يبقَ شيء تقريبًا.

لم أرغب في تناول وجبة العشاء، لم نرغب فيها، يتوجّب عليّ أن أرتدي مجدّدًا القميص الملطّخ بالقيء، قالت *ما* إن في وسعي البقاء مرتديًا جوربي: "وإلا فقد يسبّب الشارع ألمًا في قدميك"، مسحت عينها ثم مسحت الأخرى: "ارتدِ أسمك زوج من الجوارب لديك".

لا أعلم لماذا تبكي بسبب الجوارب، توجّهت إلى الخزانة لأبحث عن السنّ تحت الوسادة: "سأدسّه في جوربي".

هزّت *ما* برأسها رافضة: "ماذا لو دُستَ عليه وآلمتك قدمك؟".

"لن يحصل ذلك، سيبقى هنا جانبًا".

أشارت الساعة إلى 06:13، أوشك المساء أن يحلّ، تقول *ما* إن عليّ أن أدخل السجّادة بشكل مسبق، لأنه من المحتمل أن يأتي العجوز نيك في وقت باكر لأني مريض.

"ليس بعد".

"في الواقع.."

"أرجوك لا".

"اجلس هنا، اتّفقنا، حتى يتاح لي لفّك على عجلة إن اضطررنا".

كرّرنا الخطّة مرّة تلو الأخرى حتى أتدرّب على الخطوات التسع: ميت، شاحنة، أتملّص، أقفز، أركض، أحد ما، الملاحظة، الشرطة، شعلة اللحام.

ظللت أنتفض في كلّ مرة أسمع فيها صوت بيب بيب، إلّا أنه لم يكن حقيقيًّا، فقد كنت أتخيّل سماع الصوت بشكل متواصل، فحدّقت إلى الباب، إنه لامع كالخنجر. "*ما*؟".

"ما الأمر؟".

"لنفعل هذا ليلة الغد وليس اليوم".

انحنت وضمّتني بقوّة هذا يعني لا.

أنا أكرهها بعض الشيء.

"لو كنت أستطيع القيام بذلك بدلًا منك لقمت به".

"لماذا لا تستطيعين؟".

هزّت برأسها: "أنا آسفة للغاية، أنت من يتوجّب عليه القيام بذلك وعليك القيام به الآن، لكني سأكون في ذهنك دائمًا، ألا تتذكّر؟ سأتحدّث إليك في كلّ دقيقة".

راجعنا الخطّة (ب) عدّة مرّات، سألتها: "ماذا لو فتح السجّادة؟ لينظر إليّ وأنا ميت".

لبرهة لم تقل شيئًا: "هل تعرف كم هو سيّئ الضرب؟".

"أجل".

"حسنًا، اليوم هو حالة خاصّة، لا أعتقد أنه قد يفعل ذلك، سيكون على عجلة من أمره للانتهاء من كلّ شيء بسرعة، ولكن إذا حصل ذلك لسبب ما، ستضربه بكلّ ما أوتيت من قوّة".

يا للهول.

"اركله، عضّه، افقأ عينيه..." فنخزت بأصابعها الهواء: "افعل أي شيء لتتمكّن من الفرار".

بالكاد استطعت أن أصدّق ما تقوله: "هل مسموح لي أن أقتله حتى؟".

ركضتُ إلى خزانة الملابس حيث تجفّف الأشياء بعد غسلها، واستلّت سكينًا حادًّا من أحد رفوفها.

نظرت إلى لمعانه، وخطرت في بالي الحادثة التي قامت خلالها *ما* بوضع السكّين على عنق نيك العجوز: "هل تعتقد أن في وسعك إمساكها بإحكام داخل السجّادة، وإذا..." ثم حَدَّقَت إلى السكّين الحادّ، ووضعته في الحال مع الشوك على حمّالة الصحون: "بماذا كنتُ أفكّر؟".

كيف لي أن أعرف إن لم تكن هي نفسها تعرف؟

قالت *ما*: "ستطعن نفسك".

"كلا لن أفعل".

"ستفعل يا جاك، كيف لك ألا تفعل ذلك وأنت ملفوف، ستمزّق نفسك إربًا، وأنت تتحرّك وتندفع في الداخل مع نصل عارٍ... أعتقد أني أفقد عقلي".

هززت برأسي: "إنه ها هنا"، ونقرت على شعرها.

فركت *ما* ظهري.

تفقّدت السنّ داخل جوربي، والملاحظة في سروالي الداخليّ من الأمام، وغنّينا ليمرّ الوقت، لكننا فعلنا ذلك بصوت منخفض، *أفقد السيطرة*، وكلام عنيف، و بيت *في المدى*.

غَنّيت، *حيث تلعب الغزلان والظباء*.

حيث نادرًا ما نسمع كلمة محبطة

والسماء ليست غائمة طوال اليوم

قالت *ما* وهي تمسك السجّادة المفتوحة: "لقد حان الوقت".

لا أرغب في ذلك، استلقيت ووضعت يديّ على كتفي وبرز مرفقاي إلى الخارج، وانتظرت أن تلفّني.

لكنها اكتفت بالنظر إليّ عوضًا عن ذلك، إلى قدميّ وإلى ساقيّ وذراعيّ ورأسي، استمرت بمسحي بعينيها صعودًا ونزولًا كما لو أنها تعدّ.

سألتها: "ما الأمر؟".

لم تقل شيئًا، انحنت فوقي ولم تُقبلني، لمست وجهها بوجهي فحسب حتى لم أعد أستطيع التمييز بينهما، فأخذ صدري ينبض مصدرًا صوت دانغ دانغ دانغ دانغ، لن أتركها.

"حسنًا"، تحدّثتْ بصوت متحشرج: "حسنًا، نحن خشعان، أليس كذلك؟ نحن خشعان بالكامل، أراك في الخارج". وضعت ذراعيّ بالطريقة المناسبة بحيث برز مرفقاي إلى الخارج، ثم طوت السجّادة، فعمّ الظلام.

أنا ملتفٌّ في الظلمة التي تبعث على الحكّة.

"هل هي شديدة الإحكام".

حاولت أن أجرّب إن كان بوسعي رفع ذراعيَّ فوق رأسي ثم إعادتهما، فتخدّشتا بعض الشيء.

"هل أنت على ما يرام؟".

أجبتها: "أجل".

ثم اكتفيت بالانتظار، فدخل شيء ما من أعلى السجّادة وفرك شعري، إنها يدها، لقد عرفت ذلك من دون أن أراها. أستطيع سماع صوت تنفّسي وهو يصدر ضوضاءً، ففكّرت بالكونت في الكيس والديدان تزحف إلى الداخل، وهو يسقط ويسقط ويسقط ويصطدم بالمياه، فهل تستطيع الديدان السباحة؟".

ميت، الشاحنة، هروب، أحد ما.. كلا، التملّص، ثم القفز، الركض، أحد ما، الملاحظة، شعلة اللحام، نسيت الشرطة قبل شعلة اللحام، إنها معقّدة للغاية، سأخفق وسيدفنني نيك العجوز بشكل حقيقيّ وستبقى *ما* تنتظر بشكل دائم.

بعد فترة طويلة، همست: "هل سيأتي أم لا؟".

أجابتني: "لا أعرف كيف يمكنه ألّا يأتي؟ لو أن جزءًا منه على الأقلّ كان بشريًّا..."

اعتقدت أن البشر يكونون بشرًا أو لا، لم أعرف أن أحدًا ما قد يكون بشريًّا بشكل جزئيّ، ما هي الأجزاء الأخرى إذًا؟

انتظرت وانتظرت، لا أستطيع أن أشعر بذراعيّ، السجّادة في مقابل أنفي، أردت أن أحكّه، حاولت وحاولت حتى بلغته. "*ما*".

"أنا هنا".

"وأنا أيضًا".

بيب بيب.

أجفلت، يُفترض بي أن أكون ميتًا، ولكنني لم أستطع تمالك نفسي، أرغب في الخروج من السجّادة في هذه اللحظة إلّا أنني عالق، ولا أستطيع حتى المحاولة، سوف يرا...

هناك شيء ما يضغط عليّ، لا بدّ أنها يد *ما*، إنها تريدني أن أكون الأمير الخارق جاكرجاك. لذا، بقيت ساكنًا بشكل تامّ، فلا مزيد من الحركة أنا جثّة هامدة، أنا الكونت، لا، أنا صديقه بل حتى أكثر موتًا، أنا متصلّب مثل رجل آلي معطّل غير موصول بالطاقة.

"هاكِ"، هذا صوت نيك العجوز، بدا صوته كالعادة، فهو لا يعرف أنني ميت: "مضادّ حيويّ، لكنه قد تجاوز تاريخ الصلاحية للتوّ، اقسميها إلى النصف من أجل الطفل، هكذا قال الرجل".

لم تجب *ما*.

"أين هو، في الخزانة؟".

إنه يشير إليّ بقوله هو.

"أهو داخل السجّادة؟ هل جُننتِ، كيف لك أن تقومي بلفِّ طفل مريض بهذا الشكل؟".

"لم يعد"، تحدّثت *ما* بصوت غريب للغاية: "تفاقم وضعه في الليل ولم يستيقظ هذا الصباح".

عمّ الصمت، ثم أصدر نيك العجوز صوتًا غريبًا: "هل أنت واثقة؟".

"هل أنا واثقة؟". صرخت *ما* بما يشبه العويل، إلّا أني لم أتحرّك، لم أتحرّك، أنا متصلّب، لا أسمع، لا أرى، لا شيء.

"أوه، كلا"، أسمع أنفاسه طوال الوقت: "هذا فظيع للغاية، يا لك من فتاةٍ مسكينة لقد..."

لدقيقة لم يقل أيّ منهما كلمة..

قال نيك العجوز: "أعتقد أن الأمر كان خطيرًا للغاية، لا أظنّ أنّ الحبوب كانت ستجدي نفعًا".

نحبت *ما* وقالت: "لقد قتلته".

"بالله عليكِ، اهدأي".

"كيف لي أن أهدأ بينما جاك..." تنفّست بطريقة متقطّعة، وخرج صوتها مختنقًا، إنها تؤدّي بشكل جيّد حتى أنني كدت أُصدّقها.

بدا صوته قريبًا للغاية، تشبّثت وتصلّبت وتصلّبت وتصلّبت: "دعيني".

"لا تلمسه".

"حسنًا، حسنًا"، ثم قال نيك العجوز: "لا يمكنك إبقاؤه هنا".

"إنه طفلي الصغير!".

"أعلم ذلك، إنه أمر مريع، لكن عليّ أن آخذه بعيدًا الآن".

"كلا".

سألها: "كم مضى عليه من الوقت؟ هل قُلتِ لي هذا الصباح؟ وربما منذ الليل؟ لابدّ أنه سيبدأ بـ... من غير الصحّي إبقاؤه هنا، من الأفضل أن آخذه وأجد مكانًا ما لدفنه".

تحدّثت *ما* بصوت يشبه الزمجرة: "ليس في الفناء الخلفي".

"حسنًا".

"إن وضعته في الفناء الخلفي... لا تفعل ذلك، إنه قريب للغاية، إذا دفنته هناك سأسمعه وهو يبكي".

"قُلتُ حسنًا".

"يجب أن تقود به مبتعدًا مسافة طويلة للغاية، اتّفقنا؟".

"حسنًا، دعيني...".

"ليس بعد"، بَكَت وبَكَت: "لا ينبغي لك أن تزعجه".

"سأبقيه ملفوفًا".

"إيّاك أن تجرؤ على لمسه...".

"حسنًا".

"أقسم لي إنك لن تنظر إليه بعينيك القذرتين".

"حسنًا".

"أقسم لي".

"أُقسم لك، هل هذا جيّد؟".

أنا ميت، ميت، ميت.

قالت *ما*: "سأعرف، سأعرف إن وضعته في الفناء الخلفيّ، وسأصرخ في كلّ مرّة يُفتح فيها الباب، سأدمّر هذا المكان بالكامل، أقسم إنني لن أبقى صامتة مجدّدًا، وسيتوجّب عليك قتلي أيضًا لتجعلني أصمت، لم أعد أهتمّ بعد الآن".

لماذا تقول له أن يقتلها؟

قال نيك العجوز كما لو أنه يتحدّث إلى كلب: "هوّني عليكِ، سأحمله الآن وآخذه إلى الشاحنة، اتّفقنا؟".

قالت وهي تبكي بكاءً شديدًا لدرجة أنني بالكاد تمكّنتُ من سماع ما تقوله: "برفق، اختر مكانًا جميلًا، مكانًا فيه أشجار أو شيء من هذا القبيل".

"بالتأكيد، حان وقت الرحيل الآن".

جذب السجّادة وأنا في داخلها، وعصرني، فقالت *ما*: "جاك، جاك، جاك".

ثم حملني، اعتقدت أنها هي، ثم عرفت أنه هو، لا تتحرّك لا تتحرّك لا تتحرّك يا جاكرجاك ابقَ متصلّبًا متصلّبًا متصلّبًا. أنا أُسحق داخل السجادة، لا أستطيع أن أتنفّس بشكل جيّد، لكن الأموات لا يتنفّسون على كلّ حال، *لا تدعيه يفتح السجّادة، أتمنى لو أني أملك السكّين المصقولة.*

صدر صوت بيب بيب مجدّدًا، ثم صوت كليك، هذا يعني أن الباب أمسى مفتوحًا، لقد نالت مني الغيلان، في فاي فو فوم. أشعر بحرارة على قدمي، أوه لا، لقد سرّب القضيب بعض البول، وخرج بعض الغائط من مؤخّرتي، لم تخبرني *ما* أن هذا قد يحصل، مقرف، أنا آسف أيتها السجّادة، أسمع صوت نخر قرب أذني، أمسك بي نيك العجوز بإحكام، أنا خائف للغاية، لا يمكنني أن أكون شجاعًا، قِف، قِف، قِف، لكن لا أستطيع أن أصدر أي صوت وإلا سيعرف بأمر الخدعة وسيأكل رأسي أوّلًا وسيقتلع قدميّ...

عددت أسناني إلا أنني ظللت أخطئ، تسع عشرة، واحد وعشرون، اثنان وعشرون، أنا الرجل الآلي الأمير الخارق جاكرجاك السيّد ذو الخمسة أعوام لا أتحرّك، هل أنت هناك أيها السنّ؟ لا أستطيع الإحساس بك، لكن لا بدّ أنك في جوربي، إلى الجهة الجانبية منه، فأنت جزء من *ما*، جزء صغير من بُصاق *ما* الميت، الذي أصحبه معي.

لا أستطيع الإحساس بذراعيّ.

الهواء مختلف، لا يزال غبار السجّادة يعبق، ولكن عندما أرفع أنفي قليلًا إلى الأعلى أستطيع أن أستنشق الهواء الذي...

الخارج.

هل يمكن أن أكون؟

توقّف نيك العجوز، لماذا لا يزال واقفًا في الفناء الخلفيّ؟ ما الذي سيقوم به...؟

تحرّك مجدّدًا، بقيت متصلّبًا متصلّبًا متصلّبًا.

آاااخ، وُضعت على شيء صلب، لا أعتقد أني أصدرت صوتًا، لم أسمع أيّ صوت، أعتقد أني عضضت على فمي، فأنا أشعر بطعم الدم.

سمعت صوت بيب لكنه مختلف، صدر صوت خشخشة معدنية، حملني ثم أسقطني مجدّدًا، على وجهي أاخ أااخ أااخ. بانغ، ثم أخذ كلّ شيء بالاهتزاز والاضطراب والزئير أسفل الجهة الأمامية، إنه زلزال..

كلا، إنها الشاحنة، لابدّ أنها الشاحنة، إنها لا تشبه الصوت الذي أصدرته *ما* بلسانها فهو أعلى من ذلك بملايين المرّات. *ما*، صرخت داخل رأسي، ميت، شاحنة، ولكن هذين اثنان من أصل تسعة، فأنا في مؤخّرة الشاحنة البنّية كما في القصّة.

أنا لست في الغرفة، أما زلت أنا؟

تحرّكنا الآن، أنا أجول في الشاحنة بشكل حقيقيّ للغاية.

أوه، يجب أن أتملّص منها، كدت أن أنسى، بدأت أتحرّك مثل الأفعى، إلّا أن السجّادة أصبحت أكثر إحكامًا لا أعرف كيف، أنا عالق، *ما ما ما* لا أستطيع الخروج كما فعلنا عندما تمرّنا مع أننا تمرّنا وتمرّنا، سار كلّ شيء بشكل خاطئ، أنا آسف، سيأخذني نيك العجوز إلى مكان ما ويدفنني، وستزحف الديدان إلى الداخل، ستزحف الديدان إلى الخارج... بكيت مجدّدًا، أخذ أنفي بالسيلان، عقدت ذراعيّ تحت صدري، أنا أقاتل السجّادة لأنها لم تعد صديقتي بعد الآن، أركل مثل الكاراتيه إلا أنها أمسكت بي، إنها الكفن المعدّ للجثث التي ستُلقى في البحر...

الصوت أكثر هدوءًا، لا حركة، لقد توقّفت الشاحنة.

إنها تتوقّف، لابدّ إنها إشارة توقّف، هذا يعني أنه يُفترض بي أن أقفز وهي الخطوة الخامسة ضمن القائمة، لكني لم أنجز الخطوة الثالثة بعد، كيف لي أن أقفز إن لم أتمكّن من التملّص من السجّادة؟ لا أستطيع القيام بالخطوة الرابعة أو

الخامسة أو السادسة أو السابعة أو الثامنة أو التاسعة، أنا عالق في الثالثة، سيدفنني مع الديدان...

تحرّكنا من جديد، صدر صوت فروم فروم.

تمكّنت من رفع إحدى يدي فوق وجهي المغطّى بالمخاط بشكل كامل، فاحتكت يدي بالجزء العلويّ ورفعت يدي الأخرى، فقبضت أصابعي على الهواء في الخارج، شيء بارد، شيء معدنيّ، شيء آخر غير معدنيّ ذو نتوءات، تشبّثت وسحبت، وسحبت، وسحبت وركلت فآلمتني ركبتي، أاخ أااخ أاخ، لا فائدة، كلّ ذلك من دون جدوى، *جد الحافّة*، هل هذه *ما* من تتحدّث في رأسي كما قالت أم أنني أتذكّر فحسب؟ تلمّست كامل السجّادة لكنني لم أجد طرفًا لها، ثم وجدته وسحبت، ارتخت قليلًا فقط على ما أعتقد، استدرت نحو ظهري لكنها أصبحت أكثر إحكامًا ولم أعد أستطيع إيجاد الزاوية.

توقّفنا، توقّفت الشاحنة مجدّدًا، وأنا لم أخرج بعد، لقد توجّب عليَ القفز من المرّة الأولى، سحبت السجّادة إلى الأسفل حتى كدت أن أكسر مرفقيّ، فرأيت ضوءًا مبهرًا، لكنه اختفى لأن الشاحنة تحرّكت مجدّدًا فرووووم فرووووم.

أعتقد أن ما رأيته هو الخارج، الخارج حقيقيّ وساطع للغاية لكني لا أستطيع...

ما ليست هنا، لا يوجد متّسع من الوقت للبكاء، أنا الأمير جاكرجاك، يجب عليّ أن أكون جاكرجاك، وإلّا ستزحف الديدان إلى الداخل، انتقلت إلى جهتي الأمامية من جديد، وثنيت ركبتي ورفعت مؤخّرتي في الهواء، سأندفع عبر السجّادة وهي أكثر ارتخاءً الآن، لقد انزاحت عن وجهي...

استطعت تنفس الهواء الذي بدا داكنًا ولكنّه منعش، فجلست، وتملّصت من السجّادة كما لو أني نوع من الموز المسحوق، فانفلتت تسريحة ذيل الحصان خاصّتي، ودخل الشعر في عينيّ، ثم وجدتُ قدمي الأولى ثم الثانية، وأخيرًا أخرجت نفسي بالكامل، لقد نجحت، لقد نجحت، أتمنّى لو أن في وسع دورا أن تراني، لكانت ستغنّي أغنية *نجحنا*.

مرَّ فوقنا ضوء آخر بسرعة، وأخذت الأشياء تنزلق من السماء، أعتقد أنها أشجار، ومنازل، وأضواء، وأعمدة عملاقة، وبعض السيارات، يتحرّك كلّ شيء بسرعة كبيرة. يشبه ذلك برنامج الأطفال وأنا في داخله لكنه أكثر فوضوية، فتمسّكت بحافّة الشاحنة، إنها صلبة وباردة. والسماء هي أكثر الأشياء ضخامة، هناك جزء زهريّ وبرتقالي لكن الباقي رماديّ اللون. وعندما نظرت إلى الأسفل وجدت لون الشارع أسود والطريق طويل للغاية، أعرف القفز بشكل جيّد، لكن ليس عندما يكون كلّ شيء وعرًا وصاخبًا وكلّ الأضواء غير واضحة، وتفوح رائحة غريبة في المكان رائحة تفاح أو شيء من هذا القبيل، ولا تعمل عيناي بشكل جيّد، أنا خائف أكثر من قدرتي على أن أكون خشاعًا.

توقّفت الشاحنة من جديد، لا أستطيع القفز، لا أستطيع أن أتحرّك فحسب، تمكّنت من الوقوف ونظرت في الأرجاء ولكن...

انزلقتُ واصطدمت بالشاحنة، واصطدم رأسي بشيء آلمني، وصرخت من دون قصد، آاااه.

توقّفنا مجدّدًا.

فصدر صوت معدنيّ، ورأيت وجه نيك العجوز، وقد خرج من الشاحنة وهو يحمل أكثر وجه غاضب شاهدته في حياتي... *اقفز*.

تكسّرت الأرض، وتحطّمت قدماي، وارتطمت ركبتيّ بوجهي لكني ركضت وركضت وركضت... أين هو *أحد ما*؟ قالت *ما*، نادِ إلى أحد ما أو سيارة أو منزل مضاء، رأيت سيارة لكنها معتمة من الداخل، وعلى أيّة حال لم يصدر أيّ صوت من فمي الذي امتلأ بشعري، لكنني تابعت الركض، كُن رشيقًا وسريعًا يا جينجرجاك، *ما* ليست هنا، لكنها وعدتني أن تكون في رأسي وهي تقول لي اركض، اركض، اركض. صدر صوت زئير من خلفي كان ذلك هو، إنه نيك العجوز، إنه آتٍ ليمزّقني إربًا في فاي فو فام، يجب عليّ أن أجد أحداً ما لأصرخ النجدة، النجدة لكنني لم أجد أحدًا، لا يوجد أحد ما، سيتوجّب علي أن أستمرّ بالركض إلى الأبد، لكن أنفاسي أخذت تنقطّع ولا أستطيع أن أرى و...

دبّ؟

ذئب؟

كلب، هل يعتبر الكلب أحدًا ما؟

ظهر أحد ما خلف الكلب، لكنه شخص صغير للغاية، إنه طفل صغير يمشي، إنه يدفع شيئًا ما له عجلات مع طفل أصغر في الداخل، لم أستطع أن أتذكّر بماذا يجب أن أصرخ، أنا على الوضع الصامت، تابعت الركض، فضحك الطفل، إنه بالكاد يملك شعرًا، أما الصغير الآخر الذي يُدفع في العربة فليس حقيقيًا، أعتقد أنه دمية، أما الكلب فهو صغير إلّا أنه حقيقيّ، إنه يتغوّط على الأرض، لم أشاهد في التلفاز كلبًا يتغوّط على الإطلاق. ثم ظهر شخص من خلف الطفل والتقط البراز في كيس كما لو أنه كنز، أعتقد أنه رجل، لدى هذا*/الأحد ما* شعر قصير مثل نيك العجوز إلا أنه مجعّدٌ أكثر ولونه بنّي أغمق من شعر الطفل، فصرخت: "النجدة"، لكنها لم تخرج مني بصوت مرتفع بما فيه الكفاية، ركضت حتى بلغتهم تقريبًا وأخذ الكلب ينبح ويقفز عاليًا ويأكلني...

فتحت فمي لأطلق أعلى صرخة ممكنة، لكن لم يصدر أيّ صوت.

"راجا".

هناك لون أحمر على إصبعي، وكلّه دم.

أمسك الرجل بالكلب من عنقه: "اهدأ يا راجا".

فأخذ دمي يتدفّق من يدي.

ثمَّ بوم، أُمسك بي من الخلف، إنه نيك العجوز، أطبقت يداه الهائلتان على أضلعي، لقد أخفقت، لقد أمسك بي، أنا آسف، أنا آسف، أنا آسف يا *ما*، وعندما حملني صرخت من دون أن أنطق بأيّ حرف حتى، فأمسك بي تحت ذراعه، وقفل عائدًا إلى الشاحنة، ولكن قالت *ما* إن في وسعي ضربه، كما أستطيع أن أقتله، فقُمتُ بكيل الضربات لكني لم أستطيع أن أصل إليه، أنا أضرب نفسي فحسب...

"المعذرة"، صاح الرجل الذي يمسك بكيس البراز: "أنت أيها السيّد"، لم يكن صوته رخيمًا، بل إنه أكثر رقّة.

التفت نيك العجوز نحوه، فنسيت أن أصرخ.

"أنا آسف للغاية، هل الفتاة الصغيرة بخير؟".

أيّ فتاةٍ صغيرة؟

تنحنح نيك العجوز، وهو لا يزال يتوّجه إلى الشاحنة، ولكنه يمشي إلى الخلف بشكل معكوس: "بخير".

"إن راجا لطيف في العادة، لكنها ظهرت أمامه من العدم..."

قال نيك العجوز: "إنها مجرّد نوبة غضب".

"مهلًا، انتظر قليلًا، أعتقد أن يدها تنزف".

نظرتُ إلى أصبعي الذي عُضّ، وأخذ الدم ينساب منه.

رفع الطفل الصغير، وحمله بذراعه، وكيس البراز في اليد الأخرى، وبدا مرتبكًا للغاية.

أوقفني نيك العجوز، وأحكم أصابعه على كتفي، لدرجة شعرت فيها أنها تحرقني، فسأل الرجل: "كلّ شيء تحت السيطرة؟ ركبتها أيضًا، يبدو وضعها سيّئًا، لم يتسبّب راجا بذلك، هل وقعت؟".

قُلت، من دون أن يتجاوز الكلام حلقي: "أنا لستُ فتاةً".

قال نيك العجوز بصوت يشبه الزمجرة: "لماذا لا تهتمّ بشؤونك وأنا سأهتمّ بشؤوني".

ما، *ما* أحتاج إليكِ للتكلّم، لكنها لم تعد موجودة في رأسي بعد الآن، إنها غير موجودة في أيّ مكان، كدت أن أنسى، لقد كتبت الملاحظة، وضعتُ يدي التي لا تنزف في سروالي الداخلي، ولم أستطع العثور عليها، ثم وجدتها لكنها مبتلّة بالبول، لا أستطيع التحدّث إلّا أني لوّحت للرجل *أحد ما*.

انتزعها نيك العجوز من يدي وجعلها تختفي.

"حسنًا، أنا لا، لا يروق لي هذا"، قال الرجل وهو يمسك بيده هاتفًا صغيرًا، لا أعلم من أين أتى به؟ قال: "أجل الشرطة من فضلك".

سار الأمر كما قالت *ما* تمامًا، لقد وصلنا إلى الخطوة الثامنة سلفًا وهي الشرطة، فلم أقم حتى بجعله يرى الملاحظة أو التحدّث بشأن الغرفة، أقوم بذلك بشكل معكوس. توجّب عليّ التحدث إلى *الأحد ما* كما لو أنه بشر، فبدأت حديثي بالقول: "لقد اختطفت"، إلّا أن ذلك لم يصدر سوى همسًا، لأن نيك العجوز حملني مجدّدًا، وها هو ذا يتّجه نحو الشاحنة، وأخذ يركض، فرحتُ أهتز كما لو أني سأنقسم إلى قطع، لا أستطيع الوصول إليه لأضربه، إنه سيقوم بـ..

"لديّ رقم لوحة تسجيل شاحنتك أيها السيّد".

كان الرجل هو من يصرخ، هل هو يصرخ عليّ؟ أيّ لوحات تسجيل؟

أخذ الرجل يصرخ مردّدًا أرقامًا، لماذا يصرخ وهو يردّد الأرقام؟ كاف تسعة ثلاثة..".

وفجأة، آاااااه، ارتطمَ الشارع بمعدتي ويديّ ووجهي، وها هو نيك العجوز يهرب بعيدًا لكن من دوني، لقد أسقطني. إنه يبتعد أكثر في كلّ لحظة، لابدّ أنها أرقام سحرية حتى دفعت به ليلقيني أرضًا.

حاولت النهوض إلّا أني لا أتذكّر كيف أفعل ذلك.

صدر صوت كصوت الوحش، علا هدير الشاحنة وها هي ذا تتجّه نحوي ررررررررر، إنها ستسحقني وتمزّقني أشلاء صغيرة على الإسفلت، لا أعرف كيف وأين وماذا... الطفل يبكي لم أسمع طفلًا حقيقيًا يبكي من قبل...

اختفت الشاحنة، لقد عبرت بالقرب منّا فحسب، وانعطفت عند الزاوية من دون توقّف، لبرهة ظللت أسمع صوتها ثمّ لم أعد أسمعه على الإطلاق.

الجزء الأكثر ارتفاعًا، رصيف المشاة، قالت *ما* إن عليَّ الصعود إلى رصيف المشاة، وعليّ القيام بهذا زاحفًا، ولكن مع ركبتي المصابة لم يكن الأمر هيّنًا، رصيف المشاة عبارة عن مربّعات كبيرة، مكشوطة.

فاحت رائحة مريعة، أنف الكلب بجواري مباشرةً، لقد عاد ليأكلني، فصرخت.

"راجا"، سحب الرجل الكلب بعيدًا، وجلس الرجل القرفصاء، ووضع الطفل على إحدى ركبتيه التي أخذت تهتزّ جيئة وذهابًا، لم يعد يمسك كيس البراز، إنه يبدو مثل شخص من التلفاز، لكنه أقرب وأعرض وله رائحة تشبه سائل غسل الأطباق والنعنع والكاري ممزوجةً معًا، حاول وضع اليد التي لا تُمسك بالكلب عليّ لكني تدحرجت بعيدًا في الوقت المناسب: "لا بأس يا حلوتي، لا بأس".

من هي الحلوة؟ نظرت عيناه إلى عينيّ، إنه يشير إليّ بالحلوة، لا أستطيع أن أنظر، من الغريب للغاية أن يُنظر إليّ ويحدّثني أحد".

"ما اسمك؟".

لا يطرح الناس في التلفاز أسئلة عن الاسم باستثناء دورا وهي تعرف اسمي مسبقًا.

"هل يمكنك أن تخبريني بماذا تُدعَين؟".

قالت *ما* إن عليّ التكلّم إلى أحد ما، وهذه مهمتّي، فحاولت لكني لم أستطع أن أنطق بأيّ شيء، بللت شفتيّ: "جاك".

"ما هو؟". انحنى مقتربًا أكثر، زحفت بعيدًا واضعًا رأسي بين يديّ: "لا بأس، لن يؤذيك أحد، أخبريني باسمك بصوت أعلى بقليل".

التحدّث أسهل إن لم أنظر إليه: "جاك".

"جاكي؟".

"جاك".

"أوه، صحيح، أنا أسف، لقد ذهب والدك الآن يا جاك".

ما الذي يتحدّث عنه؟

بدأ الطفل بسحب ذلك الشيء الذي يرتديه فوق قميصه، إنه سترة، فقال الرجل: "بالمناسبة، أنا أجيت وهذه ابنتي، انتظر لحظة، نيشا، يحتاج جاك إلى ضمادة من أجل الواوا على ركبته، لنرى إن كان هناك..."، أخذ يفتّش في حقيبته: "راجا آسف للغاية لقيامه بعضّك".

لا يبدو أن الكلب يشعر بالأسف، كلّ أسنانه حادّة ومتّسخة، هل شرب دمائي مثل مصّاصي الدماء؟

"أنت لا تبدو على ما يرام يا جاك، هل كنت مريضًا مؤخّرًا؟".

هززت برأسي نافيا: "*ما*".

"ماذا قلت؟".

"تقيّأت *ما* على قميصي".

أخذت الطفلة تتحرّك أكثر، لكن من دون أن تتكلّم، إنها تشدّ الكلب راجا من أذنيه، فلماذا ليست خائفة منه؟

قال الرجل أجيت: "آسف، لم أفهم ذلك".

لم أقل شيئًا.

"يجب أن تكون الشرطة هنا في أيّ لحظة، حسنًا؟"، استدار ليبحث في الشارع، ولكن الطفلة نيشا تبكي قليلًا الآن، فأجلسها على ركبته وقال: "سنكون في المنزل عند*ما* خلال دقائق، وسنخلد إلى النوم".

أفكّر في السرير، والدفء.

إنه يضغط على أزرار هاتفه الصغيرة، ويتحدّث أكثر، لكنني لا أسمع ما يقوله.

أريد الوصول إلى الطريق، لكنني أظنّ أنني إذا تحرّكت فسيعضّني الكلب راجا، ويشرب المزيد من دمي، وها أنا عالق على الرصيف، جزء منّي في مربّع، وجزء آخر في مربّع ثانٍ، وإصبعي المعضوض يؤلمني وكذلك ركبتي اليمنى، وهناك دم يسيل من مكان الجرح على الجلد، إنه أحمر، ولكنه بدأ يتحوّل إلى اللون الأسود. وهناك شكل بيضاوي مدبّب إلى جانب قدمي، حاولت التقاطه لكنه عالق، ثم أصبح بين أصابعي، إنه ورقة، إنه ورقة من شجرة حقيقيّة مثل تلك التي كانت على قناة سكايلايت ذلك اليوم. فنظرت إلى الأعلى فرأيت شجرة فوقي، ولابدّ أن الورقة سقطت منها، ولكن نور مصباح عمود الإنارة أعماني، وقد بدت السماء الواسعة خلفه سوداء الآن، فأين اختفت الأجزاء الورديّة والبرتقاليّة؟ وبدأ الهواء

يتحرّك ويلامس وجهي، فارتجفت من دون قصد.

"لابدّ أنك بردت، هل أنت بارد؟".

اعتقدت أن الرجل أجيت يسأل الطفلة نيشا، لكنه كان يسألني.

عرفت ذلك لأنه خلع سترته وأمسك بها، ثم أعطاني إيّاها.

هاك.

هززت برأسي رافضًا، لأنها سترة شخص آخر، ولم يكن لديّ سترة.

"كيف فقدت حذاءك؟".

"أيُّ حذاء؟

بعد ذلك توقّف عن الكلام.

توقّفت سيارة، أعرف نوعها وهي سيارة شرطيّ من سيارات التلفاز، وقد خرج منها ثلاثة أشخاص، الأوّل شعره قصير، والآخر شعره أسود، أما الثالث فكان شعره مصفرّ، وكلّهم يتحرّكون بسرعة كبيرة. تحدّث إليهم أجيت، فحاولت الطفلة نيشا الهرب لكنه أبقاها بين ذراعيه، فلن يؤذيها، لا أعتقد ذلك، واستلقى راجا على بعض الأشياء البنّية، إنه عشب، ولكنني ظننت أن العشب أخضر، وهناك مربّعات منه على طول الرصيف، أتمنّى لو ظلّت الملاحظة موجودة، ولكن العجوز نيك أخفاها، ولا أعرف الكلمة، لقد سقطت الكلمات من رأسي.

لا تزال *ما* في الغرفة، أريدها معي بشدّة، فقد ركض العجوز نيك وقاد شاحنته مسرعًا، ولكن إلى أين هو ذاهب؟ لم يذهب إلى البحيرة أو إلى الأشجار الآن، لأنه رآني حيًّا، وبالرغم من أنه أتيحت لي فرصة قتله، لكنني لم أتمكّن من ذلك.

فجأة، خطرت في بالي فكرة رهيبة، وهي احتمال أنه عاد إلى الغرفة، وقد يكون هناك الآن يفتح الباب بيب بيب وهو غاضب، إذ إن خطئي أنني لم أكن ميتًا.

إني أبحث عن فم يتحرّك، إنها الشرطيّة على ما أعتقد، لكن من الصعب التأكّد من ذلك، ولكنها على الأرجح ذات الشعر الأسود لا الأصفر، وهي تقول: "جاك؟"، كيف عرفت اسمي؟ "أنا شرطية، هل يمكنك أن تخبرني كم عمرك؟".

يجب أن أنقذ *ما*، لا بدّ من التحدّث إلى الشرطة للوصول إلى شعلة اللحام، لكن فمي لا يعمل، لديها شيء على حزامها، إنه مسدس تمامًا مثل الشرطة في التلفاز. ولكن ماذا لو كانوا من رجال الشرطة السيّئين مثل القدّيس بيتر، لم أفكّر في ذلك أبدًا، فأنا أنظر إلى الحزام وليس إلى الوجه، إنه حزام رائع بإبزيم.

"كم عمرك؟".

الجواب سهل جدًّا، رفعت خمس أصابع.

"خمس سنوات رائع"، وقالت الشرطية شيئًا لا أسمعه.

ثم عن الفستان قالت ذلك مرّتين، فرحت أتحدّث بصوت عالٍ بقدر ما أستطيع ولكن من دون أن أنظر إلى وجهها: "ليس لديّ فستان".

"لا، أين تنام في الليل؟".

مكتبة
t.me/t_pdf

"في الخزانة".

"في خزانة؟".

حاول، تقول *ما* في رأسي، لكن العجوز نيك إلى جانبها، إنه غاضب جدًّا و...

"هل قلت في خزانة؟".

"لدينا ثلاثة فساتين،" أعني *ما*، أحدها ورديّ والآخر أخضر مع خطوط، والأخير بنّي لكنها تفضّل الجينز".

سألت الشرطية: "هذا ما قالته أمك؟ هل هي من لديها الفساتين؟".

الإيماء أسهل.

"أين أمّك الليلة؟".

"في الغرفة".

سألتني: "في الغرفة، حسنًا، أيّ غرفة؟".

"الغرفة".

"هل يمكنك أن تخبرنا بمكانها؟".

أتذكّر شيئًا: "إنها غير موجودة على الخريطة".

تشهق ثم تزفر، لا أعتقد أن إجاباتي جيّدة.

قال الشرطي الآخر، الذي لم يسبق لي أن رأيت في الحقيقة شعرًا شبه جاف مثله: "نحن في نافاهو وألكوت، لدينا حدث مضطرب، محلّي محتمل"، أعتقد أنه يتحدّث إلى هاتفه، إنه مثل لعبة *الببغاء*، أعرف الكلمات لكني لا أعرف ما تعنيه، تقترب مني الشرطية: "أيّ معلومة؟".

"العملية تسير ببطء".

"الشيء نفسه مع الشاهد، رجل أبيض البشرة مشتبه به، ربما يكون بين الأربعينات والخمسينات، فرّ من الموقع بشاحنة بيك آب كستنائية ربما بنيّة غامقة..".

تتحدّث إليّ الشرطية من جديد وتسألني: "الرجل الذي كنت معه، هل كان والدك؟".

"ليس لديّ والد".

"صديق والدتك؟".

"ليس لديّ واحد"، سبق لي أن قلت ذلك، هل يجوز لي أن أقول ذلك مرّتين؟

تعرف اسمه؟

أنا أتذكّر أجيت.

"لا، الرجل الآخر، الشخص الذي يقود الشاحنة".

"العجوز نيك"، همستُ لأنه لا يحبّني أن أسمّيه بهذا الاسم.

"ما الأمر؟".

"العجوز نيك".

"هذا أمر سلبيّ"، قال رجل الشرطة عبر هاتفه، "معلومات شخصية عن المشتبه به، الاسم الأوّل نيك، نيكولاس، ولا يوجد اسم آخر".

"وما اسم والدتك؟".

"*ما*".

"هل لديها اسم آخر؟".

أرفع إصبعين.

"اثنان، رائع، هل يمكنك أن تتذكّرهما؟".

كانا مدوّنين في الملاحظة التي اختفت، أتذكّر فجأة قليلًا: "لقد اختطفنا".

جلست الشرطية إلى جانبي على الأرض، إنها ليست مثل الأرضية في المنزل، فكلّ شيء في الخارج صعب، وأنا ارتجف، "جاك، هل تريد بطّانية؟".

لا أعرف، البطّانية ليست هنا.

"لديك بعض الجروح السيّئة هناك، هل آذاك الرجل نيك؟".

عاد رجل الشرطة، وقدّم لي شيئًا أزرق، ولكنني لم أهتمّ، فقال لي تفضّل وهو يتحدّث عبر الهاتف.

لفّتني الشرطية بالشيء الأزرق، إنه ليس رماديًا ناعمًا مثل البطّانية، إنه أكثر خشونة: "من أين أتت هذه الجروح؟".

"الكلب مصّاص الدماء"، ورحت أبحث عن راجا وصاحبيه البشريّين، لكنهما اختفيا.

"هذا الإصبع معضوض وركبتي تضرّرت من الارتطام بالأرض".

"عفوًا".

"الشارع ضربني".

قال رجل الشرطة: "هيا"، ورجع يتحدّث عبر هاتفه مرّة أخرى، ثم نظر إلى الشرطية وسألها: "هل يجب أن أتّصل مؤسّسة حماية الطفل؟".

أجابته: "أعطِني دقيقتين أخريين، جاك، أراهن أنك جيّد في سرد القصص".

كيف تعرف؟ ينظر رجل الشرطة إلى الساعة التي تطوّق معصمه، فأتذكّر معصم *ما* الذي لا يتحرّك بشكل جيّد، هل العجوز نيك هناك الآن، هل يلوي رقبتها أو معصمها الآن، هل يمزّقها إربًا؟

ابتسمت لي الشرطية: "هل تظنّ أنك تستطيع إخباري بما حدث الليلة؟ ربما يمكنك التحدّث ببطء ووضوح، لأن أذني لا تعمل بشكل جيّد"، ربما تكون صمّاء،

لكنها لا تتحدّث بأصابعها مثل الصمّ على شاشة التلفاز.

قال الشرطي: "كرّر".

قالت الشرطية: "هل أنت مستعدّ؟".

نظرت إليّ، وتخيّلتها *ما* التي أتحدّث إليها، وهذا شجّعني، فقلت ببطء شديد: "لقد خدعناه، أنا و*ما*، فتظاهرنا بأنني مريض وبعد ذلك تظاهرتُ بالموت، وكنت سأخلع غطائي، وأقفز من الشاحنة، إذ كان يفترض بي أن أقفز عند أوّل تباطؤ في سيرها، لكنني لم أستطع".

"حسنًا، ماذا حدث بعد ذلك؟"، كان الشرطي يتحدّث بجانب أذني مباشرة.

لم أنظر إليه كي لا أنسى القصّة: "كانت معي ملاحظة في ملابسي الداخلية، لكن العجوز نيك أخفاها، ولا يزال لديّ السنّ"، فأضع أصابعي في جواربي وأخرجه.

"أأستطيع رؤية ذلك؟".

تحاول أن تأخذ السنّ لكنني لا أدعها: "إنه من *ما*".

"*ما* هي أمّك صحيح؟".

أعتقد أن دماغها لا يعمل مثل أذنيها، كيف يمكن أن يكون سنًّا؟ هززت برأسي: "فقط القليل من بُصاقها الميت الذي سقط"، تنظر الشرطية إلى السنّ عن قرب ويصبح وجهها جامدًا.

هزّ رجل الشرطة برأسه، وقال شيئًا لم أسمعه.

قالت: "جاك، أخبرتَني بأنه كان يفترض بك أن تقفز من الشاحنة عند أوّل إبطاء لها في السير؟".

"نعم، لكنني لم أتمكّن من تحرير نفسي من السجّادة، ثم فككت نفسي كقشر الموز، وكنت خائفًا بما فيه الكفاية"، وأنظر إلى الشرطية، وأتحدّث في الوقت نفسه: "ولكن بعد التوقّف للمرّة الثالثة، ذهبت الشاحنة *فوووووووو*"

"ذهبت ماذا؟".

التفتّ إلى الخلف: "كلّ شيء حصل بطريقة مختلفة".

"هل يمكنك أن توضح؟".

"نعم، لقد ارتطمت بسبب الالتفاف، وعندما قفزت خرج العجوز نيك من الشاحنة وفقد صوابه.

صفّقت الشرطية.

فقال الشرطي: "هششش؟".

"ثلاث إشارات مرور ضوئية توقّف عندها، ومنعطف، يمين أو يسار؟ لا يهمّ، عمل رائع يا جاك". حدّقتْ إلى الشارع وبعد ذلك حملت شيئًا بيدها مثل الهاتف، فمن أين أتى ذلك؟ إنها تشاهد الشاشة الصغيرة، وتقول: "اجعلهم يراجعون اللوحات الجزئية مع.. جرّب شارع كارلينجفورد، ربما واشنطن درايف..."

لم أعد أرى راجا، وأجيت، ونيشا على الإطلاق: "هل ذهب الكلب إلى السجن؟".

قالت الشرطية: "لا، لا لقد كان خطأً واضحًا".

قال رجل الشرطة عبر الهاتف: "تفضّل"، وأومأ إلى الشرطية برأسه، فوقفت: "ربما يستطيع جاك العثور على المنزل، هل ترغب في ركوب سيارة الدورية؟".

لا أستطيع النهوض، فمدّت يدها لمساعدتي، لكنني تظاهرت بأنني لم أرَها، ووضعت قدمًا تحت الأخرى، وشعرت بقليل من الدوار، ثم تسلّقت إلى السيارة من خلال الباب المفتوح، وجلست الشرطية في الخلف وأحكمت حزام الأمان، فأزحت نفسي قليلًا حتى لا تلمس يدها سوى البطّانية الزرقاء.

تحرّكت السيارة، ولكن على مهل لا بعنف مثل الشاحنة، فإنها ألطف وذات أزيز يشبه إلى حدّ ما تلك الأريكة في كوكب التلفاز حيث تجلس السيّدة ذات الشعر المنتفخ والتي تطرح الأسئلة، سألتني الشرطية: "هذه الغرفة، هل هي في بيت من طابق واحد أم فيه سلالم؟".

"إنها ليست منزلًا"، كنت أشاهد الجزء اللامع في الوسط، إنه مثل المرآة ولكنه صغير، أرى من خلاله وجه الشرطي السائق، وعندما تنظر إليّ عيناه من خلال

المرآة الصغيرة، أشيح بنظري بعيدًا، وأنظر من خلال النافذة، فكان كلّ ما يمرّ عبر النافذة يشعرني بالدوار.

الضوء الذي ينبعث من السيارة على الطريق، ينتشر في كلّ مكان، وتأتي سيارة أخرى، بيضاء بسرعة فائقة، سوف تصطدم...

فيقول الشرطي: "لا بأس".

عندما رفعت يدي عن وجهي، كانت قد اختفت السيارة الأخرى، هل اختفت هذه السيارة؟

"نبّهنا إذا رأيت شيئًا؟".

أنا لا أرى شيئًا، كلّ الأشجار والمنازل والسيارات مظلمة، *ما ما ما ما*.. أنا لا أسمعها في رأسي، إنها لا تتحدّث. إنه يحكم قبضته على رقبتها، فلا يمكنها التحدّث، ولا يمكنها التنفّس، ولا يمكنها أيّ شيء.

سألتني الشرطية: "هل يبدو هذا الشارع شارعك؟".

"ليس لديّ شارع".

"أعني الشارع الذي أقلّك منه الليلة الرجل نيك".

"لم يسبق لي أن رأيته".

"ما هو؟".

تعبت من الكلام، ونقرت بلسانها.

يقول الشرطي: "لا توجد علامة على أيّ شاحنات صغيرة باستثناء تلك التي كانت موجودة هناك".

تلوي الشرطية لسانها: "جاك، هل يصل ضوء، النهار إلى غرفتك؟".

قلت لها: "إنه ليل"، ألم تلاحظي؟

"أعني خلال النهار، من أين يأتي الضوء؟".

"كوّة".

"هناك كوّة، ممتاز".

"هيّا"، هكذا قال الشرطيّ عبر هاتفه.

نظرت الشرطية مجدّدًا إلى شاشتها اللامعة: "القمر الصناعيّ يعرض منزلين مع كوّة في العلّية في كارلينجفورد..."

قلت مجدّدًا: "الغرفة ليست منزلًا".

"جاك، أجد صعوبة في فهمك، ماذا يوجد في داخلها إذن؟".

"ما من شيء في داخلها".

ما والعجوز نيك أيضًا، ويريد أن يموت شخص ما، ولكنه ليس أنا.

"حسنًا، ماذا هناك خارج الغرفة؟".

"الخارج".

"أخبرني أكثر ماذا يوجد في الخارج".

فقال الشرطي: "هل عليّ أن أسلّمها إليك؟ فأنت لا تستسلمين".

هل أنا، هي؟

قالت الشرطية: "هيا بنا جاك؟ ماذا يوجد خارج الغرفة".

صرخت: "في الخارج"، لا بدّ أن أشرح سريعًا من أجل *ما*، فهي *تنتظر*، *ما تنتظرني*: "إنه يحتوي على أشياء حقيقية مثل الآيس كريم، والأشجار، والمتاجر، والطائرات، والمزارع، والأرجوحة".

أومأت إليّ الشرطية.

يجب أن أبذل جهدًا أكبر، لا أعرف كيف: "لكنه مغلق ولا نعرف الرمز".

"يجب أن تفتح الباب وتخرج.."

"مثل أليس".

"هل أليس صديقة لك؟".

أومأتُ إليها برأسي: "إنها في الكتاب".

قال الشرطي: "*أليس في بلاد العجائب*".

نعم، أعرف هذا الجزء لكن كيف قرأ الكتاب، لم يكن في الغرفة أبدًا، قلت له:

"هل تعرف ذلك الجزء حيث يصنع بكاؤها بركة؟".

"ما الأمر؟".

نظر إليّ من خلال المرآة

"بكاؤها صنع البركة ألا تتذكّر؟".

سألتني الشرطية: "هل كانت أمّك تبكي؟".

الخارج لا يفهمون شيئًا، أتساءل هل يشاهدون التلفاز كثيرًا، لا، أليس... إنها تريد دائمًا الذهاب إلى الحديقة مثلنا.

"هل أردتما الذهاب إلى الحديقة أيضًا؟".

"إنها ساحة خلفية لكننا لا نعرف الرمز السرّي".

سألتني: "هل الغرفة بالقرب من الفناء الخلفيّ؟".

هززت برأسي.

فركت الشرطية وجهها: "ركّز على سؤالي جاك، هل هذه الغرفة بالقرب من فناء خلفيّ؟".

"ليست بالقرب".

"حسنًا".

"كلّ شيء في كلّ مكان".

"هذه الغرفة في الفناء الخلفيّ؟".

"أجل".

بدت الشرطية مسرورة مني، ولكنني لا أعرف السبب "ها نحن ذا، ها نحن ذا"، نظرت إلى الشاشة وضغطت على الأزرار، "الهيكل الخلفيّ المستقلّ في كارلينجفورد وواشنطن..."

قال الشرطي: "كوّة".

"صحيح، مع كوّة..."

"هل هذا تلفاز؟".

"همم؟ لا، إنها صورة لكلّ هذه الشوارع، الكاميرا في الفضاء".

"فضاء خارجيّ".

"أجل".

غمرت الحماسة صوت الشرطي: "ثلاثة أربعة تسعة واشنطن، سقيفة في الخلف، كوّة مضاءة... يجب أن تكون هناك"...

"هذا هو ثلاثة أربعة تسعة واشنطن"، قال الشرطي عبر هاتفه تفضّل، ونظر إلى المرآة: "اسم المالك غير مطابق، ولكنه ذكر قوقازي، د.و.ب الرقم هو اثنا عشر، عشرة، ستون، وواحد..."

"المركبة".

يقول مرّة أخرى: "تفضّل"، وهو ينتظر: "ألفان وواحد سيلفرادو، اللون بنّي، ك تسعة ثلاثة ف سبعة أربعة اثنان".

قالت الشرطية "بينغو".

قال: "نحن في طريقنا إلى هناك، اطلب قوّات دعم لثلاثة أربعة تسعة واشنطن".

انعطفت السيارة يمينًا ثم في الاتّجاه المعاكس، وقد أصبحنا نتحرّك بشكل أسرع، وهذا ما أشعرني بالدوار.

وحين توقّفنا، نظرت الشرطية من النافذة إلى المنزل.

"لا توجد مصابيح مضاءة".

قلت: "إنه في الغرفة، إنه يقتلها"، لكن البكاء جعل كلماتي غير مفهومة ولم يتمكّنا من سماعها.

هناك سيارة أخرى خلفنا، خرج منها مزيد من رجال الشرطة، ففتحت الشرطية الباب وخاطبتني: "اجلس هادئًا، جاك، وسنجد أمّك".

حاولت أن أقفز، لكن يدها دفعتني لأبقى في السيارة: "أنا أيضًا"، حاولت أن أقول شيئًا آخر، ولكن الدموع منعتني.

شغّلت الشرطية مصباحًا كبيرًا وقالت: "سيبقى هذا الشرطي معك هنا..."

ظهر أمامي وجه لم يسبق لي أن رأيته.

"كلا!".

قالت الشرطية للشرطي الجديد: "امنحه بعض المساحة".

تذكّرت شعلة اللحام، لكن بعد فوات الأوان وها هي قد رحلت.

صدر صوت صرير من الجزء الخلفي من السيارة، وهذا ما يسمّونه بالصندوق الخلفيّ.

أضع يدي على رأسي حتى لا أرى شيئًا، لا الوجوه، ولا الأضواء، ولا الضوضاء ولا الابتسامات، *ما ما لا تموتي لا تموتي*.

أنا أعدّ من واحد إلى مئة كما طلبت منّي الشرطية لكنني لم أشعر بأنني أكثر هدوءًا.

وصلت حتى خمسمائة، ولكن الأرقام لم تعد تعمل، إنني أرتجف، لا بدّ أن ذلك بسبب البرد، أين البطّانية التي سقطت؟

حدّقت من النافذة فكانت مصابيح المنزل مطفأة، جزء منه مفتوح الآن ولم يكن ذلك قبل أن أفكّر، المرآب، ساحة مظلمة ضخمة، أنا أبحث منذ مئات الساعات، وعيناي لا تساعدانني، خرج شخص ما من العتمة، ولكنه شرطي آخر لم يسبق لي أن رأيته.

ثم يقترب شخص من الشرطية ويقف إلى جانبها.

أضرب على باب السيارة، ولكنني لا أجد طريقة للخروج، لا بدّ من تحطيم الزجاج، ولكن لا يمكنني، *ما ما ما ما ما ما ما...*

فتحت *ما* الباب وسقط نصف جسدي خارج السيارة، فأمسكت بي، واحتضنتني، إنها حقيقية، إنها على قيد الحياة مئة في المئة.

قالت: "لقد فعلناها"، وعندما جلسنا معًا في المقعد الخلفيّ قالت: "حسنًا، *أنت* من فعلها حقًّا".

أهزّ برأسي: "ولكني أفسدت الخطّة".

قالت *ما*: "لقد أنقذتني"، قبّلت عينيّ، وأحكمت قبضتها عليّ.

"هل كان هناك؟".

"كنت أنتظر بمفردي، وكانت أطول ساعات حياتي، الشيء التالي الذي أعرفه هو أن الباب انفجر، فظننتُ أنني سأعاني من نوبة قلبية".

"شعلة اللحام؟!"

"لا، لقد استخدموا بندقية".

"أريد أن أرى الانفجار".

"لقد كان ذلك لثانية فقط! يمكنك رؤيته في وقت آخر، أعدك"، ابتسمت *ما*، وقالت: "يمكننا فعل أيّ شيء الآن".

"لماذا؟".

"لأننا حرّيين".

أشعر بالدوار، وعيناي مغمضتان، أشعر بالنعاس الشديد وأعتقد أن رأسي سيسقط.

تهمس *ما* في أذني، وتقول إننا سنتحدّث إلى المزيد من رجال الشرطة، فعانقتها، وأنا أقول، "أريد الذهاب إلى الفراش".

"سيجدون لنا مكانًا للنوم بعد قليل".

"لا، *السرير*".

"تقصد في الغرفة؟"، ابتعدت *ما*، وهي تحدّق إلى عينيّ.

"أجل، لقد رأيت العالم وتعبت الآن".

قالت: "جاك، لن نعود إلى الغرفة أبدًا".

بدأت السيارة تتحرّك، فبكيت بشدّة، ولم أستطع كبح جماح بكائي.

بعد

جلست الشرطية في المقعد الأمامي، وبدت مختلفة من الخلف، فاستدارت وابتسمت لي وقالت: "هذا هو القسم".

سألتني *ما*: "هل يمكنك الترجّل من السيّارة وحدك، أم أحملك؟"، فُتح باب السيارة ودخل هواء بارد، فاقشعرّ جسمي من البرد، فشدتّني *ما* وجعلتني أقف، فاصطدمت أذني بباب السيارة، ثم سارت وهي تحملني بين ذراعيها، وأنا ممسك بكتفيها، فكان الجوّ مظلمًا، ولكن سرعان ما بدأت تومض الأضواء من كلّ مكان، فبدت مثل الألعاب النارية.

قالت الشرطية: "جشعون".

"إلى أين؟".

صرخ شرطي: "لا صور".

أيّ صور؟ لا أرى أيّ جشعون، فأنا أرى فقط وجوه أشخاص بآلات تومض وعصيّ سوداء، إنهم يصرخون لكني لا أستطيع أن أفهم ما يحصل، حاولت الشرطية أن تغطّي رأسي بالبطّانية، فدفعتها، وركضت *ما*، أما أنا فكنت أرتجف، وها نحن داخل مبنى مضاء بنسبة ألف في المئة. لذا، وضعت يدي على عينيّ.

الأرضية صلبة تمامًا وليست مثل الأرضية في منزلنا، والجدران زرقاء وهناك الكثير منها. والأشخاص منتشرون في كلّ مكان وهم ليسوا أصدقائي، وأرى شيئًا مثل سفينة الفضاء يشعّ وفي داخله أشياء متنوّعة وكلّها في مربّعات صغيرة مثل أكياس الرقائق وألواح الشوكولاتة، فذهبت لأنظرعن قرب محاولًا لمسها، ولكنها محبوسة خلف الزجاج، ثم شدّت *ما* يدي.

من هنا، قالت الشرطية: "لا، هنا..."

نحن في غرفة أكثر هدوءًا، وقال رجل ضخم: "أعتذر عن الحضور الإعلامي، لقد كانت اتّصالاتنا في غاية السرّية، لكن لديهم ماسحات التعقّب هذه..."

مدّ يده، فمدّت *ما* يدها وحرّكتها إلى الأعلى والأسفل مثل الأشخاص في التلفاز.

"وأنت يا سيّدي، أفهم أنك كنت فتى شجاعًا".

هذا أنا الذي ينظر إليه، لكنه لا يعرفني ولماذا يقول إنني فتى؟ جلست *ما* على كرسي ليس مثل كراسينا، وسُمح لي بالجلوس في حضنها، فحاولت التأرجّح لكنها ليست أرجوحة، فكلّ شيء مختلف هنا.

قال الرجل الضخم: "الآن، أقدّر أن الوقت متأخّر، وأن ابنك مُصاب ببعض الجروح التي تحتاج إلى عناية، وهم على أهبة الاستعداد من أجل رعايتكما في عيادة كمبرلاند، وهي منشأة مميّزة للغاية".

"أيّ نوع من المنشآت؟".

"نفسية".

"نحن لا نحتاج...".

يقاطعها: "سيمنحونك كلّ الرعاية المناسبة، إنها سرّيّة للغاية، ولكن على سبيل الأولويّات، أحتاج إلى مراجعة بياناتك الليلة بمزيد من التفاصيل إن أمكن".

"قد يكون طرح بعض الأسئلة في أثناء الاستجواب محرجة، فهل تفضّلين أن تشارك الشرطية في هذه المقابلة".

قالت *ما* وهي تتثاءب: "مهما تكن محرجة، فلا مشكلة".

"ابنك مرّ بالكثير الليلة، ربما يجب أن ينتظر في الخارج بينما نقوم بذلك، أه..."

لكننا في الخارج بالفعل.

قالت *ما*: "سيبقى هنا"، وهي تلفّ البطّانية الزرقاء حولي.

وقالت للشرطية وهي تغادر: "لا تغلقي الباب".

فردّت الشرطية وهي تفتح الباب: "بالتأكيد".

تحدّثت *ما* إلى الرجل الضخم عندما خاطبها بأحد الأسماء الأخرى، في الوقت الذي كنت أنظر فيه إلى الجدران التي تحوّلت إلى اللون القشديّ، فبدت عديمة اللون، وقد علّقت عليها أُطر فيها الكثير من الكلمات، في إحداها نسر وعبارة *"السماء هي الحدود"*. ثم مرّ شخص عبر الباب، فأجفلت، ثم رفعت قميص *ما*- كنت أتمنّى وأريد ذلك بشدّة- فسحبت قميصها إلى بنطالها مرّة أخرى، وهمست "ليس الآن، أنا أتحدّث إلى النقيب".

سألها: "هل تتذكّرين متى حصل ذلك؟"، هزّت برأسها: "في أواخر كانون الثاني، كان قد مضى على الالتحاق بالجامعة أسبوعين فقط..."

لا أزال عطشًا، ارفع قميصها مرّة أخرى، ولكن هذه المرّة تتأفّف ولكنها تسمح لي بذلك، وتقرّبني من صدرها.

سألها النقيب: "هل تفضّلين...؟".

قالت *ما*: "لا، دعنا فقط نواصل.." هذا صحيح، ليس هناك الكثير، لكني لا أريد التسلّق والابتعاد عنها لأنها قد تقول *هذا يكفي* وهذا لا يكفي.

مرّ وقت طويل و*ما* تتحدّث عن الغرفة والعجوز نيك وكلّ ذلك، وأنا متعب جدًّا من الاستماع، ثم أتت شرطية وأخبرت النقيب شيئًا.

سألت *ما*: "هل من مشكلة؟".

أجابها النقيب: "لا، لا".

طوّقتني بذراعيها بشدّة وسألته: "لماذا حدّقت إلينا إذن؟".

"أنا أرعى ابني، هل هذا مناسب لك سيّدتي؟".

ربما في الخارج لا يعرفون شيئًا عن امتلاك بعض الخصوصية، إن السرّ لا ينبغي إفشاؤه.

تحدّثت *ما* والنقيب مطوّلًا، وكنت على وشك النوم، ولكن الجوّ ساطع جدًّا ولا يمكنني الاسترخاء.

فسألتني: "ما بك؟".

قلت لها: "علينا العودة إلى الغرفة، أريد الدخول إلى الحمام".

"حسنًا، لديهم مراحيض هنا".

أرشدنا النقيب إلى المكان، فمررنا بالآلة الرائعة، ولمست الزجاج عن قرب حيث ألواح الشوكولاتة، كم أتمنّى لو كنت أعرف الرمز لأسمح لها بالخروج!

هناك مرحاض مرحاضان ثلاثة وأربعة، كلّ واحد في غرفة صغيرة داخل غرفة أكبر منها، وفيها أربعة أحواض والعديد من المرايا. هذا صحيح، المراحيض في الخارج لها أغطية، ولا يمكنني النظر إليها. وعندما تتبوّل وتقف تسمع هديرًا مروّعًا، هذا الصوت المخيف أبكاني، فقالت أمي: "حسنًا"، وهي تمسح وجهي براحة يدها: "إنه مجرّد تدفّق تلقائيّ، انظر، المرحاض يرى بهذه العين الصغيرة، وعندما تنتهي يتدفّق الماء من تلقاء نفسه، أليس هذا ذكيًّا؟".

أنا لا أحبّ المرحاض الذكيّ الذي ينظر إلى مؤخّرتنا.

تنزع *ما* سروالي الداخليّ، فقلت لها: "لقد تغوّطت قليلًا من دون قصد عندما حملني العجوز نيك.

قالت وهي تفعل شيئًا غريبًا: "لا تقلق بشأن ذلك"، فقد رمت ملابسي الداخلية في سلّة المهملات.

"ولكن".

"لم تعد بحاجة إليها بعد الآن، سنجلب أخرى جديدة".

"مقابل هديّة الأحد؟".

"لا، في أيّ يوم نرغب في ذلك".

هذا غريب، فأنا أفضّل يوم الأحد.

الصنبور مثل الصنبور الحقيقيّ في الغرفة، ولكن شكله مظلّل، شغّلته *ما*، وهي تبلّل الورق وتمسح ساقيّ ومؤخّرتي.

وضعت يديها تحت الآلة، التي تنفث الهواء الساخن، وهي مثل فتحات التهوية الخاصّة بنا، لكنها أكثر سخونة وصاخبة جدًّا.

"إنه مجفّف اليدين، انظر، هل تريد أن تجرّب؟".

ابتسمت لي، لكنني متعب للغاية لدرجة أنني لا أستطيع الابتسام: "حسنًا، اكتفِ بتمرير يديك على قميصك". ثم لفّتني بالبطانية الزرقاء، وخرجنا مجدّدًا.

أردت النظر إلى الآلة حيث تُسجن كلّ العلب، والأكياس، وألواح الشوكولاتة، لكن أمي سحبتني إلى الغرفة حيث يجلس النقيب ليتابعا الكلام.

بعد مئات الساعات من طرح الأسئلة، أصبحت أمي متعبة، وعدم النوم في الغرفة جعلني أشعر بالإعياء.

سنذهب الآن إلى إحدى المستشفيات، لكن ألم تكن تلك الخطّة القديمة أ، *صندوق مستشفى مريض*؟ الآن، حصلت *ما* على بطّانية زرقاء، أعتقد أنها البطّانية التي كانت تلفّني بها، لكن تلك البطّانية لا تزال عليّ. لذا، يجب أن تكون مختلفة، ثم ركبنا سيارة الدورية التي تبدو مثل السيارة السابقة نفسها، ولكنني لا أفهم شيئًا، فالأشياء في الخارج صعبة الفهم، سرت في الشارع وكدت أسقط لكن *ما* أمسكت بي.

سرنا على الرصيف، وضغطت *ما* على عيني في كلّ مرّة رأيت فيها سيارة قادمة.

قالت *ما*: "كما تعلم، إنها في الجانب الآخر".

"أيّ جانب آخر؟".

"انظر هذا الخطّ في الوسط؟ يجب أن تسير دائمًا على ذلك الجانب، حتى لا تصطدم ببعضها".

توقّفنا فجأة، ونظر شخص بلا وجه إلينا، وأنا أصرخ.

قالت *ما*: "جاك، جاك".

"إنه زومبي".

دفنت وجهي في بطنها.

قال الرجل المخفيّ الوجه بأعمق صوت على الإطلاق: "أنا دكتور كلاي، أُرحّب بكما في كمبرلاند".

"القناع هو فقط للحفاظ على سلامتك، هل تريد أن ترى ما تحته؟"، سحب الرجل الجزء الأبيض، وابتسم وجهه ذو البشرة البنّية الداكنة، و الذقن الأسود وهو أصغر مثلّث على الإطلاق.

ثم أعاد القناع إلى وجهه، بحركة واحدة، ومرّت كلماته من خلال الوجه الأبيض (القناع).

"إليكما قناعًا لكلّ واحد منكما".

أخذت *ما* *القناع*: "هل يجب علينا وضعه؟".

"فكّري في كلّ شيء حولنا، لم يتعرّض له ابنك مسبقًا".

أرى ذلك، وضعت القناع على وجهها، ثم على وجهي وثبّتته من خلال حلقتين حول الأذنين، فلم أحبّ الطريقة التي يضغط بها القناع على الوجه، فأهمس *لما*: "لا أرى أيّ شيء يطفو في الأرجاء".

قالت: "الجراثيم".

اعتقدت أنها كانت في الغرفة فقط، لم أكن أعلم أن العالم مليء بها أيضًا.

سرنا في مبنى كبير يتلألأ بالأنوار، فظننته القسم مرّة أخرى، ولكنه لم يكن كذلك، هناك شخص ما يسمّى منّسق القبول، يسجّل المعلومات على شيء أعرف أنه الحاسوب، تمامًا كما هو الحال على شاشة التلفاز، وكلّهم يبدون مثل الأشخاص في الكوكب الطبّي، ولكن يجب أن أتذكّر أنهم حقيقيون.

ثم رأيت أروع شيء، إنه زجاج ضخم له زوايا، لكن بدلًا من الشوكولاتة والأكياس، يحتوي على أسماك حيّة، تسبح وتختبئ بين الصخور، فشددتُ يد *ما* لكنها لم تتحرّك، فلا تزال تتحدّث إلى منسّقة القبول التي تحمل اسمًا على ملصق تضعه على صدرها، إنها بيلار.

يقول دكتور كلاي: "اسمع يا جاك"، ثم يُثني ساقيه ويبدو وكأنه ضفدع عملاق، لماذا يفعل ذلك؟ يده بجانب يدي تقريبًا، وشعره الزغب طوله ربع بوصة، لم يعد يضع القناع الآن، فقط أنا و*ما* من نضع قناعًا: "نحن بحاجة إلى إلقاء نظرة

على والدتك في الغرفة حيث القاعة الكبيرة، حسنًا؟".

إنه يتحدّث إليّ، لكن ألم ينظر إليها بالفعل؟

فهزّت *ما* برأسها: "سيبقى جاك معي".

دكتور كندريك: "هي الطبيبة العامّة المقيمة التي في الخدمة - سيتعيّن عليها إدارة مجموعة جمع الأدلّة على الفور، أنا خائف، الدم، البول، الشعر، كشط الأظافر، مسحات الفم، المهبل، الشرج..."

حدّقت *ما* إلى وجهه، وزفرت ثم قالت لي: "سأكون هناك"، وأشارت إلى الباب: "وسأكون قادرة على سماعك إذا ناديتني، حسنًا؟".

"كلا، ليس حسنًا".

"من فضلك، لقد كنت مثل جاك الشجاع طوال الوقت، ابقَ كذلك لفترة أطول قليلًا بعد، حسنًا؟".

أتشبّث بها.

قالت الدكتورة كندريك، ذات الشعر الملوّن بالكامل والملفوف على رأسها: "هممم، ربما يمكنه الدخول ويمكننا وضع عازل؟".

همست لها: "انظري إنه تلفاز موضوع هناك"، إنه أكبر بكثير من ذلك الموجود في الغرفة، هناك من يرقص والألوان الكثيرة جدًّا أصابتني بالدوار.

قالت *ما*: "في الواقع، هل يمكن أن يجلس هناك في قاعة الاستقبال؟ يمكن أن يتشتّت انتباهه بشكل أفضل".

السيّدة بيلار التي تجلس خلف الطاولة وتتحدّث عبر الهاتف، ابتسمت لي، لكنني تظاهرت بأنني لم أرَها، وهناك الكثير من الكراسي، فاختارت لي *ما* واحدًا، وشاهدتها وهي تذهب مع الطبيبين، لا بدّ من الإمساك بالكرسي حتى لا أركض وراءها.

انتقل كوكب التلفاز إلى لعبة كرة قدم، حيث اللاعبون عريضو المناكب ويعتمرون خوذات، فتساءلت هل هذا حقيقيّ أم أنها مجرّد صور، نظرت إلى

الزجاج الذي يحتوي على الأسماك لكنه كان بعيدًا، لم أستطع رؤية الأسماك، لكن لا بدّ أنها لا تزال هناك، فهي لا تستطيع المشي، والباب الذي عبرت منه *ما* لا يزال مفتوحًا بعض الشيء، وأظنّ أنني أسمع صوتها، لماذا يأخذون دمها وبولها ويقشطون أسفل أظافرها؟ لا تزال هناك على الرغم من أنني لا أراها، كما لو كانت في الغرفة طوال الوقت الذي كنت أنفّذ فيه الهروب الرائع، حين صعد بي العجوز نيك إلى شاحنته، والآن لم يعد في الغرفة، وليس في الخارج، وأنا لا أراه في التلفاز، ورأسي منهك من التساؤلات.

أكره كيف يضغط القناع على وجهي، فوضعته على رأسي، أعتقد أنه يتخلّله جزء صلب مع سلك داخلي، إنه يُبقي شعري بعيدًا عن عيني، والآن تظهر على الشاشة دبّابة في مدينة محطّمة بالكامل، ورجل عجوز يبكي. لقد مرّ على وجود *ما* وقت طويل في الغرفة الأخرى، هل يؤذونها؟ السيّدة بيلار لا تزال تتحدّث عبر الهاتف، وكوكب آخر ظهر فيه رجال في غرفة ضخمة يتحدّثون، كلّهم يرتدون سترات، أعتقد أنهم يتقاتلون، وهم يتحدّثون لساعات وساعات.

ثم يتغيّر مرّة أخرى، ولكن ظهرت *ما* وهي تحمل شخصًا وهو أنا.

أقفز وأذهب مباشرة إلى الشاشة، هذا أنا وكأنني أرى انعكاسي على المرآة، ولكن بحجم أصغر، الكلمات تظهر أسفلها *الأخبار المحلّية كما تحدث*، شخص ما يتحدّث ولكني لا أستطيع أن أراه:... عازب وحيد حوَّل سقيفة الحديقة إلى زنزانة منيعة في القرن الحادي والعشرين، ضحيّتاه يعانيان من شحوب مخيف، ويبدو أنهما في حالة صدمة بعد الكابوس الطويل الذي تسلّط على حياتهما طوال فترة سجنهما".

تظهر صورة الشرطية وهي تحاول وضع البطّانية على رأسي فلم أسمح لها بذلك، ويقول الصوت غير المرئي: "الطفل مصاب بسوء التغذية، ويعاني من صعوبة في المشي، ويظهر هنا وهو يضرب بشكل متشنّج أحد المنقذين".

صرخت: "*ما*".

لم تأتِ ولكنني سمعتها تنادي: "دقائق فقط".

"نحن، نحن على شاشة التلفاز!".

لكنه أُغلق، وتقف بيلار، وتشير إليه بجهاز تحكّم عن بعد ثم تحدق إليّ، يخرج دكتور كلاي، ويقول أشياء بعصبية لبيلار.

أقول: "مرّة أخرى، نحن من في التلفاز أريد رؤيتنا".

تقول بيلار: "أنا آسفة للغاية...".

مدّ الدكتور كلاي يده وقال: "جاك، هل ترغب في الانضمام إلى والدتك الآن؟". كانت يداها ملفوفتين بمطّاط أبيض، فلم أقترب منها.

"تذكّر وضع القناع على وجهك"، أضعه على أنفي، وأسير خلفه ولكن على مبعدة عنه، رأيت *ما* تجلس على سرير مرتفع، وترتدي ثوبًا ورقيًا، مفتوحًا من الخلف، يبدو أن الأشخاص في الخارج يرتدون أشياء مضحكة. "كان عليهم نزع ملابسي التي أرتديها"، إنه صوتها رغم أنني لا أستطيع أن أرى من أين يأتي بسبب القناع.

صعدت إلى حضنها: "ظهرنا على شاشة التلفاز".

"سمعت هذا وكيف بدونا؟".

"صغارًا".

مددت يدي إلى فستانها، ولكن لا توجد طريقة للدخول، "ليس الآن، لا يمكن في هذه اللحظة"، إنها تقبّلني بدلًا من ذلك على جانب عيني، لكنها ليست القبلة التي أريدها: "كنت تقولين..."

"بخصوص معصمك، تقول الدكتورة كندريك ربما يحتاج إلى إعادة كسره مجدّدًا في وقت لاحق".

"لا".

قالت *ما*: "صه، لا بأس".

قالت الدكتورة كندريك، وهي تنظر إليّ: "ستكونين نائمة عندما يحدث ذلك، سيضع الجرّاح قضيبًا معدنيًا ليساعد في أن يعمل المفصل بشكل أفضل".

"مثل سايبورغ؟".

"ما هو سايبورغ؟".

قالت *ما* وهي تبتسم لي: "أجل، مثل سايبورغ".

ثم قالت الدكتورة كندريك: "لكن على المدى القصير، أودّ أن أقول إن معالجة الأسنان له الأولويّة القصوى، لذلك سأحرّر لك وصفة طبّية تحتوي على المضادّات الحيوية، وعليك تناولها على الفور، بالإضافة إلى مسكّنات قوية المفعول..."

أتثاءب بشدّة.

قالت *ما*: "أعرف لقد مرّت ساعات على وقت النوم".

قالت الدكتورة كندريك: "هل بإمكاني إجراء فحص سريع لجاك؟".

رفضت *ما* الأمر.

همست *لما*: "ماذا تريد أن تعطيني؟ هل هي لعبة؟".

قالت *ما* للدكتورة كندريك: "هذا غير ضروريّ، وأنا مسؤولة عن هذا".

قال الدكتور كلاي: "نحن فقط نتّبع البروتوكول في مثل هذه الحالات".

سألته *ما* بعصبية أمكنني ملاحظتها: "أوه، أتوقّع أن الكثير من هذه الحالات تُعالج هنا، أليس كذلك؟".

هزّ برأسه: "حالات الصدمة الأخرى، أجل، ولكنني سأكون صادقًا معك، لا شيء مثل حالتك هذه، هذه هي الطريقة التي ينبغي اعتمادها لتقديم أفضل علاج ممكن لكما من البداية".

قالت *ما* من خلال أسنانها المطبقة: "لا يحتاج جاك إلى علاج، يحتاج فقط إلى بعض النوم".

وأردفت: "لم يكن بعيدًا عن عيني أبدًا، ولم يحدث له شيء، لا شيء مثل الذي تلمّح إليه".

تبادل الطبيبان النظرات، فقالت الدكتورة كندريك: "لم أقصد...".

"كلّ هذه السنوات حافظت على سلامته".

قال الدكتور كلاي: "يبدو أنك فعلت ذلك".

أجل، فعلتُ، هناك دموع على وجه *ما*، والآن هناك دموع داكنة على حافة قناعها، فلماذا يبكيانها؟

"والليلة مرّ بالكثير من الأحداث... وها هو ينام واقفًا...".

أنا لست نائمًا.

قال الدكتور كلاي: "لقد فهمت سنأخذ الطول والوزن وستتعامل مع جروحه، ماذا عن ذلك؟".

أومأت *ما* إليه مجدّدًا.

لا أحبّ أن تلمسني الدكتورة كندريك، لكني لا أمانع في الوقوف على الآلة التي تُظهر وزني، وعندما استندت إلى الحائط عن طريق الخطأ، قوّمت *ما* وقفتي، ثم استقمت أمام الأرقام، تمامًا كما كنا نفعل بجانب الباب، ولكن هناك المزيد من الأرقام والخطوط الإضافية، قال الدكتور كلاي: "أنت تقوم بعمل رائع".

سجّلت الدكتورة كندريك العديد من المعلومات، واستخدمت الآلات لفحص عينيّ وأذنيّ وفمي، ثم قالت: "يبدو أن كلّ شيء متلألئ".

"نحن نفرشي أسناننا بعد الوقت الذي نتناول فيه الطعام".

"عفوًا؟".

قالت *ما*: "تحدّث ببطء".

"نحن ننظّف أسناننا دائمًا بعد أن نتناول الطعام".

قالت الدكتورة كندريك: "أتمنّى أن يهتمّ جميع مرضاي بأنفسهم مثلك".

ساعدتني *ما* على سحب قميصي من فوق رأسي، ما أسقط القناع فأعدت وضعه، ثمّ دفعتني الدكتورة كندريك إلى تحريك كلّ أطرافي، وقالت إن ركبتيّ ممتازين، ولكن يمكنني إجراء فحص كثافة العظام لاحقًا، وهو نوع من الأشعّة السينيّة، وهناك علامات خدش على راحة يدي وساقي بسبب القفز من الشاحنة،

والركبة اليمنى تضرّجت ببقعة دماء كبيرة ولكنها صارت جافّة، قفزت من مكاني عندما لمستها الدكتورة كندريك.

فقالت: "أنا آسفة".

احتميت بما، فجعّدت لها فستانها الورقيّ: "ستقفز الجراثيم إلى الجرح وسأموت".

قالت الدكتورة كندريك: "لا تقلق، لديّ منديل خاصّ يأخذها جميعًا بعيدًا".

إنها تلسع، وتلدغ إصبعي أيضًا في اليد اليسرى حيث شرب الكلب دمي، ثم وضعت شيئًا على ركبتي إنه مثل شريط لاصق، ولكن رسمت عليه وجوه، إنها تعود إلى دورا وبوتس وهما يلّوحان لي: "أوه، أوه..."

"أيؤلمك هذا؟".

قالت *ما* للدكتورة كندريك: "لقد جعلت يومه رائعًا".

سألني الدكتور كلاي: "هل أنت من محبّي دورا؟ ابنة أخي وابن أخي يحبّانها".

ابتسم وبانت أسنانه البيضاء مثل الثلج.

وضعت الدكتورة كندريك دورا أخرى على إصبعي، ولكنها مشدودة بقوّة.

لا يزال السنّ آمنًا في جاربي الضيّق، ارتديت قميصي وبطّانيتي مرّة أخرى، وتبادل الطبيبان الحديث بصوت منخفض ثم سألني الدكتور كلاي: "هل تعرف ما هي الإبرة يا جاك؟".

تأوهّت *ما*: "بالله عليك..."

"بهذه الطريقة يمكن للمختبر إجراء فحص دم كامل في الصباح، ويكتشف حالات العدوى ونسبة نقص التغذية... كلّها مؤشّرات مهمّة، والأهمّ من ذلك أنها ستساعدنا على معرفة ما الذي تحتاج إليه يا جاك على الفور".

نظرت إليّ *ما*: "هل يمكنك أن تكون بطلًا خارقًا لدقيقة أخرى، وتدع الدكتورة كندريك تخز ذراعك؟".

"لا"، اختفيت عنهما تحت البطانية.

"من فضلك".

لا، لقد استخدمت كلّ ما عندي من شجاعة.

قالت الدكتورة كندريك وهي تحمل أنبوبًا: "أنا فقط بحاجة إلى القليل".

هذا أكثر من مجرّد كلب أو بعوضة، لن يتبقى لي شيء.

سألتني *ما*: "بعد ذلك ستحظى بما ترغب فيه؟".

"أرغب في النوم".

قالت لي: "إنها تعني مكافأة، مثل الكعكة أو شيء من هذا القبيل".

قال الدكتور كلاي: "هممم، لا أعتقد أن لدينا أيّ كعكة في الوقت الحالي، والمطابخ مغلقة، ماذا عن مصّاصة؟".

أتت بيلار بوعاء مليء بالمصّاصات، هذا ما قصده بالمصّاصات.

قالت *ما*: "هيا، اختر واحدة".

لكن هناك الكثير منها وأنا محتار، فهي صفراء وحمراء وخضراء وزرقاء وبرتقالية، وكلّها مسطّحة مثل الدوائر لا كالكرات مثل تلك الموجودة لدى العجوز نيك التي رمتها *ما* في القمامة، وتناولت طعامي بعدها، فاختارت لي *ما* واحدة، إنها حمراء، لكنني هززت برأسي لأن لونها كان أحمر، واعتقدت أنني سأبكي مرّة أخرى، فاختارت واحدة أخرى خضراء، فأزالت بيلار البلاستيك، وأدخل الدكتور كلاي الإبرة في مرفقي وأنا أصرخ وأحاول الابتعاد عنهما، لكن أمي أمسكت بي، وضعتُ المصّاصة في فمي ولعقتها، لكن ذلك لم يوقف الألم على الإطلاق. قالت: "لقد أوشك أن ينتهي".

"لا أحبّها".

"انظر، لقد أخرجت الإبرة".

قال الدكتور كلاي: "رائع".

"لا، المصّاصة".

قالت *ما*: "لقد حصلت على مصّاصة".

"أنا لا أحبّ هذه، لا أحبّ اللون الأخضر".

"لا مشكلة، ابصقها".

أخذتها بيلار وقالت: "جرّب البرتقالية بدلًا من ذلك، فأنا أحبّ البرتقالية أكثر".

لم أكن أعلم أنه يُسمح لي باثنين، فتحت بيلار المصّاصة البرتقالية اللون وكانت لذيذة المذاق.

* * *

في البداية، كان الجوّ دافئًا، ثم أصبح باردًا، كان الدفء لطيفًا ولكن البرد قاسٍ ورطب: "أنا و*ما* في سرير، لكنه صغير، وقد أصبح الجوّ باردًا، والأغطية التي نتدثّر بها، والملاءات المفروشة على السرير أيضًا، ليست بيضاء، بل زرقاء..

هذه ليست الغرفة.

القضيب السخيف ينتصب، همست له: "نحن في الخارج".

"*ما*..."

قفزت وكأنها صدمة كهربائية.

"تبوّلتُ".

"لا بأس".

"كلا، لكن كل شيء مبلّل، قميصي وبطني أيضًا".

"انسَ الموضوع".

أحاول النسيان، فأنظر خلف رأسها، الأرضية مثل السجّادة ولكنها من دون نقوش ومن دون حوافٍ، ورماديّة نوعًا ما، وهي تمتدّ حتى الجدران، لم أكن أعرف أن الجدران خضراء، وهناك صورة لوحش، لكن عندما أنظر إليه تظهر في الواقع موجة ضخمة، شكل مثل الكوّة في الحائط فقط، أعرف ما هذا، إنها نافذة جانبية،

فيها مئات من الأشرطة الخشبية وهناك ضوء يعبر من خلالها: "ما زلت أتذكّر" أخبر أمي.

"بالطبع أنت كذلك"، أمسكت خدّي وتقبّله.

"لا يمكنني أن أنسى لأنني ما زلت مبتلًّا".

قالت بصوت مختلف: "أه، لم أقصد أنه كان عليك أن تنسى أنك تبوّلت في الفراش، قصدت أن لا تقلق بشأن ذلك". خرجت، وهي ترتدي ثوبها الورقيّ، لقد تجعّد كثيرًا: "الممرّضات سيغيّرن الملاءات".

أنا لا أرى الممرّضات.

"لكن قميصي الآخر..."، إنه في الخزانة، في الدرج السفليّ، لقد كان بالأمس. لذا، أعتقد أنه هنا الآن أيضًا، ولكن هل الغرفة لا تزال هناك بالرغم من أننا لسنا موجودين فيها؟

قالت *ما*: "سنكتشف شيئًا ما"، إنها عند النافذة، لقد جعلت الأشرطة الخشبية تتباعد أكثر فتدفّق الضوء.

"كيف فعلت ذلك؟". ركضت، فارتطمت ساقي بالطاولة *بام*.

فركتها ليزول الألم: "بالحبل، انظر؟"، إنه حبل الستارة.

قالت: "إنه الحبل الذي يفتح ويُغلق الستارة، هذه ستارة النافذة، وتسمّى ستارة، لأنها تحجب عنك رؤية الأشياء في الخارج".

"لماذا تحجب عني الرؤية؟".

"أعني أنت وأيّ شخص".

لماذا أنا مثل أيّ شخص؟

قالت *ما*: "يمنع الناس من النظر إلى الداخل والخارج".

لكني أنظر إلى الخارج، إنه مثل التلفاز، هناك عشب، وأشجار، وجزء من مبنى أبيض وثلاث سيارات، زرقاء وبنّية وفضّية مع أجزاء مخطّطة، "على العشب.."

"ماذا؟".

تستدير.

"أعتقد أنه مجرّد غراب".

"شيء آخر..."

"هذا، ماذا يسمّى... نسمّيه، حمامة، إنها عوارض مرض الزهايمر المبكر!"

"حسنًا، دعنا ننظّف كلّ شيء".

مكتبة
t.me/t_pdf

قلت لها: "لم نتناول الفطور".

"يمكننا تناوله عندما ننتهي".

هززت برأسي: "الفطور يأتي قبل الاستحمام".

"جاك، ليس من الضروريّ أن يكون بهذا الترتيب".

"ولكن...".

قالت *ما*: "ليس علينا أن نفعل الشيء نفسه الذي اعتدنا عليه، يمكننا أن نفعل ما نريد".

"أحبّ تناول الفطور قبل الاستحمام".

لكنها استدارت حول الزاوية ولم يعد يمكنني رؤيتها، فركضت خلفها، ثم وجدتها في غرفة صغيرة أخرى داخل هذه الغرفة، حيث تحوّلت الأرضية إلى مربّعات بيضاء باردة لامعة، وكانت الجدران بيضاء أيضًا، وهناك مرحاض ليس مثل المرحاض في منزلنا، ومغسلة بضعف حجم الحوض، وصندوق طويل غير مرئيّ لا بدّ من أن يكون دشًّا مثل الذي في التلفاز.

"أين يختبئ الحمام؟".

"لا يوجد حمام"، تضرب *ما* الجزء الأمامي من الصندوق الجانبي فيفتح، وتخلع فستانها الورقيّ وتضعه في سلّة أعتقد أنها سلّة مهملات، لكن لا يوجد لها غطاء يصدر صوت *دينغ*: "دعنا نتخلّص من هذا الشيء القذر أيضًا"، وبينما كانت تساعدني على خلع قميصي، ضغط على وجهي، فطوته وألقت به في سلّة المهملات.

"ولكن..."

"إنه قديم جدًا".

"إنه ليس قديمًا، إنه قميصي".

"ستحصل على الكثير من القمصان"، بالكاد أستطيع سماعها لأنها شغّلت المرشّة، وصوتها مرتفع جدًّا. "تفضّل بالدخول".

"لا أعرف كيف".

انتظرتني *ما* وقالت: "إنه جيّد، أعدك بأنك ستستمع، حسنًا، انتظرني في الخارج، فلن آخذ وقتًا طويلًا".

دخلت وبدأت بإغلاق الباب غير المرئيّ.

"لا".

"عليّ أن أفعل ذلك، وإلا سوف ينسكب الماء".

"لا".

"يمكنك مشاهدتي من خلال الزجاج، أنا هنا"، وأغلقت الباب بوم، لا أستطيع رؤيتها بعد الآن إلّا عبر الزجاج المحجّر، إنها لا تبدو مثل *ما* الحقيقية، بل كشبح يصدر أصواتًا غريبة.

سكّرت الباب، ولم أعرف كيف يُفتح، ثم اكتشفت ذلك وفتحته.

"جاك...".

"لا أحبّ عندما تكونين في الداخل وأنا في الخارج".

"إذن تعالَ إلى هنا".

أبكي

مسحت *ما* الدموع المتناثرة على وجهي وقالت: "آسفة، أعتقد أنني أتسرع في الاعتياد"، وعانقتني فشعرت بالضيق: "لا يوجد شيء تبكي من أجله بعد الآن".

عندما كنت طفلًا كنت أبكي فقط لسبب وجيه، لكن *ما* ذهبت للاستحمام، وتركتني في الجانب الآخر، وهذا سبب وجيه وجديد في الآن نفسه.

دخلتُ هذه المرّة، ووقفت بشكل مستقيم مقابل الزجاج، لكنني لا أزال أتعرّض للرشّ بالماء، فتزيد *ما* ضخّ الماء، وتتأوّه طويلًا.

صرخت: "هل يؤذي؟".

"كلا، أنا فقط أحاول الاستمتاع بأوّل حمام لي منذ سبع سنوات".

هناك علبة صغيرة تسمّى *شامبو*، *فتحتها ما* بأسنانها، واستخدمت كلّ ما في العلبة، واستمرت تبلّل شعرها لوقت طويل جدّاً، ثم وضعت المزيد من علبة صغيرة أخرى تسمّى *بلسم* لجعل الشعر حريريًّا. وقد أرادت أن تضع على شعري منه، لكنني لا أريد أن أكون حريريًا. في البداية أردت أن أبلّل وجهي فغسلتني بيديها لأنه لا توجد ليّفة، هناك أجزاء من ساقي أرجوانية جرّاء قفزي من الشاحنة البنّية، وجروحي تؤلمني في كلّ مكان، خاصّةً جرح ركبتي، والجلد تحت لاصوق دورا وبوتس أصبح مجعّدًا، ولكن *ما* تقول إن هذا يعني أن الجرح يتحسّن، ولا أعرف كيف الألم يعني التحسّن.

هناك منشفة بيضاء سميكة للغاية يمكننا استخدامها، ولكنها ليست واحدة فقط وعلينا مشاركتها، على الرغم من أنني أفضّل المشاركة، لكن أمي تقول إن هذا غير صحّي، ولفّت منشفة أخرى حول رأسها، فبدت ضخمة ومدبّبة مثل مخروط البوظة، فضحكنا.

أنا عطش: "هل يمكنني أن أحظى بالقليل الآن؟".

"بعد قليل"، ثم حملت شيئًا كبيرًا بالنسبة إليّ، له كمّان وحزام مثل الزيّ: "ارتدِ هذا الرداء الآن".

"لكنه عملاق".

"سيفي بالغرض"، طوت الكمّين إلى الأعلى حتى أصبحا أقصر ومنتفخين.

رائحتها مختلفة، أعتقد أن ذلك بسبب البلسم، ثم ربطت الرداء حول خصري، ورفعت الأجزاء الطويلة لأتمكّن من المشي من دون أن أتعثّر، وقالت: "هذا الملك جاك".

وجلبت رداء آخر من خزانة الملابس، ولكنها ليست خزانة غرفتنا، ولم يصل الرداء إلى كاحليها.

أغنّي: "سأكون ملكًا، يمكنك أن تكون ملكة"، *ما* متورّدة ومبتسمة، وشعرها أسود مبلّل، أما شعري فهو مربوط على شكل ذيل حصان، لكنه متشابك لأنه لا يوجد مشط، فقد تركناه في الغرفة، فقلت لها: "يجب أن يكون لديك مشط، لماذا لم تحضريه؟".

تجيبني: "تذكّر، كنت على عجلة من أمري لرؤيتك".

"نعم، لكننا نحتاج إليه".

"هذا المشط البلاستيكي القديم الذي نصف أسنانه مكسّرة؟".

أجد جاربيّ بجانب السرير، فارتديهما لكن *ما* تقول توقّف إنهما متّسخين، لأنك ركضت بهما في الشارع، كما أنهما مثقوبين، ورمتهما في سلّة المهملات أيضًا، إنها ترمي كلّ شيء.

"ولكننا نسينا السنّ"، فركضت لإخراج جوربي من سلسة المهملات، ووجدت السنّ في غضون ثانية.

نظرت *ما* بتهكّم.

قلت لها واضعًا السنّ في جيب ردائي: "إنه صديقي". لعقتُ أسناني، وأحسست بشعور غريب: "أوه لا، لم أنظّف أسناني بعد المصّاصة"، وضغطت عليها بقوّة بأصابعي حتى لا تسقط، لكن ليس بالإصبع المعضوض.

فهزّت *ما* برأسها: "لم تكن حقيقية".

"طعمها حقيقيّ".

"لا، أعني أنها كانت خالية من السكر، إنهم يصنعونها من نوع من السكر غير الحقيقيّ الذي لا يضرّ بأسنانك".

ذلك أمرٌ محيّر أشير إلى السرير الآخر: "من ينام هناك؟".

"إنه لك".

"لكني أنام معك".

"حسنًا، الممرّضات لم يعرفن بذلك"، ألاحظ ظلّها الطويل عبر الأرضية الرمادية الناعمة، وأنا أحدّق من النافذة، فلم يسبق لي أن رأيت مثل هذا الظلّ الطويل: "هل هذه قطّة في ساحة ركن السيارات؟".

"دعنا نرَ"، أركض لأنظر ولكن عينيّ لا تجدانها.

"هل سنذهب للاستكشاف؟".

"إلى أين؟".

"إلى الخارج".

"نحن في الخارج بالفعل".

تقول *ما*: "نعم، ولكن دعنا نخرج إلى الهواء الطلق ونبحث عن القطّة".

وجدت لنا زوجين من النعال لكن مقاسها لم يكن مناسبًا. لذا، بدأت أتعثّر، ففضّلت أن أكون حافي القدمين في الوقت الحالي، وعندما نظرت من النافذة رأيت شيئًا كبيرًا بالقرب من السيارات الأخرى، إنها شاحنة كتب عليها *عيادة كمبرلاند*.

همستُ: "ماذا لو جاء؟".

"مَن؟".

"العجوز نيك، ماذا إن جاء في شاحنته". كدت أنساه، كيف يمكنني أن أنساه؟

قالت *ما*: "لن يأتي، إنه لا يعرف أين نحن".

"هل نحن مخفيّان مرة أخرى؟".

"نوعًا ما، لكن هذه المرّة بطريقة جيّدة".

إلى جانب السرير هناك، أعرف ما هو، إنه هاتف أرفع الجزء العلوي، وأقول "مرحبًا" ولكن لا أحد يتحدّث، كلّ ما أسمعه هو الطنين.

كلّ شيء يحدث بشكل معاكس اليوم.

حرّكت *ما* مقبض الباب وأبدت امتعاضها، لا بدّ أنها تشعر بالسوء بسبب معصمها، ففتحت الباب بيدها الأخرى، وخرجنا إلى غرفة واسعة لها جدران ونوافذ صفراء امتدّت على طولها، وأبواب من الجانب الآخر، ولكلّ جدار لون

مختلف عن الآخر، يجب أن يكون هذا هو النظام، بابنا هو الباب الذي كتب عليه رقم سبعة بلون ذهبيّ. قالت *ما* إننا لا نستطيع فتح الأبواب الأخرى لأنها غرف أشخاص آخرين.

"أيّ أشخاص آخرين؟".

"لم نلتقِ بهم بعد".

كَيفَ تَعْرفُ؟

"هل يمكننا النظر عبر النوافذ الجانبيّة؟".

"نعم، يمكن لأيّ شخص أن ينظر عبرها".

"هل أحد منّا؟".

قالت: "نحن وأيّ شخص آخر".

بما أنه لا يوجد أي شخص آخر فهذا يعني نحن فقط. ليس هناك ستارة تحجب الرؤية على هذه النوافذ، إنه حقًّا كوكب مختلف، تظهر فيه المزيد من السيارات الأخرى مثل الخضراء والبيضاء... وهناك أشياء تمشي فيها أشخاص: "إنهم صغار مثل الجنّيات".

"لا، هذا فقط لأنهم بعيدون".

"هل هم حقيقيّون؟".

"حقيقيّون وموجودون مثلي ومثلكَ".

أحاول أن أصدّق ذلك، ولكنه عمل شاقّ.

هناك امرأة، ولكنها ليست حقيقية، يمكنني أن أعرف لأنها رماديّة اللون، وهي عبارة عن تمثال وعارية بالكامل.

"هيا، أنا أتضوّر جوعًا".

"أنا فقط..".

تسحب *ما* يدي، وتجرّني خلفها، ولكن لا يمكننا المضيّ قدمًا لأن هناك أدراج ويجب النزول عبرها، وهناك الكثير منها، فقالت: "تمّسك بالدرابزين".

"ماذا؟".

"هذا الشيء هنا، القضبان الحديدية".

"أنا أراه".

"انزل خطوة واحدة في كلّ مرة".

"سوف أسقط"، فجلست في مكاني.

"حسنًا، هذا ينفع أيضًا".

وبدأت أزحف على مؤخّرتي، فأنزل درجة درجة، فأسرع شخص ما في الخطى، كما لو كان يطير، لكنه لا يطير، فهو إنسان حقيقيّ، كان كلّه ابيض، وما إن اقتربت مني حتى أخفيت وجهي برداء أمّي حتى لا تراني، فقالت: "أوه..."

"الجرس مباشرة بجوار سريرك؟".

أخبرتها *ما*: "لقد تدبّرنا أمرنا".

"أنا نورين، دعني أحضر قناعين جديدين".

قالت *ما*: "عذرًا لقد نسيت".

"بالتأكيد، لماذا لا أحضرهما إلى غرفتك؟".

"لا بأس، نحن خارجان".

"جاك الكبير، هل اطلب مساعدًا ليحملك على السلّم؟".

لم أفهم ما تريده، وأشيح بوجهي بعيدًا مرّة أخرى.

قالت *ما*: "لا بأس، إنه يفعل ذلك بطريقته الخاصّة".

تابعت النزول على مؤخّرتي متجاوزًا الدرجات الإحدى عشرة، وفي الطابق السفلي، تربط *ما* ردائي مرّة أخرى كي نبقى الملك والملكة، مثل لافندر بلو، وتعطيني نورين قناعًا آخر لأضعه، وتقول إنها من مكان آخر يسمّى أيرلندا وهي تحبّ تسريحة ذيل الحصان الخاصّة بي. دخلنا إلى مكان كبير، يحتوي على طاولات، لم يسبق لي أن رأيت هذا القدر الكبير من الأكواب والسكاكين، فارتطمت بإحدى الطاولات ببطني، وقد كانت إحداها لنا، وقد بدت الأكواب

شفّافة مثل التي نملكها، ولكن الأطباق زرقاء، وهذا مقرف.

إنه مثل كوكب التلفاز، ولكن كلّ شيء يتمحور حولنا، الأشخاص يقولون: "صباح الخير"، و"مرحبًا بكم في كمبرلاند"، و"مبروك"، ولا أعرف لماذا، يرتدي بعضهم أردية مثلنا، ويرتدي بعضهم الآخر البيجامات أما الآخرون فيرتدون زيّاً رسميًّا. معظمهم ضِخام الجثّة، ولكن ليس لديهم شعور طويلة مثلنا، وهم يتحرّكون بسرعة، وفجأة أصبحوا يحيطون بنا من جميع الجوانب وحتى من الخلف. إنهم يمشون على مسافة قريبة جدًّا منّا، ولديهم الكثير من الأسنان، قال الرجل الذي تغطّي ذقنه لحيّة خفيفة: "صديقي اللطيف، أنت بطل نوعًا ما".

إنه أنا من يعنيه، فلا أنظر إليه.

"حسنًا، كيف وجدت العالم الخارجيّ الآن؟".

لم أقل شيئًا.

"جميل جدًّا؟".

أومأت إليه برأسي، وشددت بقوّة على يد *ما*، لكن أصابعي انزلقت.

فقد بلّلت يدها وهي تبتلع الحبوب التي أعطتها إياها نورين.

ظهر رأس مرتفع غامض، إنني أعرفه، هذا الدكتور كلاي من دون قناع، يصافح يد *ما* بيده البيضاء، ويسألنا إن حظينا بقدر كافٍ من النوم.

أجابته *ما*: "لقد كان غريبًا بعض الشيء".

وسار أشخاص آخرون يرتدون الزيّ الرسميّ، فعرّف الدكتور كلاي بالأسماء لكنني لم أفهم شيئًا، إحدى الأشخاص كانت ذات شعر رماديّ مجعّد، هي المشرفة على العيادة وهذا يعني أنها المديرة، لكنها تضحك وتقول ليس بالمعنى الدقيق، فلا أفهم ما هي النكتة.

أشارت *ما* إلى كرسي، لكي أجلس بجانبها، فكان هناك شيء مدهش على الطبق، إنه فضّي وأزرق وأحمر، اعتقدت أنها بيضة، لكنها ليست بيضة حقيقية، إنها شوكولاتة.

قالت *ما*: "نعم، عيد فصح سعيد، لقد غاب عن ذهني تمامًا".

أحمل البيضة في يدي، فلم أكن أعرف قطّ الأرنب الذي جاء إلى المبنى.

تُنزل *ما* قناعها عن وجهها إلى رقبتها، وتشرب عصيرًا غريب اللون، وتضع قناعي على رأسي حتى أتمكّن من تذوّق العصير الغريب الطعم هذا، ولكن هناك أجزاء غير مرئية فيه مثل الجراثيم، وقد نزلت إلى حلقي. لذا، سعلت بقوّة لأعيدها مرّة أخرى إلى الكوب.

هناك أشخاص قريبون جدًّا منّا يتناولون مربّعات غريبة موضوعة على مربّعات صغيرة مع لحم مقدّد، كيف يصل الطعام إلى الأطباق الزرقاء من دون أن يتلوّن؟ رائحة البيض لذيذة، ولكن يدي زلقة مرّة أخرى، فأضع بيضة عيد الفصح في وسط الطبق، وأفرك يدي بالرداء، ولكن من دون أن أفرك إصبعي المعضوض، السكاكين والشوك مختلفة أيضًا، ولا يوجد أبيض على مقابضها، إنها معدنية فقط، لابدّ أن استخدامها مؤلم.

الأشخاص ذوو العيون الضخمة، وجوههم مختلفة مع بعض الشوارب والمجوهرات المتدلّية والقطع الملوّنة.

أهمس *لما*: "لا أطفال".

"ما الأمر؟".

"أين الأطفال؟".

"لا يبدو أن هناك أطفال".

"قلت إن هناك الملايين في الخارج".

قالت *ما*: "العيادة ليست سوى جزء صغير من العالم الخارجي، اشرب عصيرك، وانظر، صبيّ هناك".

ألقيت نظرة خاطفة على المكان الذي تشير إليه، لكنه طويل مثل رجل ذي مسامير في أنفه وذقنه وعلى عينيه. ربما هو روبوت؟

تشرب *ما* شيئًا بنّيًا ينبعث منه البخار، ثم تضعه، وهي تسألني: "ماذا تفضّل؟".

أصبحت الممرّضة نورين بجانبي، فقفزت من مكاني عندما قالت: "هناك بوفيه".

قالت يمكنك أن تأكل، دعنا نرى، الوافل، عجّة، فطائر..."

أهمس: "لا".

قالت *ما*: "يجب أن تقول، *لا شكرًا*، هذا من حسن الخلق".

أشخاص ليسوا أصدقائي يشاهدونني بنظّارات شفّافة، فأضع وجهي في حضن أمي.

"الجميع ودودون".

أتمنّى أن يتوقّفوا.

الدكتور كلاي هنا مرّة أخرى، وهو يقترب منا: "لابدّ أن جاك مرهق، ربما هذا كثير بالنسبة إلى اليوم الأول؟".

ما هو اليوم الأوّل؟

زفرت *ما*: "أردنا رؤية الحديقة".

لا، كانت هذه أليس.

قالت: "ليس هناك من داعٍ".

قالت لي: "تناول بضع قضمات من شيء ما، وستشعر بتحّسن إذا شربت العصير على الأقلّ".

هززت برأسي.

قالت نورين: "لماذا لا أضع بعض الأطباق وأحضرها إلى غرفتك؟".

تضع *ما* قناعها على أنفها: "هيا بنا".

أعتقد أنها غاضبة.

أمسك بالكرسي: "ماذا عن عيد الفصح؟".

"ماذا!".

أشير.

يرمي الدكتور كلاي البيضة وأكاد أصرخ، فيقول: "ها أنت ذا"، ويسقطها في جيب ردائي.

صعود الدرج أصعب. لذا، حملتني *ما*.

قالت نورين: "دعيني أساعدك، هل يمكنني ذلك؟".

قالت *ما*: "نحن بخير"، وهي على وشك أن تصرخ

أغلقت *ما* بابنا ذا الرقم سبعة بإحكام بعد رحيل نورين.

يمكننا خلع القناع عندما نكون بمفردنا، لأن لدينا الجراثيم نفسها، فتحاول *ما* فتح النافذة، وهي تسحبها بقوّة ولكنها لا تنفتح.

"هل يمكنني أن أحظى بالقليل الآن؟".

"ألا تريد فطورك؟".

"بعد".

لذلك نستلقي واشرب القليل، الذي على اليسار لذيذ، قالت *ما* الأطباق ليست مشكلة، فالأزرق لا يلوّن الطعام وجعلتني أفركه بإصبعي لأرى، الشوك والسكاكين أشعرتني أيضًا بالغرابة، فهي من دون مقابض بيضاء لكنها في الواقع غير مؤذية، وهناك شراب يوضع على الفطائر، لكنني لا أريد فطائري أن تبتلّ، وكان لدي القليل من جميع الأطعمة، وكلّ شيء جيّد باستثناء الصلصة على البيض المخفوق، وكانت شوكولاتة عيد الفصح، ذائبة من الداخل، ومختلفة أكثر عن الشوكولاتة التي حصلنا عليها أحيانًا أيّام الأحد، ولكنها كانت ألذّ شيء تذوّقته على الإطلاق.

أقول *لما*: "لقد نسينا أن نقول شكرًا للطفل يسوع".

"سنقولها الآن، لا يمانع إذا تأخّرنا".

أتجشّأ بقوّة، ثم ننام مجددًا.

* * *

يقرع الباب، فيدخل شخص، إنه الدكتور كلاي، فتعيد *ما* وضع قناعها وقناعي، إنه ليس مخيفًا جدًّا الآن: "كيف حالك يا جاك؟".

"جيّد".

"أعطِني كفك".

يده البلاستيكية مرفوعة وهو يهزّ بأصابعه، فأتظاهر بأنني لا أرى يده، فلن أعطيه أصابعي لأنني أحتاج إليها.

يتحدّث إلى *ما* عن أشياء مثل لماذا لا تستطيع النوم، وعدم انتظام دقّات القلب وإعادة التجربة: "جرّبي هذه، مرّة واحدة فقط قبل النوم"، وقد تعمل مضادّات الالتهاب بشكل أفضل لإزالة وجع أسنانك..."

"من فضلك، هل يمكنني الاحتفاظ بأدويتي بدلًا من قيام الممرّضات بإعطائها لي وكأنني مريضة؟".

"آه، لا ينبغي أن تكون هذه مشكلة، طالما أنك لا تتركينها في متناول يد جاك".

"جاك يعرف أنه لا يجدر به العبث بالأدوية".

"في الواقع، كنت أفكّر في عدد قليل من مرضانا الذين لديهم تاريخ طويل من التعاطي، والآن بالنسبة إليك، لديّ رقعة سحريّة".

قالت *ما*: "جاك، دكتور كلاي يتحدّث إليك".

أضع الرقعة التي أحضرها الدكتور كلاي على ذراعي، وفي الحال لم أعد أشعر بها، كما أنه أحضر نظّارتين رائعتين لاستخدامهما عندما يكون الجوّ ساطعًا للغاية، واحدة سوداء لأمّي وأخرى حمراء لي، خاطبت *ما*: "مثل نجوم الراب". إنهما تزدادان قتامة إذا كنا في الخارج، وتصبحان افتح عندما نكون في الداخل، قال الدكتور كلاي إن عينيّ حادّتان للغاية، لكنهما لم تعتادا النظر بعيدًا بعد، وأحتاج إلى أن أنظر خارج النافذة، فلم أكن أعرف أبدًا أن هناك عضلات داخل عينيّ، فوضعت إصبعي لكنني لم أستطع الإحساس بها.

سألني الدكتور كلاي: "كيف حال هذه الرقعة، هل أنت مخدّر؟". وحين أزالها ولمس تحتها، رأيت آثار أصابعه على ذراعي، لكن لم أتمكّن الشعور بها. ثم أصبح الأمر سيّئًا، فمعه إبرة ويقول إنه آسف، وإنني بحاجة إلى ستّ جرعات للوقاية من الإصابة بأمراض مروّعة. فهذا هو الغرض من الرقعة، لجعل الإبر غير مؤلمة، ولكن ستّ جرعات؟ هذا غير ممكن، فركضت بسرعة إلى الحمام الموجود في الغرفة.

قالت *ما*: "يمكنها أن تقتلك"، وأعادتني إلى الدكتور كلاي.

"لا".

"أعني الجراثيم، وليس الجرعات".

بالرغم من ذلك لا زلت مصرًّا، لا.

قال الدكتور كلاي إنني شجاع حقًّا، لكنني لست كذلك، لقد استخدمت شجاعتي في تنفيذ الخطّة (ب). صرخت وصرخت، فثبّتتني *ما* في حضنها بينما كان يدخل الإبرة مرارًا وتكرارًا، إنها مؤلمة لأنه نزع الرقعة.

"أعدك لقد انتهى الأمر"، وضع الدكتور كلاي الإبر في صندوق معلّق على الحائط، وكتب عليه *الأدوات الحادّة*. كان لديه مصّاصة برتقالية في جيبه، لكنني كنت متخمًا، فقال إنه يمكنني الاحتفاظ بها لوقت آخر.

قال *لما*: ".. إنه مثل الأطفال الحديثي الولادة من نواحٍ كثيرة، على الرغم من سرعته الملحوظة في تعلّم القراءة والكتابة والحساب". كنت أستمع بجدّية لأنه يتحدّث عنّي: "بالإضافة إلى القضايا المناعية، فمن المحتمل أن تكون هناك تحدّيات في مجالات مختلفة، كالتكيّف الاجتماعيّ، فمن الواضح الخلل في التعديل الحسّي - تصفية وفرز جميع المحفّزات التي تحجبه - بالإضافة إلى صعوبات في الإدراك المكانيّ..."

سألته *ما*: "هل هذا سبب استمراره في خرق الأشياء؟".

"بالضبط، كان على معرفة جيّدة ببيئته الضيّقة لدرجة أنه لم يحتج إلى تعلم كيفيّة قياس المسافة".

وضعت *ما* يدها على رأسها: "اعتقد أنه بخير، على كلّ حال...".

هل أنا بخير؟

"هناك طريقة أخرى للنظر إلى هذا..."

لكنه توقّف لأن هناك من طرق على الباب، وعندما فُتح الباب تظهر نورين وهي تحمل صينيّة أخرى.

فأتجشّأ، إذ لا يزال بطني مليئًا بطعام الفطور.

أجاب الدكتور: "من الناحية المثالية، فحص الصحّة العقلية مع إعادة تأهيل من خلال العلاج بالفنّ واللعب، لكن في اجتماعنا هذا الصباح اتّفقنا على أن الأولويّة العاجلة هي جعله يشعر بالأمان، أو بالأحرى جعلكما تشعران بالأمان، ويجب توسيع دائرة الثقة ببطء شديد"، تحرّكت يداه في الهواء على نطاق أوسع: "وإنني كنت محظوظًا بما يكفي لأكون الطبيب النفسيّ المناوب في الخدمة الليلة الماضية...".

"محظوظ؟".

ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيه: "اختيار سيّئ للكلمات، سأكون من يعمل معكما في الوقت الحالي".

ما العمل؟ لم أكن أعرف أن الأطفال لديهم عمل يقومون به.

"بالطبع، بالتعاون مع زملائي في مجال الطبّ النفسيّ للأطفال والمراهقين، وطبيب أعصاب، ومعالج نفسيّ... سنحضر أخصّائيّ تغذية وفيز...".

مجدّدًا، هناك طرق على الباب، إنها نورين مع شرطيّة، ولكنها ليست ذات الشعر الأصفر التي رأيناها البارحة.

هناك ثلاثة أشخاص في الغرفة واثنان منّا، هذا يجعلنا خمسة تكاد الغرفة تمتلئ بالأذرع والسيقان والصدور. كلّهم يتكلّمون وهذا مزعج، فقلت بصمت: "توقّفوا عن كلّ ما تقولونه حالًا.." ووضعت إصبعيّ في أذنيّ.

"هل تريد مفاجأة؟".

كان هذا ما قالته لي، لا أعرف، رحلت نورين والشرطية أيضًا، فهززت برأسي.

قال الدكتور كلاي: "لا أعتقد أنه أكثر ما ينصح به...".

"جاك إليك أفضل خبر"، تنحني *ما* وتحمل صورًا، أعرف صور مَن من دون أن اقترب، إنه *العجوز نيك*، إنه الوجه نفسه عندما ألقيت نظرة خاطفة عليه عندما كنت في السرير، لكن لديه علامة حول رقبته وهو يقف أمام الأرقام مثلما فعلنا عندما قسنا طولي في عيد الميلاد، إنه عند الرقم 6 تقريبًا، ولكن ليس بالضبط، هناك صورة ينظر فيها بشكل جانبي وأخرى حيث ينظر إليّ.

قالت *ما*: "في منتصف الليل ألقت الشرطة القبض عليه ووُضع في السجن، وسيبقى هناك".

أتساءل هل الشاحنة البنّية في السجن أيضًا.

سأل الدكتور كلاي قائلًا: "هل يؤدّي النظر إليهم إلى ظهور أيّ من الأعراض التي كنا نتحدّث عنها؟".

أشاحت بنظرها: "بعد سبع سنوات من العيش معه، هل تعتقد أنني سأنهار عند النظر إلى صورة؟".

"ماذا عنك يا جاك، كيف تشعر؟".

أنا لا أعرف الجواب.

قال الدكتور كلاي: "سأطرح سؤالًا، لكنك لست مجبرًا على الإجابة عنه، هل أنت موافق؟".

نظرت إليه، ثم عاودت النظر إلى صور العجوز نيك العالق في الأرقام ولا يمكنه الذهاب إلى أيّ مكان.

"هل فعل هذا الرجل شيئًا لم يعجبك؟".

أومأت إليه لأؤكّد.

"هل يمكنك أن تخبرني بما فعل؟".

"لقد قطع التيّار حتى ذبلت النبتة".

"حسنًا، هل آذاك؟".

قالت *ما*: "لا...".

مدّ الدكتور كلاي كلتا يديه في الهواء: "لا أحد يشكّك في كلامك، ولكن إذا لم اسأل جاك أُعتبر مقصّرًا في عملي، أليس كذلك؟"

أطلقت زفيرًا طويلًا: "حسنًا"، ثم قالت: "يمكنك أن تجيب هل آذاك العجوز نيك؟".

قلت: "نعم، مرّتين".

حدّقا إلى بعضهما.

"عندما كنت أُنفّذ الهروب الكبير، أسقطني في الشاحنة، كما فعل ذلك في الشارع أيضًا، وكانت المرّة الثانية أكثر إيلامًا".

ابتسم الدكتور كلاي وقال: "حسنًا"، لم أفهم سبب ابتسامته: "سأذهب إلى المختبر في الحال لأرى إن كانوا بحاجة إلى عيّنات حمض نوويّ من كليكما".

"حمض نووي؟"، عادت نبرة الغضب إلى صوتها: "هل تظنّ أنه كان لدي زائر آخر؟".

"هذا هو البروتوكول المتّبع".

زمّت *ما* فمها بالكامل وقد اختفت شفتاها.

"حسنًا، تُطلق الوحوش كلّ يوم في هذا العالم؟".

"حسنًا".

أخلع قناعي عندما يذهب وأسأل *ما*: "هل هو غاضب منّا؟"، أومأت إليه برأسها: "إنه غاضب من العجوز نيك".

لم أكن أعلم أن الدكتور كلاي يعرف العجوز نيك، اعتقدت أننا الوحيدان اللذان نعرفه.

نظرتُ إلى الصينية التي أحضرتها نورين، فلم أكن جائعًا، ولكن عندما سألتُ *ما* قالت لي إن الساعة أصبحت الواحدة، ولكنه وقت متأخّر حتى بالنسبة إلى

الغداء، فيجب أن يكون الغداء عند الساعة الثانية عشرة، ولكنني أشعر بالشبع.

خاطبتني *ما* قائلة: "استرخِ، كلّ شيء مختلف هنا".

"ولكن ما هي القاعدة؟".

"ليس هناك قاعدة، يمكننا أن نتناول الغداء عند العاشرة أو الواحدة أو الثالثة أو حتّى عند منتصف الليل".

"لا أريد أن أتناول الغداء عند منتصف الليل".

زفرت *ما* وقالت: "دعنا نتّفق على قاعدة جديدة، حيث سنتناول طعام الغداء بين الساعة الثانية عشرة والثانية، وسنتجاوزه إن لم نكن جائعين".

"كيف سنتجاوزه؟".

"لن نأكل أيّ شيء، صفر".

"حسنًا"، ليس لديّ مانع بعدم تناول أيّ شيء: "ولكن ماذا ستفعل نورين بكلّ هذا الطعام؟".

"سترميه".

"هذا إسراف".

"أجل، ولكنه يجب أن يُرمى لأنه قذر نوعًا ما".

انظر إلى الطعام الملوّن في الأطباق الزرقاء: "لكنه لا يبدو وسخًا".

قالت *ما*: "إنه ليس كذلك، لكن أحدًا لن يرغب في تناوله بعد أن وُضع على أطباقنا، لا تقلق حيال الأمر".

دائمًا تقول لي ألّا أقلق، ولكنني لا أستطيع ألّا أقلق.

تثاءبت بقوّة، حتى كدت أسقط، لا تزال يدا *ما* تؤلمانها، واسألها إن كنا نستطيع النوم مجدّدًا، فتوافق ولكنها تقرأ الصحيفة أوّلًا، لا أدري لماذا تفضّل أن تقرأ الصحيفة على أن تنام إلى جانبي.

* * *

عندما استيقظت رأيت المصباح في الجانب الآخر، فقالت ما: "لا بأس"، ثم لامسنا وجهينا: "سيكون كلّ شيء على ما يرام".

أضع نظارتي الجميلة كي أرى وجه الله الأصفر(*) عبر نافذتنا حيث يتسلّل الضوء إلى السجّادة الرمادية.

فتدخل نورين حاملة أكياسًا.

قالت لها *ما* بطريقة أشبه بالصراخ: "كان يمكنك أن تقرعي الباب"، ثم وضعت الكمامة لي ولها.

قالت نورين: "آسفة.. لقد قرعته بالفعل، وسأحرص على أن أقرعه بقوّة أكبر في المرّة القادمة".

"كلا، اعتذر منك، لقد كنت أتحدّث إلى جاك وربما سمعت، ولكنني لم أعرف أنك تقرعين الباب".

قالت نورين: "لا مشكلة".

"هناك أصوات قادمة من الغرف الأخرى، لا أعلم ما هي ولا من أيّ غرفة".

"لابدّ أنه شعور غريب".

ضحكت *ما*.

"وبالنسبة إلى الشابّ الصغير"، لمعت عينا نورين: "هل تريد أن ترى ملابسك الجديدة؟".

إنها ليست ملابسنا، فهي مختلفة وموضوعة في أكياس، كأن هذه الملابس لا تناسبنا ولا تعجبنا حتى، ولا بدّ من أن نورين ستعيدها إلى المتجر وتحضر غيرها، فجرّبت كلّ شيء، وأكثر ما أعجبني هو ملابس النوم، فهي ناعمة وعليها رسوم روّاد فضاء، وكأنها زيّ طفل من التلفاز، وهناك حذاء عليه جزء لاصق يسمّى فيلكور، أحبّ الصوت الذي يصدره، عندما ألصقه وافتحه، ولكن من الصعب المشي بهذا الحذاء فهو ثقيل لدرجة أحسّ بأنه سيجعلني أتعثّر، وأفضّل أن أنتعله

(*) تعبير ساذج لطفل سجين طوال حياته غير قادر على التعبير عن طبيعة الأشياء وواقعها.

عندما أكون في السرير، فلوّحت بقدميّ في الهواء فتلاقتا كما لو أنهما صديقان.

ارتدت *ما* بنطال جينز ضيّقًا جدًّا، فقالت نورين: "هكذا هي البناطيل التي يرتدونها الآن، والله يعلم أن لديك القوام المناسب لهذا".

"من هم؟".

"اليافعون".

ضحكت *ما* ولكنني لم أعرف سبب ضحكها، وارتدت أيضًا قميصًا ضيّقًا.

همست لها: "هذه ليست ملابسك الحقيقية".

"أصبحت ملابسي الآن".

قُرع الباب، إنها ممرّضة أخرى ترتدي اللباس الموحّد نفسه، ولكن لها وجه مختلف، قالت إن علينا أن نضع قناعينا لأن لدينا زائر، فلم يسبق أن زارني أحد، ولا أعرف كيف أتصرّف.

دخل شخص وركض صوب *ما*، فقفزت *ما* وضحكت وبكت في الوقت نفسه، لابدّ أنه المضحك المبكي.

"آه أمي"، *ما* هي التي قالت أمي.

"صغيرتي...".

"لقد عدت".

قالت المرأة: "أجل إنك كذلك، عندما اتّصلوا بي طننت أنها خدعة أخرى...".

"هل اشتقتِ إليّ؟"، بدأت *ما* تضحك بطريقة غريبة.

بكت المرأة، وهناك دموع سوداء تحت عينيها، لماذا دموعها سوداء، وفمها بلون الدم كالنساء على شاشة التلفاز، وشعرها أصفر قصير، ولكنه ليس قصيرًا جدًّا، وهناك قرطان ذهبيّان يتدلّيان من أذنيها.

لا تزال تحتض *ما*، حجمها ثلاثة أضعاف حجم *ما*، لم أرَ *ما* تحتضن أحدًا في حياتي.

"دعيني أرى وجهك من دون هذا الشيء السخيف لوهلة".

أزاحت *ما* القناع جانبًا وهي تبتسم وتبتسم.

الآن نظرت إليّ المرأة: "لا أصدّق هذا، لا أصدّق أيّ شيء يحدث".

قالت *ما* : "جاك هذه هي جدّتك".

أنا فعلًا لديّ جدّة.

فتحت المرأة ذراعيها كأنها ستلوّح بهما، لكنها توجّهت نحوي فاختبأت خلف الكرسي.

قالت *ما* : "إنه مستغرب كثيرًا، فهو لم يعتد على رؤية أحد سواي".

"أجل بالطبع"، اقتربت الجدّة وقالت: "أنت أشجع فتى في العالم يا جاك، لقد أرجعت لي طفلتي".

أيّ طفلة؟

قالت *ما* : "ارفع قناعك قليلًا".

فعلت ذلك ثم أعدت وضعه.

قالت الجدّة: "لديه عظام الحنك نفسها".

"أتظنّين هذا؟".

"بالطبع، لطالما كنتِ مولعة بالأطفال، حتى إنك كنت تجالسين الأطفال بالمجان..."

حدّقتا إلى بعضهما لوقت طويل جدًّا، وحين نظرت تحت اللاصق لأرى إن شفي الجرح، كانت هناك أجزاء حمراء مخرّشة.

هناك هواء يتحرّك، فظهر وجه غريب أمام الباب، له لحية وشاربان.

قالت *ما* : "أخبرت الممرّضات أننا لا نريد أن يزعجنا أحد".

قالت الجدّة: "في الواقع، هذا ليو".

قال ملوّحًا بيده: "مرحبًا".

سألتها *ما* من دون أن تبتسم: "من هو ليو؟".

مكتبة
t.me/t_pdf

"كان يفترض بك أن تبقى في الممرّ".

قال ليو: "لا مشكلة"، ثم اختفى عن الأنظار.

سألتها *ما*: "أين أبي؟".

أجابتها جدّتي: "إنه في كانبرا، ولكنه في طريقه إلى هنا الآن".

"حدثت الكثير من التغييرات، حبيبتي".

"كانبرا؟".

"نعم عزيزتي، كثيرة هي الأخبار التي يجب أن تطّلعي عليها..."

تبيّن أن ليو المشعّر ليس جدّي الحقيقيّ، وأن جدّي ذهب ليعيش في أستراليا عندما اعتقد أن *ما* ماتت، وبعد أن أقام لها جنازة، الأمر الذي جعل جدّتي غاضبة منه، لأنها لم تفقد الأمل يومًا، ولطالما أخبرت نفسها بأنه لابدّ من وجود سبب لاختفاء ابنتها العزيزة وأنها ستجد طريقة لتتواصل معها مجدّدًا ذات يوم جيّد.

قالت *ما*: "يوم جيّد؟".

"أليس كذلك؟". ولوّحت جدّتي بيدها أمام النافذة.

"ما الأسباب التي جعلته ينتقل إلى أستراليا؟".

"آه، لقد فكّرنا بجميع الاحتمالات، أخبرنا أحد المصلحين الاجتماعيّين أن الأولاد بعمرك يرحلون من دون سابق إنذار، ربما بسبب المخدّرات، وقد فتّشت غرفتك..."

"لقد كان معدّلي سبعة فاصلة ثلاثة في الجامعة".

"أجل كنت كذلك، لقد كنتِ مصدر فخرنا وبهجتنا".

"لقد اختطفت من الشارع".

"حسنًا، إنني أعلم هذا *الآن*، وعلّقنا منشورات في شتّى أرجاء المدينة، وأطلق بول موقعًا إلكترونيًا، كما استجوبت الشرطة كلّ الأشخاص الذين تعرفينهم من الجامعة والمدرسة الثانوية كي نستطيع معرفة مع من كنتِ تتسكّعين من غرباء قد لا نعرفهم، وبقيت أتخيّل أنني أراك، كان الأمر عذابًا صرفًا". هكذا قالت جدّتي: "كنت

أركن السيارة بجانب الفتيات وأطلق بوقها، ولكن كان يتبيّن دائما أنهنّ مجرّد غريبات، وفي عيد مولدك ظللت أخبز كعكتك المفضّلة، أتذكرين كعكة الموز والشوكولاتة؟".

أومأت *ما* إليها، وغطّت الدموع وجهها.

"لم أستطع النوم من دون العقاقير، فعدم معرفة ما جرى لك كان ينخر رأسي، حتى أخيك بول لم يرَ الأمر منصفًا... فهل تعلمين؟ وكيف لك أن تعلمي أصبح لديه فتاة تبلغ من العمر ثلاث سنوات، وقد تعلّمت الذهاب إلى الحمام وحدها، أما زوجته فهي لطيفة جدًّا وتعمل مذيعة".

أخذتا تتحدّثان وتتحدّثان، وهذا ما أرهق أُذنيّ، ثم أتت نورين ومعها أدويتنا وكوبا العصير، لكنه ليس بطعم البرتقال بل إنه بطعم التفاح، لقد كان ألذّ عصير تذوّقته على الإطلاق.

ستغادر جدّتي الآن إلى منزلها، وأتساءل إن كانت ستنام في العلّيّة أيضًا: "هل يمكن لليو أن يدخل لإلقاء التحية؟". سألت وهي تقف عند الباب.

لم تقل *ما* شيئًا: "ربما في وقت لاحق".

"كما تريدين.. فالأطبّاء ينصحون بالتروّي".

"التروّي؟".

"في كلّ شيء"، والتفتت جدّتي صوبي: "حسنًا يا جاك هل تعرف كلمة *وداعًا؟*.

أخبرتها: "في الواقع أعرف كلّ الكلمات".

وهذا ما جعلها تقهقه.

قبّلت يدها ونفخت باتجاهي: "التَقِطها".

أظنّ أنها تودّ أن نلعب وكأنني سألتقط القبلة، وسأجاريها.

بدت سعيدة قبل أن تشرع في البكاء.

بعد ذلك، سألت *ما*: "لماذا قهقهت عندما قلت لها إنني أعرف كلّ الكلمات مع أني لم أكن أمزح".

"آه، إنه أمر غير مهمّ، فمن الجيّد أن يضحك لك الناس".

عند الساعة 6:12 أتت نورين وأحضرت معها صينية أخرى، إنه العشاء، فقالت *ما* إنه يمكننا تناول العشاء عند الساعة الخامسة أو السادسة أو حتى الساعة السابعة.

هناك أشياء خضراء مقرمشة، إنها هندباء وطعمها حرّيف جدًّا، أُفضّل البطاطس ذات الأجزاء المحمّرة مع اللحم ذي الخطوط، وكان للخبز أجزاء خشنة تخرش بلعومي، فحاولت إزالتها، ولكنها كشفت عن فراغات، فطلبت *ما* أن أترك الأمر هكذا. وهناك فراولة قالت إن طعمها مثل طعم الجنّة، فتساءلت كيف لها أن تعرف طعم الجنّة؟

الطعام كثير، قالت *ما* إن أغلب الناس يأكلون إلى حدّ التخمة. لذا، علينا تناول ما نحبّه فقط وترك الباقي.

أكثر جزء أحبّه من العالم الخارجيّ هو النافذة، فهي مختلفة في كلّ مرّة، يطير عصفور بالقرب منها *زوووووم*، لا أعرف ما كان، وقد أصبحت الظلال طويلة مجدّدًا، فظلّي يصل إلى جدار الغرفة الأخضر، شاهدت وجه الله يختفي ببطء(*)، والسماء تصبح أكثر فأكثر برتقالية ثم ظهرت أشعّة خفيفة بعدها حلّ الظلام شيئًا فشيئًا، فشاهدت السماء وقد تبدّل لونها بالكامل.

* * *

طوال الليل ظللت و*ما* نصطدم ببعضنا، في المرّة الثالثة استيقظت، وكنت أريد الجيب وجهاز التحكّم عن بعد، لكنهما ليسا هنا، لا يوجد أحد في الغرفة الآن، فقط أشياء ثابتة لا تتحرّك، وغبار يتساقط عليها، أنا و*ما* لسنا هناك والعجوز نيك في السجن، وعليه أن يبقى محتجزًا هناك إلى الأبد.

تذكّرت أنني أرتدي ملابس النوم ذات رسوم روّاد الفضاء، فتحسّست قدمي من خلال القماش، وشعرت أنها ليست هي، كلّ الأشياء التي كانت لنا محجوزة في الغرفة

(*) تعبير ساذج لطفل سجين طوال حياته غير قادر على التعبير عن طبيعة الأشياء وواقعها.

الآن، ولم يبقَ منها إلا القميص الذي رمته أمي في سلّة القمامة وقد اختفى الآن، إذ بحثت عنه بعد الاستيقاظ من النوم، ولكن لابدّ أن أحد عمّال النظافة قد أخذه.

علينا أن نكون في العالم ولم يعد بإمكاننا العودة إلى الغرفة مجدّدًا، قالت *ما* إنه عليّ أن أكون سعيدًا لما آلت إليه الأمور، لا أعلم لماذا لا يمكننا أن ننام هناك على الأقلّ، وأتساءل إن كان علينا البقاء في العيادة، أو نستطيع الذهاب إلى مكان آخر في الخارج مثل المنزل ذي العليّة، ولكن جدّي الحقيقيّ في أستراليا وهي بعيدة جدًّا. "*ما*؟".

قالت وقد بدت متجهّمة: "لقد غفوت للتوّ.."

"إلى متى سنبقى هنا؟".

"لم يمضِ علينا هنا سوى أربعٍ وعشرين ساعة، أنت فقط تشعر أنها فترة طويلة".

"لا، لكن إلى متى سنظلّ هنا بعد، ما هو عدد الأيّام والليالي؟".

"في الحقيقة لا أعلم".

في العادة تعرف *ما* كلّ شيء: "أخبريني".

"صه".

"لكن إلى متى؟".

أخيرًا قالت: "لفترة وجيزة... الآن اصمت، وتذكّر أن هناك أشخاصًا في الغرف المجاورة وأنت تزعجهم".

لا أرى أشخاصًا، لكنهم هناك على أيّ حال، فهم الأشخاص الذين رآهم في صالة الطعام، ولكن عندما كنت في الغرفة لم أزعج أحدًا قطّ، إلا *ما* عندما كانت تشعر بأنها ليست على ما يرام بسبب السنّ، وهي تقول الآن إن الأشخاص موجودون في كمبرلاند لأنهم مرضى ويصيبهم ألم الرأس قليلًا، ولكن ليس كثيرًا. ربما فقدوا قدرتهم على النوم جرّاء القلق، أو لا يستطيعون تناول الطعام، وربما يغسلون أيديهم كثيرًا، لم أعلم أن غسل اليدين قد يكون كثيرًا، وبعضهم كان قد

ضُرب رأسه ولم يعد يتعرّف إلى نفسه، وبعضهم حزين طوال الوقت وبعضهم الآخر يجرح يديه بالسكاكين، ولا أعرف لماذا. الأطبّاء والممرّضات وبيلار وعاملو النظافة غير المرئيّين، على الرغم من أنهم ليسوا مرضى، فإنهم هنا للمساعدة. وأنا و*ما* أيضًا لسنا مرضى، فنحن هنا للنقاهة فقط. بالإضافة إلى أننا لا نريد أن يزعجنا الصحفيّون والمصوّرون بكاميراتهم وميكروفوناتهم، لأننا مشهورون الآن مثل نجوم الراب، لكننا لم نتعمّد أن نكون مشهورين، تقول *ما* إننا بحاجة إلى القليل من المساعدة لحلّ أمورنا في الوقت الحالي، ولا أعلم ما هي هذه الأمور، مددت يدي تحت الوسادة لأرى إن تحوّل السنّ إلى نقود، ولكن لا، يبدو أن الجنيّة لا تعلم أين تقع العيادة.

"*ما*؟".

"ماذا؟".

"هل نحن مسجونان؟".

أجابتني بصوت مرتفع: "لا، بالطبع لا، ألم يعجبك البقاء هنا؟".

"لا، ولكن هل علينا البقاء هنا؟".

"كلا نحن حرّان مثل العصافير".

* * *

ظننتُ أن كلّ الأشياء الغريبة حدثت البارحة، ولكنّ الكثير من الأحداث قد حصلت اليوم، فأنا أشعر اليوم بالإمساك، لأنّ معدتي لم تعتدْ على كلّ هذا الطعام، وليس علينا غسل شراشفنا في الحمام لأنّ عمّال النظافة المخفيّين يقومون بذلك، كما أنّ *ما* كانت تكتب في دفتر للواجبات المدرسيّة أعطاها إيّاه الدكتور كلاي، فقد كنت أظنّ أن الأطفال الذين يذهبون إلى المدرسة هم فقط من يكتبون على هذه الدفاتر، وهي لم تعد تقوم بالعمل الذي كنّا نقوم به في المنزل، لأنّها تقول إن العيادة ليست منزلًا لأحد، وأن الجميع سيعودون إلى منازلهم في نهاية المطاف.

أكره قناعي لأنّني لا أستطيع التنفّس من خلاله، لكنّ *ما* تقول إنني أستطيع فعل ذلك.

تناولنا الفطور في صالةٍ مخصّصةٍ لتناول الطعام فقط، إذ يُفضّل الناس في العالم الخارجيّ الذهاب إلى غُرف مختلفة من أجل قضاء حاجاتهم.

إنني أتذكّر الآداب العامّة التي نستخدمها عندما لا نريد أن نُغضب الآخرين، فسألت: "من فضلك هل يمكنك أن تعطيَني المزيد من الفطائر المحلّاة؟".

فقالت المرأة التي تضع المئزر: "إنكَ كاللعبة".

أنا لست بلعبة، ولكن *ما* همست قائلة إنّ هذا يعني أن المرأة تستلطفني وعليّ أن أتقبّل أن تناديني بهذا اللقب.

رحت أُجرّب الشراب المحلّى، فكان طعمه حلوًا جدًّا، ما دفعني إلى شرب نصف العلبة، حتى منعتني *ما* وهي تقول إنه مخصّص للفطائر المحلّاة فقط، ولكنّني لم أستطبْه معها.

يواصل الناس إحضار أكواب القهوة *لما* ولكنّها ترفضها كلّها، وبعد أن أكلت كثيرًا من اللحم المقدّد قلت: "شكرًا للطفل يسوع"، فحدّق الناس إليّ، ولا أدري السبب، فربما هم لا يعرفونه في العالم الخارجيّ، ثم قالت *ما* عندما يتصرّف الناس بغرابة مثل الطفل الطويل الذي لديه قطع معدنيّة على وجهه، أو الذي يُدعى هوغو ويصدر همهمة على الدوام، أو السيّدة غاربر التي تحكّ رقبتها باستمرار، لا يجب أن نضحك عليهم إلّا في السرّ.

لا أعلم متى ستصدر الأصوات التي ستجعلني أقفز من مكاني، فبعضها مزعج كطنين ذبابة، وبعضها الآخر يشبه هدير مدفع يؤلم رأسي، وعلى الرغم من أنّ كلّ شيء صاخب من حولي، إلّا أن *ما* تطلب منّي على الدوام أن أبقى هادئًا حتى لا أزعج أحدًا، ولكن في أغلب الوقت لا يسمعني أحد عندما أتكلّم.

سألتني *ما*: "أين حذاؤك؟".

لم أعد أذكر مكانه، فعدنا إلى صالة الطعام، ووجدناه تحت الطاولة، وعلى أحد الفردين كانت قطعة لحم مقدّد، فأكلتها في الحال.

فقالت *ما*: "الجراثيم".

حملت حذائي من شريطه اللاصق، ولكنّ *ما* طلبت مني انتعاله.

"ولكنه يؤلم قدميّ".

"مقاسه غير مناسب؟".

"إنه ثقيل جدًّا".

"أعلم أنك لم تعتدْ عليه بعد، لكنك لا تستطيع المشي بجاربيك، إذ ربّما تدوس على شيء حادّ".

"لن أفعل ذلك، أعدك".

انتعلت الحذاء، ثمّ وصلنا إلى ممرّ، ولكنه لم يكن الممرّ الموجود فوق الدرج، إذ إنّ للعيادة أقسامًا متعدّدة، ولا أظنّ أنه سبق لنا أن أتينا إلى هنا، فهل تُهنا؟

تتطلّع *ما* إلى الخارج عبر نافذة مختلفة عن الأخرى: "يمكننا اليوم الخروج ومشاهدة الأشجار والأزهار".

"لا".

"جاك...".

"قصدت لا، شكرًا لكِ".

"هواء نقيّ!".

أفضّل الهواء في الغرفة رقم سبعة، ثمّ تعيدنا نورين إلى هناك، فنستطيع أن نشاهد السيّارات تركن في المرآب، بالإضافة إلى القطط والحَمام عبر نافذتنا.

في وقت لاحق من اليوم، لعبنا مع الدكتور كلاي في غرفة جديدة فيها سجّادة سميكة من الصوف، لا تشبه السجّادة المسطّحة ذات الخطوط المتعرّجة، فتساءلت إن كانت السجّادة تفتقدني، وإن كانت لا تزال في مؤخّرة الشاحنة في السجن.

تُرى ما هو الواجب المنزليّ للدكتور كلاي، إنهما يتابعان الحديث عن أشياء مملّة مثل *المألوف المنسيّ واضطراب تبدّد الشخصيّة*، ثم ساعدت الدكتور كلاي في إفراغ حقيبة الألعاب، فكان ذلك أفضل ما قمنا به على الإطلاق. فكان يحدّثني عبر هاتف محمول غير حقيقيّ: "سعيدٌ حقًّا بسماع صوتك جاك، أنا في العيادة الآن، ولكن أين أنت؟".

وأنا أردّ عبر موزة بلاستيكية: "وأنا أيضًا".

"يا للصدفة، هل أنت مستمتع هنا؟".

"إنني مستمتع باللحم المقدّد".

ضحك، ولكني لم أكن أعلم أنني ألقيت فُكاهة، ثمّ قال: "وأنا أيضًا أستمتع كثيرًا باللحم المقدّد".

كيف يمكنه أن يستمتع كثيرًا؟

ثم بحثت عن الدمى، في أسفل الحقيبة فوجدت الكلب المرقّط، وقبطانًا، وقمرًا، وصبيًّا صغيرًا يمدّ لسانه، ولكنني فضّلت الكلب.

"إنه يسألك سؤالًا يا جاك".

سألني الدكتور كلاي: "حسنًا، ما هيَ الأشياء التي لا تحبّها هنا؟".

"عندما ينظر إليّ الأشخاص".

"همممم".

يقول ذلك كثيرًا بدل النطق بالكلمات.

"بالإضافة إلى الأشياء المفاجئة".

"أشياء مفاجئة، مثل ماذا؟".

فأقول له: "*الأشياء المفاجئة* تلك التي تحدُث بسرعة جدًّا".

"آه، نعم العالم مفاجئ أكثر مما نتخيّل".

"ماذا؟!".

"أعتذر، إنه مجرّد سطر من قصيدة".

ابتسم الدكتور كلاي لـ*ما* وقال: "جاك، هل يمكنك أن تصف لي أين كنت قبل مجيئك إلى العيادة؟".

لم يسبق له أن ذهب إلى الغرفة، لذا أخبرته بكلّ تفصيل فيها، وكيف كنا نمضي أيّامنا، كما أخبرته *ما* بكلّ الأشياء التي نسيت أن أذكرها.

أمسك بمادّة لزجة كنت قد رأيتها على شاشة التلفاز وهي متعدّدة الألوان، فحوّلها إلى كرات وديدان في الوقت الذي كنّا نتحدّث فيه، وحين وضعت أصبعي في الجزء الأصفر، علق القليل منه تحت ظفري، ولكنني لم أحبّ أن يكون ظفري أصفرَ.

سألني: "هل حصلت على معجون الأطفال من ضمن هدايا الأحد؟".

تدخّلت *ما* وقالت: "إنه يجفّ سريعًا، فهل فكّرت في الأمر؟ لكن إن أعدته إلى العلبة، وحاولت الحفاظ عليه سيعود مطّاطيًا بعد فترة وجيزة".

قال الدكتور كلاي: "أظنّ أنه سيصبح كذلك".

"إنه السبب الرئيسيّ الذي جعلني أطلب أقلام التلوين الخشبيّة والشمعية، لا أقلام الحبر والمرابيل القماشيّة – أي كلّ ما يدوم طويلًا- حتى لا أضطرّ إلى أن أطلب شيئًا آخر في الأسبوع التالي".

وبقي يومئ إلى *ما* برأسه.

"لقد صنعنا عجينة الطحين، ولكنها كانت بيضاء على الدوام"، من خلال نبرة صوتها عرفت أنها غاضبة: "هل تظنّ أنني لن أعطيَ جاك يوميًّا معجون الأطفال المتعدّد الألوان لو كان في استطاعتي ذلك؟".

نادى الدكتور *ما* باسمها الآخر: "ولكنّني لا أُشكّك في عطاءاتك، أو أحكم على خياراتك أو استراتيجياتك في تربية جاك".

"قالت نورين إنه من الأفضل إضافة كمّية الملح نفسها إلى كمّية الطحين، فهل كنتَ تعلم هذا الأمر؟ وبالطبع، أنا لا أعرف، وكيف لي أن أعرف، فلو كان لدي أدنى فكرة..." وظلّت تردّد للدكتور كلاي أنّها أمّ جيّدة لكن لا يظهر عليها كذلك.

تحدّثا عن *التشوّه الإدراكيّ* وقاما بتمرين تنفّس، بينما لعبت بالدمى، ثم انتهى الوقت المخصّص لنا، لأن على الدكتور الذهاب للعب مع هوغو.

سألته: "هل كان هو الآخر محتجزًا؟".

هزّ الدكتور كلاي برأسه نافيًا.

"ماذا جرى له؟".

"لكلّ شخص قصّة مختلفة".

عندما عدت و*ما* إلى الغرفة رضعت الكثير، ولا تزال رائحتها مختلفة بسبب البلسم.

* * *

لا أزال متعبًا حتّى بعد أن أخذت قيلولة، فأنف *ما* كان يسيل على الدوام وكذلك عيناي بدَتَا وكأنهما تذوبان من الداخل، فقالت *ما* إنني أصبت بأوّل زكامٍ.

"لكنني وضعت القناع".

"ومع ذلك استطاعت الجراثيم التسلّل إليك، أظنّ أنني سألتقط العدوى منك بحلول يوم الغد".

بكيت وأنا أقول: "لكنْ لم ننتهِ من اللعب بعد".

فاحتضنتني.

وأردفت قائلًا: "لا أريد الصعود إلى الجنّة بعد".

"عزيزي..."، لم يسبق *لما* أن خاطبتني بهذا الاسم، وتابعت كلامها: "من الطبيعيّ أن نمرض ولكنْ سيجعلنا الأطباء نتحسّن".

"أريد ذلك".

"تريد ماذا؟".

"أريد أن يشعرني الدكتور كلاي بتحسّن".

"حسنًا، في الواقع لا يمكنه معالجة الزكام"، عضّت *ما* على شفتها وتابعت: "لكنه سيزول في غضون أيّام، أعدك بذلك... والآن هل تريد أن تتعلّم كيف تنظّف أنفك من المُخاط؟".

لم يستغرقني الأمر سوى بضع مرّات حتّى تعلّمت، وعندما أخرجت كلّ الإفرازات المُخاطيّة من أنفي صفّقت *ما* لي.

جلبت نورين الغداء المؤلّف من حساء وكباب وأرز، لكنه لم يكن الأرزّ الذي أعرفه بل كان نوعًا من الحبوب يُسمّى كينوا. وبعد ذلك أحضرت سلطة فاكهة، لم أستطع التعرّف إلى جميع مكوّناتها، باستثناء التفاح والبرتقال، فهما النوعان اللذان تعرّفت إليهما فقط، أما بالنسبة إلى الأنواع التي لم أتعرّف إليها فكانت الأناناس، والتوت البريّ، والمانغا، والكيوي، والبطيخ الأحمر، أمّا الموز فلم يكن بينها، وهكذا يصبح لديّ إجابتان اثنتان صحيحتان وخمس إجابات خاطئة وهذا يساوي ناقص ثلاث.

أردتُ رؤية الأسماك مجددًا، لذلك نزلنا إلى القسم المسمّى بغرفة الاستقبال.

قلت *لما*: "لديها خطوط هل هي مريضة".

قالت *ما*: "تبدو لي بصحّة جيدة، خصوصًا السمكة الكبيرة المتعجرفة الموجودة بين الأعشاب".

"كلا أقصد هل رؤوسها مريضة، هل يصاب السمك بالجنون؟".

ضحكت: "أظنّ هذا".

"هل هي ترتاح قليلًا لأنها مشهورة؟".

"بعضها ولد في هذا الحوض"، فكانت السيّدة بيلار التي تتحدّث.

أجفلني صوتها، لأنني لم أرَها تبتعد عن طاولة عملها، فسألتها: "لماذا؟".

تُحدّق إليّ وهي تبتسم: "آه..".

"لماذا هي هنا؟".

"من أجلنا جميعًا، كي نشاهدها أليست جميلة؟".

قالت *ما*: "هيّا بنا يا جاك، أنا متأكّدة من أن السيّدة بيلار لديها الكثير من العمل، وعليها القيام به".

في الخارج الوقت معقّدٌ جدًّا، *فما* لا تكفّ عن قول: "تمهّل يا جاك"، و"انتظر"، و"أنهِ الأمر الآن"، و"أسرع يا جاك".

إنها تقول *جاك* كثيرًا لهذا أعلم أنها تتحدّث إليّ وليس إلى أحد آخر، ولا أستطيع معرفة الوقت أبدًا، فهناك ساعات، ولكن لديها أياديَ مدبّبة، ولا أعرف سرّ هذا الأمر بالإضافة إلى أن ساعة الغرفة ليست هنا لأقرأ أرقامها، لذا عليّ أن أسأل *ما*، وقد أرهقتها الإجابة عن سؤال: "*ما* هل تعرفين كم الساعة الآن، وهل حان وقت الخروج؟".

أريد أن اسأل باستمرار، ولكنّها تقول لي: "دعنا نحاول، هيّا حاول الآن، فلمَ لا؟".

عليّ ارتداء جاربيّ مجدّدًا، كما يجب أن نرتدي السترتين ونعتمر القبعتين، بالإضافة إلى وضع أشياء لاصقة على الوجه تحت القناع وعلى أيدينا، لأن الشمس قد تحرق وجهينا، إذ كنّا مسجونين لفترة طويلة في الغرفة، والدكتور كلاي ونورين سيرافقاننا، ولكنهما لم يضعا نظّارتين جميلتين مثلنا.

لا يمرّ الطريق إلى الخارج عبر باب عاديّ، وإنما عبر بوّابة ضخمة بدت وكأنها تعود إلى سفينة فضاء، ولم تستطعْ *ما* تذكّر الكلمة، فقال لها الدكتور كلاي: "باب دوّار"، فأردّ عليه: "أجل بالطبع، أعرفه من التلفاز". لقد أحببت الدوران، ولكن فجأة أصبحنا في الخارج، وفي الحال جعلت الشمس نظارتي داكنة، ولَسعَ الهواء وجهي، لذا أردت العودة إلى الداخل.

فقالت *ما*: "لا بأس".

"ولكن الهواء سيمزّقنا".

قالت *ما*: "إنها مُجرّد نسمات لطيفة".

إنّ هذا الضوء لا يشبه ضوء النافذة، فهو ينبعث من كلّ الاتجاهات، ما أدّى إلى توهّج نظارتي، ولكن ذلك لم يحصل خلال هروبنا الكبير، وها أنا الآن أتعرّض للكثير من الضوء الساطع والهواء النقيّ: "إن جلدي يحترق"، فقالت لي نورين: "أنت بطل، خذ نفَسًا عميقًا كالفتيان"، ولماذا كالفتيان؟ فليس هناك أنفاس تختلف عن غيرها. وفجأة ظهرت بقعة سوداء على نظارتي، وبدأ قلبي ينبض بسرعة هائلة، والرياح الصاخبة تصفر بقوّة، ولم أستطع سماع شيء من حولي.

قامت نورين بشيء غريب، فقد أزالت قناعي على الفور، ووضعت نوعًا مختلفًا من الورق على وجهي، ولكنني دفعته بيديّ الدبقتين.

فقال الدكتور كلاي: "لا أظنّها فكرة...".

ثم قالت نورين: "تنفّس في الكيس".

فعلت ما طلبته منّي، وكلّ ما قمت به هو أخذ نَفَس عميق أكثر فأكثر.

فركت *ما* كتفيّ وقالت: "هيّا بنا نعود إلى الداخل".

فعدنا إلى الغرفة رقم سبعة، وحظيت بالقليل من الحليب، وأنا لا أزال أنتعل حذائي وأرتدي ثيابي الدبقة بجسدي. لاحقًا أتت جدّتي فتعرّفت إلى وجهها هذه المرّة، وقد أحضرت معها كتبًا من بيتها، ثلاثة من دون صور لأمّي، وهذا جعلها تشعر بالحماسة، وخمسة لي مع صور، مع أنّها لم تكن تعلم أنّ الرقم خمسة هو رقمي المفضّل، وقالت إن هذه الكتب كانت لأمي ولخالي بول عندما كانا طفلين، ولا أظنّ أنها تكذب، ولكنّ يصعب تصديق أن *ما* كانت طفلة، ثمّ سألتني: "هل تودّ الجلوس في حضن جدّتك وأنا أقرأ لك أحد الكتب؟".

"لا، شكرًا".

لديّ *اليرقة الجائعة جدًّا، وشجرة العطاء، واذهب أيّها الكلب، والأرنب بيتر* وكلّها تحتوي صورًا.

قالت جدّتي لما بكلّ هدوء: "أعني ما أقوله تمامًا، أستطيع تحمّل الأمر".

"أشكّ في الأمر".

"أنا مستعدّة".

هزّت *ما* برأسها باستمرار: "ما الفائدة يا أمّي؟ لقد انتهى الأمر، وأنا على الضفّة الأخرى الآن".

"لكن حبيبتي...".

"أُفضّل ألا تفكّري في هذه الأمور في كلّ مرّة تنظرين فيها إليّ، أفهمت؟".

سالت المزيد من الدموع على خديّ جدّتي التي قالت: "حلوتي كلّما أنظر إليك لا أفكّر سوى في حمد الله وشكره".

عندما ترحل جدّتي ستقرأ لي *ما* كتاب أرنب اسمه بيتر، ولكنه ليس القدّيس بيتر، وهو يرتدي ملابس قديمة ويلاحقه مزارع، ولا أدري ما الذي يدفعه إلى سرقة الخضار، فالسرقة سيّئة، ولكن لو كنت سارقًا فسأسرق أشياء ممتعة مثل السيّارات والشوكولاتة.

لم يكن كتابًا مسلّيًا، ولكن من المفيد وجود كتب جديدة، فكان لديّ في الغرفة خمسة كتبٍ فقط، والآن لدي خمسةٌ إضافية، وهذا يساوي عشرة كتب، ولكني لم أعد أملك كتبي الخمسة القديمة، فلا بأس في ذلك فلديّ الخمسة الجديدة، إذ ربّما الكتب التي في الغرفة لم تعد ملكًا لأحد.

لم تبقَ جدّتي طويلًا، لأنه كان لدينا زائر آخر، وهو محامينا موريس، فلم أكن أدري أن لدينا محاميًا مثل كوكب المحكمة حيث يتجادل المحامون، ويضرب القاضي بمطرقته. وقد قابلناه في غرفة كان فيها طاولة كبيرة، وينبعث منها رائحة تشبه رائحة الحلويات، ولكنها لم تكن في الطابق العلويّ.

كان شعر المحامي مجعّدًا للغاية، وخلال حديثه مع *ما* تدرّبت على تنظيف أنفي.

"هذه الورقة المطبوعة تظهركِ وأنتِ في الصفّ الخامس على سبيل المثال"، وتابع يقول: "لدينا قضيّة كبيرة صعبة الإخفاء".

أنتِ تعني *ما*، لقد أصبحت جيّدًا في التخمين.

فقالت له: "إن كنت تقصد المقاضاة، فهذا آخر ما يخطر في بالي"، فأريتها المُخاط الذي أخرجته بالمنديل، فأبدت إعجابها بمهارتي.

أومأ موريس إلى *ما* كثيرًا برأسه: "قلت إنّ عليكِ وضع مستقبلك في الاعتبار، مستقبلك ومستقبل ابنك"، إنه يقصدني أنا في قوله ابنك.

"أجل، كمبرلاند تتنازل عن مستحقّاتها على المدى القصير، وقد أعلنت عن بدء حملة جمع تبرّعات من الذين يهتمّون بأمرك، وسأقولها لك من الآن، قريبًا جدًّا ستحصلين على الكثير من النقود من حيث لا تدرين، من مصحّات، ومراكز معالجة نفسيّة فخمة، بالإضافة إلى منحٍ تعليميّة لكما..."

فركت *ما* عينيها.

مكتبة
t.me/t_pdf

"لا أريد أن ألحّ عليك".

"هل قلت الذين يهتمّون بأمري؟".

قال موريس: "بالطبع، إن التبرّعات تتدفّق، بمعدل كيس من الهبات خلال اليوم".

"كيس ماذا؟".

"من كلّ شيء، لقد أحضرت لك بعض الأغراض عشوائيًّا..."، ثم سحب كيسًا بلاستيكيًا كبيرًا من خلف كرسيّه وأخرج الطرود.

سألته *ما*: "هل أفتحها؟"، وهي تفتح أحد الظروف.

"ثقي بي، هذه الأشياء بحاجة إلى تنظيم، إنها تبدو في البداية وكأنها ب، ر، ا، ز".

فسألتُ *ما*: "لماذا قد يرسل لنا أحدهم برازًا؟".

حدّق موريس إليّ.

قالت له: "إنه جيّد في التهجئة".

"آه، أنت سألت لماذا، يا جاك، لأن هناك الكثير من المجانين في هذا العالم".

ظننت أن جميع المجانين يقيمون هنا في العيادة لتلقّي العلاج.

وعقّب على كلامه: "لكن معظم ما تتلقّاه هو من أناس يتمّنون لك الخير".

"ألعاب وشوكولاتة... هذا النوع من الأشياء".

شوكولاتة!

"فكّرت في أن أحضر لك أزهارًا في لقائنا الأول، ولكنّها تثير صداع الشقيقة الذي أعاني منه".

وأخرج كثيرًا من الأزهار المغلّفة بأوراق بلاستيكية شفّافة، والآن علمت من أين تفوح هذه الرائحة.

همستُ: "ما نوع الألعاب؟".

"انظر هذه إحداها"، ثم أخرج قطارًا خشبيًّا صغيرًا من غلافه: "لا تنفصل عرباته".

"أعتذر"، سيّرته على الطاولة، ثمّ على إحدى قوائم الطاولة، فالأرضية، فالجدار المطلِيّ باللون الأزرق في هذه الغرفة.

قال موريس *لما*: "كثيرة هي الجهات التي تُبدي اهتمامًا كبيرًا بقصّتك، ويمكنك في وقت لاحق أن تؤلّفي كتابًا يتناول...".

فبدا الغضب على *ما* من خلال زمّ فمها: "هل تظنّ أنّنا سنبيع أنفسنا قبل أن يقوم أحدٌ ما بفعلها".

"أنا لا أنظر إلى الأمر من هذا المنظار، فلديكِ الكثير والكثير لتخبري به كلّ قاطني هذه الأرض، إنه أمر عصريّ".

وتنفجر *ما* ضاحكة.

يرفع موريس كفّه في الهواء قائلًا: "لكن الأمر يعود إليك بالطبع، وسنتناول أحداث كلِّ يومٍ على حِدة".

تقرأ الرسائل: "جاك الصغير، كم أنت صبيّ رائع، استمتعْ بكلّ لحظة لأنك جدير بالسعادة، فأنتَ عشت في الجحيم".

"من كتب هذه؟".

قلبت الصفحة: "الاسم غير مذكور".

"لماذا قالت إنني رائع؟".

"لقد سمعَتْ عنك عبر التلفاز، وهذا كلّ ما في الأمر".

رحتُ أبحث في المغلّفات الكبيرة آملًا الحصول على قطارات أخرى.

قالت *ما* وهي تحمل علبة شوكولاتة صغيرة: "خذ، يبدو لي هذا جيّدًا".

"هناك المزيد"، وجدت علبة كبيرة.

"لا، إنه كثير جدًّا سنمرض إذا أكلنا هذه الكميّة الكبيرة".

إنني مُصاب بالزكام أصلًا، ولا مشكلة لديّ إن أُصبتُ بمرضٍ آخر.

قالت *ما*: "لا، سنعطيها لشخصٍ ما".

"من؟".

"ربّما الممرّضات".

قال موريس: "سأعطي الألعاب وغيرها لأطفال المستشفى".

قالت لي *ما*: "هذا رائع، اختر بعضًا منها".

"كم واحدة؟".

"بقدر ما تريد"، ثمّ تابعت قراءة الرسائل..."باركَكِ الله أنتِ وابنك القدّيس، وأدعوه أن تكتشفي العالم، وأن تستثمري كلّ ما يمكن أن يقدّمه لك، وأن تحقّقي آمالكِ وأحلامكِ، وأن يكون دربكِ في الحياة مليئًا بالسعادة والهناء".

وضعت الرسالة على الطاولة: "كيف سأردّ على جميع هذه الرسائل؟".

أومأ موريس إليها برأسه وقال: "الماضي.. الاتّهامات.. لقد سرق أجمل سنوات عمرك، فلو كنتُ مكانك فلن أضيّع دقيقة أخرى".

"كيف لك أن تعلم أنها كانت أجمل سنوات عمري؟".

"هذا مجرّد افتراض، أعني لقد كنت في التاسعة عشرة من عمرك، أليس كذلك؟".

كثيرة هي الأشياء الرائعة، كسيارة تصدر عجلاتها صوت *فووووووووووم*، وصافرة على شكل خنزير وقد جرّبتها، فأصدرت صوتًا عاليًا.

قال موريس: "يا إلهي هذا صاخب".

قالت *ما*: "صاخب جدًّا".

وجرّبتها مرّة أخرى.

"جاك..."

فوضعتها جانبًا، ثم وجدت تمساحًا مخمليًّا بطول ساقي، وجرس ينبعث منه خشخشة، بالإضافة إلى وجه مهرّج إذا ضغطت على أنفه يضحك.

فخاطبتني *ما* قائلة: "ليس هذا، إنه يفزعني".

فأهمس إلى المهرج بكلمة وداع، وأعيده إلى علبته، وهناك مربّع رُبط به قلم، ولكن لا يمكنني أن أرسم عليه، لأنه مصنوع من مادّة بلاستيكيّة قاسية، وليس من الورق. كما وجدت قردًا ذا يدين حلزونتين وأذناب متعدّدة، وعندما أربطها ببعضها تشكّل حلقة من القردة، وهناك سيارة إطفاء ودبّ محشوّ يعتمر قبعة لا يمكن انتزاعها حتى ولو حاولتُ بقوّة، وقد كُتب على ملصق الدبّ 0–3، ربّما يعني ذلك أنه يقتل الأطفال خلال ثلاث ثوانٍ.

قالت *ما*: "هيا جاك تحرّك لا تحتاج إلى كلّ هذه الألعاب؟".

"ولكن إلى كم لعبة أحتاج؟".

"لا أعلم..."

"بعد إذنك وقّعي هنا، وهناك، وهنالك". هذا ما طلبه منها موريس.

إنني أمصّ أصبعي من تحت القناع، ولكن *ما* لم تعد تطلب مني أن أتوقّف عن فعل ذلك: "كم لعبة أحتاج إليها من هذه الألعاب؟".

نظرت من خلال الأوراق التي تكتبها وقالت: "آه، اختر...، اختر خمس لعب".

أُعدّ: السيارة، والقرد، واللوح المربّع، بالإضافة إلى القطار الخشبيّ، والجرس، والتمساح، ولكنها ستّ لُعبٍ وليست خمسَ لُعب، أمّي وموريس يتحدّثان ويتحدّثان... ثمّ أجد مغلّفًا كبيرًا يتّسع لوضع الألعاب الستّ فيه.

قالت *ما*: "حسنًا"، ثم وضعت ما تبقّى في كيس كبير.

"انتظرا، أريد أن أقول لكما، إنه يمكنني أن أكتب على الكيس *هدايا من جاك إلى الأطفال المرضى*".

"دعْ موريس يتولَّ الأمر".

"ولكن..."

زفرت *ما*: "لدينا الكثير من الأمور لنقوم بها، وعلينا أن ندع الآخرين يقومون ببعضها عنّا، وإلا سينفجر رأسي".

لماذا سينفجر رأسها إن كتبتُ على الكيس؟

أخرجت القطار مجدّدًا، ووضعته في قميصي، كما لو أنه طفلي الذي أقبّله وأحبّه.

فقال موريس: "ستبدأ المحاكمة في نهاية تشرين الأوّل أو بداية كانون الأوّل".

سألت *ما*: "كم من الوقت تتوقّع أن يبقى في السجن؟".

تعني العجوز نيك.

"في الواقع، طالب محامي المقاطعة بحكم يتراوح بين 25 سنة والمؤبّد، وبالنسبة إلى الجرائم الفدرالية فليس هناك إفراج مشروط"، وتابع موريس كلامه: "لدينا اختطاف لأغراض جنسيّة، والسجن قسرًا، بالإضافة إلى اعتداءات جنسيّة متعدّدة والضرب المبرّح..." يعدّ على أصابعه وليس في رأسه.

أومأت *ما* إليه: "وماذا عن الطفل؟".

"جاك؟".

"الطفل الأوّل ألا يعدّ ذلك جريمة؟".

لم أسمع بالقصّة قطّ.

لوى موريس فمه: "هل ولد ميتًا؟".

"ولِدت".

لا أعلم من هي التي ولِدت.

"هي، أستميحُك عذرًا"، وتابع قائلًا: "بأفضل الأحوال يمكننا اتّهامه بالإهمال الجنائيّ أو حتى التهوّر..."

حاولوا منع أليس من دخول المحكمة لأنّ طولها يتجاوز الميل، وهناك قصيدة مربكة وغير مفهومة.

إذا كان لنا فرصة معًا

لنكون في هذه العلاقة

سيثق بك لتُطلقي سراحه

مثلما نحن الآن

لم ألحظ وجود نورين، إلى أن سألتنا إن كنّا نريد تناول العشاء هنا أو في صالة الطعام.

حملتُ جميع ألعابي في علبة كبيرة، من دون أن تعلم *ما* أنّي حصلت على ستّ لُعبٍ لا خمس. لقد لوّح إلينا الناس عندما دخلنا إلى الصالة، لذا بادلتهم التلويح، وأحبّبت الفتاة الصلعاء التي لها وشوم على رقبتها، فلا مشكلة لي مع الأشخاص ما لم يقتربوا مني أو يلمسوني.

قالت المرأة التي ترتدي المئزر إنها سمعت أنني خرجت، لا أدري كيف علمت بذلك: "هل أعجبك الخارج؟".

أجبتها: "لا، أعني لا شكرًا".

أخيرًا، أتعلّم كثيرًا من الآداب، فعندما يكون طعم شيء ما مقرفًا نقول إنه مثير للاهتمام، مثل الأرز البريّ الذي يبدو مذاقه وكأنه لم يُطهَ أبدًا، وعندما أنظّف أنفي، أطوي المنديل كي لا يرَ أحد مُخاطي لأنه سرّيّ للغاية، وعندما أريد أن أخاطب *ما* من دون أن يسمعني أحدٌ آخر أقول: "المعذرة"، وفي بعض الأحيان أقول "المعذرة، المعذرة..." لمرّات كثيرة لدرجة أنني أنسى ما كنت أريد قوله عندما تردّ عليّ.

عندما نكون في السرير أرضع القليل مرتديًا ملابس النوم، ومن دون تردّد أتذكّر ما كنت أريد أن اسأله: "من كان الطفل الأوّل؟".

فتنظر *ما* إليّ.

"لقد أخبرتِ موريس أنه كان هناك وقت ارتكاب الجريمة".

هزّت برأسها: "عنيتُ أنها قُتلت"، ثم أبعدت وجهها.

"هل أنا من قتلتُها؟".

"كلا، أنت لم تفعل شيئًا على الإطلاق، حدث الأمر قبل عام من ولادتك"، وتابعت قائلة: "ظننت أنك فتاة عندما ولدت، ورأيتك للمرّة الأولى على السرير".

"أجل".

"حسنًا، هذا ما قصدته".

إنني محتار أكثر الآن.

"ظننتُها حيّة وهي متّصلة بالحبل السرّي..." ثم وضعت وجهها بين يديها.

"حبل الستارة"، أنظر إلى الستارة، فأرى أشعّة خفيفة تنبعث من خلالها.

"لا، ألا تذكّر الحبل الذي يتّصل بسرّة البطن؟".

"الذي قصصته بالمقصّ وبعدها أصبحت حرًّا".

أومأت إليه: "لكنه ألحق الأذى بالطفلة حين انعقد حولها، ولم تستطع التنفّس جرّاء ذلك".

"لا أحبّ هذه القصّة".

عبست: "دعني أكملْها أوّلًا".

"لا أريد..."

وقف ينظر إليها، فتابعت وهي على وشك الصراخ: "لم يكن يعرف شيئًا عن الولادة، ولم يزعج نفسه بالبحث عن الأمر. كنت أتحسّس رأسها فكان زلقًا جدًّا، ثم دفعت ودفعت وأنا أصرخ طالبة المساعدة، ساعدني... ولكنه بقي متسمّرًا في مكانه، ولم تصدر عنه أيّ حركة".

انتظري قليلًا: "هل بقيت الفتاة الصغيرة في بطنك؟".

لم تنبس *ما* ببنت شفة، ثم قالت: "خرجت زرقاء".

"زرقاء؟".

"لم تفتح عينيها قطّ".

"كان عليك طلب الدواء من العجوز نيك من أجلها، بدل هدايا يوم الأحد".

هزّت برأسها: "لقد كان الحبل معقودًا حول عنقها".

"هل بقيت مربوطة بك؟".

"حتّى قطعه".

"وبعدها أصبحت حرّة؟".

تساقطت الدموع على البطّانية، إنها تبكي ولكن من دون أن تصدر صوتًا.

عيناها لا تزالان مغمضتين، ولكن الماء لا يزال يسيل منهما: "أخذها ودفنها تحت شجيرة في الفناء الخلفيّ".

كانت زرقاء.

"جزء منها صعد إلى الجنّة على الفور".

"لماذا تظنّين هذا؟".

"ربّما كانت أنتَ، وبعدها حاولتَ مرّة أخرى وأتيت صبيًّا".

"كنت أنا هذه المرّة، ولم أرحل".

ذرفت الدموع مرّة أخرى ومسحتها: "لم أدعْه يدخل إلى الغرفة في تلك الليلة".

"لماذا؟".

"لقد كنت مستعدّة أكثر هذه المرّة، وأردت أن أكون وحدي".

"ما كان لوني؟".

"كان ورديًّا داكنًا".

"هل فتحت عينيّ؟"

"ولدتَ وعيناك مفتوحتان".

أتثاءب بشدّة وأقول: "هل يمكننا النوم الآن؟".

أجابتني *ما*: "أجل، بالطبع".

* * *

خلال الليل سقطت على الأرض، وسال أنفي بشدّة، لكنني لم أعرف كيف أنظّفه في العتمة.

وفي الصباح قالت *ما*: "إن السرير ضيّق جدًا ولا يتّسع لشخصين، وستكون مرتاحًا أكثر إذا نمت في السرير الآخر".

"لا".

"ماذا لو قرّبناهما من بعضهما بحيث يتاح لنا الإمساك بأيدينا".

هززت برأسي رافضًا.

"جاك، ساعدني في حلّ هذا الأمر".

"لنبقَ في سرير واحد، ونضع مرافقنا في الداخل".

تنفخ أمّي بأنفها بصوت عالٍ، اعتقد أن الزكام قفز منّي إليها، ولكني لا أزال مصابًا به.

اتّفقنا أن ندخل إلى الحمام معًا، ولكن عليّ أن أُبقي رأسي خارجًا، ولكن قد سقط اللاصق الجرح الذي على يدي، ولم أستطع إيجاده، ثم سرّحت *ما* شعري، فآلمتني عقد الشعر في أثناء التسريح. فقد صار لدينا فرشاة شعر، وفرشاتا أسنان، وملابس جديدة، بالإضافة إلى القطار الخشبيّ، والألعاب الأخرى.

لم تعدَّ *ما* الألعاب حتى الآن، لذا فهي لا تعلم أني أخذت ستًّا بدلًا من خمسٍ، ولا أعرف أين توضع الأشياء، فبعضها على خزانة الأدراج الصغيرة، وبعضها على الطاولة بجانب السرير، وبعضها الآخر في خزانة الملابس. ولكن عليّ أن اسأل أمي أين تضعها بشكل ثابت.

إنها تقرأ أحد كتبها الخالية من الصور، فأحضرت أحد الكتب ذات الصور بدلًا منه، إن اليرقة الجائعة جدًّا مبذّرة بشدّة، فهي تأكل الفراولة والفاكهة المجفّفة وتترك ثقوبًا فيها ثم ترمي ما تبقّى، وأستطيع وضع أصابعي في هذه الثقوب، وقد اعتقدت أن أحدًا ما كان قد مزّق الكتاب، لكن *ما* قالت لي إنه صُنع بهذه الطريقة ليكون أكثر مرحًا، ولكنني أفضّل غو دوغ غو أكثر خاصّة عندما يلعب كرة المضرب.

قرعت نورين الباب جالبة معها شيئين، الأوّل هو حذاء مطاطيّ يشبه الجوارب، ولكنه مصنوع من الجلد، والثاني هو ساعة عليها أرقام بحيث يمكنني قراءتها بسهولة: "إنها الساعة التاسعة وسبعٌ وخمسون دقيقة"، ولكنها صغيرة جدًّا على معصم *ما*، وقد علّمتني نورين كيف أجعل رباط الساعة أضيق ليناسب معصمي.

قالت *ما* وهي تضع قناعها مجدّدًا: "هدايا كلّ يوم، هذا سيفسد أخلاقه".

قالت نورين: "يقول الدكتور كلاي يجب أن نحضر أيّ شيء يجعل جاك يشعر بحسّ التحكّم"، تتجعّد عيناها عندما تبتسم: "أنت مشتاق إلى المنزل أليس كذلك؟".

حدّقت *ما* إليها: "أمشتاق إلى المنزل؟".

"أعتذر، لم أقصد..."

"لم تكن منزلًا بل كانت غرفة عازلة للصوت".

قالت نورين: "لقد زلّ لساني، وخرج الكلام من دون قصد، أستمحيك عذرًا...".

غادرت مسرعة، ولم تقل *ما* شيئًا، ثم بدأت تكتب في دفترها.

إذا لم تكن الغرفة منزلنا هل هذا يعني أنه ليس لدينا منزل؟

في هذا الصباح صافحتُ الدكتور كلاي، وقد أُسعده ذلك.

قالت *ما*: "من السخافة أننا بالرغم من وضعنا للأقنعة قد أُصبنا بالزكام".

"حسنًا، هناك أشياء أسوأ قد تحصل".

"أجل ولكن علينا أن نُنزل القناع في كلّ مرّة نحتاج فيها إلى أن ننظّف أنوفنا".

قال: "إنها خيارك بالمطلق".

"انزع القناع جاك".

"يا للروعة!"

رميناهما في سلّة القمامة.

تعيش الأقلام الشمعيّة للدكتور كلاي في علبة من الكرتون المقوّى كُتب عليها 120، وهو عدد الأقلام فيها، ولها أسماء مختلفة كُتبت إلى الجانب مثل البرتقالي الذريّ، ووزي فازي، والفضاء الخارجيّ، فلم أكن أعلم أن للفضاء لون، بالإضافة إلى الجبال الأرجوانيّة، ورازماتاز، وأصفر ميلو، ويوندر، والأزرق الجامح، وقد أخطأ في تهجئة بعضها على سبيل النكتة، ولكن لا أظنّ ذلك مضحكًا. يقول الدكتور كلاي إنه يمكنني استخدام اللون الذي أريده، ولكنّني اخترت خمسة فقط. فأنا أعرف الألوان كما حفظتها في الغرفة، الأخضر، والأزرق، والبرتقالي، والأحمر، والبنّيّ، فسألني إن كنت أستطيع رسم الغرفة، ولكنني كنت قد بدأت برسم الصاروخ، وكان بين الأقلام قلم شمعيّ أبيض، ولكن ألن يكون غير مرئيّ على الورق؟

فسألني الدكتور كلاي: "ماذا لو كانت الورقة سوداء، أو حمراء"، وجلب لي ورقة سوداء لأجرّب، وبدا أنه على حقّ، ثم سألني مجدّدًا: "ما هو المربّع الذي يحيط بالصاروخ؟".

قلت: "جدران"، وهناك طفلة صغيرة تلّوح بيدها مودّعة، والطفل يسوع والقدّيس جون، إنهم لا يرتدون ملابس بسبب حرارة وجه الله المشرق(*).

"هل أمّك في اللوحة؟".

"إنها في الأسفل تأخذ قيلولة".

ضحكت أمي الحقيقيّة ونظّفت أنفها، فتذكّرت أنّ عليّ تنظيف أنفي أيضًا.

"ماذا عن الشخص الذي تدعوه العجوز نيك، أهو موجود في اللوحة؟".

"حسنًا، يمكنه أن يكون موجودًا في زاوية القفص"، أرسمه خلف قضبان ثخينة جدًّا، وهو يعضّها، وهناك عشرة قضبان وهو أقوى رقم، حتى الملائكة لا تستطيع حرقها، أو فتح الباب بواسطة شعلة اللحام، وكما تقول *ما* إنّ الملائكة لن تستخدم شعلة اللحام من أجل شخص سيّئ، وقد أخبرت الدكتور كلاي أنّه يمكنني أن أعدّ من الرقم واحد حتى الرقم 1,000,029 وأكثر إن أراد.

(*) تعبير ساذج لطفل سجين طوال حياته غير قادر على التعبير عن طبيعة الأشياء وواقعها.

"أعرف طفلًا صغيرًا يعدّ نفس الأشياء مرارًا وتكرارًا عندما يتوتّر ولا يستطيع التوقّف".

"أشياء مثل ماذا؟".

"خطوط على الرصيف، الأزرار... أشياء من هذا القبيل".

أعتقد أن الطفل يجب أن يعدّ الأسنان بدلًا عن ذلك، لأنها موجودة دومًا إن لم تسقط.

قالت *ما* للدكتور كلاي: "أنت تستمرّ بالحديث عن أضرار القلق من الانفصال، ولكنني وجاك لن ننفصل".

"مع ذلك، لن تعودا بمفردكما بعد الآن، أليس كذلك؟".

عضّت على شفتها، ثم تحدّثا عن *إعادة الاندماج ولوم الذات.*

قال الدكتور كلاي: "أفضل شيء قمتِ به هو أنك حرّرته باكرًا"، وتابع كلامه: "لا يزال في الخامسة، وأعلم أنه لا يزال...".

لكنني لستُ بلاستيكيًّا، أنا صبيّ حقيقيّ.

"... ربّما لا يزال صغيرًا بما فيه الكفاية لينسى، وفي هذا رحمة له".

أظنّ أنها *شكرًا* بالإسبانيّة.

أريد أن استمرّ باللعب بدمية المهرّج الذي يُخرج لسانه، لكن الوقت انتهى، وقال إنّ عليه أن يلعب مع السيّدة غاربر الآن، وإنه يمكنني استعارة الدمية حتّى يوم غد، ولكنها ستبقى ملكه.

"لماذا؟".

"إن كلّ شيء في العالم ينتمي إلى أحد ما".

مثل ألعابي الستّ الجديدة، وكتبي الخمسة، كما أن السنّ ملكي، إذ لا أعتقد أنّ *ما* تريده.

قال الدكتور كلاي: "ما عدا الأشياء التي نتشاركها، مثل الأنهار والجبال..".

"الشوارع؟".

"هذا صحيح فكلّنا بحاجة إليها ونتشاركها".

"لقد ركضت في الشارع".

"عندما كنت تحاول الهرب، هذا صحيح".

"ولكنه لم يكن ملكًا لنا".

"هذا صحيح" ابتسم الدكتور كلاي، وقال: "هل تعرف لمن تنتمي يا جاك؟".

"أجل".

"إلى نفسك".

إنه مخطئ، لأنني في الواقع أنتمي إلى *ما*.

تستمرّ باكتشاف غرف جديدة تحتويها العيادة، فهناك غرفة فيها تلفاز ضخم، رحت أقفز إلى أعلاه وأسفله آملًا أن يعرض على شاشته برنامج *دورا أو سبونج بوب* حاليًا، إذ لم أشاهدهما منذ فترة طويلة، لكن شاشة التلفاز كانت تعرض مباراة الغولف الآن، وهناك ثلاثة مسنّين يشاهدونها.

في الممرّ أتذكّر شيئًا، فأسأل *ما*: "ما معنى *رحمة*؟".

"ماذا؟".

"قال الدكتور كلاي إنه مصنوع من البلاستيك وقد أنسى".

تقول: "ظنّ أنك قريبًا ستنسى ولن تتذكّر الغرفة".

"سأفعل"، ثم حدّقت إليها: "أعني سأنسى".

"لا أعلم".

إنها تقول هذا باستمرار الآن، لقد سبقتني وتوجّب عليّ الركض للّحاق بها.

بعد الغداء، قالت *ما* إن الوقت مناسب للخروج مجدّدًا: "إذا بقينا في الداخل على الدوام فلن يتغيّر علينا شيء، ولن يجدي نفعًا هروبنا الكبير"، بدت منزعجة، ولكنها ربطت حذاءها مسبقًا، وبعد أن أعتمر قبّعتي وأضع نظّارتي وانتعل حذائي، سأحاول الخروج مرّة أخرى.

انتظرتنا نورين بجانب حوض السمك.

وتركتني *ما* أدور عبر الباب خمس مرّات، ثم دفعتني إلى الخارج. كان النور ساطعًا جدًّا لدرجة أنني كنتُ على وشك الصراخ، ثم أصبحت نظّارتي داكنة أكثر، ولم أستطع الرؤية، وبدت رائحة الهواء غريبة في أنفي، وعنقي كان مشدودًا جدًّا.

همست نورين في أذني: "تخيّل أنك ترى هذا على شاشة التلفاز".

"ماذا؟!".

"جرّبه فقط"، وتابعت بصوتٍ حنون: "هناك صبيّ يدعى جاك يخرج مع والدته وصديقتهما نورين للتنزّه".

إنّني أتابع هذا.

سألتني: "ماذا يضع جاك على وجهه؟".

"نظّارة جميلة".

"حسنًا، يمشون في مرآب السيّارات في يومٍ دافئٍ من نيسان".

كان هناك أربع سيّارات: خضراء، وحمراء، وسوداء، وبنية، واسم هذا اللون سيينا محروق، وهو لون أحد الأقلام الشمعيّة، وهناك دبّ محشو معلّق فوق المرآة في السيّارة الحمراء، وحين تلمّست أنف السيارة، كان باردًا مثل مكعّب الثلج، فقالت *ما*: "انتبه قد ينطلق جرس الإنذار".

لم أكن أعلم هذا فوضعت يديّ تحت إبطيّ.

سحبتني قليلًا: "دعنا نمشي على العشب".

سحقت الأشواك الخضراء بحذائي، ثم انحنيتُ لألمسها، فلم أجرح يدي، حتّى إن إصبعي الذي جرحه راجا أوشك أن يُشفى، ثم نظرت إلى العشب مجدّدًا، فرأيت شيئًا مفلطحًا لونه بنيّ مصفرّ، وله عود صغير أخضر.

اسمع صوت همهمة، فانظر إلى السماء، إنها كبيرة جدًّا.

قالت *ما*: "إنها طائرة أخرى".

"سحب نفاثة"، لقد تذكّرت ما كان اسم هذه السحب.

دعست على الزهرة وأنا أمشي، فكان هناك المئات منها مثل التي يرسلها المجانين لنا بالبريد، فهي تنمو في الأرض تمامًا كما ينمو الشعر في رأسي، فأشارت ما: "نرجس، فلّ، وليلاك، وتوليب، هل هذه أزهار التفاح؟".

شمّت كلّ منها، بعد أن قرّبتها من أنفها، ففاحت رائحة حلوة جدًّا، ولكنها أصابتني بالدوار، ثم قطفت *ما* لي زهرة ليلاك وأعطتني إيّاها.

تبدو الأشجار هائلة عن قرب، لها جلد، ولكنّه خشن الملمس، وفي أسفلها شيء مثلث الشكل بحجم أنفي، فقالت نورين إنه حجر.

قالت *ما*: "عمره ملايين السنين".

كيف عرفت هذا؟ نظرت إلى الجهة السفلية، ولكنني لم أرَ ملصقًا.

انحنت *ما*: "أنظر إلى هنا".

إنه شيء يزحف، إنها نملة، فأصرخ: "لا"، وأضع يديّ حولها كالدرع.

سألت نورين: "ما الأمر؟".

أقول *لما*: "من فضلك، من فضلك، ليس هذا الشيء".

قالت: "إنه أمر عاديّ، لن أسحقها بالطبع".

"وعد؟".

"أعدك بذلك".

عندما أسحب يديّ تكون النملة قد ذهبت.

لكن نورين تجد واحدة أخرى وأخرى.. وهناك اثنتان تحملان شيئًا أكبر بعشر مرّات من حجمهما.

وسقط شيء من السماء وحطّ على أنفي، فأصرخ وأقفز متراجعًا إلى الوراء.

قالت *ما*: "إنها بذرة قيقب".

"لماذا؟".

"إنها بذرة قيقب صغيرة لها جناحان كي يساعداها على الطيران بعيدًا".

إنها رقيقة للغاية لدرجة يمكنني من خلالها رؤية خطوطها الداخلية الصغيرة، وهي بنيّة سميكة في الوسط، فتقذفها *ما* في الهواء، لتعود وتدور وتسقط مجدّدًا.

رأيت واحدة أخرى تعاني من خطبٍ ما، فقالت إنها قد خسرت جناحيها فقط.

وعندما رميتها في الهواء سقطت بشكل تلقائيّ، فوضعتها في جيبي.

ولكن الشيء الأروع كان شيئًا أكبر منها، كان مروحيّة.

فقالت نورين: "لنعد إلى الداخل بسرعة".

أمسكت *ما* بيدي وسحبتني.

فقلت لها: "انتظري"، وأنا ألهث، ولكنّها جرّتني خلفها وأنفي يسيل.

عندما ندخل من خلال الباب الدوّار أشعر بدوار، وقد كانت تلك المروحيّة تريد التقاط صور لي و*لما*.

* * *

استيقظت من قيلولتي وأنا لم أشفَ بعد من الزكام، ورحت لعب بكنوزي الصغيرة، الحجر، وبذرة القيقب المصابة، وزهرة الليلاك التي أصبحت ذابلة الآن. ثم حضرت جدّتي ومعها المزيد من الزوّار، ولكنها انتظرت في الخارج بسبب الازدحام، فكان هناك زائران الأوّل يدعى خالي بول، ولديه شعر غير مرتّب يصل حتى أذنيه، والثاني هو زوجته ديانا التي تضع نظارة مربّعة الشكل، ولديها مليون جديلة في شعرها بدت كالأفاعي، قالت *ما* وهي توجّه كلامها إليّ: "لديانا ابنة اسمها برونين، وستكون سعيدة جدًّا بلقائك".

ثم وجّهت ديانا كلامها إليّ مباشرة: "لم تكن تعلم أن لديها ابن عمّة، في الحقيقة، لم يكن أحد منّا يعلم بهذا، حتى اليومين الماضيين، بعدما اتّصلت جدّتك وأخبرتنا".

"كنا سنصعد مسرعين بالسيارة لولا أن الأطبّاء قالوا..."

توقّف بول عن الكلام ووضع راحتيه على وجهه.

"لا عليك حبيبي"، قالت ديانا ومرّرت يدها على ساقه.

نظّف حلقه بصوت مرتفع: "إن الأمر يستفزّني باستمرار".

لا أرى شيئًا يستفزّه.

وضعت *ما* يدها على كتفه، ووجهّت كلامها إليّ: "كلّ هذه السنوات وهو يظنّ أن أخته الصغيرة ميتة".

"برونين؟". أقول بصوتٍ منخفض ولكنها تسمعني.

"لا، ألا تذكر أن بول هو أخي؟".

"أجل أعلم".

"لم أكن أعلم ما..." ينظّف أنفه بصوت مرتفع جدًّا يفوق حتّى صوت الفيل.

اسأل *ما*: "ولكن أين برونين؟".

قالت ديانا: "في الواقع... اعتقدت وبول أنه يمكنكما أن تلتقيا في يومٍ آخر... إنها ذهبت إلى إيلفبروغس".

"ما هذا؟".

أجابتني *ما*: "إنه مبنى يترك فيه الآباء أبناءهم عندما يكونون مشغولين".

"ولماذا الأطفال مشغولون؟".

"لا، عندما يكون الآباء مشغولين..."

قالت ديانا: "في الواقع، برونين تحبّه كثيرًا".

قال بول: "إنها تتعلّم الإشارات والهيب هوب".

أراد بول أن يلتقط بعض الصور ليرسلها عبر الإيميل إلى جدّي في أستراليا الذي سيستقلّ الطائرة غدًا.

"لا تقلق سيكون على ما يرام عندما يقابله غدًا"، قال بول *لما*، لا أعلم من كلّ هؤلاء *الهو* الذين يتحدّثون عنهم باستمرار، بالإضافة إلى أنني لا أعرف كيف أقف

أمام آلة التصوير، على الرغم من أن *ما* تقول إنه علينا أن ننظر إلى الكاميرا بصفتها صديقًا للحظات فقط، ثم يتمّ الأمر.

لاحقًا، أرانا بول الصور عبر شاشة هاتفه، وسألني أيّ واحدة منها أجدها الأفضل، الأولى أم الثانية أم الثالثة ولكنني وجدتها متشابهة، وقد تعبت أذناي من كثرة الكلام.

ظننت أننا بقينا وحدنا، وأنهم رحلوا جميعًا، ولكن جدّتي قد عادت واحتضنت *ما* لوقت طويل، ثم رمت لي قبلة من مسافة قريبة قليلًا كي أشعر بها: "كيف حال حفيدي المفضّل؟".

قالت *ما*: "هذا أنت؟ ماذا نقول عندما يسألنا شخص ما كيف حالنا؟".

الآداب مجدّدًا: "شكرًا لك".

فضحكتا، إذ يبدو أنني قلت فُكاهة جديدة: "بحالة جيّدة"، وبعدها قالت جدّتي: "شكرًا لك".

"بحالٍ جيّدة، شكرًا لك".

"إلّا أنني لم أكن كذلك، ولكن هل من المقبول القول إنني لست على ما يرام مئة في المئة".

التفتت جدّتي إلى *ما* وقالت: "بالمناسبة شارون ومايكل كيلور، وجويس ماذا كانت كنيتها...؟ يتّصلون دائمًا".

أومأت *ما إليها*.

"يتوقون إلى رؤيتك عندما تعودين".

قالت *ما*: "يقول الأطبّاء إنني لا أزال غير مستعدّة لهذا النوع من الزيارات".

"أجل، بالطبع".

بعدها أتى الرجل ليو، ووقف أمام الباب.

"هل يستطيع الدخول لدقيقة؟".

قالت *ما*: "لا يهمّني الأمر".

إنه جدّي زوج جدّتي، وتقول يمكنني مناداته جدّيّ الثاني، ولا أعرف كيف تعلم جميع الكلمات. كانت رائحته غريبة مثل الدخان، وأسنانه مكسورة، أما حاجباه فيتناثران في كلّ مكان.

"كيف يعقل أن شعره يغطّي وجهه فقط، ورأسه خالٍ من الشعر؟".

ضحك مع أني كنت أهمس *إلى ما*، وقال لي: "فتّشني".

"التقينا في منتجع هنديّ خلال عطلة نهاية الأسبوع"، وتابعت جدّتي: "وتعرّفت إليه بألطف طريقة"، ويضحكان أما *ما* فلم تضحك.

فسألت: "هل يمكنني أن أحظى بالقليل؟".

قالت ما: "خلال دقائق، عندما يرحلان".

سألت جدّتي: "ماذا يريد؟".

مكتبة
t.me/t_pdf

"لا عليك".

"أستطيع مناداة الممرّضة".

هزّت ما برأسها: "يريد أن يرضع".

حدّقت جدّتي إليها: "لا تقولي لي إنك مازلت..."

"لم يكن هناك سبب للتوقّف".

"حسنًا، أنت على حقّ، وأنتِ محجوزة في ذلك المكان، ولكن مع ذلك إنه في الخامسة".

"لا تعلمين أيّ شيء عن الأمر".

لا يزال فم جدّتي مغلقًا: "لم أعنِ السؤال هكذا..."

"أمّي...".

وقف جدّي الثاني وقال: "علينا أن نتركهما يرتاحان".

قالت جدتي: "أظنّ هذا... إلى اللقاء أراك غدًا..."

قرأت لي ما *شجرة العطاء* ولكن ببطء لأنها تعاني من الصداع وآلام في الحلق، ثم شربت بعضًا من حليبها بدلًا من العشاء، ولكنها غفت في منتصف الحكاية، كم

أحبّ النظر إلى وجهها عندما لا تعلم أنني أنظر إليها!

أجد صحيفة مطويّة، ربما أحضرها الزوّار، وفي الصفحة الأولى يوجد صورة جسر مهدّم، وهناك صورة لي و*لما* مع الشرطة عندما كانت تحملني في أثناء الدخول إلى القسم، وقد كتب فوقها ***الأمل للطفل بونساي***. استغرقني فهم بعض الكلمات وقتًا طويلًا، كمبرلاند التي ذاب قلبها من أجل الشجاع الصغير الذي استيقظ صباح السبت ليجد نفسه في عالم جديد، فالصغير ذو الشعر الطويل الكثيف هو نتاج الاعتداء على أمّه الجميلة الشابّة في حديقة شريد أورج، وقد أُرفق المقال بصورة جانبيّة ملتقطة للمكان يوم الأحد.

* * *

في تمام الثانيّة من بعد منتصف الليل يقول جاك عن كلّ شيء: "رائع"، إنه يحبّ بيض الفصح، وينزل ويصعد على الدرج بأطرافه الأربعة مثل القرد، فقد كان محبوسًا طوال سنواته الخمس في جحرٍ متعفّن، ولم يستطعْ الخبراء التكهّن بمدى تأخّر نموّه...

استيقظت *ما* وأخذت الصحيفة من يدي: "ماذا عن كتابك *الأرنب بيتر؟*".

"لكن أنا الطفل بونساي".

"الطفل ماذا؟"، تنظر إلى الصحيفة وتدفع شعرها عن وجهها بغضب.

"ما *البونساي؟*".

"شجرة صغيرة يبقيها الناس في أصيص، ويقصّونها كلّ يوم لتبقى صغيرة وملتفّة".

أفكّر بالنبتة، لم نقم بقصّها قطّ، تركناها تكبر كما تريد، ولكنها ماتت في النهاية: "أنا لست شجرة أنا صبيّ".

"إنه محض تشبيه"، ورمت الصحيفة في سلّة المهملات.

"تقول إنني مسكون، ولكن الأشباح هي التي تسكن البيوت فقط".

"لا يفهم الأشخاص الذين في الصحيفة الكثير من الأمور".

أشخاص الصحيفة يبدو أنهم من كتاب *أليس في بلاد العجائب*، وهم يقولون إنك جميلة.

ضحكت.

إنها كذلك في الواقع، لقد رأيت العديد من الوجوه الآن، ولكن وجهها هو الأجمل.

عليّ تنظيف أنفي مجدّدًا، ولكنه أصبح أحمر ويؤلمني كثيرًا، أمّا *ما* فأخذت المسكّنات، وعلى الرغم من ذلك لم يخفّ صداعها، فلا أظنّ أن الخارج يؤذيها بعد الآن. ورحت أتأمّل شعرها الذي لا يبدو أسود داكنًا، تحت نور الغرفة رقم سبعة التي يظهر فيها وجه الله الفضّيّ في الخارج(*)، *فما* كانت على حقّ، هو ليس دائمًا دائرة كاملة، بل قد يكون مدببًا من الطرفين، وفي الليل كان هناك جراثيم مصّاصة دماء، ترتدي الكمامات لكي لا نرى وجوهها، وهناك تابوت كبير يتحوّل إلى حمام ضخم، يلتهم العالم كلّه.

"صه"، قالت إنه مجرّد حلم.

وهناك أجيت الذي يضع براز راجا في مغلّف، ويرسله لنا في البريد، لأنني أخذت ستّ ألعاب بدلًا من خمس، وأحدهم كان يكسر عظامي ويغرز المسامير فيها.

أستيقظ باكيًا، فتدعني ما أرضع الكثير، فكان لذيذًا وقشديًّا.

أخبرتها: "لقد أخذت ستّ لُعبٍ بدلًا من خمس".

"ماذا؟".

"الألعاب التي أرسلها المجانين لنا".

قالت: "لا يهمّ".

"لا، إنه مهمّ لقد أخذت ستَّ لُعب ولم أرسلها جميعها إلى الأطفال المرضى".

(*) تعبير ساذج لطفل سجين طوال حياته غير قادر على التعبير عن طبيعة الأشياء وواقعها.

"لقد كانت لك، إنها هداياك".

"ولماذا أستطيع الاحتفاظ بخمس فقط؟".

يمكنك أن تأخذ منها قدر ما تشاء والآن عدْ إلى النوم".

"لا أستطيع أحدهم أغلق أنفي".

"لقد أصبح المُخاط أشدّ كثافة، هذا يعني أنك ستتحسّن قريبًا".

"لكن كيف أتحسّن إن لم أكن قادرًا على التنفّس".

قالت *ما*: "لهذا أعطاك الله فمًا كي تتنفّس من خلاله، خطّة بديلة".

* * *

عندما أشرقت الشمس استيقظنا قبل أصدقائنا في العالم؛ نورين، والدكتور كلاي، والدكتورة كيندرك، وبيلار، والمرأة التي ترتدي مئزرًا التي لا أعرف اسمها، وأجيت، ونيشا.

"من هم؟".

أخبرها: "الرجل الذي اتّصل بالشرطة، والطفلة، والكلب".

"آه أجل".

"اعتقد أن راجا عدوّ لأنه عضّني، لقد نسيت الشرطية ورجل الشرطة الذي لا أعرف اسمه، وهكذا يصبحون عشرة أصدقاء وعدوًّا واحدًا".

قالت: "جدّتك، وبول، وديانا".

"ابنة خالي برونين على الرغم من أنني لم ألتقِ بها وجدّي الثاني ليو".

"هو في السبعين تقريبًا ورائحته كريهة، لعلّها كانت تمرّ بفترة طلاق عندما التقته".

"ماهي فترة الطلاق؟".

وبدلًا من الإجابة عن السؤال سألتني: "إلى أيّ رقم وصلنا؟".

"إلى خمسة عشر وعدوّ واحد".

"كان الكلب خائفًا، تعلم أنه سبب وجيه".

تصبح على خير، طاب ليلك، هانئٌ نومك، لا تدع حشرات السرير تقرصك، ما عادت *ما* تتذكّر قول ذلك.

أقول: "حسنًا".

"ستّة عشر، والسيّدة غاربر والفتاة التي لديها وشوم، وهوغو على الرغم من أننا نادرًا ما نتحدّث إليهم، هل يمكن أن نعتبرهم أصدقاء؟".

"أجل بالطبع".

فأقول: "أصبحوا تسعة عشر"، عليّ أخذ منديل آخر، إنه أنعم من مناديل الحمام، ولكنها تتمزّق أحيانًا إن كانت رطبة، وبعدها أصحو تمامًا، وأستعدّ لسباق ارتداء الملابس وأفوز به، إلا أنني نسيت حذائي.

أستطيع الآن نزول الدرج بسرعة على مؤخّرتي، *بوم بوم بوم* فتصطكّ أسناني ببعضها، ومع ذلك لا أعتقد أني قرد كما وصفني الأشخاص في الصحيفة، ولكن لا أعلم، فالأشخاص في البريّة ليس لديهم درج.

أتناول أربع قطع خبز فرنسيّة للفطور: "هل أنمو؟".

تنظر *ما* إلى الأعلى والأسفل: "في كلّ دقيقة".

عندما نذهب لرؤية الدكتور كلاي تطلب منّي *ما* أن أخبره بأحلامي.

يعتقد أن دماغي يُنظّف نفسه.

يحدّق إليّ ويقول: "الآن أنت بأمان، ودماغك يجمع كلّ الأفكار المخيفة ويرميها في الكوابيس"، ويُحرك يديه بتلقائية، فلا أقول شيئًا بسبب الآداب، ولكنه فهم الأمر بالعكس، لقد كنت بأمان في الغرفة، والخارج هو الذي يخيفني.

تخبر *ما* الدكتور كلاي بأنها تشعر برغبة في صفع جدّتي.

أقول: "هذا غير مسموح".

تغمزني: "لن أصفعها في الواقع، ولكنني أحيانًا أشعر أنني أريد فعل ذلك".

سأل الدكتور كلاي: "هل شعرتِ أنك تريدين صفعها قبل اختطافك؟".

"أجل بالطبع"، ثم ضحكت تعبيرًا عن الغضب.

"عظيم، لقد استعدت حياتك الآن".

ثم دخلنا إلى غرفة أخرى، فيها شيئان أعرفهما، إنها حاسوبان، فقالت *ما*: "ممتاز، سأرسل بعض رسائل الإيميل لأصدقائي".

"مَنْ مِنَ التسعة عشر؟".

"آه، أصدقائي القدامى في الواقع، لا تعرفهم".

جلست وبدأت بالكتابة *تاب تاب تاب* على الأحرف لمدّة من الوقت وأنا أشاهدها، ثم عبست في وجه الشاشة: "لا أستطيع تذكّر كلمة مروري".

"ما هي...؟".

"إنني..." وتغلق فمها، ثم تحكّ أنفها: "لا يهمّ، ما رأيك أن نجد شيئًا مسلّيًا لتقوم به يا جاك؟".

"أين؟".

تحرّك الفأرة قليلًا وفجأة تظهر صورة *دورا*، تريني كيف أنقر على المؤشّر الصغير بحيث يمكنني اللعب وحدي، فجمعت أجزاء الصورة، وحين اكتملت ظهرت *دورا وبوتس*، وهما يغنّيان شكرًا لك، ويصفّقان، إنه أفضل من التلفاز.

جلست *ما* إلى طاولة حاسوب آخر وبحثت عبر الفيسبوك عن أصدقائها، وقالت إنه اختراع جديد، فما إن كتبت الأسماء حتّى ظهرت الوجوه مبتسمة.

سألتُها: "هل هم كبار بالفعل؟".

"غالبًا لا تتجاوز أعمارهم الستّة والعشرين، أي في مثل عمري تقريبًا".

"ولكنك قلتِ إنهم أصدقاء قدامى".

"هذا يعني أنهم أصدقائي منذ زمن طويل فقط، ولكنهم يبدون مختلفين جدًّا".

قرّبت عينيها من الصورة وتمتمت أشياء مثل: "كوريا الجنوبيّة" و"مطلّقة، وفي هذا الوقت لا يعقل..."

وجدت موقعًا جديدًا فيه أفلام مسجلّة وأغانٍ وأشياء أخرى، وأرتني قطّتين ترقصان بأحذية باليه فكان مشهدًا مضحكًا جدًّا، ثم فتحت موقعًا آخر فيه كلمات

فقط مثل *الخلط والاتّجار*، فسألتني إن كان بإمكاني تركها تقرأ لمدّة من الوقت، فتركتها، وذهبت لألعب مرّة أخرى، فأفوز بنجمة هذه المرّة.

هناك شخص يقف عند الباب، فأقفز إنه هوغو وهو لا يبتسم: "استخدم السكايب عند الساعة الثانيّة".

"ماذا؟".

"استخدم السكايب عند الساعة الثانيّة".

"أعتذر ولكن ليس لديّ أدنى فكرة...".

"إنني استخدم السكايب للتحدّث مع أمي كلّ يوم عند الثانية، إنها تنتظرني منذ دقيقتين، وهذا مكتوب في الجدول الموجود عند الباب".

عدنا إلى غرفتنا، فكان هناك آلة على السرير مع ملاحظة من بول، فقالت *ما* إنها مثل الآلة التي كانت تستمع إليها، عندما خطفها العجوز نيك، إلّا أنها تتميّز باحتوائها على صور كثيرة يمكنك مشاهدتها عبر قلب صفحاتها بأصبعك، ولن تجد الآلاف منها فقط بل الملايين. ثم وضعت السمّاعتين في أذنيها، وبدأت تهزّ برأسها مع أنغام الموسيقى، ولكنني لم أسمع سوى غنائها بصوت خافت، ثم صدر صوت مجموعة من الأشخاص.

"دعيني أسمع قليلًا".

"إنها تسمّى *سمفونية الحلو المرّ*، عندما كنت في الثالثة عشرة، كنت استمع إليها كثيرًا"، وما إن وضعتْ السمّاعتين في أذنيّ حتى صرخت: "الصوت مرتفع جدًّا".

"برفق يا جاك، إنها هديتي من بول".

لم أكن أفهم أنها ملكها وليست ملكي، عندما كنّا في الغرفة كان كلّ شيء ملكنا.

"انتظر.. اسمع.. إنها البيتلز، هناك أغنية قديمة تعود إلى خمسين سنة خلت، وستعجبك"، وتابعت: "كلّ ما تحتاجه هو الحب".

ارتبكتُ: "ألا يحتاج الناس إلى الطعام وأشياء أخرى؟".

"أجل، ولكن كلّ ذلك ليس كافيًا ما لم يكن لديك شخص تحبّه أيضًا".

قالت *ما* والصوت لا يزال مرتفعًا جدًّا، وهي تبحث بين الأسماء بأصابعها: "على سبيل المثال، هناك تجربة قام بها العلماء على القردة حيث فصلوا الأطفال عن الأمّهات، ووضعوها في أقفاص، فلم تنمُ بشكل سليم".

"لماذا لم تنمُ؟".

"لا، لقد نمت وكبرت، ولكنها كانت غريبة الأطوار لأنها لم تحظَ بالعناق".

"كيف كانوا غريبي الأطوار؟".

أوقفت عمل الآلة وقالت: "في الواقع، أعتذر يا جاك، ما كان يجب أن أذكر الموضوع".

"كيف كانوا غريبي الأطوار؟".

عضّت على شفتها: "تعاني من مرض في الرأس".

"مثل المجانين".

أومأت إليّ: "يعضّون أنفسهم وأشياء من هذا القبيل".

يجرح هوغو نفسه ولا أعتقد أنه يعضّ نفسه، فزفرت ما: "لماذا؟ انظر، إن كانت أمّهاتها إلى جانبها ستعانقها، ولكنها كانت تشرب الحليب من العبوات، وتبيّن أنها بحاجة إلى العناق بقدر حاجتها إلى الحليب".

"إنها قصّة بشعة".

"أعتذر، آسفة جدًّا لم يكن عليّ إخبارك بالأمر".

قلت: "لا، كان عليك إخباري".

"لكن..."

"لا أريد أن يكون هناك قصص بشعة وأنا لا أعرفها".

احتضنتني بقوّة، وقالت: "إنني غريبة قليلًا هذا الأسبوع أليس كذلك؟".

لا أعلم فكلّ شيء غريب.

"استمرّ بالإخفاق، وأعلم أنك بحاجة إليّ لأكون أمّك، ولكن عليّ أن أتذكّر كيف أكون على طبيعتي بالإضافة إلى هذا...".

لكني اعتقدت أنّ هي و*ما* هما الشخص نفسه.

أريد الخروج مجدّدًا، ولكن *ما* تعبة جدًّا.

* * *

"ما هو اليوم في هذا الصباح؟".

قالت *ما*: "الخميس".

"متى سيكون الأحد؟".

"الجمعة، السبت، الأحد..."

"ثلاثة أيّام، مثل الغرفة".

"أجل في الأسبوع سبعة أيّام في كلّ مكان".

"ماذا سنطلب من أجل هدايا الأحد؟".

هزّت برأسها.

بعد الظهر ركبنا السيارة التي كتب عليها عيادة كمبرلاند، إننا نخرج من البوّابة الكبيرة إلى العالم الخارجيّ، لا أريد ذلك، ولكن علينا الذهاب إلى طبيب الأسنان كي يرى أسنان *ما* التي لا تزال تؤلمها: "هل سيكون هناك أشخاص ليسوا أصدقاءنا؟".

"فقط طبيب الأسنان ومساعدته"، وتابعت قائلة: "لقد أرسلوا الجميع إلى الخارج، إنها زيارة خاصّة بنا فقط".

اعتمرنا قبعتينا، ووضعنا نظّارتينا، ولكن من دون حاجب الشمس، لأن النظارات تعكس الأشعّة السيّئة، وقد سُمح لي بانتعال حذائي المطّاطيّ، وكان السائق في السيارة يعتمر قبعة، وأظنّ أنه صامت.

شاهدت الخارج من النافذة، فكان العشب أكثر اخضرارًا اليوم، والكثير والكثير من الهو والهي في الشارع، فلم أرَ هذا العدد من قبل، وأتساءل إن كانوا

كلّهم حقيقيّين أم بعضهم فقط، فقلت لما: "بعض النساء يتركون شعورهنّ طويلة مثلنا"، فتقول ما: "لكن الرجال لا، آه.. بعضهم فقط، فنجوم الروك يفعلون ذلك، إنها ليست قاعدة وإنما خيار".

"ما هو...؟".

"عادة سخيفة يقوم بها الجميع، هل تودّ أن تقصّ شعرك؟".

"لا".

"أنه أمر غير مؤلم، فقد كان شعري قصيرًا سابقًا عندما كنت في التاسعة عشرة".

هززت برأسي: "لا أريد أن أخسر قوّتي".

"ماذا؟".

"قوتي مثل شمشون في القصّة".

أضحكها ما قلت.

"انظري، هناك شخص يُشعل نفسه".

"إنه يشعل سيجارته فقط"، وتابعت: "كنت أدخّن سابقًا".

أحدّق إليها: "لماذا؟".

"لا أتذكّر لماذا".

"انظري، انظري".

"لا تصرخ".

أشير إلى الأشخاص الذين يسيرون على الرصيف.

"إن الأولاد مربوطون معًا"، تُقرّب *ما* رأسها من النافذة أكثر: "لا، إنّهم يمسكون بالحبل فقط كي لا يضيعوا، وانظر هناك، بينهم أطفال صغار جدًّا، لابدّ أنها حضانة مثل التي تذهب إليها برونين".

قلت للسائق ولكنه لا يسمعني: "أريد رؤية برونين، هل يمكنك أن توصلنا إلى مكان الحضانة حيث الأطفال وابنة خالي برونين من فضلك".

قالت *ما*: "إن طبيب الأسنان في انتظارنا الآن".

ذهب الأطفال، وتابعتُ النظر من النافذة.

طبيب الأسنان هو الدكتورة لوبيز، عندما أزالت قناعها كانت تضع أحمر شفاه باللون الأرجوانيّ، وهي ستعاينني أوّلًا، لأنّ لديّ أسنانًا أيضًا، فاستلقيت على كرسيّ كبير يتحرّك، وأنا أحدّق إلى الأعلى، وفمي مفتوح للغاية، ثم طلبت منّي أن أعدّ الأشياء الموجودة في السقف، فكان هناك ثلاث قطط وكلبان وببغاءان و...

فبصقت الشيء المعدنيّ.

"إنها مرآة فقط يا جاك، انظر إنني أعدّ أسنانك".

قلت لها: "إنها عشرون".

قالت الدكتورة لوبيز: "هذا صحيح، لم أقابل فتى ذا خمس سنوات من قبل يستطيع عدّ أسنانه"، ووضعت المرآة في فمي مجدّدًا.

"همم، مسافات جيّدة، هذا ما أريد رؤيته".

"إنها تعني... مساحة جيدة لنموّ الأسنان".

ستجلس *ما* على الكرسيّ لوقت طويل بينما يُخرج المثقاب السوس الذي في أسنانها، ولا أريد الانتظار في الغرفة الأخرى لكن يانغ المساعد قال: "تعال والعب بالدمى الجميلة التي لدينا"، فيريني سمكة قرش على عصا تقوم بـ *كلترررررر كلترررررر* وهناك كرسيّ صغيرة للجلوس عليها على شكل سنّ، ولكنه ليس سنًّا بشريًّا، وإنّما هو سنّ أبيض كبير خالٍ من التسوّس، فتفحّصت كتابًا عن المتحوّلين، وآخر من دون غلاف عن السلاحف كُتب عليه لا للمخدّرات.

ثم أسمع صوتًا غريبًا.

يكاد يغلق يانغ الباب: "اعتقد أن أمّك تفضّل..."

فانزلق من تحت ذراعه، وتظهر الدكتورة لوبيز ومعها آلة حادّة تضعها في فم *ما*.

"اتركيها وشأنها".

"إنه أمر عاديّ"، تقول *ما*، ولكن يبدو أن فمها يعاني من خطب ما، فماذا فعلت الدكتورة لوبيز لها؟

قالت الدكتورة لوبيز: "إن كان يشعر بالأمان هنا فلا بأس يمكنه البقاء".

أحضر يانغ الكرسيّ السنّ، فجلستُ عليه لأشاهد *ما* وهي تمسك الكرسيّ وتتأوّه بشدّة فأنتصب واقفًا، ولكن الدكتورة لوبيز سألتها: "هل تريدين مزيدًا من المخدّر؟". ثم استخدمت إبرة فجلست *ما* مرتاحة مجدّدًا.

يستمرّ الأمر لمئات الساعات، أحتاج إلى تنظيف أنفي، ولكن الجلد يتقشّر لذلك اضغط عليه بالمنديل فقط.

عندما عدت و*ما* إلى حيث رُكنت السيارة، انبعثت الأضواء الساطعة فآلمني رأسي، وكان السائق هنا مجدّدًا وهو يقرأ الصحيفة، فخرج وفتح لنا باب السيارة، "انتظر"، قالت *ما*، فأتساءل إن كانت ستتحدّث بهذه الطريقة على الدوام، إذ أفضّل ألم الأسنان على أن أتحدّث بهذا الشكل.

شاهدت الشوارع المضيئة في طريق العودة إلى العيادة، فغنّيت أغنية عن الطريق المفتوح، والسماوات غير المنتهيّة.

لقد بقي السنّ تحت وسادتي، فأنا أقبّله كلّ مساء، ولكن هل كان عليّ أن آخذه معي؟ ربما كانت تستطيع الدكتورة لوبيز إصلاحه.

تناولنا الطعام على الصينيّة، وكان مكوّنًا من شريحة لحم ستروغونوف مع قطع لحم صغيرة، وقطع أخرى تبدو تشبهها، ولكنها تسمّى الفطر، وكلّها تستلقي على الأرز الناعم، ولكن *ما* لم تستطع تناول اللحم، بل تناولت بضع لقيمات من الأرز، ثم قرعت نورين الباب وهي تقول إن هناك مفاجأة لنا، إنه جدّي لقد وصل من أستراليا.

قفزت *ما* وبكت.

سألتها: "هل يمكنني أن أتناول الستروغونوف الآن؟".

سألت نورين: "لماذا لا أنزل جاك إلى الأسفل بعد أن ينهي تناول وجبته".

لم تقلْ *ما* شيئًا وخرجت راكضة.

أخبر نورين: "لقد أقام جنازة لها لكنها لم تكن في التابوت".

"سعيدة لسماع هذا".

ألاحق حبّات الأرز الصغيرة، فقالت نورين وهي تجلس إلى جانبي: "لابدّ أنه أكثر أسبوع متعب في حياتك".

"لماذا؟".

"حسنًا، لأن كلّ شيء كان غريبًا، وأنت تبدو كزائر من كوكب آخر، أليس كذلك؟".

هززت برأسي: "لسنا زائرين، تقول *ما* إننا سنبقى هنا حتى نموت".

"آه، اعتقد.. أعني... أنكم زوّار جدد".

عندما أنتهي من تناول الطعام، تأخذني نورين إلى الغرفة التي تجلس فيها *ما* ممسكة بيد شخص يعتمر قبعة، فقفز وقال: "لقد أخبرت أمّك أنني لا أريد..."

قالت *ما*: "انظر أبي إنه جاك".

هزّ برأسه

أنا جاك، هل توقّع أحد آخر؟

نظر إلى الطاولة وتعرّق وجهه: "من دون إهانة".

قالت *ما* وهي على وشك الصراخ: "ماذا تعني؟".

"لا أستطيع التواجد معه في الغرفة نفسها، هذا يجعلني أرتجف".

صرخت بقوّة: "لا علاقة له، إنه صبيّ في الخامسة من عمره".

"قلت هو جاء عن طريق الخطإ، إنني أتلعثم، سأتّصل بك لاحقًا من الفندق، حسنًا".

"حسنًا، حسنًا".

"أبي، اجلس".

لا يتحرّك.

"إنه كلّ حياتي".

إنه.. أتعني أباها؟ فلا أعتقد أنّه أنا.

"أجل بالطبع، إنه أمر طبيعيّ"، مسح جدّي ما تحت عينيه: "ولكن كلّ ما أستطيع التفكير فيه هو ذلك الوحش، وما قام به.."

"آه، هل تفضّل التفكير بي ميتة ومدفونة؟". فهزّ برأسه مجدّدًا نافيًا.

"إذًا تعايش مع الأمر"، وتابعت *ما*: "لقد عدت".

وضع يده على مقبض الباب: "لا أستطيع في الوقت الحالي".

قالت *ما*: "اجلس إنها الفرصة الأخيرة".

فلم يقمْ أحد بأيّ حركة.

بعدها تحرّك جدّي صوب الطاولة وجلس، فأشارت *ما* إلى الكرسيّ، وطلبت منّي الجلوس، مع أني لا أريد التواجد هنا، فنظرتُ إلى حذائي، فكانت أطرافه مجعّدة.

رفع جدّي قبعته وقال: "سعدت بالتعرّف إليك يا جاك".

لا أعلم أيّ من الآداب عليّ قوله: "أهلًا بك".

في وقت لاحق عندما كنت و*ما* في السرير وبينما أرضع في الظلام.

سألتها: "لماذا لم يردْ مقابلتي؟ هل كانت غلطة أخرى مثل التوابيت؟".

زفرت: "يعتقد.. يظنّ أنني أفضل حالًا من دونك".

"في مكان آخر؟".

"لا، لو أنك لم تُولد، تخيّل".

أحاول ولكن لا أستطيع: "ولكن لو لم أُولد لما كنت أمًّا؟".

"في الواقع لن أكون، فهي فكرة غبية".

"هل هو جدّي الحقيقيّ؟".

"أخشى أنه كذلك".

"لماذا تخشين؟".

"أعني أجل إنه جدّك".

"أبوك منذ كنت طفلة صغيرة في الأرجوحة؟".

"منذ أن كنت طفلة في عمر الستّة أسابيع"، وتابعت: "عندما أحضروني إلى البيت من المستشفى".

"لماذا تركتك أمّك هناك؟ هل كان ذلك عن طريق الخطإ؟".

قالت: "ربما كانت متعبة، لقد كانت صغيرة جدًّا"، وجلست لتنظّف أنفها بصوت مرتفع: "سيحسّن أبي من تصرّفاته قريبًا".

"ما هي تصرّفاته؟".

ضحكت *ما*: "أعني أنه سيتصرّف بشكل جيّد مثل جدّ حقيقيّ".

مثل جدّي الثاني إلّا أنه حقيقيّ.

غفوت بسرعة كبيرة، ولكنّي استيقظت باكيًا، فقبّلت *ما* رأسي وقالت: "كلّ شيء سيكون على ما يرام".

"لماذا لم يعانقوا القردة؟".

"من؟".

"العلماء، لما لم يعانقوا صغار القردة؟".

قالت بعد بضع ثوانٍ: "ربما فعلوا هذا، فأنت تعلم أن صِغار القردة تعانق مثل البشر".

"لا، لقد قلت إنها غريبة الأطوار وتعضّ نفسها".

لم تقل *ما* شيئًا.

"لماذا لا يعيد العلماء القردة الأمّهات، ويعتذرون منها؟".

"لا أعلم في الواقع، إنها قصّة قديمة جدًا حدثت قبل أن أُولد بزمن بعيد".

إنني أسعل وليس هناك شيء لأخرجه من أنفي.

"لا تفكّر بصغار القردة بعد الآن، إنها على ما يرام الآن".

"لا أظنّ أنها كذلك".

احتضنتني بقوةّ فآلمت عنقي.

"آه".

تحرّكت وقالت: "هناك الكثير من الأشياء في العالم يا جاك".

"مليارات؟".

"مليارات ومليارات، إذا حاولت أن تبحث عنها فسينفجر رأسك".

"ولكن القردة الصغيرة؟".

أستطيع سماعها تتنفّس بطريقة غريبة: "أجل هناك بعض الأشياء السيّئة".

"أشياء".

"مثل القرود".

قالت *ما*: "وأسوأ من ذلك".

حاولت التفكير في شيءٍ أسوأ: "ما الأسوأ من ذلك؟".

"ليس الليلة".

"ربما عندما أكون في السادسة؟".

"ربّما".

لعقتني.

أُصغي إلى أنفاسها، وأعدّ حتى عشرة، ثم أعدّ أنفاسي حتى عشرة، وأنادي: "*ما*؟".

"نعم".

"هل تفكّرين في أسوأ الأشياء؟!"

أجابتني: "أحيانًا... يتوجّب عليَّ ذلك في بعض الأحيان".

"أنا أيضًا".

"ولكن بعد ذلك أُخرجها من رأسي، وأخلُدُ إلى النوم".

أعدُّ أنفاسنا مرّة أخرى، وأحاولُ أن أعضَّ يدي، وكتِفي، وإن كان ذلك سيؤلمني، كي أكفّ عن التفكير في القرود، ولكنني فكّرت في جميع الأطفال في العالم، وكيف أنهم ليسوا في التلفاز، إنّهم حقيقيّون، فهم يأكلون، وينامون،

ويتبوّلون، ويتبرّزون، وإذا دغدغتهم فسيضحكون، وأودُّ أن أراهم، ولكنني أشعرُ بالدوار لوجود الكثير منهم، وأنا واحدٌ فقط.

* * *

سألتني *ما*: "حسنًا، لقد فهمت؟!".

أنا مستلقٍ في سريرنا في الغرفة رقم سبعة، وهي تجلسُ على الحافّة.

"أنا هنا آخذُ قيلولة، وأنتِ في التلفاز".

قالت *ما*: "في الواقع، سأكون في الأسفل في مكتب الدكتور كلاي، لأتحدّث إلى أشخاصٍ من التلفاز، وستظهر صورتي عبر جهاز الفيديو فقط، ثم ستظهر في الليلة التالية عبر شاشة التلفاز".

"لماذا تريدين التحدّث إلى الجشعين؟!".

"أنا أحتاج فقط إلى الإجابة عن أسئلتهم لمرّة واحدة، لذا سيتوقّفون عن طرح الأسئلة، وسأعود قبل أن تشعر بذلك، اتّفقنا؟! وبحلول الوقت الذي ستستيقظ فيه، سيكون كلّ شيء قد انتهى".

"بعدها سنخوضُ مغامرة في الغد، أتتذكّر أين سيأخذنا بول وديانا وبرونوين؟".

"متحف التاريخ الطبيعيّ لمشاهدة الديناصورات".

وقفت *ما* وقالت: "هذا صحيح".

"أغنية واحدة".

جلست *ما*: "تتأرجح في الأسفل، العربة الجميلة، لكنها سريعة، ولا تزال أقسى بسبب البرد". وشدّت معصمي لتنظر إلى ساعتي الرقمية.

"واحدة أيضًا".

"سأتأخّر..."

"أريدُ أن آتي معك.." فأجلسُ وألتفُّ حول *ما*.

أجابتني: "لا، لا أريدهم أن يروكَ"، وأعادتني إلى الوسادة: "اخلد الآن إلى النوم".

"لستُ نعسانًا، ولن أنام بمفردي".

"ستكون منهكًا إن لم تنلْ قسطًا من الراحة، دعني من فضلك".

أبعدت *ما* يديّ عنها، فشبكتهما حولها بإحكامٍ أكثر كي لا تستطيعَ الإفلات منّهما.

"جاك!"

"ابقي".

ووضعت ساقيَّ حولها أيضًا.

"ابتعد عني، لقد تأخرّتُ بالفعل"، فضغطت بيديها على كتفيَّ، ولكنني تشبّثت بها أكثر: "أنتَ لستَ طفلًا، قلتُ انزلْ..."

فأبعدتني عنها بشدّة، وفجأة انفكت يداي، وتسبّبَ ذلك بارتطام رأسي بطاولةٍ صغيرة، فانبعث صوت الطرقة قويًا، وفي الحال وضعت يدها على فمها.

أما أنا فصرخت.

قالت: "أوه جاك، أوه جاك، أنا جدًّا..."

وقف الدكتور كلاي أمام الباب وقال: "كيف تسير الأمور؟ الطاقم مستعدّ وجاهز وينتظرك".

فأبكي بصوتٍ أعلى من أيّ وقتٍ مضى، وأمسكُ برأسي المصاب.

قالت *ما* وهي تلمس وجهي المبلّل: "لا أعتقد أن هذا سينجح".

اقترب الدكتور كلاي وقال: "لايزال بإمكانك الانسحاب".

"لا، لا أستطيع، إنّه لصالح صندوق كلّية جاك".

لوى الدكتور كلاي فمه متبرّمًا: "سبق لنا أن تحدّثنا بما فيه الكفاية عن أهمّية السبب..."

قلت: "لا أريدُ أن أذهب إلى الكلّيّة، أريدُ أن أذهب إلى التلفاز معكِ".

تنفّست *ما* بعمق: "يمكن تغيير الخطّة، ويمكنكَ النزول فقط للمشاهدة، شرط أن تبقى هادئًا تمامًا، اتّفقنا؟!"

"حسنًا".

"ولا كلمة!"

قال الدكتور كلاي *لما*: "هل تعتقدينَ أن هذه فكرة جيّدة؟!"

أنتعل حذائي المطّاطي بسرعة، ولكنني لا أزال أشعر بالتذبذبات في رأسي.

لقد تغيّر مكتبه بالكامل فهناك أشخاص، وأضواء، وآلات كثيرة، فأجلستني *ما* على كرسيّ في الزاوية، وقبّلت رأسي، وهمست في أذني شيئًا لم أستطع سماعهُ، ثمّ توجّهت إلى كرسيٍّ أكبر، فاقترب منها رجلٌ، ووضع على سترتها حشرة سوداء صغيرة، وأتت امرأة وهي تحمل علبة ألوان، وبدأت بالرسمِ على وجهها، لقد تعرّفتُ إلى موريس _ محامينا _ وقد كان يقرأ بعض الصفحات.

أخبر أحدهم، وهو يحدّق إليّ: "نحنُ بحاجةٍ إلى رؤية التخفيضات، وكذلك التخفيضات الأوليّة"، ثمَّ لوّح بأصابعه.

وقال بصوتٍ أعلى: "أيها الناس؟ المعذرة؟ الصبيّ موجود في الغرفة، ولكن لا ينبغي عرضه على الشاشة، ولا التقاط صور له لأيّ سبب من الأسباب، فهل نحن واضحون؟".

عندها نظر الجميعُ إليّ، فأغمضت عينيّ، وعندما فتحتهما كان هناك شخص آخر يُصافح أمّي، يا للروعة!!، إنها المرأة ذات الشعر الكبير التي تجلس على الأريكة الحمراء، لكن الأريكة ليست هنا. كما أنني لم أرَ من قبل شخصًا حقيقيًّا من التلفاز، ولكن كم أتمنّى لو كانت دورا بدلًا منها!

قال رجل: "سنعرض لقطة جوّية للغرفة، ثم لقطة قريبة، تليهما اللقطة الثالثة".

ابتسمت المرأة ذات الشعر الكبير في وجهي بشكلٍ مبالغ، بينما كان الجميعُ هناك يتحدّثون ويتحرّكون.

أغمضتُ عينيّ مرّة أخرى، وضغطت بيديّ على أذنيّ، مثلما طلب منّي الدكتور كلاي عندما يتفاقم الوضع.

شخصٌ ما يبدأ بالعدِّ: "خمسة، أربعة، ثلاثة، اثنان، واحد".

"هل سيكون هناك صاروخٌ؟!"

قالت المرأة ذات الشعر الكبير، وهي ترفع يديها متّخذة وضعية الصلاة: "دعيني أولًا أعبّر عن امتناني وامتنان جميع مشاهدينا، لتحدّثك إلينا بعد ستّة أيام فقط من إطلاق سراحك بفضل ابنك الشجاع، ولرفضك الصمت بعد الآن".

فابتسمت أمّي ابتسامة خفيفة.

"هل يمكنك أن تخبرينا، ما هو أكثر شيءٍ افتقدتِهِ في تلك السنوات السبع الطويلة من الأسر؟! بغضّ النظر عن شوقك إلى عائلتك طبعًا".

أجابت *ما* بسرعة وبصوت عالٍ: "طبيب الأسنان، في الواقع، هو أمرٌ يثير السخرية؛ لأنني كنتُ أكرهُ تنظيف أسناني حتّى".

"لقد دخلت إلى عالَمٍ جديد، فيه أزمة اقتصادية، وبيئية عالمية، ورئيس جديد..."

قالت *ما*: "لقد تابعنا كلّ الأحداث عبر شاشة التلفاز".

"حسنًا، ولكن لابدَّ أنّ الكثير قد تغيّر!"

هزت *ما* بكتفيها وأجابت: "لا شيء يبدو مختلفًا تمامًا، لكنني لم أخرج بعد إلّا إلى طبيب الأسنان".

ابتسمت المرأة وكأن ما قالته فُكاهة.

"لا، أقصدُ أنَّ كلّ شيءٍ يبدو مختلفًا، لكن هذا لأنني مختلفة".

"هل أنت أقوى بعد التجربة المحطّمة التي مررت بها؟!"

حككت رأسي الذي لا يزال يؤلمني بسبب ارتطامه بالطاولة.

ظهرت تعابير غامضة على وجه أمّي: "في الماضي كنت عاديّةً جدًّا، ولم أكنْ حتّى -لو تعرفين ذلك- نباتيّة، ولم أحظَ حتّى بفرصة عيش مرحلة المراهقة كغيري".

"والآن أنتِ شابّة غير عاديّة، ذات حكاية عظيمة، ونحن نفتخر بأنّنا..."

نظرت المرأة بعيدًا لتبحث عن شخصٍ ما بالقرب من الآلات: "دعونا نكرّر ما قلناه..".

وعاودت النظر إلى *ما* وقالت بصوتٍ عذب: "نحن نتشرّف باختيارك هذا البرنامج لتروي من خلاله قصّتك، والآن ومن دون الحاجة إلى عرضها، سأتحدّث عن متلازمة ستوكهولم، فالعديد من مشاهدينا يشعرون بالفضول لمعرفة إن كنتِ قد وجدتِ نفسكِ بأيِّ شكلٍ من الأشكال... معتمدةً عاطفيًّا على آسِرِكِ".

هزّت *ما* برأسها نافية: "كرهته".

أومأت المرأة إليها برأسها.

"ذات مرة ركلتُ وصرختُ، وضربتهُ على رأسه بغطاء المرحاض، ولم أغتسلْ، ولم أتحدّث إليه فترة طويلة".

"أكان ذلك قبل أو بعد مأساة موت طفلتك في أثناء الولادة؟".

وضعت *ما* يدها على فمها.

عقّب موريس الذي يتصفّح الصّفحات: "... لا تريد التّحدّث عن ذلك".

قالت المرأة ذات الشعر الكبير: "أوه، نحنُ لا نتحدّث عن التفاصيل، ولكن من الضروريّ تحديد التسلسل...".

قال: "لا، في الواقع... من الضروريّ الالتزام بالعقد".

ارتجفت يدا *ما* فوضعتهما تحت فخذيها، إنها لا تنظرُ إليّ، هل نسيَتْ أنني هنا؟ أنا أتحدّثُ إليها داخل رأسي ولكنها لا تسمعني.

قالت المرأة *لما*: "... صدقيني، نحن فقط نحاول مساعدتك في سرد قصّتك للعالم".

نظرت إلى الورقة في حضنها: "إذًا، لقد وجدت نفسكِ حاملًا للمرّة الثانية، في الجحيم الذي قضيتِ فيهِ عامين من شبابكِ الثمين، أكانَ هناك أيامٌ شعرتِ خلالها أنكِ مجبرة على تحمّل هذا الرجل...؟".

أجابتها *ما*: "في الواقع لقد شعرتُ بالأمان".

"بالأمان! هذا جميل".

لوت *ما* فمها وقالت: "لا أستطيع التحدّث نيابةً عن أيّ شخصٍ آخر، فمثلًا، كنت قد أجريتُ عمليّة إجهاض عندما كنت في الثامنة عشرة من عمري، ولم أكنْ نادمةً على ذلك على الإطلاق".

فغرت المرأة ذات الشعر الكبير فمها بعض الشيء، ثم طأطأت رأسها ونظرت إلى الورقة، ثم نظرت مرّة أخرى إلى *ما*.

"في ذلك اليوم البارد من شهر مارس قبل خمسة أعوامٍ، وضعتِ مولودكِ بمفردكِ في ظلِّ ظروفٍ صحّيّةٍ صعبة، أكان ذلك أصعب شيءٍ قمتِ بِهِ على الإطلاق؟".

هزّت *ما* رأسها: "بل أفضلُ شيءٍ".

"حسنًا، هذا طبيعيّ فكلّ أمّ تشعر بذلك...".

"نعم، لكن بالنسبة إليّ، أرى أنَّ جاك كان كلُّ شيء، فهو من أعادني إلى الحياة، وجعلني أصبح مهمّةً، لذلك أصبح سلوكي مهذّبًا بعد ذلك".

"أصبحت مهذّبة؟ أوه، تقصدين بِـ...".

"كان ذلك كلّه من أجل بقاء جاك آمنًا".

"هل كان من الصعب أن تكوني مهذّبةً على حدِّ تعبيركِ؟".

هزّت *ما* برأسها: "لقد فعلتُ ذلك تبعًا لنظام التّحكّم الذاتيّ، كما تعلمين، زوجة حاضنة".

أومأت المرأة إلى *ما* برأسها كثيرًا: "الآن، اكتشفتُ كيفَ ترعينهُ بنفسكِ، من دونِ كتب أو مختصّين، أو حتّى أقارب، ولابدَّ أن ذلك كان صعبًا للغاية".

تجاهلتها *ما*: "أعتقدُ أنَّ ما يريدهُ الأطفال غالبًا هو وجود أمّهاتهم بالقرب منهم، وكنتُ أخشى فقط أن يمرض جاك - وأنا أيضًا- فقد كان بحاجةٍ إلى أن أبقى على ما يرام، لذلك التزمت بعدّة أشياء تذكّرتها من هيلث إيد مثل غسل اليدين، طبخ كلّ شيء بشكل جيّد..."

أومأت المرأة إليها برأسها: "لقد أرضعتهِ، في الواقع هذا ما أذهل بعض مشاهدينا، أأفهمُ أنّكِ ما زلتِ تفعلين؟".

ضحكت *ما*.

حدّقت المرأة إليها.

"ألم تجدي في كلّ قصتي شيئًا صادمًا إلّا هذا التفصيل؟".

نظرت المرأة إلى ورقتها مرّة أخرى: "حكم عليك وعلى طفلك بالحبس الانفرادي..".

هزّت *ما* برأسها: "لم يكنْ أيٌّ منّا بمفردهِ ولا لدقيقة".

"حسنًا، نعم، لكن كما يقولون في إفريقيا الأمر يتطلّب قرية لتربية طفل..."

"إذا كان لديكِ قرية، ولكن إنْ لم يكنْ؛ فالأمر يتطلّب شخصين فقط".

"اثنين؟ تقصدين أنتِ و..."

بدا الجمود على وجه *ما* عندما قالت: "أعني أنا وجاك".

"آه".

"لقد فعلناها معًا".

"هذا جميل، هل لي أن أسأل - أعلمُ أنكِ علّمتِهِ أن يصلّي ليسوع- ولكن هل كان الإيمان مهمًّا بالنسبة إليك؟".

"كان جزءًا ممّا توجّب عليَّ أن أنقلهُ إليه".

"أيضًا، أفهمُ أنَّ التلفاز أدّى دورًا في تجاوز أيّام الملل".

قالت *ما*: "لم أشعرْ قطّ بالملل مع جاك، بل العكس هو الصحيح".

"رائع، الآن لقد توصّلت إلى ما يسمّيه بعض الخبراء قرارًا غريبًا، لجاك الذي نما في مكانٍ تبلغ مساحته أحد عشر قدمًا مربّعًا، وكلّ شيء آخر - كل شيء شاهده على شاشة التلفاز، أو سمعه من حفنة كتبهِ - كان مجرّد وهم، فهل شعرت بالسوء حيال خداعِهِ؟".

بدت *ما* غير ودودة: "ماذا كنتُ لِأُخبرهُ - مهلًا، هناك عالمٌ من المرح هناك ولا يمكنك الحصول على أيٍّ منه؟!"

زمّت المرأة شفتيها: "الآن، أنا متأكّدة من أنّ مشاهدينا جميعًا على درايةٍ تامّة بالتفاصيل المثيرة لإنقاذك...".

قالت *ما* وهي تبتسم لي: "تقصدين الهروب".

أنا متفاجئ، فأنا أُبادلها الابتسام، ولكنها لم تنتبه لي.

"الهروب، صحيح، واعتقال، الشخص المزعوم، والآن هل شعرتِ، على مرِّ السنين، أنَّ هذا الرجل يهتمّ - بمستوى إنساني أوّلي، ولو بطريقةٍ ما مشوّهة - بابنه؟".

زمّت *ما* عينيها: "جاك ليس ابن أحد، إنه ابني فقط".

قالت المرأة: "هذا صحيح جدًّا، من وجهة نظر واقعيّة جدًّا، ولكن كنتُ أسأل من وجهة نظرك، عن العلاقات الجينيّة والبيولوجيّة..".

تكلّمت *ما* من بين أسنانها المطبقة: "لم تكن هناك علاقات".

"ألم يكن النظر إلى جاك، يذكّركِ بالألم بسبب أصولهِ؟".

أصبحت عينا *ما* أكثر ثباتًا وتركيزًا: "إنّه لا يذكّرني سوى بنفسه".

فقالت امرأة التلفاز: "ممممم، عندما تفكّرين الآن، هل تشعرين بالكره تجاهه؟"، ومن دون أن تسمع الإجابة تتابع كلامها: "بمجرّد مواجهته في المحكمة هل تعتقدين أنك قادرة على الصفح عنه ولو بالحدّ الأدنى؟".

"هل تدركين كم تماديتِ؟".

قالت المرأة مبتسمة: "أستميحك عذرًا، بمجرّد أننا أعلنّا أننا سنجري هذه المقابلة، بدأ المشاهدون بالاتّصال عبر البريد الإلكترونيّ، وإرسال الرسائل النصّية، ليخبرونا بأنك ملاك، وتعويذةُ خيرٍ".

تأثّرت *ما* فتغيّرت ملامح وجهها: "كلّ ما فعلتهُ هو أنني نجوتُ، وقد فعلتُ ذلك بشكلٍ جميلٍ".

"عملٌ جيّدٌ تربية جاك، عملٌ جيّدٌ بما فيه الكفاية، وأنتِ متواضعة جدًّا".

"ولكن في الواقع، ما أشعرُ بهِ هو الانزعاج".

غمزت المرأة ذات الشعر الكبير مرتّين.

فقالت *ما* بصوتٍ صاخبٍ: "لا داعي لكلّ هذا التبجيل، أنا لستُ قدّيسةً، وأتمنّى من الناس أن يتوقّفوا عن معاملتنا وكأننا الوحيدون فقط مَنْ عاشوا في ظلّ ظروف مريعة، لقد قرأت أشياء مريعة عبر الإنترنت؛ ولن تصدّقي ذلك!".

"حالاتٌ أخرى تشبهُ حالتكِ".

"نعم، أعني، بالطبع عندما استيقظتُ في الغرفة، ظننتُ أنّه لم يكن هناك على الإطلاق من هو أسوأ حالًا مني، ولكن الأمر هو أن العبودية ليستْ اختراعًا جديدًا، والحبس الانفرادي كذلك؛ فهل تعلمين أننا في أمريكا لدينا أكثر من خمسة وعشرين ألف سجين في زنازين انفرادية، وأنّ بعض هؤلاء معزولون عن الآخرين منذ أكثر من عشرين عامًا".

كانت يداها تشيران إلى المرأة ذات الشعر الكبير.

"أمّا بالنسبة إلى الأطفال، فهناك أماكن في دور الأيتام يرقد فيها خمسة أطفال في سريرٍ واحدٍ، واللّهايات ملتصقة بأفواههم، وهناك من يغتصبهم آباؤهم كلّ ليلة، بالإضافة إلى الأطفال في السجون، وفي أماكن أخرى حيث يحيكون السجّاد...".

إنها حقًّا دقيقة صمتٍ، ثم قالت المرأة: "لقد أعطتك تجاربكِ، تعاطفًا هائلًا مع أطفال العالم الذين يعانون الأمرّين".

قالت *ما*: "تعاطفي ليس مع الأطفال فقط، وإنما مع كلّ الناس المحتجزين بمختلف الوسائل الممكنة".

تنحنحت المرأة ونظرت إلى الورقة التي في حضنها: "تقولين إنكِ أحسنت تربية جاك على الرغم من أن المهمّة لم تنتهِ بعد بالطبع، ولكن الآن لديك الكثير من الدعم من قبل عائلتك، بالإضافة إلى رعاية العديد من الخبراء المحترفين".

نظرت *ما* إلى الأسفل: "في الواقع إنّ الأمر بات أصعب الآن، إذ عندما كانت مساحة عالمنا 11 قدمًا مربّعًا، كان من الأسهل التحكّم بالأمور، أما في الوقت الحالي فكثيرة هي الأشياء التي تخيف جاك، كما أنني أكره أسلوب بعض وسائل الإعلام، ولا سيّما تلك التي وصفت جاك بأنه غريب، أو أحمق، أو متوحّش، فتلك الكلمات...".

"حسنًا، إنّه فتىً مميزٌ جدًّا".

هزّت *ما* بكتفيها: "لقد أمضى سنواته الخمس الأولى في مكانٍ غريبٍ، وهذا كلّ ما في الأمر".

"ألا تعتقدين أنّ هذه المحنة أثّرت فيه؟".

"إنّها لم تكنْ محنة بالنسبة إلى جاك، لقد كانت مجرّد أحداث جرت معه، وقد اعتاد عليها، ولكن نعم، ربما، كلّ شخص منّا تضرّر من شيء ما".

قالت المرأة ذات الشعر الكبير: "من المؤكّد أنه يخطو خطوات عملاقة نحو الانتعاش، لقد قلتِ للتّو إنه كان من الأسهل التّحكّم بجاك عندما كنتما في الأسر...".

"لا، قلت التّحكّم بالأشياء".

"ينبغي أن تشعري بشيءٍ من الرضى تقريبًا – بشكلٍ أدقّ – أن تفتخري لتمكّنك من أن تقفي إلى جانب ابنك في وجه العالم".

قالت *ما* بازدراء: "نعم، وهذا ما يدلّ على عظمة كلمة أمّ".

"هل تفتقدين لما كنت تشعرين به عندما كنتِ خلفَ بابٍ موصدٍ؟".

أدارت *ما* وجهها نحو موريس: "هل يُسمحُ لها بأن تسألني مثل هذا السؤال الغبيّ؟".

مدّت المرأة ذات الشعر الكبير يدها، وفي الحال وضع شخصٌ ما أمامها قنينة ماء، فارتشفته ارتشافًا.

رفع الدكتور كلاي يده وقال: "إذا سمحتم لي – في الواقع – أعتقدُ أنّنا جميعًا ندرك أنّ مريضتي بفضل قوّة إرادتها قد تجاوزت ذلك".

أخبرت المرأة *ما*: "إذا كنتِ بحاجة إلى استراحة، فيمكننا استئناف التسجيل لاحقًا".

هزّت *ما* برأسها: "دعينا ننجزِ الأمر".

فتحدّثت المرأة مثل الرجل الآلي، وقد اعتلت شفتيها ابتسامة عريضة مزيّفة: "حسنًا، أودّ العودة إلى نقطة محدّدة، إلى وقت ولادة جاك، فبعض مشاهدينا يتساءلون إن فكّرت للحظة...".

"ماذا؟ أأضع وسادة على رأسه؟".

هل *ما* تقصدني؟ لكن الوسائد توضع تحت الرؤوس.

لوّحت المرأة بيدها ذهابًا وإيابًا: "لا سمح الله، لكن هل فكّرت يومًا ما في مطالبة آسرك بأخذ جاك بعيدًا؟".

"بعيدًا؟".

".. وتركه أمام باب مستشفى أو دار للأيتام، حيث يمكن تبنّيه، مثلك أنتِ، فكنت محظوظة جدًّا، كما أعتقد".

أستطيع أن أرى *ما* وهي تزدرد لعابها: "لِمَ قد أرغب في فعل ذلك؟!"

"حسنًا، لكي يكون حرًّا".

"أيكون حرًّا بعيدًا عنّي؟!"

"يمكن اعتبار ذلك تضحية، بالطبع – التضحية المطلقة – إن كان ذلك سيتيح لجاك عيش طفولة طبيعية وسعيدة مع عائلة محبّة".

قالت *ما*: "لديهِ أنا، وقد عاش طفولته معي أنا، بغضّ النظر عن إن كنتِ ستوافقين على أنها طبيعية أم لا".

قالت المرأة: "لكنكِ كنتِ تعرفين ما كانَ يفتقده في كلّ يوم عاشه هناك، كان يحتاج إلى عالمٍ أوسع، والمكان الوحيد الذي تمكّنتِ من منحِهِ إيّاه كان ضيقًا جدًّا، ولا بدّ أن تكون قد لوّعتك الذكريات حول كلّ الأشياء التي لم يكن جاك على درايةٍ بها، وكان من حقّه أن يطالب بالحصول عليها: الأصدقاء، المدرسة، العشب،

السباحة، ركوب الخيل، زيارة المعارض..."

أصبح صوت *ما* أجشّ: "لماذا يستمرّ الجميع بالحديث عن المعارض؟ عندما كنتُ طفلة كرهتُ الذهاب إلى المعارض".

ضحكت المرأة قليلًا.

وسالت دموع *ما* على وجنتيها، فرفعت يديها لمسحها، فنهضت عن مقعدي، وركضت نحوها، فسقط شيءٌ ما وانبعث صوت سقوطه في المكان، فاقتربت من *ما* واحتضنتها، فصرخ موريس: "لن يظهر الصبيّ".

* * *

عندما استيقظتُ في الصباح كانت *ما* قد غابت، ولم أكن أعلمُ أنها ستشهدُ أيّامًا كهذه في العالم.

هززت بذراعها لكنها تأوّهت قليلًا، ووضعت يدها تحت الوسادة، أنا عطشان جدًّا، وتقلّبت بالقرب منها محاولًا الحصول على القليل من الانتباه، لكنها استدارت وتركتني، وبقيتُ مُلتفًّا بجانبها لمئات الساعات، من دون أن أعرف ماذا عليّ أفعل، ففي الغرفة عندما كانت *ما* تغيب كنت استيقظ بمفردي، فأحضر الفطور، ثمّ أشاهد التلفاز.

حاولت أن آخذ نَفَسًا عميقًا، ولكن لم يعد يوجد شيء في أنفي، أعتقدُ أنني تخلّصت من الزكام، وسأذهب واسحب الحبل لرفع الستارة قليلًا، فالضوء ساطع، وهو ينبعث من النافذة، وفجأة ظهر غرابٌ، فجفلت وتراجعت إلى الوراء، ولكن لا أعتقد أنَّ *ما* ستحبُّ الضوء الساطع، لذلك أعدت إسدال الستارة.

أصدر بطني صوت قرقرة، قر قر قر، ثمّ تذكّرت الجرس بجوار السرير، فضغطت عليه، ولم يحدث شيء، ولكن بعد مرور دقيقة طرقُ الباب طق طق طق.

فتحتهُ قليلًا، إنها نورين: "مرحبًا أيّها الأليف، كيف حالك اليوم؟!"

همست إليها: "أنا جائع لقد غابت أمّي".

"حسنًا، هيا لنجدها، فأنا متأكّدة من أنها خرجت لمدّة دقيقة".

"لا، إنّها هنا، ولكنها موجودة جسدًا من دون روح، إن أردنا أن نصوّر حالتها".

بدا الارتباك على وجه نورين: "انظري"، وأشرت إلى السرير: "إنها هنا، لكنّها لم تستيقظ".

نادت نورين أمّي باسمها الآخر، وسألتها إن كانت بخير، فهمستُ إليها: "لا تتحدّثي إليها".

قالت *لما* بصوتٍ أعلى: "هل يمكنني أن أساعدك في شيء؟".

"دعيني أنام"، لم أسمع *ما* تقول أيّ شيء عندما كانت تغيب من قبل، وصوتها بدا أشبه بصوتِ الوحوش قليلًا.

ذهبت نورين إلى الخزانة، وجلبت لي الملابس، فالأمر صعبٌ في الظلام غالبًا، ثمّ أدخلت ساقًا في أحد شقّي البنطال، وأتّكأت على نورين لثانية لأدخل الساق الأخرى في الشقّ الثاني، إنَّ ملامسة الناس عن قصد ليس بالأمر السيّئ، وإنما الأسوأ عندما يلامسونني، فأشعر بأنّ ملامستهم كصدمات كهربائية.

همست إليها: "الحذاء"، فأجد الفردين وأنتعلهما، ولكنهما ليسا فردي الحذاء المطّاطيّ الذي أفضّله، فقالت نورين وهي عند الباب: "مظهرٌ جيّدٌ"، ولوّحت لي بيدها لأتبعها، فأشدّ ربطة شعري الذي كان مبعثرًا، وتناولت مشطي والحجر ومفتاحي الخاصّ ووضعتها في حقيبتي، فقالت نورين في الممرّ: "لابدَّ أن أمّك منهكة بعد المقابلة، وخالك ينتظر استيقاظكما في مكتب الاستقبال منذ نصف ساعة".

المغامرة! ولكننا لا نستطيع خوضها اليوم، لأنّ *ما* غائبة. وكان الدكتور كلاي يتحدّث إلى نورين في أعلى الدرج، فتمسّكت بالدرابزين بكلتا يديّ، ونزلت بقدمٍ تلو الأخرى، فانزلقت يدي إلى الأسفل، ولكن لم أسقط، إنها مجرّد ثانية فقط شعرت خلالها بأنني سأسقط، ولكنني كنت أدوس بالقدم الثانية على الدرجة التالية، فأنادي: "نورين".

"فقط لحظة".

"لا، ولكنني أنزل الدرج".

ابتسمت لي وقالت للدكتور: "هلّا نظرتَ إلى ذلك".

قال الدكتور كلاي: "أعطِني يدك".

فتركت يدًا واحدة، وضربنا عاليًا كفًّا بكفٍّ.

مكتبة
t.me/t_pdf

"حسنًا، أما زلتَ تريد أن ترى الديناصورات؟".

"من دون *ما*؟".

أومأ الدكتور كلاي إليه برأسه: "ولكنك ستكون مع خالك وزوجته طوال الوقت، وستكون آمنًا تمامًا، أم تفضّل تأجيل الخروج إلى يوم آخر؟".

نعم، ولكن لا، لأنّ الديناصورات قد تختفي في يومٍ آخر: "اليوم من فضلك".

قالت نورين: "خبرٌ جيّدٌ، في هذه الحالة تستطيع أمّك أن تغطّ في نوم عميق، وأنت يمكنك أن تخبرها كلّ شيء حول الديناصورات عندما تعود".

هذا خالي بول: "مرحبًا صديقي"، لم أكن أعلم أنهُ قد تُرِكَ في غرفة الطعام، وأعتقد أن كلمة صديق تعني رجلًا يتحدّث إلى محبوبه.

جلستُ بجانب بول وتناولت الفطور، هذا غريب، إنه يتحدّث عبر هاتفه الصغير، ويقول إن ديانا هي التي تتحدّث إليه من الطرف الآخر غير المرئيّ.

اليوم يوجد عصير طازج، وقد صُفّي لإزالة الألياف عنه، فكان طعمه لذيذًا، وقد قالت نورين إنهم طلبوه بصفة خاصّة لي.

سألني بول: "هل أنتَ جاهزٌ لرحلتك الأولى إلى الخارج؟".

فقلت له: "ولكنّني في الخارج منذ ستّة أيام، فخرجتُ إلى الهواء الطلق ثلاث مرّات، ورأيت النمل، والمروحية، وزرت طبيب الأسنان".

"واو".

بعد تناول الطعام، ارتديت سترتي، واعتمرت قبعة، ووضعت واقي الشمس، ونظّارة شمسيّة رائعة، ثم أعطتني نورين كيسًا ورقيًا بنيًّا لاستخدامه إن رغبت في التقيؤ.

قال بول عندما خرجنا من الباب الدوّار: "على أيّةِ حال، من الأفضل ألّا تأتي أمّك معنا اليوم، لأنّه بعد عرض البرنامج التلفازيّ الليلة الماضية، بات الجميع يعرفون وجهها".

"الجميع في العالم كلّه".

قال بول: "إلى حدٍّ كبيرٍ".

في مرآب السيّارات مدّ يده إلى جانبي، وشعرت بأنني على وشك أن أمسكها، ثم أعتدها إلى مكانها مرّة أخرى.

سقط شيءٌ ما على وجهي فصرخت، فقال بول: "مجرّد قطرة مطر".

حدّقت إلى السماء، إنها رمادية: "هل ستسقط علينا؟".

"كلّ شيء على خير ما يرام، جاك".

أريد العودة إلى الغرفة رقم سبعة، والبقاء مع *ما* حتّى وإن كانت غائبة.

"ها نحن ذا..."

إنها سيّارة فان خضراء، وديانا تجلس في المقعد الأماميّ خلف المقود، فلوّحت براحة يدها إليّ من خلال النافذة، وأرى في الخلف وجهًا صغيرًا يجلس في الوسط، ولكن ليس للفان باب يفتح، ولكن بول أمسك بمسكة الباب وجذبها بقوّة، فانزلق الباب بسهولة، وصعدت إلى الداخل.

قالت ديانا: "إرجع إلى الخلف، عزيزتي برونوين هل يمكنكِ أن تقولي مرحبًا لابن عمّتك، جاك؟".

إنها فتاة بحجمي تقريبًا، ولديها ضفائر كثيرة مثل ديانا، ولكن في أطرافها يوجد خرزات متلألئة، وفيل من الصوف، وعلى القبعة أشياء صغيرة لها شكل ضفدع.

قالت بصوتٍ حادٍّ جدًا: "مرحبًا جاك".

هناك حزام أمان آخر بجانب برونوين، وقد وضّح لي بول كيفيّة شدّه، إنها المرّة الثالثة التي أفعل بها كلّ شيء بمفردي.

صفّقت ديانا وبرونوين أيضًا، ثمّ سحب بول باب الفان من جديد، فأصدر صوتًا عاليًا، فقفزت من مكاني، أريد *ما*، واعتقدت أنني سأبكي، لكنني لم أفعل.

واصلت برونوين القول: "مرحبًا جاك، مرحبًا جاك"، إنها لا تتحدّثُ بشكلٍ صحيحٍ حتى الآن، فقالت: "دادا يُغنّي"، و"كلّوب جميل"، و"أمّي أريد المزيد من البريتزل بيز"، وهي تقصدُ (أرجوكِ)، ودادا تعني بول، وماما تعني ديانا، لكنهما الاسمان الوحيدان اللذان يمكن أن تقولهما برونوين، تمامًا كما أنّ لا أحد سواي ينادي *ما*.

جزءٌ مني شجاع، والجزء الآخر خائف، ولكنني شجاعٌ أكثر من كوني خائفًا، لأن هذا ليس سيّئًا بقدر التظاهر بأني ميتٌ وملفوف في سجّادة.

كلما أتت سيارة باتجاهنا أقول لنفسي بأنه يجب أن تبقى في الجانب الآخر، أو سيكون على الشرطي أن يضعها في السجن مع الشاحنة البنّية. كانت الصور في النافذة شبيهة بالتلفاز ولكنها ضبابيّة، فكنت أرى اسمنتًا، ودرّاجة نارية، ومقطورة فيها سيّارة واحدة، واثنتان، وثلاث، وأربع، وخمس سيّارات، وهذا رقميّ المفضّل، وفي ساحة أماميّة هناك طفلٌ يدفعُ عربة بيده، وفي داخلها طفلٌ صغيرٌ آخر، فكان ذلك مضحكًا.

هناك كلبٌ يعبرُ الطريق وقد ربطه صاحبه بحبل، وأعتقدُ أنّهُ مقيّدٌ به، ولكن ليس مثل أطفال الحضانة الذين كانوا يمسكون بأيدي بعضهم، وكانت إشارات المرور تتحوّل من اللون الأحمر فالأصفر إلى اللون الأخضر، وفجأة اجتازت امرأة ذات عكّازين الشارع، وحطّ سرب من الطيور الضخمة على القمامة، فقالت ديانا إنَّها مجرّد طيور النورس التي تأكل أيّ شيءٍ، بل كلَّ شيءٍ.

قلت لها: "إنها حيوانات آكلة للحوم".

"أنتَ تعرفُ بعض الكلمات المهمّة".

ثم أشير إلى حيث الأشجار فأسألها: "هل هذه عيادة أخرى؟".

"لا، لا ليست كذلك، ينبغي علينا أن نتوقّف في المركز التجاريّ لانتقاء هديّة

لحفل عيد ميلاد شيريل اليوم بعد الظهر".

المركز التجاريّ يعني مثل المتاجر القديمة التي نشتري منها البقالة الخاصّة بنا، ولكن ليس بعد الآن. ولكن بول لم يرد أن يذهب إلى المركز التجاريّ، لأنه قال إنه لا يعرف ما الذي ينبغي له أن يختاره، لِذا قرّرت ديانا الذهاب بدلًا منه، ولكن برونوين أخذت تردّد: "أنا مع أمي، أنا مع أمي"، لذلك سحبت ديانا برونوين من العربة الحمراء، وقال لها بول: "سأنتظر مع جاك في الفان ريثما تعودان.

فحدّقتُ إلى العربة الحمراء: "هل يمكنني المحاولة؟".

أخبرتني ديانا: "لاحقًا في المتحف".

ثم قال بول: "اسمعوا، أنا بحاجة ماسّة إلى دخول الحمام على أيّة حال، وقد يكون الأمر أسرع إذا ركضنا جميعًا".

"لا أعرف..."

"لا ينبغي أن يكون المكان مزدحمًا خلال أيّام الأسبوع".

نظرت ديانا إليّ من دون أن تبتسم: "جاك هل ترغب في الذهاب إلى المركز التجاريّ في العربة، فقط لمدّة دقيقتين؟".

"نعم".

أركبُ في الخلف وأحرصُ على ألّا تسقط برونوين، لأنني ابن عمّتها الكبير مثل يوحنا المعمدان.

أتحدّث إلى برونوين لكنها لا تستمع إليّ، وعندما ندخل عبر الأبواب، تصدر صوت قرقعة، وتنفتح من تلقاء نفسها، فكدتُ أسقطُ من العربة، لكن بول قال إنَّ كل ما في الأمر أن هناك حاسوبًا صغيرًا يرسل بعض الرسائل للآخر، وأنّ لا شيء يدعو إلى القلق بشأنه.

كلّ شيءٍ أكثر إشراقًا وحيويّةً، لم أكن أعرف أن الداخل يمكن أن يكون كبيرًا مثل الخارج، حتى إنّ هناك أشجارًا، وقد تناهت الموسيقى إلى مسمعي، ولكنني لم أرَ العازفين مع آلاتهم، والشيء الأكثر روعة، كان حقيبة دورا، فنزلتُ من العربة

لألمس وجهها، فبدا وكأنها تبتسم وترقص لي، فهمستُ إليها: "دورا".

قال بول: "آه، نعم، اعتادت برونوين أن تكون صورة دورا على كلّ أغراضها، ولكنها الآن تفضّل هانا مونتانا".

غنّت برونوين: "هانا مونتانا، هانا مونتانا".

حقيبة دورا لها أحزمة، إنها مثل حقيبة ظهر، ولكن مع صورة دورا عليها بدلًا من وجه حقيبة الظهر، ولديها مسكة أيضًا، وعندما حاولت سحبها، ظننت أنني كسرتها، ولكنها صارت حقيبة ذات عجلات، فهي تُحمل على الظهر، وتُجرّ على الأرض في الوقت نفسه، يا لهُ من سحر!

إنها ديانا تتحدّث إليّ: "أحببتها؟ أترغب في أن تحتفظ بأغراضك داخلها؟".

قال لها بول: "ربّما واحدة أخرى لا تكون ورديّة تناسبه أكثر، ماذا عن هذه جاك، أليست جميلة جدًّا؟"، وقد أمسك بحقيبة سبايدرمان.

فعانقتُ دورا عناقًا كبيرًا، أعتقدُ أنها همست إليّ: "مرحبًا جاك".

حاولت ديانا أن تأخذ حقيبة دورا، ولكنني لم أرغب في تركها: "لابأس، يجب أن أدفع للسيّدة، وسأعيدها لك في غضون ثانيتين..."

إنها ليست ثانيتين، إنها سبع وثلاثون ثانية.

قال بول وهو يركض: "الحمّام هناك".

لفّت السيّدة الحقيبة بالورق، لذا لم أعد أستطيع رؤية دورا بتاتًا، ووضعتها داخل كيس كبير من الورق المقوّى، عندها أعطتني إيّاها ديانا، وهي تؤرجحها ممسكةً بالحبل، فأخرجتُ دورا وأدخلت ذراعيَّ في حزاميها، وثبّتها على ظهري، فأنا فعلًا أرتدي دورا، وسألتني ديانا: "ما رأيك؟".

لا أعلم ماذا أقول.

قالت برونوين: "حقيبة جميلة"، وكانت تلوّح بواحدة لامعة ذات قلوب معلّقة على أحزمتها.

"نعم عزيزتي، لكن لديك الكثير من الحقائب الجميلة في المنزل".

أخذت الحقيبة البرّاقة، فصرخت برونوين وسقط أحد القلوب على الأرض.

عاد بول مجدّدًا وسأل: "أيمكننا أن نجتاز بسرع عشرين خطوة، قبل حصول الانهيار الثاني في وقتٍ لاحق؟".

أخبرته ديانا: "لوكنتَ هنا لاستطعتَ تشتيت انتباهها".

"برونوين حقيبة جميلة!".

وضعت ديانا حقيبتها في العربة: "هيّا لنذهب".

التقطتُ القلب ووضعته في حقيبتي مع المقتنيات الأخرى، ومشيت إلى جانب العربة.

ثمّ غيّرتُ رأيي، ووضعتُ كلّ مقتنياتي في حقيبة دورا، في السحاب الأمامي الصغير، وما إن شعرت بألم في قدميّ حتّى خلعتُ حذائي.

ناداني بول: "جاك".

قالت ديانا: "لا تستمرّ في الصراخ باسمه في الخارج، تذكّر".

"آه، صحيح".

رأيتُ تفّاحة عملاقة مصنوعة من الخشب: "أعجبتني".

قال بول: "مذهلة أليس كذلك؟".

خاطب بول ديانا: "ماذا عن هذا الطبل لأجل شيريل؟".

حرّكت عينيها وقالت: "لا تنسَ مخاطر الصداع، ولا تُفكّر في الأمر حتّى".

سألت: "أأستطيعُ أخذ التفاحة من فضلك؟".

أجابني بول بابتسامةٍ عريضةٍ: "لا أعتقدُ أنها تناسب حقيبتك".

بعد ذلك وجدت شيئًا أزرق وفضّيًا يشبه الصاروخ: "أريد هذا من فضلك".

قالت ديانا: "إنها وعاء قهوة".

أعادت وضعه على الرفّ: "لقد اشترينا حقيبةً لكَ للتوّ، وهذا فقط ما ستحصل عليه لليوم، حسنًا؟ نحن نبحث فقط عن هديّة من أجل صديقة برونوين وبعدها يمكننا المغادرة".

أمسكت امرأة عجوز بحذائي وقالت: "المعذرة، أتساءلُ إن كان هذا لابنتك الكبيرة؟".

حدّقت ديانا إليها.

قال بول وهو يشير إلى جاربيّ: "جاك، صديقي، ما الذي يجري؟".

قالت ديانا للمرأة العجوز: "شكرًا جزيلًا لكِ"، وأخذتْ منها الحذاء، وجثت على ركبتيها، فجعلتني أقف على قدمي اليمنى وبعدها اليسرى، ثم قالت لبول وهي تشدّ على أسنانها: "أنتَ تستمرُّ في ترديد اسمه".

ولكنني متعجبٌ من ذلك، فما الخطأ في ترديد اسمي.

قال بول: "آسف، آسف".

اسأل: "لماذا قالت ابنتك الكبيرة؟".

قالت ديانا: "آه، بسبب شعرك الطويل وحقيبة دورا".

اختفت المرأة العجوز: "أكانت شخصًا سيّئًا؟".

"لا، لا".

قال بول: "لكن إذا اكتشفت أنك *جاك*، فقد ترغب في التقاط صورة لك بواسطة هاتفها أو بجهاز آخر، وعندها ستقتلنا أمّك".

بدأ صدري يخفقُ بسرعة: "أمّي قد...".

"أعني، أنا آسف...".

قالت ديانا: "يعني ستغضب".

فكّرت في *ما* وهي مستلقية في الغرفة المظلمة. "أنا لا أرغب في إغضابها".

"لا، بالطبع لا".

"هل يمكنك إعادتي إلى العيادة، من فضلك؟".

"قريبًا جدًا".

"الآن".

"ألا تريد رؤية المتحف؟ سنذهب في غضون دقائق".

قالت ديانا لبول: "يجب أن يكون آمنًا بما يكفي، أعتقد أن هناك متجرًا للألعاب بعد قاعة الطعام..."

دفعت حقيبتي طوال الوقت، وقدماي تؤلمانني بسبب حذائي الضيّق للغاية.

كانت برونوين جائعة، لذا اشترينا الفشار، إنّه أكثر شيء مقرمش أكلته على الإطلاق، وقد علق في حلقي، فجعلني أسعل بقوّة.

وقد أحضر بول لهُ ولديانا لاتيه من المقهى.

عندما سقطت قطعة صغيرة من الفشار من كيسي، قالت ديانا لنتركها هناك لأن لدينا الكثير، ونحن لا نعلم ما قد يكون على الأرض من جراثيم، فأحدثتُ جلبة حين تذكّرت ذلك، وفكّرت في أن أمي ستغضب منّي، إن أكملت تناول الفشار، فأعطتني حينها ديانا منديلًا مبلّلًا لأمسح به أصابعي، فوضعته في حقيبة دورا.

المكانُ كان صاخبًا جدًّا هنا، وأعتقدُ أننا ضعنا، كم أتمنّى لو كنت في الغرفة رقم سبعة!

أردتُ أن أتبوّل، فأخذني بول إلى حمام فيه أحواض دائرية معلّقة على الحائط، وقال لي: "ابدأ".

"أين المرحاض؟".

"هناك مراحيض خاصّة لنا نحن الذكور".

هززت برأسي وخرجت مجدّدًا.

قالت ديانا إنه يمكنني الذهاب معها ومع برونوين، فتركتني أختار الزاوية: "عملٌ عظيمٌ جاك، لا للرّشّ نهائيًا".

لماذا سأرشُّ؟

أنزلت برونوين ملابسها إلى الأسفل، إنه لا يشبه القضيب، أو مهبل أمي، إنه قطعة صغيرة من الجسم مطويّة في المنتصف من دون شعر، فأضعُ إصبعي عليه وأضغط، إنه إسفنجيّ، فأبعدت ديانا يدي.

ولكنني لم أستطع التوقّف عن الصراخ.

"اهدأ جاك، هل أنا.. هل جرحت يدك؟".

نزف معصمي دمًا كثيرًا.

قالت ديانا: "أنا آسفة، آسفة جدًّا، لابدَّ أنه خاتمي".

"لكن استمع، نحن لا يجب أن نلمس أعضاء بعضنا التناسليّة، فهذا ليس جيّدًا، حسنًا؟".

أنا لا أعرف الأعضاء التناسليّة.

"هل انتهيتِ برونوين؟ دعي الماما تمسح لك".

مسحت الجزء نفسه الذي لمسته من برونوين، لكنها لم تضربْ نفسها.

عندما غسلت يدي، نزف الجرح بغزارة، أما ديانا فاستمرّت تبحث عبثًا عن ضمادة في حقيبتها، وأخيرًا طوت بعض المناديل الورقية البنّيّة، وطلبت مني أن أضغط على الجرح.

سأل بول من الخارج: "هل انهيتم..؟".

قاطعته ديانا: "لا تسأل عن ذلك، أيمكننا مغادرة هذا المكان حالًا؟".

"ماذا عن الهدية من أجل شيريل؟".

"يمكننا لفّ شيءٍ ما يبدو جديدًا من أغراض برونوين".

صرخت برونوين: "ليس شيئًا ملكي".

إنهم يتجادلون، ولكنني أريد أن أكون في السرير مع *ما* في الظلام، لأشعر بحنانها من دون موسيقى غير مرئيّة، ولا مشاهدة شخص غاضب، أو فتيات يضحكن وهنّ يعقد أذرعهنَّ معًا، فتظهر أجزاء من أجسادهنّ من خلال ملابسهنَّ القصيرة والضيّقة.

أضغط على الجرح لإيقاف النزيف، وأغمضُ عيني وأنا أمشي، فأصطدم بحوض نبات، في الواقع إنها ليست نبتة حقيقية، فالنبتة تشبه تلك التي تكون حيّة ثم تذبل، إنها واحدة بلاستيكية.

ثم رأيتُ شخصًا يبتسم لي، إنّه دايلان! فركضت وعانقته.

قالت ديانا: "كتاب، ممتاز، أعطني ثانيتين".

"إنّه الحفّار دايلان، إنّه صديقي من الغرفة".

ثمّ قلت لبول: "إنهُ دايلان، الحفّار القويّ! الأثقال التي يحملها أكبر وأكبر، شاهِدْ ذراعه الطويلة إنها تتوغّل في الأرض...".

"هذا رائع، صديقي، الآن هل يمكنك العثور على المكان الذي سيعود إليه؟".

لمست الغلاف الأماميّ لدايلان، لقد كان ناعمًا ولامعًا، كيف وصلَ إلى المركز التجاريّ؟

"احذر لا تلطّخه بالدماء"، ووضع بول ضمادة على يدي، لابدَّ أنّ ورقتي البنّية قد سقطت: "لِمَ لا تختار كتابًا مختلفًا لم تقرأهُ أبدًا من قبل؟".

حاولت برونوين الحصول على القطعة اللامعة الملصقة على الكتاب: "ماما، ماما".

قالت ديانا: "اذهب وادفع"، ووضعت الكتاب في يد بول وركضت إلى برونوين.

أفتح حقيبتي دورا، وأضع دايلان فيها، ثم أغلق السحّاب ليكون آمنًا.

عندما عادت ديانا وبرونوين مشينا بالقرب من النافورة لنسمع صوت قطرات الماء وهي تنساب فيها، ولكنها لم تكن تتدفّق بقوّة.

قالت برونوين: "نقود، نقود"، لِذا أعطتها ديانا قطعة نقود معدنية فرمتها في الماء، وسألتني ديانا: "أتريدُ واحدة؟".

لابدَّ أنها قمامة خاصّة بالمال إنها قذرة جدًّا، أخذتُ القطعة ورميتها فيها، وأخرجتُ المنديل المبلّل لأنظّف أصابعي.

"هل تمنّيتَ أمنية؟".

لم يسبق لي أن تمنّيت شيئًا عندما رميت القمامة: "من أجلِ ماذا؟".

قالت ديانا: "من أجل الحصول على أيّ شيء تفضّلهُ في العالم".

ما هو أكثر شيء أفضّل الحصول عليه؟ أفضّل أن أكون في الغرفة، لكن لا أعتقد أن ذلك يعدُّ الأفضل في العالم.

هناكَ رجلٌ يتحدّث إلى بول، وهو يشير إلى دورا خاصّتي.

أتى بول وفتح السحّاب وأخرج دايلان: "جا.. صديقي!"

قالت ديانا: "أنا آسفة جدًا".

قال بول: "إنه يملك نسخة من الكتاب في المنزل، أتراه ظنّها نسخته".

سلّم دايلان إلى الرجل.

ركضت وقبضت على النسخة مجدّدًا، وقلت: "هذا دايلان الحفّار القويّ، الأوزان التي يحملها أكبر وأكبر".

قال بول: "إنّه لا يفهم".

"شاهدْ ذراعه الطويلة، تتوغّل داخل الأرض...".

سحبت ديانا الكتاب من يديّ.

"جاك، عزيزي، هذا الكتاب ملك المتجر".

تمسّكتُ به بقوّة أكبر ودفعته إلى أسفل قميصي، فأخبرت الرجل: "أنا من مكانٍ آخر، العجوز نيك أبقاني أنا وأمي محبوسين، وهو في السجن الآن مع شاحنته، ولكن الملاك لن يخرجهُ لأنهُ رجلٌ سيّئ، ونحن مشهوران، وإذا التقطت صورًا لنا فسنقتلك".

رمش الرجل.

سأله بول: "حسنًا، كم ثمن الكتاب؟".

أجابه الرجل: "أحتاج إلى مسحه ضوئيًا...".

رفع بول يده لأخذه، فانطويت على الأرض وتشبّثت بدايلان.

قال بول: "لِمَ لا نجد لك نسخة ثانية لتمسحها ضوئيًا".

وركض عائدًا إلى داخل المتجر.

نظرت ديانا حولها في كلّ مكان وصرخت: "برونوين؟ عزيزتي؟"، وتوجّهت صوب النافورة ونظرت إليها مطوّلًا: "برونوين؟"، في الواقع كانت برونوين خلف واجهة الفساتين، وهي تضع لسانها على الزجاج.

صرخت ديانا: "برونوين؟".

أخرجتُ لساني أنا الآخر، فضحكت برونوين من خلف الزجاج.

* * *

شعرت بالنعاس في الفان الأخضر وسهت عيني قليلًا، وما إن وصلت حتى التقيت بنورين فقالت إنَّ حقيبتي دورا مذهلة والقلب اللامع أيضًا، وأنّ الحفّار دايلان يبدو كتابًا عظيمًا، ثمّ سألتني: "كيف كانت الديناصورات؟".

فأجبتها: "لم نملك الوقت الكافي لرؤيتها".

"آهٍ، مؤسف"، وأعطتني لاصقًا لأضعه على معصمي، لكنه لم يكن مزيّنًا بالصور.

"لقد كانت نائمة طوال اليوم، وستبهجها رؤيتك".

تنقر نقرًا خفيفًا، ثم ينفتح باب الغرفة رقم سبعة.

أخلع حذائي ولكن ليس ملابسي، وأخيرًا وصلت إلى *ما*.

إنها دافئة وناعمة، احتضنتها بعناية، ولكنّ رائحة الوسادة كريهة.

همست نورين: "أراك في وقت الغداء صديقي"، وأغلقت الباب خلفها.

القيء سيّئ، أنا أتذكّر ذلك منذ هروبنا الكبير، فقلت *لما*: "استيقظي، لقد مرضتِ على الوسادة".

لم تفتح عينيها، ولم تتأوّه، ولم تتقلّب على السرير، وعندما دفعتها بقوّة لم تتحرّك، فهذا أطول غياب قامت به على الإطلاق "*ما*، *ما*، *ما*!"

أعتقدُ أنها في غيبوبة.

صرخت: "نورين؟"، وأنا أركض إلى الباب، لا أقصد إزعاج الناس، لكن...

"نورين؟" إنها في نهاية الممرّ، فاستدارت لتنظر إليّ: "*ما* تقيّأت".

"لا تقلق كلّنا يحصل لنا ذلك، والعلاج بسيط، لا تحتاج إلى أكثر من حبّتين، دعني أُحضر العربة...".

"لا، تعالي بسرعة".

"حسنًا، حسنًا".

عندما أدرت المصابيح، نظرتْ نورين إلى *ما* فلم تقل إنها بخير، بل التقطت الهاتف وقالت: "حالة طارئة، الغرفة سبعة، الحالة طارئة...".

لا أعلم ما الذي... عندها رأيت علبة دواء *ما* مفتوحة على الطاولة، ولكنّها تبدو فارغة، فلا يجب أن تأخذ أكثر من حبّتين من هذه العلبة، وكيف يمكن أن تكون فارغة تمامًا، أينَ ذهبت الحبوب؟ فرأيت نورين تضغط على جانب حلق أمي وهي تقول اسمها الآخر: "هل يمكنكِ سماعي؟ هل يمكنكِ سماعي؟".

لكنني لا أعتقد أن أمّي تستطيع أن تسمع، لا أعتقد أن أمّي تستطيع أن ترى.

صرخت: "فكرة سيّئة، فكرة سيّئة، فكرة سيّئة".

دخل عدد كبير من الأشخاص وبسرعة، دفعني أحدهم خارجًا إلى الممرّ فصرخت: "*ما*"، بكلّ ما استطعت، ولكن صراخي لم يكن كافيًا لإيقاظها.

مكتبة
t.me/t_pdf

الحياة

أنا في المنزل حيث الأرجوحة الشبكية، أنظر إليها، لكن جدّتي تقول إنه يجب وضعها في الفناء الخلفيّ، وليس الأماميّ، كما تقول إنه لم يحن وقت تعليقها بعد، لأننا لا نزال في العاشر من نيسان. وقد كان هناك شجيرات وأزهار، والرصيف، والشارع، والساحات الأماميّة للمنازل الأخرى، فعددتُ أحدَ عشرَ واحدًا صغيرًا من المنازل التي يعيشُ فيها الجيران مثل غاري الشّحّاذ.

كم هو مزعج شعور ألم السنّ، إنه في الجهة اليمنى، وأنا أتحسّسهُ بوسط لساني.

السيارة البيضاء في الخارج لا تتحرّك، لقد ركبتُها من العيادة إلى منزل جدّتي، على الرغم من عدم وجود مِقوَد.

كان يريد الدكتور كلاي أن أبقى في العيادة من أجل الاستمرار بالعزلة العلاجيّة، لكن جدّتي صرخت في وجهه، لأنه لا يُسمحُ له أن يسجنني هناك، وأنا أملك عائلة.

عائلتي هي جدّتي، جدّي الثاني، برونوين، الخال بول، ديانا جدّي الحقيقيّ، *وما*.

أحرّك السنّ داخل خدّي، وأسأل جدّتي: "هل توفّيَت؟".

"لا، قطعًا لا".

أسندت جدّتي رأسها إلى الإطار الخشبيّ الذي يحيط بالزجاج.

أحيانًا عندما يقول شخصٌ ما كلمة *قطعًا* يصبح صوته في الواقع أقلّ وضوحًا.

أسألُ جدّتي: "أتعبثين بي من خلال قولك إنها على قيد الحياة؟ لأنها إن لم تكنْ كذلك، لا أريد أن أكون على قيد الحياة على الإطلاق".

انهمرت دموع جدّتي على وجهها مجدّدًا: "أنا لا.. لا أستطيعُ إخبارك أيّ شيء أكثر من الذي أعرفهُ، عزيزي، يقولون إنهم سيتّصلون بنا في أقرب وقت ممكن، عندما يكون لديهم مستجدّات".

"ما هي المستجدّات؟".

"كيف حالها في هذه اللحظة".

"كيف حالها؟".

"حسنًا، إنها ليست بخير، لأنها تناولت الكثير من الأدوية السيّئة، كما أخبرتك، لكن يُحتمل أنهم أخرجوها الآن من معدتها، أو معظمها على الأقلّ".

"لكن لماذا هي...؟".

قالت جدّتي: "لأنّها لم تكن بخير، فقد ألمّ برأسها خطب ما، ولكن يتمّ الاعتناء بها الآن، فلا داعي للقلق".

"لماذا؟".

"لأنّه لا يجدي نفعًا".

إن وجه الله محمرّ بالكامل(*) ومعلّق على المدخنة، ولكنّه يصبحُ مظلمًا أكثر الآن.

السنّ يحفر في لثّتي، إنّ جرحُ السنِّ سيّئ كثيرًا.

قالت جدّتي: "أنتَ لم تلمس اللازانيا الخاصّة بك، أترغبُ في كأسٍ من العصير أو أيّ شيء آخر؟".

أهزّ برأسي رافضًا.

"أأنتَ متعب؟ لابدَّ أنّكَ متعبٌ، جاك، الله يعلم أنك كذلك، تعالَ إلى الأعلى، وانظر إلى الغرفة الاحتياطيّة".

"لماذا هي احتياطيّة؟".

"هذا يعني أننا لا نستخدمها".

"لماذا تمتلكين غرفة لا تستخدمينها؟".

هزّت جدّتي بكتفيها: "لأنّك لا تعلم أبدًا متى قد تحتاج إليها"، ونظرت خلفي بينما كنت أصعد الدرج، لأنّه لا يوجد درابزين لأتمسّك به، وجررتُ حقيبتي دورا خلفي وهي ترتطم ارتطامًا، ثم دخلنا عبر الغرفة التي تدعى غرفة الجلوس، وأنا

(*) تعبير ساذج لطفل سجين طوال حياته غير قادر على التعبير عن طبيعة الأشياء وواقعها.

أتساءل، لِمَ جدّتي وجدّي الثاني يستخدمان كلّ الغرف ماعدا الغرفة الاحتياطيّة؟

فأصدرت صوت تأوّه مروّع *واه، واه*، وغطّيت عينيَّ، فقالت جدّتي: "من الأفضل أن أفهم ذلك".

بعد دقيقة أدخلتني إلى الغرفة: "هل أنتَ جاهز؟".

"من أجلِ ماذا؟".

"للذهاب إلى السرير، عزيزي".

"ليس هنا".

ضغطت على شفتيها فظهرت الشقوق الصغيرة: "أنا أعلم أنك تفتقد أمّك، لكن الوضع مؤقّت، فأنت تحتاج إلى أن تنام بمفردك، وستكون بخير، وأنا وجدّك الثاني سنكون في الأسفل، وأنتَ لا تخاف من الوحوش، أليس كذلك؟".

ذلك يعتمد على الوحوش، إن كانت حقيقيّة أو لا، وإذا كانت حيثُ أنا.

قالت جدتي: "ممم، غرفة والدتك القديمة بجانب هذه الغرفة، لكننا حوّلناها إلى جناح لياقة بدنيّة، ولا أعلم إذا كان هناك مساحة للتّمدّد.

هذه المرّة صعدت الدرج على قدميّ، وأنا أضغط على الجدران، أمّا جدّتي فحملت حقيبتي دورا، وقد كان هناك حصائر إسفنجية زرقاء، وأثقال، وجهاز لتمارين البطن، وقد رأيتُ سابقًا على شاشة التلفاز كلّ هذه الأشياء.

قالت جدّتي وهي تشير إلى درّاجة ملتصقة بالأرض: "كان سريرها هنا، إلى يمين الغرفة، عندما كانت طفلة"، ثم أردفت قائلة: "وكانت الجدران مغطّاة بالملصقات، للفرق الموسيقية التي تحبّها، ومروحة كبيرة، وصائد أحلام".

لماذا تصطاد أحلامها.

"ما هذا؟".

"المروحة".

"لا، لا، كانت مجرّد ديكور، وأنا أشعر بالاستياء لأنني رميتها خارجًا بنيّة حسنة، فقد كان المعالج النفسيّ ضمن مجموعة علاج الاكتئاب هو من نصحني

بذلك..."

تثاءبت، فكاد السنّ ينزلق على الأرض، لكنني التقطته بيدي.

قالت جدّتي: "ما هذا؟ حبّة أو شيء ما؟ لم تمصّ أي شيء صغير على الإطلاق، هل فعلتَ...؟".

حاولت أن تشدّ أصابعي لتفتَحها كي تأخذه، فضربت بيدي بطنها بقوّة.

حدّقت إليّ.

ثم أعدت وضع السنّ تحت لساني وأغلقت أسناني.

"ما رأيك، سأضع لك فراشًا لتتمدّد عليه بجانب سريرنا، فقط الليلة، حتّى تشعر بالاستقرار في هذا المنزل؟".

فأسحب حقيبتي دورا خلفي، ونتوجّه إلى الباب التالي حيث ينام جدّي الثاني وجدّتي.

بالون التّمدّد هو حقيبة كبيرة، استمرّت المضخّة في الفرقعة من الثقب الجانبيّ، حتى نادت جدّتي جدّي الثاني لتطلب المساعدة.

عندها امتلأت الحقيبة بالهواء بشكل كامل مثل البالون وبدت مستطيلة، فوضعت عليها جدّتي ملاءة نظيفة.

من هم الذي ينفخون معدة أمي؟ أين وضعوا المنفاخ؟ هل انفجرت؟

"أين فرشاة أسنانك جاك؟".

وجدتها في حقيبتي دورا التي أضع فيها كلّ أغراضي، فأخبرتني جدّتي أن أرتدي بـ.جـ خاصّتي؛ وهذا يعني البيجامة، وأشارت إلى الفراش وقالت: "استلقِ"، إنّ الأشخاص غالبًا ما يقولون بوب أو هوب عندما يريدون إظهار شيء ما على أنه ممتع، ثم انحنت جدّتي إلى الأسفل، وقد هيّأت شفتيها، لتطبع على خدّي قبلة، وما إن اقتربت منّي، حتّى وضعت رأسي تحت اللحاف.

سألتني: "آسفة، ماذا عن القصّة؟".

"لا".

"متعب جدًّا، ولا ترغب في قراءة القصّة، حسنًا إذًا، تصبح على خير".

أصبحت الغرفة مظلمة بالكامل، أجلسُ، ثم أقول: "ماذا عن الحشرات؟".

"الملاءات نظيفة تمامًا".

لا أستطيع رؤيتها لكنّني أعرف صوتها: "لا، البعوض".

"جاك أنا جاهزة لرفع...".

"لا يجب ترك البعوض يعضّ".

قالت جدتّي: "آه، طابت ليلتك، هانئٌ نومك... هذا صحيح، اعتدتُ قول ذلك عندما كانت والدتك...".

"قوليها بالكامل".

"طابت ليلتك، هانئٌ نومك، لا تدع حشرات السرير تقرصك".

دخلت بعض الأضواء، حين فُتح الباب: "إلى أين أنتِ ذاهبة؟".

أستطيع رؤية ظلّ جدّتي أسود بالكامل من الثقب.

"إلى الأسفل".

أتدحرج خارج الفراش، إنها تتمايل: "وأنا أيضًا".

"لا أنا ذاهبة لأشاهد برامجي، إنها غير مخصّصة للأطفال".

"أنتِ قلتِ إنكِ وجدّي الثاني ستكونان في السرير، وأنا سأكون بالقرب منكما على الفراش الهوائيّ".

"هذا لاحقًا، نحن لسنا متعبين بعد".

مكتبة
t.me/t_pdf

"أنتِ قلتِ إنكما متعبان".

"أنا متعبة من...".

صرخت جدّتي تقريبًا: "أنا لستُ نعسانة، أنا فقط أحتاج إلى مشاهدة التلفاز وأن أُفكّر لبرهة".

"ألا تستطيعين أن تفكّري هنا".

"فقط حاول الاستلقاء وأغمض عينيك".

"لا أستطيع، فعل كلّ ذلك بمفردي".

قالت جدّتي: "آه، آه، أيها المخلوق المسكين".

لِمَ أنا مسكين ومخلوق؟

انحنت بجانب الفراش ولمست وجهي.

ابتعدت.

"كنت أريد أن أغمض عينيك".

"أنتِ على السرير، وأنا على الفراش".

أسمعُ تأفّفَ أنفاسها: "حسنًا، سأستلقي لدقيقة فقط..."

أرى ظلّها أعلى اللحاف، وشيءٌ ما يسقط متثاقلًا، إنّه حذاؤها.

همست جدّتي إليّ: "هل تريدُ تهويدة ما؟".

"أغنية؟".

غنّت لي *ما* الأغاني، ولكنها لن تغنّي لي أيّ واحدة منها بعد الآن، فقد تسبّبت بارتطام رأسي بالطاولة في الغرفة رقم سبعة، وأخذت الأدوية المضرّة، وأعتقدُ أنها متعبة جدًا لتدندن بعد الآن، كما أنها كانت على عجلٍ للوصول إلى الجنّة؛ لِذا لم تنتظر، فلماذا لم تنتظرني؟

"هل تبكي؟".

لم أَقُلْ شيئًا.

"آه، عزيزي، حسنًا، إنها أفضل ممّا كانت عليه".

أريد أن أحظى بالقليل، أنا حقًّا أريد أن أحظى بالقليل، ولا أستطيع الخلود إلى النوم من دونه.

مصصت سنّها، أيًا يكن حاله، لأنّه شيء منها، ومن خلاياها البنيّة اللون الفاسدة، فهل السّنّ هو الذي أفسدها أم أنه كان فاسدًا أصلًا.

ولماذا هي أسوأ ممّا كانت عليه؟ قالت *ما* سنكون أحرارًا ولكن هذا لا يُشعرني بالحرّية.

غنّت لي جدّتي بهدوءٍ جدًّا، وأنا أعرف تلك الأغنية ولكن صوتها كان قويًّا.

"عجلات الباص تذهب...".

قلت: "لا، شكرًا". فتوقّفت.

* * *

أنا وما على البحر، عالق في شعرها، ومعقود بالكامل، وأكاد أغرق...، إنه حلم سيّئ، ما الذي ستقوله *ما* لو كانت هنا؟ لكنها ليست موجودة.

أنا مستلقٍ وأعدُّ أصابع يدي الخمس، وأصابع اليد الأخرى الخمس، وأصابع القدم الخمس، وأصابع القدم الأخرى الخمس، ثم لوّحت بأطرافي الواحد تلو الآخر، وحاولت التّحدّث إلى *ما* في رأسي: "*ما*؟ *ما*؟ *ما*؟"، فلم أستطع سماع إجابتها.

عندما بدأت الشمس بالإشراق، وضعت اللحاف فوق وجهي لجعل المكان مظلمًا.

لا بدّ أن هذا شبيه بشعور الغياب.

طاف الأشخاص وهمسوا إليّ: "جاك؟". إنها جدّتي بالقرب من أذني، لِذا تدحرجت بعيدًا: "كيف حالك؟".

أتذكر دروس الآداب: "ليس مئة في المئة اليوم، شكرًا لكِ".

أنا غاضب لأن السنّ يعلق بلساني، وعندما ذهبت جدّتي، نهضت من فراشي، وبدأت أعدّ أشيائي في حقيبتي دورا.

ملابسي وحذائي، ومفتاحي الخشبيّ، والقطار، ومربّع الرسم، والجرس، والقلب اللامع، والتمساح، والحجر، والقرد، وسيارة، وستّة كتب، فالسادس هو دايلان الحفّار من المتجر.

ساعات كثيرة لاحقًا، رن رن، صوت رنين الهاتف.

رجعت جدّتي إلى الغرفة، وقالت: "كان الدكتور كلاي، ويقول إنّ حالة أمّك مستقرّة، وذلك يبدو جيّدًا، أليس كذلك؟".

صوته مثل الأحصنة.

"أيضًا، هناك فطائر التوت البرّي لأجل الفطور".

أستلقي بسكونٍ كبيرٍ، وكأنني هيكل عظميّ، وتفوح رائحة اللحاف المغبر.

يُقرعُ الباب، وينبعث صوت الجرس دينغ دونغ، فتنزل إلى الأسفل مجدّدًا، وتعلو الأصوات، فأعدّ أصابع قدميّ وبعدها أصابع يديّ، وبعدها أسناني بالكامل مجدّدًا، وأصل في كلّ مرّة إلى الرقم الصحيح، ولكنني أظلّ غير متأكّد، وتصعد جدّتي مجدّدًا مقطوعة الأنفاس لتقول إن جدّي هنا ويريد أن يودّعني.

"أنا؟".

"نحن جميعًا، فهو سيحلّق عائدًا إلى أستراليا، انهض الآن، جاك، فلن يفيدَك التململ على الفراش".

لا أعلم ماذا يعني ذلك: "هو لم يُردني أن أُولد".

"لم يُردْ ماذا؟".

"قال ينبغي ألّا أكون موجودًا، عندها ما كانت *ما* لتكون أمّي".

لم تقلْ جدّتي شيئًا، لذلك اعتقدتُ أنها عادت إلى الأسفل.

أخرجتُ وجهي لأرى، ولكنها لا تزال هناك، وقد وضعت يديها على خاصرتيها: "لا ترفض النزول فهذا معيب".

"أيًا يكن...".

"فقط تعالَ إلى الأسفل وتناول فطيرة".

"لا أستطيع".

قالت جدّتي: "انظر إلى نفسك".

كيف أبدو؟

"أنتَ تتنفّس وتمشي وتتحدّث وتنام من دون *ما*، ألستَ كذلك؟ لذلك أراهن أنك تستطيع أن تأكل من دونها أيضًا".

أترك السنّ في خدّي، وقد استغرقني نزول الدرج وقتًا طويلًا.

في المطبخ، جدّي الحقيقيّ لديه لون بنفسجيّ على فمه، ففطيرته منقوعة تقريبًا في بركة من الشراب ذي اللون البنفسجيّ وهو لون التوت الأزرق.

الأطباق بيضاء عاديّة، لكن الكؤوس ذات شكل غريب، وهناك وعاء كبير من الهوت دوغ، لم أعلم أنني كنت جائعًا، فأكلتُ أوّلًا شطيرة واحدة من الهوت دوغ، ثم تناولت اثنتين إضافيتين.

قالت جدّتي إن إبريق العصير قد فرغ، ولكن يجب عليَّ أن أشرب شيئًا ما، أو سأختنق بالهوت دوغ، فأشربُ اللّب لتتمزّق الجراثيم أسفل حلقي. وكانت الثلاجة ضخمة وممتلئة بالصناديق والزجاجات، وتحتوي الخزائن على الكثير من الأطعمة في داخلها.

يجب أن تبتعد جدّتي بضع خطوات لإلقاء نظرة عليها جميعًا.

قالت جدّتي إن عليّ أن أستحمّ، ولكنني تظاهرت بأنني لم أسمع.

سألتُ جدّي: "ما هو الاستقرار؟".

"الاستقرار؟"، خرجتْ دمعة من عينه فمسحها، "أعتقد أنّ ليس أفضل، ولا أسوأ منه في الحياة"، ووضع سكّينه وشوكته معًا على طبقه.

ليس أفضل وليس أسوأ من ماذا؟

تذوّقت الأسنان كلّ أنواع العصائر، وعدتُ إلى الأعلى لأنام.

* * *

قالت جدّتي: "عزيزي، أنتَ لن تنفق يومًا كاملًا آخر، وأنت تحملقُ إلى شاشة التلفاز".

"ماذا؟".

أوقفت عمل التلفاز: "حدّثني الدكتور كلاي عبر الهاتف عن حاجات للنموّ، وتوجّب عليّ إخباره أننا كنا نلعب لعبة الداما".

أرمش بعيني، لماذا أخبرَتْهُ كذبًا: "هل *ما*...؟".

"قال إن حالتها لا تزال مستقرّة، أتريد أن تلعب الدّاما؟".

"إنّ أشياءكِ للعمالقة".

تنهّدت جدّتي: "سأخبرك مجدّدًا، إنها وحدات نظامية متشابهة، ولكن الشطرنج ولعبة الورق المغناطيسيّة الصغيرة التي تعود إليك وإلى أمك، والخاصّة بكما تستخدم عند السفر".

لكنّنا لم نسافر.

"هيّا بنا نذهب إلى الملعب".

هززت برأسي، فقالت *ما* إننا سنذهب معًا عندما نصبح حرّين.

"لقد سبق لك أن خرجت عدّة مرّات".

"كان ذلك في العيادة".

"إنّه الهواء نفسه، أليسَ كذلك؟ هيّا بنا، أخبرتني أمّك أنّك تحبّ التّسلّق".

"نعم، أنا أتسلّق على الطاولة، وعلى كرسيّنا وعلى السرير آلاف المرّات".

"ليس على طاولتي أيها السّيّد".

أنا قصدتُ في الغرفة.

شدّت جدّتي ربطة شعري كثيرًا، ودفعت بشعري أسفل سترتي، فسحبته مجدّدًا إلى الخارج، ولم تقل شيئًا بشأن واقي الشمس وقبعتي، ربما الجلدُ لا يحترق في هذا الجزء من العالم؟، ثم قالت: "ضع نظّارتك الشمسيّة، وانتعل حذاءك المناسب".

لقد أتعب المشي قدميّ، حتى عندما لم أكن أنتعل حذاء الفيلكرو، كنّا بأمان ما دمنا نسير على الرصيف، ولكن إذا ذهبنا إلى وسط الشارع حيث تحصل الحوادث فسنموت، فقالت حينها جدّتي إنها لا تكذب عليّ، وإن *ما* لا تزال على قيد الحياة، ولكنها كذبت على الدكتور كلاي بشأن لعبة الدّاما فقط. إنّ السير على الرصيف يتوقّف باستمرار، لذلك يجب علينا اجتياز الشارع، وسنبقى بخير طالما كلّ واحد منا يمسك بيد الآخر، ولكنني لا أرغب في التلامس، ولكن جدّتي تقول

ذلك سيّئ جدًّا، بالإضافة إلى أن الهواء كان يلفح عينيّ، والشمسُ كانت ساطعة جدًّا حول حوافي ظلالي.

رأيت ربطة شعر مطّاطية، وغطاء زجاجة، وعجلة سيارة ولكنها لم تكن لسيّارة حقيقية، وإنّما للعبة، وكيس مكسّرات فارغًا، وصندوق عصير، ولا يزال بإمكاني رؤية بعض العصير يتسرّب منها، وبرازًا أصفر...

قالت جدّتي إن البراز لا يعود إلى إنسان، بل إلى كلبٍ مقرفٍ، ثمّ شدّت سترتي وقالت: "ابتعد عن ذلك"، لا ينبغي بالقمامة أن تكون هنا، ماعدا الأوراق التي تتساقط من الأشجار، ففي فرنسا يتركون كلابهم تتبرّز في كلّ مكان، وسأذهب إلى هناك يومًا ما.

"لتري البراز؟".

أجابت جدّتي: "لا، لا، لأرى برج إيفل، ويومًا ما عندما تصبح أنت جيّدًا حقًّا في صعود الدرج ستزورها".

"هل فرنسا في الخارج؟".

نظرت إليّ باستغراب.

"في العالم؟".

"كلّ مكان يوجد في العالم، وها نحن وصلنا!".

لا أستطيع الذهاب إلى الملعب، لأنّ هناك أطفالًا ليسوا أصدقاءً لي.

حرّكت جدّتي عينيها: "يجب عليك أن تلعب، هذا ما يفعله كلّ الأطفال".

أستطيع أن أرى عبر السياج، إنه يشبه الأسلاك السرّية في الجدران والأرض التي لم تستطع أمّي أن تحفر عبرها، ولكننا خرجنا، فأنا أنقذتها، ولكنها لم ترغب في الحياة.

هناك فتاة كبيرة انقلبت رأسًا على عقِب وهي تتأرجح في الأرجوحة، وصبيّان على شيءٍ لا أتذكّر اسمه، ذلك الذي يتحرّك إلى الأعلى والأسفل، إنهما يقفزان ويضحكان، ويسقطان عن قصدٍ على ما أعتقد.

أعـدُّ أسـناني، فأجدها عشـرين، ومـرّة أخـرى أيضًـا، وبعـد ذلـك لاحظـت أنّ الإمساك بالسياج يصنع خطوطًا بيضاء على أصابعي، ثم لفتت نظري امرأة تحمـلُ طفلًا إلـى أعلـى الزُحلوقـة، فيزحـف مـن خـلال القنـاة، وهـي تنظـر إليـه مـن خـلال الثقوب في الجوانب، وتتظاهر بأنها لا تعرف مكانه.

راقبت مجدّدًا الفتاة الكبيرة التي تتأرجح، فكـاد يلامـس شـعرها الطيـن تـارة، وتارة أخرى يرتفـع إلـى الأعلـى، وكـان الصبيّـان يطـارد أحدهمـا الآخـر، ويحـرّكـان أيـديهما، ويصـدران صـوت بنـادق، فسـقط أحـدهما أرضًـا وبكـى، وركـض خـارج البوّابة ودخل منزلًا.

قالت جدّتي لابدَّ أنه يعيش هناك، كيف عساها تعلم ذلك؟

همسـت إلـيّ: "لِـمَ لا تـذهب وتلعـب الآن مـع الصبـيّ الآخـر؟"، وصـاحـت: "مرحبًا"، فنظر الأولاد إلينا، واختبأت في حضنها، وهي تخز رأسي.

بعد برهة قالـت إن الطقـس بـارد أكثر مما ظنّـت، ربمـا ينبغـي لنـا العـودة إلـى المنزل من أجل تناول الغداء.

استغرقت رحلة العودة مئات الساعات، وأنا أشعر بأنّ قدميّ ما عادتا قـادرتين على حملي.

"ربما سنستمتع بها أكثر في المرّة القادمة".

"لقد كانت ممتعة".

"هل أمّك قالت لك أن تقولَ ذلك عندما لا تحب شيئًا ما؟".

ابتسمت قليلًا: "أنا علّمتها ذلك".

"هل ماتت الآن؟".

صرخت تقريبًا: "لا، كان ليو ليتّصل لو كانت هناك أخبار سيّئة".

ليو هو جدّي الثاني، إنه يربكني بأسمائه الكثيرة، وأنا أريد اسمي جاك فقط.

في المنزل أرتني جدّتي فرنسا على الكرة الأرضية التي تشبه شكل العالم وهـي دائمة الدوران، هذه المدينة التي نحن فيها هي مجرّد نقطة والعيادة في النقطة أيضًـا،

وكذلك الغرفة، ولكن جدّتي تقول إنني لا أحتاج إلى التفكير في الغرفة بعد الآن، ولكن الأمر ليس بإرادتي.

على الغداء لديَّ الكثير من الخبز والزبدة، إنه خبز فرنسيّ ولكن ليس عليه براز على ما أعتقد.

أنفي أحمر وحارّ، ووجنتاي أيضًا، بالإضافة إلى الجزء العلويّ من صدري، وذراعيّ المكشوفتين، والجزء البارز من كاحليّ فوق جاربيّ.

فطلب جدّي الثاني من جدّتي ألا تزعج نفسها.

وظلّت تقول وهي تكفكف دموعها: "لم يكن الجوّ حتى مشمسًا".

أسأل: "هل سيسقط جلدي؟".

قال جدّي الثاني: "جزءٌ صغيرٌ منه فقط".

قالت جدّتي: "لا تُخِف الولد، ستكون بخير، جاك، لا تقلق، ضع كثيرًا من هذا، إنه يرمّم الجلد الذي تحرقه الشمس، الآن..."

يصعب الوصول إلى القسم الخلفيّ مني، ولكني لا أحبّ ملامسة أصابع الأشخاص الآخرين بشرتي، لذلك سأتدبّر الأمر.

قالت جدّتي إنها يجب أن تتّصل بالعيادة مجدّدًا، ولكنها لن تفعل ذلك في الوقت الراهن.

وبسبب بشرتي المحترقة كان ينبغي لي أن أستلقي على الأريكة، وأشاهد الرسوم المتحرّكة، وقد جلس جدّي الثاني على الكرسيّ يقرأ مجلّته *مسافر العالم*.

في الليل يزورني السنّ وقد تعرّض لحادث في الشارع، فانبعث صوت بوم بوم بوم، وقد بلغت قوّة الصوت مسافة عشرة أقدام، وقد سقطت جميع القطع المتعفّنة والخشنة المعلّقة، وتحطّمت على الحائط، ثم رحتُ أطفو في قاربٍ مغلقٍ بالمسامير، تزحف الديدان في داخله...

أسمع صوت هسهسة في الظلام، فكانت جدّتي: "جاك، لا بأس".

"لا".

"عُدْ إلى النوم".

لا أعتقد أني سأفعل.

عند تناول طعام الفطور، أخذت جدّتي حبوبًا، فسألتها إن كانت فيتاميناتها، فضحك جدّي الثاني، وقالت له: "يجبُ عليك ألا تتحدّث في أثناء تناول الطعام".

ثم قالت لي: "كلّ شخص يحتاج إلى القليل من شيءٍ ما".

يصعب عليّ تعلم نظام هذا البيت، الأبواب التي تُرِكتْ مفتوحة أدخلها في أيّ وقت؛ كباب المطبخ وغرفة الجلوس وجناح اللياقة والغرفة الاحتياطية والقبو، وأيضًا غرفة النوم الموجودة في الخارج والتي تدعى المهبط، مثل المكان الذي قد تهبط فيه الطائرات ولكنها ليست كذلك، وأستطيع دخول غرفة النوم ما لم يكن الباب مغلقًا، إذ عندها يتوجّب علي أن أنقر وأنتظر، وأستطيع دخول الحمام ما لم يكن بابه مغلقًا، لأن هذا يعني أن هناك شخصًا آخر في داخله، وعندها يتوجّب علي أن أنتظر.

إنّ لون غرف الحمام والمكتب والمرحاض أخضر، وهو يدعى لون الأفوكادو، ماعدا المقعد فهو خشبي لذلك يمكنني الجلوس عليه، فيجب أن أرفع المقعد إلى الأعلى ثم أنزله مجدّدًا إلى الأسفل بعد ذلك، هذا ما قالته جدّتي.

المرحاض له غطاء يشبه ذلك الذي ضربت به أمي العجوز نيك.

والصابونة كرة قاسية، يجب عليّ أن أفرك وأفرك حتى ترغو.

الناس في الخارج ليسوا مثلي ومثل *ما*، فهم لديهم ملايين الأشياء، وأنواع مختلفة من كلّ شيء، مثل ألواح الشوكولا المختلفة الأشكال، والآلات، والأحذية، وأغراض متعدّدة الاستعمالات.

مثل فرشاة الأظافر وفرشاة الأسنان، وفرشاة الكناسة، وفرشاة المرحاض، وفرشاة الملابس، وفرشاة الساحة، وفرشاة الشعر.

عندما أُسقِطُ بعض البودرة التي تدعى تالك على الأرض، أمسحها، ولكن جدّتي تدخل وتقول إنّ هذه فرشاة المرحاض، وتكون في غاية الغضب، لأنني أنشر

الجراثيم، ومع إنه منزل جدّي الثاني أيضًا، ولكنه لا يضع القوانين، فهو تقريبًا يجلس في مكانِهِ في غرفته الخاصّة، ويقول لي: "بعض الناس لا يرغبون دائمًا في أن يكونوا مع الآخرين، لأنّ ذلك يُصبِحُ مُتعِبًا".

"لماذا؟".

"فقط خُذها منّي، لقد تزوجتُ مرّتين".

لا أستطيع الخروج من الباب الأمامي من دون إخبار جدّتي، ولكنني لم أعد أريد على أيّة حال، فأنا أجلس على الدرج وأمصّ السنّ بصعوبة، وقد قالت جدّتي عصر الأمس: "اذهب والعب بشيءٍ ما، فلماذا لا تفعل؟".

هناك الكثير، ولا أعلم بأيِّ واحدة من ألعابي التي أحضرها المهتمّون بأمرنا المجانين سألعب بها، فقد اعتقدت *ما* أنني أخذت خمسًا منها، ولكن في الحقيقة أنا أخذتُ ستًّا، وهناك طباشير بألوان مختلفة جلبتها ديانا، ولم أرَ أنها تلطّخ أصابعي كثيرًا، وهناك لفافة ورق عملاقة، وثمانٍ وأربعون علامة مغلّفة ببلاستيك طويل شفّاف، وصندوق كبير فيه حيوانات لبرونوين، ولكنها لم تعد تهتمّ بها، ولا أعلم لماذا، وهي تتكدّس مشكّلة برجًا مرتفعًا أعلى من رأسي، ثم حدّقت إلى حذائي بدلًا من ذلك، ففرداه يلازمانني، وإذا حرّكتهما أستطيعُ نوعًا ما رؤية شكل أصابع قدميّ من تحتهما. *ما*! فأصرخُ بصوتٍ صاخبٍ جدًّا في رأسي، ولا أعتقد أنها هناك، فهي ليست أفضل وليست أسوأ، مالم يكن الجميع يكذب.

هناك شيءٌ ما بُنّي صغير جدًّا تحت السجّادة، حيثُ يظهر طرفه على الخشب قرب الدرج، فكشطّتهُ.. إنه من معدن، قطعة نقود، وعليها وجه رجل وكلمات (*بالله نثق في الحّرية 2004*)، وعندما قلبتها إلى الجهة الأخرى رأيت صورة رجل، ربما هو الشخص نفسه ولكنه يلوّح بيده.

كانت جدّتي عند أسفل الدرج تحدّق إلي.

أقفزُ، وأحرّك السنّ إلى خلف لثتي، وأُقول لها: "هناك القليل باللغة الإسبانية".

فعبست: "أين؟".

أشير بأصابعي.

"إنها لاتينيّة، إنها الوحدة في التّنوّع، هممم.. أعتقد أن ذلك يعني *نقِفُ مُتّحدين*، أو شيئًا من هذا القبيل، أترغب في المزيد منها؟".

"ماذا؟".

"دعني أنظر في محفظتي..."

عادت مع شيءٍ مسطّح مستدير ما إن عصرتهُ حتّى انفتح فجأة مثل الفم، وكان في داخله عملات مختلفة، أخرجت منه عملة فضّية عليها صورة رجل يربط شعره مثلي، وكتب عليها سنتات، ولكن جدّتي تقول إن الجميع يطلقون عليها اسم *النّغل*، والفضّية الصغيرة هي عشرة سنتات، أي أن تلك هي عشرة.

"ولماذا فئة الخمسة أكبر من فئة العشرة بما أنها خمسة؟".

"ما من سبب".

حتى السنت الواحد أكبر من العشرة، أعتقدُ بأنّ الأمر غبيّ.

على القطعة الفضّية الأكبر حجمًا هناك رجل مختلف غير سعيد، وفي الخلف كُتبت عبارة (نيو هامبشاير 1778 عِشْ حُرًّا أو مُتْ).

قالت جدّتي أن هامبشاير الجديدة هي جزء آخر من أمريكا، وليس هذا الجزء.

"عِشْ حُرًّا، أيعني ذلك ألا يكون هناك تكلفة لأيّ شيء؟".

"آه، لا، لا ذلك يعني... ألّا يكون هناك سيّد عليك".

هناك جهة أخرى، ولكن عندما أقلبها أرى صورة مركب شراعيّ وصورة شخص صغير جدًّا فيه، وزجاج والمزيد من اللغة الإسبانية.

(غوام إي بلوريبوس أونوم 2009 وجوهان إتانو مانشامورو)، فتزمّ جدّتي عينيها، وتذهب لتحضر

نظّارتها.

"هل هذا جزءٌ آخر من أمريكا؟".

"غوام؟ لا، أعتقدُ أنّه مكان آخر".

ربما هي طريقة أخرى يعتمدها الناس في الخارج لتهجئة كلمة غرفة.

بدأ الهاتف يصدر صوتًا في الصالة، فأركضُ إلى الأعلى لأكون بعيدًا عنه.

أتت جدّتي، وهي تبكي: "لقد تخطّت المرحلة الحرجة".

حدّقت إليها.

"أُمّك".

"ما هي الحالة الحرجة؟".

"إنها تتحسّن، يحتمل أن تكون بخير".

أغمضت عينيّ.

* * *

هزّتني جدتي لتوقظني، وقالت إنه مضت ثلاث ساعات وهي خائفة وأنا لا أريد النوم اليوم.

من الصعب التحدّث بوجود سنّ في داخل فمي، لذلك وضعته في محفظتي.

لاتزال أظافري تحتوي على صابون، وأحتاج شيئًا ما حادًّا لإخراجه، مثل جهاز التحكّم عن بعد.

"هل تفتقد أمّك؟".

هززت برأسي: "جهاز التحكّم عن بعد".

"تفتقد... خندقك؟".

"جهاز التحكّم عن بعد".

"جهاز التلفاز؟".

"لا، جهازي التحكّم عن بعد ذلك الذي يستخدم لجعل سيارة الجيب تنطلق وتبتعد أو تقترب، لكنه انكسر في خزانة الثياب".

قالت جدّتي: "أوه، حسنًا، متأكدّة من أننا نستطيع إصلاحه".

هززت برأسي: "إنه في الغرفة".

"هيا نصنع قائمة صغيرة".

"لتنظيف المرحاض؟".

نظرت جدّتي باستغراب: "لا، سأتّصل بالشرطة".

"هل ذلك حالة طارئة؟".

هزّت برأسها: "سيحضرون ألعابك إلى هنا، حالما ينتهون منها".

حدّقت إليها: "هل الشرطة يمكنها الذهاب إلى الغرفة؟".

قالت: "من المحتمل أنهم هناك الآن، يجمعون الأدلّة".

"ما الدليل؟".

"شيء يُثبت الذي حدث، ويعرضونه على القاضي، من صور، وبصمات..."

بينما كنت أكتب القائمة، فكّرت في مسار المشي الأسود، والحفرة تحت الطاولة، وكلّ العلامات التي صنعناها أنا و*ما*.

قالت جدّتي إنها تشعر بالعار لهدرها مثل هذا اليوم الربيعيّ الجميل، لذلك إذا ارتديت قميصًا طويلًا وانتعلت الحذاء المناسب، واعتمرت القبعة ووضعت الكثير من واقي الشمس، نستطيع الخروج إلى الفناء الخلفي.

فتحت علبة الواقي من أشعّة الشمس، وسكبت على يدها وقالت: "قُل انطلقي وتوقّفي، أينما أردتَ مثل جهاز التحكّم".

هذا نوع من المرح.

بدأت تفرك الجزء الخلفيّ من يدي.

بعد دقيقة قلت: "توقّفي!" ثم قلت: "انطلقي!"، فبدأت مجددًا: "انطلقي!"، ثم سألتني: "أنتَ تعني أن أستمرّ؟".

"نعم".

دهنت وجهي، لا أحبّ أن يلمس أحد عينيّ، ولكنها كانت حَذِرة.

"انطلقي".

"في الواقع لقد انتهينا بالكامل، جاك، هل أنت جاهز؟".

خرجت جدّتي أوّلًا، وكنّا نقفُ على سطحٍ خشبيٍّ بالكامل مثل سطح سفينة، هناك زغب عليه خفيفة الوزن، فقالت جدّتي إنها بعض أنواع حبوب اللقاح المتساقطة من أزهار شجرة ما.

"أيُّ واحدة؟"، وحدّقتُ إلى الأعلى إلى كلّ الأشياء المختلفة.

"لا أستطيع مساعدتك، فأنا أخاف أن أخطئ".

في الغرفة علّمتني *ما* أسماء الأشياء، ولكن العالم يحتوي على الكثير من الأشياء، حتى الناس لا يعرفونها كلّها.

جلست جدّتي على إحدى الكراسي الخشبية التي اهتزّت في موضعها.

هناك عصيّ انكسرت عندما وقفتُ عليها، وبعض الأوراق الصفراء الصغيرة جدًّا، والبنّيّة الطريّة منها، وقالت جدّتي إنها ستطلب من ليو أن يهتمّ بها مرّة أخرى في نوفمبر.

"هل يملك جدّي الثاني عملًا؟".

"لا، نحن تقاعدنا باكرًا، ولكن مدّخراتنا قد تنفد..."

"ماذا يعني ذلك؟".

أمالت رأسها إلى الخلف، وأسندته إلى أعلى الكرسي، وأغمضت عينيها: "لا شيء، لا تقلق حيال ذلك".

"هل سيموت قريبًا؟".

فتحت عينها ونظرت إليّ، وتابعتُ كلامي: "أم ستموتين أنتِ أوّلًا؟".

"ليكن معلومًا لديك، أنا فقط في التاسعة والخمسين، ولا أزال امرأة شابّة".

أمّي في السادسة والعشرين فقط، وهي تخطّت حالة الخطر، هل هذا يعني أنها ستعود إليّ؟

قالت جدّتي: "لن يموت أحد لا تقلق".

"قالت *ما* إنّ كلّ الأشخاص سيموتون".

ضغطت على فمها، فظهرت حوله خطوط كما لو أنها أشعّة الشمس.

"أيها السيّد أنت بالكاد التقيت بمعظمنا، لذا لا تستعجل وداعنا".

نظرت إلى الأسفل حيث الجزء الأخضر الصغير من الفناء: "أينَ الأرجوحة؟".

"أقترح أنّنا يمكن أن نخرجها من القبو، لأنك حريصٌ جدًّا".

نهضت فصدر صوت أزيز.

"أنا أيضًا".

"اجلس بهدوء، واستمتع بأشعّة الشمس، وسوف أعود قبل أن تشعر بغيابي".

لكنني لا أجلس، بل أنا أقف.

عمّ الهدوء عندما رحلت، ماعدا صوت ينبعث من الأشجار، أعتقدُ أن ذلك صوت العصافير، ولكنني لا أراها، إنها الرياح التي تجعل الأوراق تطلق صوت الحفيف، ثم أسمع صراخ طفل، ربما في ساحة أخرى خلف السور الكبير أو في مكان آخر غير مرئيّ.

في الأعلى غطّت سحابة وجه الله الأصفر(*)، فأصبح الجوّ أبرد فجأة، إن العالم يتغيّر باستمرار، السطوع والسخونة والأصوات.. وأنا لا أعلم أبدًا كيف سيصبح في الدقيقة التالية.

والغيوم تبدو بلون رماديّ مزرقّ، وأتساءل إن كانت تحمل أمطارًا.

إذا بدأ المطر بالتساقط عليَّ فسأركض إلى المنزل قبل أن يتلوّث جلدي، فأنا أشعر بأنّ هناك شيءٌ ما سيحصل، ثم رحت أتمعّن في الأزهار لأنها الشيء الأكثر روعة، فكانت نحلة على قيد الحياة ضخمة لها أجزاء صفراء وسوداء، ترقص بشكل بارع داخل الزهرة، فقلت لها: "مرحبًا"، وما إن وضعت أصابعي لأضربها حتّى... *آه.*

تصاب يدي بأسوأ أذى على الإطلاق، أصرخ: "*ما*" ولكنني أصرخ في رأسي، ولكنها ليست في الفناء الخلفيّ، وليست في رأسي، وليست في أيّ مكان، أنا وحيدٌ

(*) تعبير ساذج لطفل سجين طوال حياته غير قادر على التعبير عن طبيعة الأشياء وواقعها.

بالكامل وقد تعرّضت للأذى، الأذى، الأذى، في... وتندفع جدّتي عبر سطح السفينة: "ما الذي حصل؟".

"لم يحصل شيء، لقد كانت النحلة".

وعندما تمسح المرهم على يدي يخفّ الألم ولكنه لا يزول.

يتوجّب عليَّ استخدام يدي الأخرى لأساعدها، فالأرجوحة معلّقة بواسطة خُطّافات على شجرتين في الفناء الخلفيّ، إحداها شجرة قصيرة تبلغ ضعف طولي فقط وهي منحنية، والأخرى أعلى بمئات المرّات وذات أوراق فضّيّة، والحبال ذات الأنواع المختلفة الطول جُلبت من داخل القبو، ونحتاج أنّ نستمرَّ بالسحب حتى تصبح الثقوب بحجم مناسب، فقد تمَّ قطع اثنين من الحبال، وكذلك كان هناك ثقوب كثيرة فيها، لذا لا يتوجّب علينا أن نجلس عليها.

قالت جدّتي: "ربما العثّ".

لم أعلم أن العثّ ينمو بحجم كبير كفاية لقطع الحبال.

"لِأكُنْ صادقة معك، لم نعلّقها منذ سنوات"، كما قالت إنها لا تريد المخاطرة بالتّسلّق عليها، وعلى أيّة حال تفضّل بعض الدّعم، ومع ذلك تمدّدت على الأرجوحة، ولويت قدميّ وأنا ما زلت منتعلًا حذائي، ثم مرّرتهما عبر الثقوب، وكذلك مرّرت يدي اليسرى لا اليمنى، لأنها لا تزال تؤلمني بسبب لسعة النحلة، وبدأت أفكّر *بما* الصغيرة وبول الصغير عندما كانا يتأرجحان في الأرجوحة، فأين هما الآن؟

بول الكبير وديانا وبرونوين، قالوا إنهم ذاهبون لرؤية الديناصورات في يوم آخر، ولكنني أعتقدُ أنهم يكذبون، فأمي الكبيرة لا تزال في العيادة وإن اجتازت مرحلة الخطرة، ثمّ بدأت أشدّ الحبل، وأنا أطير داخل الشبكة، فهل ستلتقطني شباك الرجل العنكبوت.

جدّتي تدفع وأنا أتأرجح، لذلك أنا أشعر بالدوار ولكنه نوع جميل من الدوار.

وجدّي الثاني على سطح السفينة يصرخ: "الهاتف".

فركضت جدّتي على العشب، وتركتني بمفردي مجدّدًا في الخارج، فقفزتُ عن الأرجوحة، ولكن قدمي علقت بها، فرحت أسحبُ إلى الخارج بقوّة، ولكن الحذاء بقي عالقًا بشباكها، وبعدها ركضت خلف جدّتي بسرعة كبيرة.

في المطبخ، كانت تتحدّث جدّتي عبر الهاتف: "طبعًا هذا أوّل شيءٍ عليك فعله، وهو هنا تمامًا، وهناك شخصٌ ما يريد التّحدّث إليكِ".

أعطتني الهاتف ولكنني لم آخذه.

"احزر من؟".

أغمضت عيني

"إنها أمّك".

هذا صحيح، إنه صوت *ما* عبر الهاتف: "جاك؟".

"هاي".

لم أسمع أيّ شيء آخر، لذلك مرّرته إلى جدّتي.

قالت جدّتي: "هذه أنا مرّة أخرى، كيف حالكِ، حقًّا؟".

أومأت وأومأت وأخيرًا قالت: "إنه يُبقي ذقنه مرفوعًا".

أعطتني الهاتف مجدّدًا، فأستمع إلى *ما* وهي تعتذر إليّ كثيرًا.

سألتها: "ألن تأخذي الحبوب الضارّة مرّة أخرى؟".

"لا، لا، وقد أصبحتُ أفضل".

"أنتِ لستِ في الجنّة؟".

"حقًّا لم أكن قصد القيام بذلك، وكنت أمزح فقط".

"إنها ليست مزحة مضحكة".

"لا".

"لا أرغب..".

"حسنًا أنا هنا في العيادة".

"أأنتِ متعبة من اللعب؟".

لم أسمع شيئًا، اعتقدتُ أنها رحلت: "*ما*؟".

قالت: "لقد كنت متعبة فارتكبتُ خطأً".

"لكنك لم تعودي متعبة؟"

لم تقلْ شيئًا، بعدها، ثم قالت: "أنا، ولكن لا بأس".

"ألا تستطيعين القدوم إلى هنا والتأرجح في الأرجوحة؟".

قالت: "قريبًا جدًّا".

"متى؟".

"لا أعلم، إنه يعتمد على تحسّني، هل كلُّ شيءٍ على ما يرام مع جدّتك؟".

"نعم".

"وجدّك الثاني".

"نعم".

"حسنًا، ما الجديد؟".

أجيب: "كلّ شيء".

ضحكت، ولم أعلم لِمَ: "هل كنت تستمتع؟".

"الشمس حرقت جلدي، ونحلة لدغتني".

فحرّكت جدّتي عينيها.

قالت *ما* شيئًا لم أسمعها: "عليّ إنهاء المكالمة الآن، جاك، أنا بحاجة إلى مزيد من النوم".

"هل ستستيقظين بعدها؟".

"أعدك، أنا جدًّا..."، فأصبحَ صوت أنفاسها متقطّعًا بالكامل: "سأتكلّم معك مرّة أخرى قريبًا اتّفقنا؟".

"حسنًا".

لم يعدْ هناك المزيد من الأحاديث لذلك تركت الهاتف، وقالت لي جدّتي: "أين فرد حذائك الآخر؟".

* * *

شاهدت النيران البرتقالية بالكامل ترقص تحت قِدرِ المعكرونة، وأعواد الثقاب على المنضدة، ذات رؤوس سوداء مدوّرة بالكامل، وحين أقرّبها من النار، تصدر صوت هسهسة، وتنبعث منها شعلة كبيرة مجدّدًا، لذلك أسقطها على الموقد، والشعلة الصغيرة تصبح غير مرئية تقريبًا.

النار تلتهم عود الثقاب تدريجيًّا حتى يصبح أسود بالكامل، وينبعث منه القليل من الدخان مثل شريط فضّيّ، ولكنّ الرائحة سحرية، فأخذت عود ثقاب آخر من العلبة، وأُشعلتُ النهاية بواسطة النار المشتعلة، وهذه المرّة أمسكته حتى يصدر صوت الهسهسة، إنها الشعلة الصغيرة خاصّتي، وأستطيع حملها في الأرجاء معي، فألوّح بها على شكل دائرة. أظنُّ أنها تنطفئ ولكنها تعاود الاشتعال، ولكن الشعلة تصبح أكبر ومتذبذبة حتى اشتعل العود الخشبي كلّه، إنهما شعلتان مختلفتان، إذ يوجد خطّ صغير أحمر على العود يفصل بينهما...

"هاي!".

أقفزُ، إنّه جدّي الثاني، لم يعد لديَّ أعواد ثقاب بعد الآن.

دعس على قدمي.

فأصدرتُ صوت عواء.

"كان على جوربك"، وأراني العود المحترق بالكامل، نزع جوربي حيثُ كان هناك بقعة سوداء صغيرة: "ألم تعلّمكَ أمكَ ألا تلعب بالنار؟".

"لم يكن هناك".

"لم يكن هناك ماذا؟".

"نار".

حدّق إليّ: "أعتقدُ أن موقدكم كان كهربائيًّا، اذهب واستمتع باللعب".

دخلت جدّتي: "ما الأمر؟".

قال جدّي الثاني: "تعلّم جاك للتوّ أدوات المطبخ"، ثم قلّب المعكرونة، وأمسك شيئًا ونظر إليّ.

أتذكّرُ: "مِبْشَرَة".

جلست جدّتي إلى الطاولة.

"وهذه؟".

"هرّاسة ثوم".

"مِدقّة الثوم، طريقة أكثر عنفًا من الهرس"، ابتسم لي، ولم يُخبرْ جدّتي عن أعواد الثقاب، هذا نوع من الكذب ولكن كذبه جنّبني الوقوع في ورطة، وأمسك عاليًا بشيءٍ آخر.

"مِبْشَرَة أخرى؟".

"عصّارة الليمون، وهذه؟".

"آه... خفّاقة"، ثم رفع جدّي الثاني أحد حبال المعكرونة في الهواء والتهمه.

"أخي الأكبر قلب قدرًا كبيرة من الأرز على نفسه عندما كان في الثالثة، وذراعه ظلّت مموّجة مثل رقاقة البطاطا".

"أوه، نعم، رأيت مثل هذا الأمر على شاشة التلفاز".

حدّقت جدتي إليّ: "لا تقل لي إنك لم تتناول رقائق البطاطس على الإطلاق"، عندها نهضتْ وسارت عدّة خطوات وأبعدت أشياء في الخزانة.

فقال جدّي الثاني: "الوقت المقدّر للتحضير دقيقتان".

"أوه، القليل لن يؤذي"، وعادت جدّتي ومعها كيس من المقرمشات وفتحته.

تغطّي الخطوط كامل سطح الرقائق، فأخذت واحدة وقضمت حافّتها.

عندها قلت: "لا شكرًا". وأعدت وضعها في الكيس.

ضحك جدّي الثاني، لم أعلمْ ما المضحك: "الولد يحفظ نفسه من أجل معكرونة الكاربونارا".

"هل أستطيع أن أرى الجلد؟".

سألت جدّتي: "أي جلد؟".

"جلد الأخ".

"أوه، إنه يعيش في المكسيك، يمكنك أن تسمّيه عمك الأكبر".

ألقى جدّي الثاني الماء بالكامل في الحوض، لذا عبق المكان بالبخار ما جعل الهواء رطبًا.

"لماذا هو الأكبر؟".

قالت جدّتي: "ذلك يعني أنّه أخ ليو الأكبر، كما أنّ كلّ أقاربنا صاروا أقاربك الآن، فما هو لنا هو لك أيضًا".

قال جدّي الثاني: "ليغو".

قالت جدّتي: "ماذا؟".

"مثل ليغو، أجزاء العائلات تتلاحم مع بعضها".

أقول لهما: "رأيت هذا أيضًا على شاشة التلفاز".

حدّقت إليّ جدّتي مجددًا: "تنمو من دون صلة أقاربك"، وخاطبت جدّي الثاني: "أنا حرفيًا لا أستطيع تخيّل ذلك".

قال جدّي الثاني: "ولكن هناك مليارين من الأطفال في العالم يتدبّرون الأمور بطريقة ما".

نظرت إليه مندهشة: "أظنّك محقّ".

كسر جدّي الثاني بيضةً بإحدى يديه، وأسقطها فوق المعكرونة: "والآن حان وقت العشاء".

* * *

أركب الكثير من الدرّاجات التي لا تتحرّك، وأستطيع الوصول إلى الدوّاسات إذا مددت أصابع قدمي، فأحرّكها لآلاف الساعات، لِذا ستصبح قدماي قويّتين بشكل خارق، وعندها أستطيع الركض بعيدًا والعودة إلى *ما* لأنقذها مجددًا، وأسقط على الحصيرة الزرقاء، بعد أن أُرهِقَتْ قدماي، وأرفع واحدة منها وأضعها على بطني، يعجبني أنها تثبّتني حتى لا أسقط في العالم المغفّل.

يُطرقُ الباب، فتناديني جدّتي لأن هناك زائرًا من أجلي إنه الدكتور كلاي، جلسنا على السطح الخشبيّ، فهو سيحذّرني إذا كان هناك أيّ نحلة، فالإنسان والنحل يجب فقط أن يلوّحا لبعضهما لا أن يتلامسا، ولا يجب أن نربّت على كلبٍ ما لم يقُل صاحبهُ أنّ لا باس بذلك، ولا نركض في أثناء قطع الطريق، ولا نلمسِ الأعضاء التناسليّة للآخرين ماعدا الخاصّة بي، ولكن هناك حالات استثنائيّة، مثل الشرطة التي يُسمح لأفرادها بإطلاق النار، لكن على الأشخاص السيّئين فقط، وهناك الكثير من القوانين لأدرّب رأسي عليها، لِذا وضعت قائمة مع الدكتور كلاي بقلّم ذهبي ثقيل جدًّا، وكنت قد أعددت قائمة أخرى للأشياء الجديدة، مثل الأوزان الحرّة، ورقائق البطاطس، والعصافير.

وسألني: "هل تجد متعة في رؤيتها في الواقع، وليس فقط عبر شاشة التلفاز؟".

"ما عاد أي شيءٍ في التلفاز يزعجني".

قال الدكتور كلاي: "نقطة جيّدة".

أومأ إليّ: "النوع البشريّ لا يتحمّل الكثير من الواقع".

"هل تلك قصيدة مجدّدًا؟".

"كيف حزرت ذلك؟".

أخبرته: "لقد فعلت صوتًا عجيبًا، وما هو النوع البشريّ؟".

"الجنس البشريّ كلّ واحدٍ منّا".

"بما في ذلك نحن؟".

"أوه، بالتأكيد، أنت واحدٌ منّا".

"*وما*".

أومأ الدكتور كلاي إليها: "هي أيضًا".

لكن ما قصدتُهُ في الحقيقة كان، ربما أنا بشرٌ، ولكنّني ضعيف كذلك، ولا أعرف كلمة مناسبة لنا، فهل نحن جشعون؟

"هل ستأتي ما قريبًا لتأخذني؟".

أجابني: "في أقرب وقت ممكن، هل تشعر براحة أكثر في العيادة بدلًا من منزل جدّتك؟".

"مع *ما* في الغرفة رقم سبعة؟".

هزَّ برأسهُ: "هي في جناحٍ آخر، وهي تحتاج لِأن تبقى بمفردها لمدّة".

أعتقدُ بأنه مُخطئ، لو كنتُ مريضًا سأحتاج إلى *ما* أكثر.

وتابع: "لكنها تعمل قصارى جهدها لتصبح أفضل".

اعتقدتُ أن الناس فقط يمرضون ويتحسّنون، ولم أكنْ أعلم أنه كان عملًا شاقًّا.

ضربنا كفًّا بكف، ونحن نودّع بعضنا.

عندما كنت في المرحاض سمعتهُ وهو يتحدّث على الشرفة إلى جدّتي.

كان صوتها أعلى بمرّتين منه، وقالت: "من أجل الحيوانات الأليفة، كنّا فقط نتحدّث حول حروق الشمس الطفيفة ولسعة نحلة، لقد ربّيتُ طفلين، ولا تُعطِني معايير رعاية مقبولة".

* * *

في الليل هناك ملايين الحواسيب الصغيرة تتحدّث مع بعضها عنّي.

صعدت *ما* إلى شجرة الفاصولياء، وأنا هنا في الأسفل على الأرض أهزّها وأهزّها لذلك سقطت أرضًا...

لا، ذلك كان حلمًا فقط.

قالت جدّتي بالقرب من أذني: "لديّ فكرة رائعة"، ومالت إلى الأسفل مع أن نصفها السفليّ بقي في سريرها: "لنذهب إلى ساحة اللعب قبل الفطور، فلن يكون هناك أطفال آخرون".

ظلالنا طويلة فعلًا وممتدّة، فألوّح بقبضتيّ العملاقتين.

جلست جدّتي تقريبًا على مقعد انتظار، لكنه كان رطبًا، لذلك اتّكأت على السياج بدلًا من ذلك، وهناك بقع ماء صغيرة على كلِّ شيء، فقالت إنّه النّدى

الذي يبدو مثل المطر، لكنه ليس من السماء، إنّه نوع من العرق الذي يحدث في الليل.

"لا مشكلة إن تبلّلت ملابسك، فاشعرْ بالحرّية".

"في الواقع، أنا أشعر بالبرد".

هناكَ حيّز صغير مليء بالرمل، قالت جدّتي إنني أستطيع الجلوس عليه واللعب فيه.

"بماذا؟".

قالت جدّتي: "ماذا؟".

"ألعبُ بماذا؟".

"لا أعلم، احفره، اغرفهُ، أو افعل شيئًا آخر من هذا القبيل".

ألمسُهُ لكنه خشن، لا أريده أن يلطّخ يديّ.

قالت جدّتي: "ماذا عن التسلّق أو التأرجح، هل ستفعل؟".

ضحكت قليلًا، وقالت من المحتمل أن أكسر شيئًا ما.

"لماذا...؟".

"أوه، ليس عمدًا، بل لأنني ثقيلة".

صعدتُ بعض الخطوات ووقفت مثل ولد وليس مثل قرد، إنه معدن عليه قطع برتقاليّة خشنة تسمّى الصّدأ، الإمساك بالقضبان جعل يدي مجمّدة، في النهاية هناك منزل صغير جدًّا كأنه من أجل الجانّ، فأجلس على الطاولة والرفوف فوق رأسي تمامًا، إنّه أحمر والطاولة زرقاء.

"يو.. هوو".

أقفز، فلوّحت لي جدّتي من النافذة، ثم دارت إلى الجهة الأخرى ولوّحت لي مجدّدًا، فلوّحت لها بدوري، وقد أسعدها ذلك.

في زاوية الطاولة رأيتُ شيئًا ما يتحرّك، إنه عنكبوت صغير جدًّا.

أتعجّب، وأتساءل إن بقي العنكبوت في الغرفة، فهل شبكته ستصبح أكبر وأكبر؟

أدندن ألحانًا، مثل الهمهمة، ولكنني أدندن *وما* في رأسي، يجبُ عليها أن تحزر، فهي تحزر ما أدندنه بشكل صحيح. وعندما أصدر صوتًا على الأرضية بحذائي يبدو الصوت مختلفًا لأنّ الأرضية معدنية، وقد كتب على الجدار شيء، لكنني لم أستطع فهمه.

خربشات كثيرة، وهناك رسم ظننته قضيبًا ولكنه كبير بحجم الشخص.

"حاولْ التزحلق، جاك، ستجده ممتعًا".

إنها جدّتي تناديني، أخرجُ من المنزل الصغير، وأنظرُ إلى الأسفل، فكانت الزلّاجة فضيّة، وعليها نتواءت صغيرة.

"مرحى!، تعال سأمسكُ بك من الأسفل".

"لا، شكرًا".

هناك سلّم من الحبال مثل الأرجوحة الشّبكيّة، ولكنه يتدلّى إلى الأسفل، إنّه يؤلم أصابعي، وكثيرة هي القضبان التي يمكنني التعلّق بها، ولو كان لديّ ذراعان قويّتان أو كنت قردًا لتسلّقت بسهولة أكبر.

قالت: "لا، انظر، هناك عمود رجال إطفاء بدلًا من ذلك".

"أوه، نعم، رأيتُ ذلك على شاشة التلفاز، لكن لماذا يعيشون هناك في الأعلى؟".

"مَنْ؟".

"رجال الإطفاء".

"أوه، إنّه ليس واحدًا من أعمدتهم الحقيقيّة، بل مجرّد لعبة".

عندما كنت في الرابعة ظننتُ أنّ كلّ شيء في التلفاز موجود فقط في التلفاز، وبعدها صرت في الخامسة ومنذ ذلك الحين توقّفت *ما* عن الكذب، فالكثير منها أصبح حقيقيًّا، والخارج أصبح حقيقيًّا بالكامل.

الآن، أنا في الخارج لكنّ الأمر تحوّل، فالكثير من الأشياء ليس حقيقيًّا على الإطلاق.

عدْتُ إلى المنزل الصغير، ورحل العنكبوت إلى مكانٍ ما، فخلعتُ حذائي تحت الطاولة ومددت قدميّ.

فقالت لي جدّتي: "اصعدْ إلى الأرجوحة"، فكان هناك أرجوحتان مسطّحتان، أما الثالثة فكان فيها دلو مطّاطي له فتحتان للرجلين.

قالت: "لا يمكنك السقوط عن هذه، أتريد الصعود؟".

عليها أن ترفعني، فشعرت بالغرابة وهي تضغط بيديها تحت إبطيّ، وتدفعني من خلف الدلو، ولكن ذلك لم يعجبني لأنه كان عليّ الاستمرار بالنظر إلى الخلف لأراها، لذلك أصبحت تدفعني من الأمام بدلًا من ذلك.

ألتفُّ أسرع، فأسرع، ثم أعلى، فأعلى إنه شعور غريب.

"اسند رأسك إلى الخلف".

"لماذا؟".

"ثِقْ بي".

أسندت رأسي إلى الوراء، وكلّ شيءٍ بدأ ينقلب رأسًا على عقب، السماء والأشجار والمنازل، وجدّتي، وكلُّ شيءٍ، إنّه لا يُصدّق!.

هناك فتاة في الأرجوحة الأخرى، لم أرَها عندما أتت.

إنّها تتأرجح ولكن ليس في الوقت نفسه الذي أتأرجح فيه، فهي تتراجع عندما أتقدّم.

سألتني: "ما اسمك؟".

تظاهرت بأنني لم أسمعها.

قالت جدّتي: "إنّه جا.. جاسون"

لماذا تدعونني بهذا الاسم؟

قالت الفتاة: "أنا كورا، أنا في الرابعة والنصف، هل هي طفلة؟".

قالت جدّتي: "إنّه صبي، وهو في الخامسة".

"إذًا لماذا هو في أرجوحة الأطفال؟".

أريدُ النهوض الآن، ولكنّ قدميّ علقتا، فأركلُ، وأحاول أن أسحب السلاسل.

قالت جدّتي: "بسهولة، بسهولة".

سألت الفتاة كورا: "هل تعاني من نوبة ما؟".

ركلت قدميّ جدّتي من دون قصد.

"توقّف عن هذا".

"آخ صديقتي الصغيرة، أجل، يمرّ بنوبة".

تنتزعني جدّتي من أسفل ذراعيّ، فتلتوي قدماي وبعدها أخرج.

وقفت عند البوابة وقالت: "الحذاء، جاك".

حاولت جاهدًا أن أتذكّر: "إنه في المنزل الصغير".

"انطلق بسرعة عائدًا واجلبه"، وقالت وهي تنتظرني: "لن تزعجك الفتاة الصغيرة".

لكنني لا أستطيع التّسلّق إن كانت تنظر إليّ.

فما كان من جدّتي إلا أن ألصقت مؤخّرتها في المنزل الصغير وأبدت استياءها.

ألبستني فرد حذائي اليسرى، إنّه ضيّقٌ جدًا، لِذا خلعت الفردين، وذهبت إلى السيارة البيضاء، وأنا أنتعل الجوربين فقط، فقالت إن الزجاج قد ينغرز في قدمي، لكن ذلك لم يحصل.

بلّل الندى بنطالي وجوربيّ.

كان جدّي الثاني جالسًا على كرسيّه وهو يحمل كوبًا كبيرًا.

وسأل: "كيف جرت الأمور؟".

أجابته جدّتي وهي تصعد إلى الأعلى: "تتحسّن شيئًا فشيئًا".

سمح لي بتجربة قهوته، فجعلتني أرتجف.

سألته: "لماذا الأماكن المخصّصة للطّعام يدعونها بمتجر القهوة؟".

"حسنًا، القهوة هي أهمّ شيء يبيعونه، لأن معظمنا يحتاج إليها لتبقينا مستمرّين في الحركة، مثل الوقود في السيّارة".

ما تشرب الماء والحليب والعصير فقط مثلي، وأتعجّب ما الذي يبقيها مستمرّة في حركتها.

"ماذا يتناول الأطفال؟".

"آه، الأطفال فقط يتناولون الفاصولياء دائمًا".

الفاصولياء المطهوّة تجعلني أبقى على ما يرام، ولكنني أعتبر الفاصولياء الخضراء عدوّ الإنسان.

أعدّت جدّتي الفاصولياء الخضراء لوجبة العشاء، فتظاهرت بأنني لم أرَ الفاصولياء في طبقي، الآن أنا في العالم الخارجيّ، ولن آكل الفاصولياء الخضراء على الإطلاق.

* * *

جلست على الدّرج أستمع إلى السيّدات.

قالت جدّتي: "هممم، يعرف الرياضيات أكثر منّي، ولكنه لا يعرف كيف يتزحلق".

أعتقد أن من تتحدّث عنه هو أنا.

إنهنّ عضوات في نادي الكتاب، ولكن لا أعلم لماذا، لأنهنَّ لا يقرأنَ الكتب، وقد نسيتْ جدّتي أنْ تُلغيَ اللقاء، لذلك أتينَ جميعهنَّ عند الساعة الثالثة والنصف مع أطباق من الكيك والأشياء الأخرى.

لديّ ثلاث قطع من الكيك في طبق صغير، ولكن يجب أن أبقى خارج غرفة الجلوس بعيدًا عن مكان اللقاء، وقد أعطتني جدّتي خمسة مفاتيح معلّقة بحلقة، كتب عليها (بيت بوزو من البيتزا) فأتعجّب كيف يُصنَعُ منزلٌ من البيتزا، ألن يتخبّص تخبّصًا؟

إنها ليست في الحقيقة مفاتيح لأيّ مكان ولكنّها تخشخش، ولقد حصلتُ عليها بعد وعدي بعدم أخذ المفتاح من خزانة المشروبات الكحوليّة بعد الآن.

قطعة الكيك الأولى بطعم جوز الهند، إنها مقزّزة، وقطعة الكيك الثانية بطعم الليمون، والثالثة لا أعرف نكهتها، ولكنني أحببتها، فهى الألذّ بينها.

قالت إحدى السيّدات بصوت عالٍ: "ينبغي أن تكوني في غاية الحذر".

وقالت أخرى: "بطوليّ".

وكان لدي كاميرا أيضًا، ولكنها ليست تلك التي لجدّي الثاني ذات الدائرة الضخمة، بل واحدة مخبّأة في عين هاتف جدّتي الخلويّ، وإذا رنَّ ينبغي لي أن أناديها لا أن أجيب، وحتّى الآن، التقطتّ بكاميرا الهاتف عشر صور، واحدة لحذائي المريح، والثانية لمصابيح السقف في جناح اللياقة، والثالثة في ظلمة القبو وقد بدت هذه الصورة مشرقة جدًّا، والرابعة للخطوط في راحة يدي، والخامسة لحفرة بجانب الثلاجة كنتُ آملُ أن تكون حفرة فأر، والسادسة لركبتي تحت البنطال، والسابعة للسجّادة في غرفة الجلوس القريبة من غرفة النوم، والثامنة كانت لدورا التي كانت على شاشة التلفاز هذا الصباح، ولكنها كانت مغبّشة جدًّا، والتاسعة لجدّي الثاني وهو غير مبتسم، والعاشرة خارج نافذة الغرفة لنورس، ولكنه لم يظهر في الصورة. وكنتُ سآخُذُ واحدة لي في المرآة، ولكن عندها قد أرغب في أن أكون مصوّرًا.

قالت إحدى السيّدات: "حسنًا، إنه يبدو مثل ملاكٍ صغيرٍ في الصور".

كيف رأتْ صوري العشر؟ وأنا لا أبدو مثل الملاك، فالملائكة ضِخام مع أجنحة.

سألتها جدّتي: "تقصدين تلك اللقطات السريعة خارج قسم الشرطة؟".

"أوه، لا، اللقطات القريبة، عندما أجروا مقابلة مع..."

بدا الغضب في صوتها: "ابنتي، نعم، ولكن لقطات قريبة لجاك؟".

قال صوت آخر: "أوه، عزيزتي، إنّها منتشرة على مواقع الإنترنت".

عندها تحدّثت معظم السيّدات في الوقت نفسه: "ألم تعلمي ذلك؟".

"في هذه الأيّام كلّ شيء يتسرّب".

"العالم على محارٍ كبير".

"مصيبة".

"هـذه الفظائع، تعرضـها المحطّات التلفزيونيّة في نشرات الأخبار كلَّ يومٍ، وأحيانًا أشعر بأنني أريد البقاء في السرير وإبقاء الستائر مُسدلة".

قالت أحدهنّ بصوت عميق: "لا أزال غير مصدّقة، أتذكّر ما قلته لبيل، لقد مضت سبع سنوات، فكيف يمكن أن يحصل ذلك لفتاة نعرفها؟".

"جميعنا ظننّا أنّها ماتت، وبالطّبع نحن لم نرغب في أن نقول ذلك على الإطلاق..."

"وكان لديكِ هذا الإيمان القويّ بعودتها".

"من كان يتخيّل...؟".

فقالت جدّتي: "على أيّ حال، الشاي من أجل الجميع؟".

"حسنًا، لا أعلم، ولكن قضيتُ أسبوعًا في أسكوتلندا داخل دير".

قال صوت آخر: "بعث ذلك السلام في روحك".

انتهتُ من قطع الكيك باستثناء قطعة جوز الهند، وتركتُ الطّبق على إحدى الدرجات، وصعدتُ إلى غرفة النوم، ونظرتُ إلى بنطالي، وقد أعدتُ وضع السّنّ في فمي لأمصّه، ولكنّ مذاقه ليس كمذاق *ما*.

* * *

وجدتْ جدّتي صندوقًا كبيرًا يحتوي على ألعاب التّركيب في القبو كان لبول و*ما*، وسألتني: "ماذا تحبّ أن تصنع منزلًا؟ ناطحة سحاب؟ أو ربّما بلدة؟".

قال جدّي الثاني من خلف صحيفته: "ربما يرغب في خفض بعض تطلّعاتكِ قليلًا".

هناك الكثير من القطع الصغيرة جدًّا بكلّ الألوان، إنّه مثل الحساء.

قالت جدّتي: "حسنًا، انطلق، لديّ عمل وعليّ إنجازه".

أنظرُ إلى ألعاب التركيب، ولكنني لا ألمسها حتى لا أكسرها، وبعد دقيقة يضع جدّي الثاني صحيفته، ويقول: "لم أفعلْ هذا منذ زمنٍ طويلٍ".

بدأ يجمع القطع بطريقةٍ ما، ويضغطها قليلًا فتلصق ببعضها.

"لماذا أنتَ لا...؟".

"سؤالٌ جيّدٌ جاك".

"هل لعبْتَ لعبة التّركيب مع أطفالك؟".

"ليس لديّ أطفال".

"لماذا؟".

هزّ جدّي الثاني بكتفيه: "ليس لدي أطفال وحسب".

أشاهد يديه، فتظهر عليهما التجاعيد، ولكنها تدلّ على أنه ذكيّ: "هل هناك كلمة تُقال للبالغين الذين لا يكونون آباء؟".

ضحك جدّي الثاني: "يمكن أن يكون لدى بعض الناس أمورٌ أخرى يقومون بها غير إنجاب الأطفال".

"مثل ماذا؟".

"وظائف، صداقات، رحلات، هوايات".

"ما هي الهوايات؟".

"عمل يحبّ أن يقوم به المرء لقضاء أوقات فراغه في عطلة نهاية الأسبوع مثلًا، فأنا اعتدتُ أن أجمع قطع النقود المعدنيّة القديمة من كلِّ أنحاء العالم، وقد جمعتها في حقائب مخمليّة".

"لماذا؟".

"حسنًا، كان أمرها أسهل عليّ من إنجاب الأطفال، لا صراخ ولا حفاضات...".

أضحكني ما قاله.

تحوّل تجميع قطع ألعاب التّركيب الصغيرة؛ بشكلٍ ساحرٍ إلى سيّارة!

لديها واحدة اثنتان ثلاث أربع عجلات تدور، وسقف، وسائق، وكلّ شيء تحتاج إليه.

"كيف فعلتَ ذلك؟".

قال: "قطعة واحدة في كلّ مرّة، يمكنكَ اختيار واحدة الآن".

"أيّ واحدة؟".

"أيّ شيءٍ على الإطلاق".

أختار مربّعًا أحمر كبيرًا.

أعطاني جدّي الثاني قطعة صغيرة مع عجلة: "اضغطها عليها".

وضعت النتوء تحت النتوء الآخر وضغطت بقوّة.

أعطاني عجلة صغيرة أخرى، لأضغطها عليها.

"درّاجة جميلة، فرووم!!".

قال إنّه عالٍ جدًّا، أُسقطُ ألعاب التركيب على الأرض فتنفصل العجلة: "آسف".

"لا داعي للأسف، دعْني أُوضح شيئًا".

وضع سيّارته على الأرض، ودعس عليها، وسحقها، فتفكّكت إلى قطع، وقال جدّي الثاني: "أترى؟ لا مشكلة، هيّا نبدأ من جديد".

* * *

قالت جدّتي أنا أشمُّ رائحة نتنة.

"إنني أفرك جسدي بقطعة قماش".

"نعم، لكن الأوساخ تختبئ في الشقوق، لذلك سأعدّ الحمام، وستدخلهُ"، جعلت مستوى المياه عاليًا جدًّا في المغطس الذي يتصاعد منه البخار، وصبّت فيه موادّ كوّنت الفقاعات التي بدت وكأنها تلال متلألئة، أمّا اللون الأخضر في الحمّام فبات مخفيًّا تقريبًا، لكنني أعلم أنّه لا يزال هناك.

"اخلعْ ملابسك، عزيزي"، وقفتْ ووضعت يديها حول وركيها: "لا تريدني أن أرى؟ أنتَ تفضّل أن أكون في الخارج؟".

"لا!".

قالت: "ما الأمر؟ هل تظنّ أنّك ستغرق من دون أمّك أو أيّ شيء من هذا القبيل؟".

لم أعرف أشخاصًا قد يغرقون في الحمام.

قالت: "سأجلس هنا طوال الوقت، على غطاء المرحاض".

هززت برأسي: "هل ستستحمّين معي".

"أنا؟ أوه، جاك، أنا آخذ دوشًا كلَّ صباح، ولكن ماذا لو جلستُ على الحافّة اليمنى من المغطس هكذا؟".

"فيه؟".

حدّقت جدّتي إليّ، بعدها تأوّهت وقالت: "حسنًا، إذا كان هذا ما يتطلّبه الأمر، فقط هذه المرّة... لكنّني سأرتدي ملابس السباحة".

"أنا لا أعرف السباحة".

"لا، نحن لن نسبحَ بالفعل، أنا فقط، أفضّل ألا أكون عارية هل هذا مناسب".

"هل العري يخيفك؟".

أجابتني: "لا، أنا فقط، أفضّل ألّا أكون عارية، إذا كنت لا تمانع".

"هل أستطيع أن أكون عاريًا؟".

"طبعًا، أنتَ طفل".

في الغرفة كنّا أحيانًا نكون عاريين وأحيانًا نرتدي الملابس، ولم نُمانِعْ على الإطلاق.

"جاك، هل يمكننا الدخول إلى المغطس قبل أن يبرد؟".

إنّه ليس باردًا تقريبًا، لايزال هناك بخار يتصاعد منه، ثم بدأت بخلع ملابسي.

وقالت جدّتي إنّها ستعود في غضون ثانية.

تستطيع التماثيل أن تكون عارية حتّى ولو كانت تماثيل أشخاص بالغين، أو ربما يجب عليها أن تكون كذلك، فقد قال جدّي الثاني إنّ ذلك يعود إلى أنها تخلّد ذكرى الأقدمين، ولأنّ الرومان القدامى اعتقدوا أن الأجساد هي الشيء الأجمل على الإطلاق.

أتّكئ على المغطس، ولكن الجزء الخارجيّ منه يشعرني بالبرد عندما يلامس بطني، وقد ذُكر شيء عن ذلك في كتاب أليس في بلاد العجائب.

قالوا لي إنكَ ذهبتَ إليها.

وذكرتَني لها.

وهي أعطتني شخصيّة جيّدة.

ولكنني قلتُ لا أستطيع السباحة.

غاصت أصابعي، فامتزج الصابون بالماء، وأدّيت دور القرش، إلى أن أتت جدّتي وهي ترتدي ثوبًا مُخطّطًا يشبه الملابس الدّاخلية، وقميصًا مزيّنًا بخرزات ملوّنة، ووضعت على رأسها كيسًا بلاستيكيًا، قالت إنه قبّعة الاستحمام على الرغم من أننا نستحمّ.

لم أظهر لها سخريتي من تصرّفها، ولكنني كنت أضحك في داخلي.

عندما دخلتْ إلى الحوض ارتفع منسوب الماء، حتى كاد ينسكب خارجه.

لطالما جلست *ما* في نهاية المغطس، وبينما كنت أحرص على أن لا تلمس قدماي قدمي جدّتي، ارتطم رأسي بالصنبور.

"احذر".

لماذا الناس يقولون ذلك فقط بعد الأذى؟

جدّتي لا تتذكّر أيّة ألعاب حمّام ماعدا "صفّ، صفّ، صفّ قاربكَ"، وعندما نجرّب ذلك يفيض الماء من المغطس.

هي لا تعرف أيّ لعبة، مثل لعبة فرشاة الأظافر التي تمثل دور غوّاصة تمشّط قاع البحر، بحثًا عن الصابون الذي نعتبره بمثابة قنديل البحر اللّزج.

وبعد أن جفّفنا نفسينا، خدشت أنفي فعلق شيء أبيض صغير بظفري، فوقفت أمام المرآة ورأيت دوائر متقشّرة، لقد تقشّرت طبقة من جلدي.

يدخل جدّي الثاني جالبًا الخُفّين: "فقد اعتدتُ أن أحبَّ انتعالهما"، وعندما لمس كتفيّ ظهرعلى ظهري شريط أبيض، ولم أشعر بيد جدّي الثاني وهي تفصله عن جسدي، ثمّ قال: "هذا جيّد".

قالت جدّتي: "أوقف ذلك".

أفركُ الشيء الأبيض، فيتدحرج على بشرتي ككرة صغيرة جافّة.

قلت: "مجدّدًا".

"تشبّث، دعني أجد شريطًا طويلًا على ظهرك..."

بدا الامتعاض على وجه جدّتي من تصرّف جدّي الطفوليّ، وهي تقول: "ذكور".

* * *

كان المطبخ فارغًا هذا الصباح، فأحضرت المقصّ من الدرج، وقصصت خصلة من شعري المربوط، فدخلت جدّتي وحدّقت إليّ، ثم قالت: "حسنًا، سأرتّب شعرك فقط، إذا جاز لي ذلك"، وأردفت: "وبعدها تستطيع الحصول على الفرشاة، ولكن يجب أن نحتفظ بخصلة شعر، لأنّها المرّة الأولى التي تقصّ فيها شعرك..."

معظم خصلات الشعر ألقتها في القمامة، ولكنها أخذت ثلاث خصلات طويلة، وجدلتها، وصنعت منه سوارًا، وربطت نهايتيه بخيط أخضر.

وقالت اذهب وانظر إلى المرآة، ولكن في البداية تفحّصت عضلاتي، وتأكّدت من أنني لم أخسر قوّتي.

* * *

كتب في أعلى الصحيفة *(السبت، نيسان، 17)* وهذا يعني أنه مضى على وجودي في منزل جدّتي وجدّي الثاني أسبوع كامل، وسبق لي أن أمضيت أسبوعًا في العيادة، وهذا يعني أنني في العالم الخارجيّ منذ أسبوعين، ولكنني أشعر أنه مضى على غياب *ما* مليون سنة.

قالت جدّتي إنه علينا الخروج من المنزل، وأنّ لا أحد سيعرفني الآن بعد أن أصبح شعري قصيرًا، ومجعّدًا، وأخبرتني أن لا ضرورة لوضع النظّارة، لأن عينيّ لا بدّ أنهما اعتادتا على الضوء، كما أنها ستَلفِت إليّ الأنظار.

ونحن نقطع الكثير من الطرقات ممسكين بأيدي بعضنا، لا نترك السيّارات تصدمنا، ولكنّني لا أحبّ الإمساك بالأيدي.

فخطرت لجدتي فكرة جيّدة، وهي أن أُمسك بسلسلة محفظتها بدلًا من يدها.

هناك الكثير من كلّ أنواع الأشياء في العالم، ولكن جميعها تكلّف مبالغ كبيرة، وحتّى الأشياء التي يتمّ التخلّص منها، فالرجل الذي يقف أمامنا في الصفّ، اشترى من المتجر شيئًا في علبة وقام بتمزيقها، ورميها بعيدًا، في صندوق القمامة.

والبطاقات الصغيرة ذات الأرقام المختلفة، والتي تدعى أوراق اليانصيب، الحمقى يشترونها على أمل أن يصبحوا بين ليلة وضحاها من أصحاب الملايين.

في مكتب البريد نشتري الطوابع، ونرسلُ *لما* صورة التقطتها لي جدّتي، وأنا في مركبة فضائية.

دخلنا إلى ناطحة سحاب، وقصدنا مكتب بول، الذي قال إنه مشغول، ولكنه أمسك بيدي واشترى لي قطعة كعك من آلة البيع الذاتيّ، ثم نزلنا في المصعد وضغطت على الأزرار، في الواقع أنا أحبّ اللعب بأزرار آلة البيع الذاتيّ.

دخلنا مكتبًا حكوميًّا للحصول على بطاقة ضمان اجتماعيّ جديدة لجدّتي، لأنها فقدت البطاقة القديمة، وانتظرنا لسنواتٍ وسنوات، بعد ذلك مباشرةً أخذتني إلى مقهى حيثُ لا يوجد فاصولياء خضراء، فاخترتُ قطعة بسكويت أكبر من وجهي، وكان هناكَ طفلٌ يحظى بالقليل، فلم أرَ ذلك قبلًا على الإطلاق، فقلت وأنا

أشير: "أحبُّ الأيسر، هل تحبُّ الأيسر أكثر؟"، ولكن الطفل لم يسمع كلامي.

فسحبتني جدّتي بعيدًا وهي تقول: "أعتذرُ عن ذلك".

غطّت المرأة ثديها بوشاح، فلم أعد قادرًا على رؤية وجه الطفل.

همست جدّتي إليّ: "إنها تسعى إلى الحفاظ على الخصوصيّة".

لم أعرف أشخاصًا يسعون إلى الحفاظ على الخصوصيّة في العالم الخارجيّ.

دخلنا إلى المرحاض فقط لِنقف أمام المرآة، فأردت تسلّق آلة دوّارة، ولكن جدّتي قالت إنها ستقتلني.

مشينا إلى الحديقة لكي نطعم البطّ مع ديانا وبرونوين.

رمت برونوين خبزها بالكامل دفعةً واحدة، مع الحقيبة البلاستيكيّة أيضًا، فأخرجتها جدّتي باستخدام عصا، وأرادت برونوين الحصول على قطع من الخبز الذي معي، فقالت جدّتي إنّه يتوجّب عليَّ إعطاؤها نصفهُ لأنها لا تزال صغيرة.

تأسّفت ديانا على ما جرى يوم ذهابنا لمشاهدة الديناصورات، وأكّدت لي إننا سنذهب يومًا ما إلى متحف تاريخ الطبيعة.

دخلنا إلى متجرٌ أحذية، فكان هناك حذاء إسفنجيٌّ لمّاع مع ثقوب تغطّيه بالكامل، جعلتني جدّتي أجرّبه، فاخترت الأصفر، وقد أدخلت قدمي فيه بسهولة، إذ لم تكن له أربطة ولا شريط لاصق حتّى، وكان خفيفًا وطريًّا جدًّا، حتى إنني شعرت وكأنني لا أنتعل شيئًا، وقد دفعت جدّتي خمسة دولارات ورقية ثمن الحذاء، وهذا يعني حوالى عشرين ربعًا.

وأُخبرتها بأنني أحببته.

عندما خرجنا كان هناك امرأة تجلس على الأرض رافعةً قبّعتها، فأعطتني جدّتي ربعَين وأشارت إلى القبعة. وضعت ربعًا في القبعة، وركضت عائدًا إلى جدّتي وقد احتفظت بالربع الآخر.

وعندما كانت تضع حزام مقعدي سألتني: "ما الذي بيدِكَ؟".

أريتها الربع الثاني، وقلت: "إنها نبراسكا، أنا أحتفظ بها من أجل بنطالي".

عضّت على شفتها، واستعادت الربع منّي: "لقد توجّب عليك إعطاؤه للمرأة في الشارع، كما طلبت منك".

"حسنًا، أنا س...".

"تأخّرتَ جدًّا الآن".

شغّلت محرّك السيّارة، وكلّ ما استطعت رؤيته من الخلف هو شعرها الأصفر.

"لماذا المرأة في الشارع؟".

"إنها تعيش هناك، ليس لديها سرير حتّى".

شعرت حينها بالاستياء لأنني لم أعطِها الرّبع الثاني.

قالت جدّتي هذا يُدعى تأنيب الضمير.

في واجهة المتجر رأيت مربّعات مثل التي في الغرفة، بلاط الفلّين، فتركتني جدّتي أدخل وأضرب واحدًا، وأشمّه لكنها لم تشتره.

ثم دخلنا إلى مغسل السيّارات، فكانت الفُرَش تنظّف من كلِّ الجهات، ولكنّ الماء لا يدخل من نوافذنا المغلقة بإحكام، فكان منظرًا مضحكًا.

في العالم ألاحظ الناس دائمًا متوتّرين ولا يملكون الوقت، حتّى جدّتي غالبًا ما تقول ذلك، على الرغم من أنها وجدّي الثاني لا يعملان، لذلك لا أعلم كيف يقوم سائر الأشخاص بأعمالهم إلى جانب الأمور الأخرى. فعندما كنت في الغرفة مع *ما* كان لدينا الوقت الكافي لكلّ شيء، وأعتقدُ أن الوقت ينتشر بشكل ضئيل جدًّا في كلّ أنحاء العالم مثل زبدة الفستق، في الطرقات، والمنازل، والملاعب، والمتاجر، لذلك لا يتوفّر سوى مسحة خفيفة منه في كلّ مكان، وعلى كلّ شخص أن يسرع في استثماره قبل الانتقال إلى الجزء التالي.

كما أنني أرى أنّ كلّ مكان فيه أطفال، يبدو أنّ البالغين ينزعجون منهم ولا يحبّونهم في الغالب، وحتّى أهلهم يدّعون أمام الناس أنّ أطفالهم رائعون ولطفاء جدًّا، ويجعلونهم يفعلون الأشياء التي لا يرغبون في القيام بها فقط كي يستطيعوا

التقاط الصور لهم، ونشرها عبر وسائل التواصل الاجتماعيّ للتباهي بها، لكنهم في الواقع لا يهتمّون بهم ولا يرغبون في اللعب معهم، إذ إنهم يفضّلون احتساء القهوة والتّحدّث إلى البالغين أكثر من ذلك، وأحيانًا قد يبكي طفل صغير، ولكن أمّه لا تهتمّ بأمره.

في المكتبة كان هناك ملايين الكتب التي لا يجب أن ندفع المال مقابل قراءتها، والحشرات العملاقة المُعَلَّقة على جدرانها لم تكن حقيقيّة، بل مصنوعة من الورق.

بحثت جدّتي تحت حرف /c/ عن *أليس* فكانت هناك، على الرغم من أن الشّكل مختلف، ولكنّ الكلمات والصور كانت نفسها، وهذا غريب جدًّا، وقد أريْتُ جدّتي الصورة الأكثر رعبًا مع زوجة الدّوق، وجلسنا على الأريكةِ لتقرأ لي جزءًا لم أتوقّع أنّه الجزء نفسه الذي أفضّله، وهو عندما يسمع الوالدان الضّحك داخل الصخرة، حيث ظلّا يصرخان للأطفال ليعودوا إليهم، ولكنهم كانوا في بلد جميل، وأظنّ أن ذلك البلد هو الجنّة، وهكذا الجبل لم ينشقّ على الإطلاق ليتمكّن الوالدان من أن يدخلا عبره.

وكان هناك صبيّ كبير يستخدم حاسوبًا تظهر عليه صورة هاري بوتر، فقالت جدّتي ألّا أقف قريبًا جدًّا منه، لأنّه لم يحنْ دوري بعد.

وهناكَ مجسّم مدينة صغيرٌ على طاولة مع سكك قطار وأبنية وشاحنات... وطفل صغير يلعب بشاحنة خضراء، فأنهض، وآخذ شاحنة حمراء، وأقرّبها من شاحنة الطفل قليلًا، فيضحك، ثم أقوم بمنافسته بتسيير الشاحنة بسرعة كبيرة، فتسقط الشاحنتان، فيضحك أكثر.

وهناك رجلٌ على كرسيّ ذي ذراعين، ينظرُ إلى شيءٍ مثل شجرة عُلَّيق، فقال الخال بول: "مشاركة جيّدة، ووكر".

لا بدّ أن الطفل يدعى ووكر، فقال: "مجّددًا".

هذه المرّة جعلت شاحنتي تسابق الشاحنة الصغيرة، ثم تناولت حافلة برتقاليّة وجعلتها تصدم كليهما.

فقالت جدّتي: "بلطف"، ولكن ووكر قال: "مرّة أخرى"، وأخذ يقفز.

رجلٌ آخر دخل وقبّل الأول وبعدها ووكر، وقال له: "قُلْ وداعًا لصديقكَ".

هل أنا صديقه؟

لوّح ووكر بيدِهِ: "وداعًا".

شعرت برغبة في معانقته بقوّة، وهذا ما قمت به بالفعل، ولكنّه وقع على الأرض، وأخذ يضرب الطاولة بالقطار وهويبكي.

ظلّت جدتي تقول: "أنا آسفة جدًّا، فحفيدي لا...، إنه يتعلّم الحدود.."

قال الرجل الأوّل: "لم يحدثْ أيّ أذى"، وخرجا مع الصبي الصغير الذي تأرجح بينهما، *واحد اثنان ثلاثة وووي!* ولم يعد يبكي الآن، ونظرت جدّتي إليهم، وقد بدت مرتبكة.

قالت ونحن في طريقنا إلى السيارة البيضاء: "تذكّر، نحن لا نعانق الغرباء، حتّى الرائعين منهم".

"لِمَ لا؟".

مكتبة
t.me/t_pdf

"نحن لا نعانق إلّا الأشخاص الذين نحبهّم".

"أنا أحببت الطفل ووكر".

"جاك، كيف أحببته ولم يسبق لك أن رأيته على الإطلاق".

* * *

هذا الصباح سكبت القليل من الشراب على فطيرتي إنّه أمرٌ جيّدٌ حقًّا أن يمتزجا معًا.

تتعقّبني جدّتي، وتقول إنه من الجيّد أن أرسم على سطح السفينة، لأنه عندما تمطر ستجرف المياه آثار الطباشير بعيدًا، فشاهدت الغيوم الملبّدة في السماء، وما إن تمطر سأركض بسرعة تفوق سرعة الصوت قبل أن تضربني القطرات، ثم قلت لجدّتي: "لا تضعي الطباشير عليّ".

"أوه، لا تكنْ قلقًا هكذا".

سحبتني لأقف في الأعلى، فأرى شكل طفل في الفناء، إنّه أنا، لديّ رأس ضخم، لا وجه، لا شيء في داخله، وله يدان ضبابيّتان.

صرخ جدّي الثاني: "أُرسل لك شيء يا جاك"، ماذا يقصد؟

دخلت ورأيته يفتح صندوقًا، فسحبُ منه شيئًا ضخمًا، وقال: "حسنًا، تستطيع الذهاب بها فورًا إلى صندوق القمامة".

فتحها وقال: "سجّادة"، فعانقته بشدّة قائلًا: "إنها سجّادتنا، أنا *وما*".

أبعد يديه وقال: "ما رأيكِ؟".

لوت جدّتي وجهها: "كان من الجيّد أن تخرجها وتنفضها..."

صرختُ: "لا!".

فركت السجّادة بين أصابعها: "حسنًا، سأستخدم المكنسة الكهربائية، لكنّني لا أحبُّ التفكير فيها..."

يجبُ أن أحتفظ بالسجّادة على فراشي في غرفة النوم، فسحبتها عبر أرجاء المنزل، وجعلت منها خيمة وجلست على أسفلها، فرائحتها تمامًا مثلما أتذكّر. وفي الأسفل كان هناك المزيد من الأشياء التي أحضرتها الشرطة، فقبّلت سيّارة الجيب وجهاز التّحكّم عن بُعد قبلةً كبيرة، وكذلك الملعقة الذائبة، وتمنّيت لو لم يكنْ جهاز التحكّم عن بُعد مكسورًا، لأنه عندها كان سيتاح لي اللعب بالسيارة، والكرة الملوّنة باتت مسطّحة أكثر ممّا أتذكّر، والبالون الأحمر قسا بالكامل، وسفينة الفضاء هنا، ولكن مفجّر الصاروخ مفقود، ولا يبدو جيّدًا جدًّا، ولا حصن أو متاهة، وربما كانت المتاهة كبيرة جدًّا لتوضع في الصناديق، ولديَّ كتبي الخمسة، حتى دايلان. أخرجتُ دايلان الآخر، الجديد الذي أخذتهُ من المتجر، لأنني ظننتُه خاصّتي، لكن الجديد كان أكثر لمعانًا، فقالت جدّتي هناك الآلاف من كلِّ كتاب في العالم لذلك آلاف الأشخاص يستطيعون قراءة الكتاب نفسه في الوقت عينه، وهذا ما أصابني بالدوار، قال دايلان الجديد: "مرحبًا، دايلان، سُررْتُ بلقائك".

قال دايلان القديم: "أنا دايلان".

فقال الجديد: "أنا واحدٌ آخر لجاك".

"نعم، ولكن في الواقع، أنا كنتُ لجاك أوّلًا".

سحق القديم والجديد أحدهما الآخر من الزوايا فتمزّقت صفحة من الجديد، فتوقّفت لأن *ما* ستغضب منّي، ولكنّها ليست هنا لتغضب، فكيف لها أن تعرف، فبكيت وبكيت ووضعت الكتابين في حقيبة دورا حتى لا يبكيا، فتعانق كتابا دايلان عناقًا حارًّا في الداخل، وأعتذر كل منهما إلى الآخر.

أجدُّ السنّ تحت الفراش فأمصّه حتى يشعر وكأنّه واحدٌ من أسناني.

تُصدرُ النوافذ ضوضاء مثيرًا، إنّها قطرات المطر، فأذهبُ وأغلقها.

أنا لستُ خائفًا طالما الزجاج يفصل بيننا، فأضعُ أنفي تمامًا عليه، وقد بدا كلُّ شيءٍ ضبابيًّا بسبب المطر، والقطرات تمتزج ببعضها، وتتحوّل إلى جداول طويلةٍ أسفل زجاج النافذة.

* * *

قمتُ وجدّتي وجدّي الثاني برحلة مفاجئة في السيّارة البيضاء.

سألت جدّتي بينما كانت تقود: "إلى أين نحن ذاهبون؟".

غمزتني عبر مرآة الرؤية الخلفية: "إنها مفاجأة".

شاهدت من خلال النافذة أشياء جديدة، فتاة على كرسي مُدَولَب، ورأسها إلى الخلف بين شيئين مبطّنين، وكلبًا يشمّ مؤخّرة كلبٍ آخر، هذا مضحك.

هناك صندوقٌ معدنيٌّ للبريد.

أعتقدُ أنّني غفوتُ قليلًا، ولكنني لستُ متأكّدًا.

ركنت جدّتي السيّارة في مكان فيه الكثير من الأشياء المغبرة.

سألني جدّي الثاني مشيرًا إليه: "احزر ماذا؟".

"سكّر؟".

قال: "رمل، هل تشعر بالدفء؟".

"لا أنا أشعر بالبرد".

"هو يقصدُ، هل تعرف أين نحن؟ إنّه مكانٌ مميّز، اعتدتُ أنا وجدّك إحضار والدتك وبول إليه عندما كانا صغيرَين؟".

أنظرُ إلى مسافةٍ طويلةٍ: "الجبال؟".

"الكثبان الرمليّة، وبين هذين الشيئين، شيء أزرق؟".

"السماء".

"لكن تحتها، الأزرق الداكن في الأسفل".

شعرتُ بألم في عينيّ على الرغم من وضع النظارة.

قالت جدّتي: "البحر!"

سرت خلفهما على طول الممشى الخشبيّ، أحمل الدلو، إنّه ليس كما اعتقدتُ، وتستمرّ الريح بنثر حبّات الرمل الصغيرة في عينيّ.

مدّت جدتي سجّادة كبيرة مزخرفة بالورود، فقلتُ لها: "ستصبح مليئة بالرمال"، ولكنها تقول لا بأس إنها بطّانية النزهة.

"أينَ النزهة؟".

"إنّ الوقت باكر للتنزّه على البحر هذا العام".

قال جدّي الثاني لماذا لا تنزل إلى الماء.

في حذائي الكثير من الرمل، وفي الحال خلعت إحدى فرديه، فقال جدّي الثاني: "هذه فكرة"، وخلع حذاءهُ ووضع جوربيه فيه، وأمسكه بأربطته وبدأ يتأرجح.

أضع جوربيّ في حذائي أيضًا، الرمل رطب بالكامل وغريب على قدميّ، وهناك قطعٌ شائكة، فلم تصف لي *ما* الشاطئ على هذا النحو.

قال جدّي الثاني: "هيّا"، وأخذ يركض نحو الماء.

أبقى بعيدًا لأنّ هناك أجزاء بيضاء ترغو على سطحه، وتصدر صوتًا قبل أن تتراجع، لا يتوقّف البحر الكبير عن الهدير، لذا لا يفترض بنا أن نكون في داخله.

أعود إلى جدّتي وأجلس على بطّانية النزهة، إنها تلوّي أصابع قدميها العاريتين وتجعّدهما، ثم حاولنا أن نبني قلعة رملية، ولكنه نوعٌ سيّئ من الرمل، إذ إنه يستمرّ بالانهيار.

عاد جدّي الثاني، وقد لفّ ساقي بنطاله الذي كان الماء يقطر منه: "ألم تشعر بالرغبة في السباحة؟".

"البحر مليء بالبراز".

"أين؟".

"في البحر، برازنا ينزل عبر الأنابيب إلى البحر، لا أريد أن أسبح فيه".

ضحك جدّي الثاني: "أمّك لا تعرف الكثير حول السباكة، هل تعرف؟".

أردت أن أضربه: "*ما* تعرف كلّ شيء".

"هناك شيء مثل المصنع تصبّ فيه كلّ أنابيب المراحيض".

جلس على البطّانية وكان الرمل يغطّي قدميه، وقال: "في ذلك المصنع يُخرج الرجال البراز، وينظّفون كلّ قطرة من الماء، ليصبح صالحًا للشرب، ويعيدون الماء مجدّدًا إلى الأنابيب ليصل مجدّدًا إلى صنابيرنا".

"حتى تنزل إلى البحر؟".

هزّ برأسه: "أعتقدُ أنّ البحر يتكوّن فقط من مطرٍ وملحٍ".

سألتني جدّتي: "هل سبق لك أن تذوّقت دمعة؟".

"نعم".

"حسنًا، هذا هو طعم ماء البحر".

لا أزال أرفض السباحة، وإن كان يتكوّن من الدموع.

لكنني في النهاية، سرت مع جدّي الثاني بالقرب من المياه بحثًا عن الكنز.

فوجدنا صدفة بيضاء، مثل الحلزون.

قال جدّي الثاني: "احتفظ بها".

نتناول غداءنا وقت العشاء، ذلك لا يعني تناول العشاء تمامًا، ولكن يمكن تناول الطعام في أيّ وقتٍ، فأتناول فطيرة *ال بي إل تي*، وهي عبارة عن شطيرة ساخنة

من الخسّ والطماطم واللحم المقدّد.

في أثناء القيادة إلى المنزل أرى الملعب، لكنه بدا مختلفًا تمامًا، الأراجيح على الجهة المعاكسة، فقالت جدّتي: "أوه، جاك، هذا ملعب آخر، هناك ملاعبٌ في كلّ بلدة".

كثيرة هي الأشياء في العالم التي تبدو مكرّرة.

* * *

صوتُ أمّي ضعيفٌ جدًّا عبر الهاتف: "أخبرتني نورين أنك قصصت شعركَ".

"نعم، ولكنني لم أفقد قوّتي"، جلست أسفل الخيمة المصنوعة من السجّادة مع الهاتف حيث خيّم الظلام، وتخيّلت أن *ما* بجواري، وأخبرتها قائلًا: "أنا أستحمّ الآن بمفردي، واستلقيت في الأرجوحة، وأصبحت أعرف عن النار والمال والأشخاص في الشارع، وأصبح لدي نسختان من دايلان، بالإضافة إلى حذاء إسفنجي"، كما أخبرتها أيضًا أنني أصبحت أعرف الضمير.

"واو".

"ورأيتُ البحر، ولا يوجدُ فيه بُراز، كنتِ تخدعينني".

قالت *ما*: "كان لديك الكثير من الأسئلة، ولم يكن لديَّ كلّ الإجابات، لذا كان عليَّ أن أختلق بعضها".

أسمعها تبكي.

"*ما* هل تستطيعين المجيء وأخذي الليلة؟".

"لا أستطيع بعد".

"لِمَ لا؟".

"إنهم يعملون على تحديد ما أنا بحاجة إليه من دواء".

أنا، إنها تحتاج إليّ أنا.

* * *

أريدُ أن آكل طعامي التايلاندي بملعقتي الذائبة، ولكن جدّتي قالت إنها غير صحّيّة، ولاحقًا وبينما كنت أتصفّح القنوات، وهذا يعني النظر إلى كلّ المحطّات بأسرع طريقة، سمعت اسمي، وليس في الحقيقة ولكن في التّلفاز.

"... نحتاج الاستماع إلى جاك".

قال رجلٌ آخر يجلس إلى طاولة كبيرة: "نحنُ كلُّنا جاك، في الإحساس".

وقال رجل آخر: "بالتأكيد".

هل هم يُدعَونَ جاك أيضًا، هل هم يعتبرون جزء من المليون؟

* * *

دخلت جدّتي عابسة وأطفأت التلفاز.

أُخبرُها: "إنّه كان عنّي".

"هؤلاء الرجال ينفقون الكثير من الوقت في الكلّيّة".

"*ما* تقول يجب عليَّ الذهاب إلى الكليّة".

حرّكت جدّتي عينيها: "كلّ شيء في وقته، والآن وقت البيجامة وتنظيف الأسنان".

قرأت لي قصة الأرنب الهارب لكنني لم أحبّها اليوم.

أستمرُّ بالتفكير في ماذا لو كانت الأرنبة الأم هي التي هربت واختبأت، والأرنب الطفل لم يستطع إيجادها.

* * *

ستشتري لي جدّتي كرة قدم، إنها مثيرة جدًّا، أذهبُ وأنظرُ إلى الرجل البلاستيكي مع بذلة مطّاطيّة سوداء وزعانف، عندها أرى كومة كبيرة من الحقائب بكلّ الألوان مثل الزهريّ والأخضر والأزرق، وبعدها السّلم الكهربائي، فخطوت خطوة وخلال ثانية لم أعد أستطيع الرجوع، إنّه يقرّبني للأسفل الأسفل إنّه

أجمل شيءٍ ولكنّه الأكثر رعبًا أيضًا. في النّهاية عليَّ أن أقفزَ منهُ، ولكن كيف سأعود إلى الأعلى، إلى جدّتي مجددًا، أعدُّ أسناني خمسَ مراتٍ، مرّة واحدة أخطأت، فكان عددها تسعة عشرَ سنًّا بدلًا من عشرين. هناك يافطات في كلِّ مكان كلّها تدلّ على الشيءَ نفسهُ، *فقط ثلاثة أسابيع لعيدِ الأمّ، أليستْ تستحقُّ الأفضل؟* أنظرُ إلى الأطباقِ والمواقدِ والكراسي، بعدها شعرت بالتعب، ووجدت نفسي مستلقيًا على سرير.

قالت امرأة إنه من غير المسموح الاستلقاء على السرير، لذلك نهضت، فسألتني: "أين والدتك، أيها الصغير؟".

"هي في العيادة لأنها متعبة، وتسعى إلى الوصول باكرًا إلى الجنّة"، فحدّقت إليّ وأردفت قائلًا: "أنا بونساي".

"أنتَ ماذا؟".

"كنا محبوسَين، والآن نحن نجوم راب".

صرخت: "يا إلهي – أنتَ ذلك الصبي الأسير! – لورانا تعالي إلى هنا، أنتِ لن تصدّقي ذلك، إنّه الصبي، جاك، الذي عاش في الغرفة".

فتاة أخرى تقترب وتقول: "صبيُّ الغرفة أصغر، وشعره طويل ومربوط، وهو منحني القامة".

قالت: "إنّه هو، أقسمُ إنه هو".

قالت الأخرى: "لا يمكن".

أقول: "اتّفقا".

ضحكتا مطوّلا، وقالت الفتاة الأولى: "هذا ليس حقيقيًا، هل أستطيعُ أن ألتقط صورة تذكاريّة؟".

"لورانا، هو لا يعرفُ كيف يوقّع اسمه".

قلت: "بلى، أنا أعرف، أستطيع أن أكتب أيّ شيءٍ".

الورقة الوحيدة هي ملصق قديم من ملابس، كتبتُ *جاك* للكثير من النساء ليعطِينَها لأصدقائهنَّ، وفجأة ظهرت جدّتي تركض مع كرة تحت ذراعها، لم يسبقْ

لي أن رأيتها غاضبة جدًّا، وصرخت على النساء الملتفّات حولي ومزّقت تذكاراتي، وسحبتني من يدي، وعندما تخطّينا بوابة المتجر وصرنا خارجه، انبعث صوت الإنذارِ *آااي آااي* فترمي جدّتي كرة القدم على السجّادة.

عندما أصبحنا داخل السيارة لم تنظر إليّ عبر المرآة، فسألتها: "لماذا رميت كرتي بعيدًا؟".

قالت جدّتي: "لأوقف صوت الإنذار لأنني لم أدفع".

"هل كنتِ تسرقين؟".

صرخت: "لا، جاك، كنت أركض في أرجاء المتجر مثل المجنونة بحثًا عنك"، وأردفت بهدوءٍ قائلة: "فكلّ شيء كان يمكن الحدوث".

"مثل هزّة أرضيّة؟".

حدّقت جدّتي إليّ عبر المرآة الصغيرة: "غريبٌ قد يختطفك، جاك، هذا ما أتحدّثُ عنهُ".

الغريبُ ليس صديقي، ولكن النساء كُنَّ صديقاتي الجديدات.

"لماذا؟".

"لأنّهنَّ قد يُردنَ الحصول على صبيّ لهنّ، اتّفقنا؟ أو حتّى يمكنهنّ إلحاق الأذى بك".

"تقصدين هو؟"، العجوز نيك، لكنني لم أستطع قول ذلك.

قالت جدّتي: "لا، هو لا يستطيع الخروج من السجن، لكنّ شخصًا مثله قد يفعل".

لم أعرف بوجود شخصٍ مثلهُ في العالم.

سألتها: "هل تستطيعين الرجوع وجلب كرتي الآن؟".

شغّلت المحرّك وقادت بسرعة كبيرة خارج مرآب السيارات.

فأصدرت العجلات صريرًا.

في السيّارة أُصابُ بالجنون.

عندما عُدْنا إلى المنزل وضعت كلَّ شيءٍ في حقيبتي دورا.

ماعدا حذائي، لأنّني لم أجد له مكانًا، فرميته في القمامة ورفعت السجّادة وسحبتها خلفي على الدرج.

دخلت جدّتي الغرفة وسألتني: "هل غسلتَ يديك؟".

خاطبتها: "سأعود إلى العيادة، ولا يحقّ لك أن تمنعيني فأنت غريبة".

قالت: "جاك، أعِدْ وضعَ تلك السجّادة النّتنة حيثُ كانت".

صرخت بصوتٍ أعلى: "أنتِ النتنة".

ضربتْ على صدرها وقالت من فوق كتفها: "ليو، أقسمُ...".

صعد جدّي الثاني الدرج بسرعة، وحملني.

أسقطت السجّادة، فركل جدّي الثاني حقيبتي دورا بعيدًا، بينما كان يحملني وأنا أصرخ وأضربه، لأنني لم أسمح له أن يحملني، فهذا الأمر شأن خاصّ، وأستطيعُ قتلهُ حتّى.

أنا أقتلهُ وأقتلهُ: "ليو"، بكت جدّتي في الطابق السفليّ: "ليو...".

في فا يو فام، سوف يمزّقني إلى أشلاء، سيلفّني في السجّادة ويدفنني *والديدان ستزحفُ داخلةً وخارجةً*، ثمّ رمى بي على الفراش، ولكن ذلك لم يؤلمني.

جلس في نهاية الفراش، لِذا ارتفعت مثل الموجة، وأنا ما زلتُ أبكي وأهزُّ رأسي، وقد سال مُخاطي على المُلاءة.

توقّفت عن البكاء، وشعرت تحت الفراش بالسّنّ، فوضعته في فمي وامتصصته، فمذاقهُ ليس مثل أيّ شيءٍ على الإطلاق.

وضع جدّي الثاني يده على الفراش بالقرب من يدي، فبدا الشعر على أصابعه كثيفًا.

عيناه تنظران إلى عينيّ: "بعدلٍ وأمانة، كلّ ذلك أصبح من الماضي؟".

أنقلُ السّنّ إلى لثّتي: "ماذا؟".

"تريدُ تناول فطيرة على الأريكة ومشاهدة اللعبة؟".

"حسنًا".

* * *

ألتقطُ الأغصان المتساقطة من الأشجار، حتّى الكبيرة والضخمة منها، وأربطها وجدّتي في حزم من أجل أن تنقل إلى المدينة: "كيف تبدو المدينة..؟".

"الرجال من المدينة، أقصدُ، الرجال يعملون فيها".

عندما أكبر عملي سيكون عملاقًا، لن أعمل في تحضير الطعام، بل ربما سأعمل على التقاط الأطفال الذين يسقطون في البحر وسأعيدهم إلى البرّ.

أصرخُ: "انتبهي الهندباء"، تجرفها جدّتي بمجرفتها، لأن العشب يحول دون نمو الأشياء التي نرغب في نموّها.

عندما نتعب نذهب إلى الأرجوحة الشبكيّة، فقالت جدّتي: "اعتدْتُ الجلوس هكذا مع أمّك عندما كانت طفلة".

"هل حظيتْ بالقليل؟".

"القليل من ماذا؟".

"من ثدييكِ".

هزّت جدّتي برأسها: "اعتادت أن تثني أصابعي بينما كانت ترضع ثديي".

"أين هو بطنُ ما؟".

"أوه، أنت تعرفُ حول ذلك؟ ليس لديّ فكرة، أنا خجلة".

"هل لديها طفل آخر؟".

لم تقل جدّتي شيئًا بعدها قالت: "إنها فكرة جميلة".

* * *

إنني أرسم على طاولة المطبخ وقد ارتديت مريول جدّتي القديم، ورسمت تمساحًا وشرائط وحلزونات، واستخدمت كلّ الألوان، وخلطتها ببعضها، ورغبت في تكوين كتلة رطبة، وبعدها ضغطت عليها بورقة لتشكيل فراشة، هذا ما علمتني إيّاه جدّتي.

إنها *ما* في النافذة.

لقد انسكب اللون الأحمر، فحاولت مسحه، ولكنّه انتشر على الأرض عندما دعست عليه.

لم يعد وجه *ما* عند النافذة، ركضت إلى النافذة، ولكنها رحلتْ، هل خُيّل إليّ؟

لقد أصبح هناك بقع حمراء على النافذة وإطارها، فصرخت: "جدّتي؟ جدّتي؟".

عندها رأيت *ما* خلفي تمامًا.

ركضت نحوها، وعندما فتحت ذراعيها لتحتضنني، قلت لها إنّ يديّ ملطّختان بالألوان، فضحكت، وفكّت المئزر، ورمت به على الطاولة، واحتضنتني بقوّة، ولكنني أبقيت يديّ بعيدتين عنها، فقالت: "ما كدت أعرفك؟".

"لِمَ لن تعرفيني...؟".

"أعتقدُ أنه شعرك".

"أنظري، لديّ بعض الخصلات الطويلة حول معصمي كسوار، لكنه سوار يعلق بالأشياء".

"هل أستطيعُ أخذه؟".

"بالتأكيد".

لقد تلطّخ السوار ببعض الألوان، إنّه ينزلق من معصمي، وضعته *ما* في معصمها، إنها تبدو مختلفة، لكنني لا أعرفُ كيف: "أعتذرُ جعلتُ ذراعك حمراء".

قالت جدّتي وهي تدخل: "الألوان قابلة للإزالة بالماء".

سألتها *ما* وهي تقبّلها: "ألم تخبريه أنك قادمة؟".

"ظننتُ أنه من الأفضل ألّا أفعل، فربما حصل شيء ما حال دون قدومي، ولكن لم يحصل شيء".

"من الجيّد سماع ذلك"، مسحت جدّتي عينيها، وبدأت بمسح ما رسمته.

"الآن، جاك ينام على الفراش المنفوخ في غرفتنا، لكنني أستطيع صنع سرير لك على الأريكة".

"في الواقع، من الأفضل أن ننطلق".

لاتزال جدّتي تقف صامتة لدقيقة: "سوف تبقين من أجلِ وجبة خفيفة؟".

قالت *ما*: "بالتأكيد".

صنع جدّي الثاني شرائح اللحم مع الأرز الإسبانيّ، فأنا لا أحبّ قطع اللحم الصغيرة، ولكنني آكل كلّ الأرز وأكشط الصلصة بشوكتي، فيسرق جدّي الثاني بعضًا من اللحم من صحني.

مكتبة
t.me/t_pdf

"استعارة وليس سرقة".

تأوّه جدّي الثاني: "أوه، يا رجل".

أرتني جدّتي كتابًا ثقيلًا فيه صور أطفال، وقالت إنهما *ما* وبول عندما كانا صغيرين، فصدّقتها بعد أن رأيت صورة فتاة يشبه وجهها وجه *ما* تقف على الشاطئ، حيث اصطحبتني مع جدّي الثاني، فنظرت *ما* وقالت: "هذه أنا"، ثم قلبت الصفحة، وهناك واحدة لبول وهو يلوّح من خارج النافذة وخلفه موزة عملاقة وهي في الواقع مجسّم، وفي صورة أخرى له، يظهر وهو يأكلُ المثلّجات في الأقماع مع جدّتي، لكن بول وجدّتي لا يشبهان نفسيهما الآن، فشعر جدّتي في الصورة كان أسود.

"أين الأرجوحة الشبكيّة؟".

أجابتني *ما*: "كنا نستلقي عليها طوال ذلك الوقت، ولم يفكّر أحد في التقاط صورة لها".

قالت جدّتي: "من المؤسف أن لا يكون لدينا صورة له".

سألتها *ما*: "ما الذي تقصدينه؟".

قالت: "صورة لجاك عندما كان رضيعًا وطفلًا يحبو، أقصدُ فقط للذكرى".

بدت ملامح وجه *ما* خالية من التعابير: "لم يغب ذلك يومًا عن بالي"، ونظرت إلى ساعتها، فلم أكن أعلمُ أنها تملكُ واحدةً، كما أنها الآن تملك أصابع مدبّبة.

سألها جدّي الثاني: "في أيّ وقت يتوقّعون عودتك إلى العيادة؟".

هزّت أمي برأسها: "لقد انتهى علاجي بالكامل"، ثم أخرجت شيئًا من جيبها، وهزّته، إنه مفتاح، وسألتني: "احزر ما هذا يا جاك؟ لقد أصبح لدينا شقّة خاصّة بنا".

خاطبتها جدّتي باسمها الآخر وسألتها: "أتعتقدين أنها فكرة سديدة؟".

"إنّها كانت فكرتي، لا بأس، أمّي، فإلى جانبي معالجون نفسيّون على مدار الساعة".

"لكن لم يسبق لك أن عشت بعيدًا عن المنزل...".

حدّقت *ما* إلى جدّتي وكذلك فعل جدّي الثاني، وهو يكبت ضحكته.

قالت جدّتي وهي تضرب صدره: "ما من شيء مضحك، إنها تفهم ما أقصد".

أخذتني *ما* لأجمع أشيائي.

قلت لها: "أغمضي عينيكِ، هناك مفاجأة"، وقدتها إلى غرفة النوم، انظري: "إنها السجّادة والكثير من أشيائنا، لقد أعادتها لنا الشرطة".

قالت *ما*: "حسنًا، فهمت".

"انظري سيّارة الجيب وجهاز التحكّم عن بُعد...".

قالت *ما*: "لا تأخذ الأشياء المحطّمة معك، خُذْ فقط ما تحتاج إليه حقًّا، وضعهُ في حقيبتك الجديدة دورا".

"احتاج إلى كلّ شيء".

تنهدت *ما*: "تدبّر أمرك".

كيف أتدبّر أمري؟

"هناك صناديق تتّسع لها بالكامل".

"قلْتُ حسنًا".

وضع جدّي الثاني كلّ أغراضنا في الجزء الخلفيّ من السيّارة البيضاء.

قالت *ما* لجدّتي وهي تقود: "ينبغي لي أن أجدّد رخصتي".

"قد تجدين صعوبة في القيادة بعد كلّ هذه السنوات".

قالت *ما*: "أوه، أنا أجد صعوبة في كلِّ شيء".

رفعت معصمها وسألتني: "ما رأيك أن نمتلك يومًا سيّارة خاصّة بنا؟".

"نعم، وربما مروحية، وقطار، وغواصّة".

"يبدو الانتقال إلى الشقّة، كما لو أنه رحلة طويلة".

إنها ساعات وساعات في السيّارة، وأسألُ: "لماذا يستغرق الطريق وقتًا طويلًا؟".

قالت جدّتي: "لأننا نعبر المدينة بأكملها، عمليًّا، إننا نذهب إلى الجهة الأخرى من المدينة".

"ما..."

أصبحت الغيوم داكنة.

ركنت جدّتي السيارة حيثُ أشارت *ما*، فكان هناك لوحة كبيرة كتب عليها *منشأة سكنية للعيش المستقلّ*، ثم ساعدتنا في حمل كلّ صناديقنا وحقائبنا إلى البناء المشيّد من الآجر البنّي، ماعدا حقيبة دورا فأنا جررتها خلفي عبر عجلاتها، ودخلنا من باب كبير برفقة رجلٍ يدعى البوّاب، وكان يبتسم باستمرار، فهمست إلى *ما*: "هل سيقفل علينا؟".

"لا، لأنّه لا يزال هناك بعض الأشخاص في الخارج".

هناك ثلاث نساء ورجل يدعون طاقم الدعم، وهم يرحّبون باستدعائنا لهم في أيّ وقتٍ قد نحتاج فيه إليهم، ومهما كان نوع المساعدة.

الاستدعاء يكون من خلال الاتّصال بجهاز مثل الهاتف، وكان هناك الكثير من الطوابق، وفي كلّ طابق عدّة شقق، وأنا و*ما* نقطن في الطابق السادس، فأشدُّ ساعدها، وأهمسُ إليها: "الخامس".

"ما هذا؟".

"هل نستطيع أن نقطن في الخامس بدلًا من السادس؟".

أجابتني: "آسفة، ليس بإمكاننا الاختيار".

عندما يُغلق باب المصعد، ترتعش *ما*.

سألتْها جدّتي: "هل أنتِ بخير؟".

"إنها المرّة الأولى ويجب أن أعتاد الأمر".

توجّب على *ما* النقر على الرقم السرّي ليشتغل المصعد ويتحرّك.

أشعر بشيء غريب في بطني عندما يرتفع المصعد، وعندما نصل إلى الطابق السادس ينفتح الباب، لقد حلّقنا عاليًا من دون أن نشعر بذلك، هناك كوّة تسمى محرقة، نرمي من خلالها القمامة فتنزل إلى الأسفل وتخرج على شكل رماد، وهناك أحرف على الأبواب لا أرقام، وهناك حرف (ب) على باب شقّتنا، فنحن سنعيش في الشقّة (ب) في الطابق السادس، الرقم ستّة ليس سيّئًا مثل تسعة، في الواقع إنه رقم مقلوب فقط، فأدخلت *ما* المفتاح في الثقب، وعندما فتلتْ المفتاح فيه، بدا الألم على وجهها، لأن معصمها لا يزال مصابًا ولم يشفَ بعد، وقالت: "منزلنا"، وفتحت الباب.

كيف يكون منزلنا، ولم يسبق لنا أن أتينا إليه؟

الشقّة مثل المنزل، ولكن الشقق مضغوطة بالكامل، هناك خمس غرف، وهذا حظّ جيّد، واحدة للحمام مع مغطس، لذلك نستطيع الاستحمام في الحوض، وليس عبر أخذ دشّ فقط: "هل نستطيع الاستحمام الآن؟".

قالت *ما*: "دعنا نستقرّ أوّلًا".

الموقد تنبعث منه النار كما هي الحال في منزل جدّتي، وبجانب المطبخ هناك غرفة الجلوس التي تحتوي على أريكة وطاولة منخفضة وتلفاز كبير جدًّا.

جدّتي في المطبخ تفتح الصندوق: حليب، كعك، لا أعلم إن عاودت شرب القهوة مجدّدًا... إنه يحبُّ حبوب الإفطار التي على شكل أحرف الأبجدية، بالأمس سكبها مثل البركان".

وضعت *ما* ذرعها على كتف جدّتي.

"شكرًا".

"هل ينبغي لي القيام بأيّ شيء آخر؟".

"لا، أعتقدُ أنكِ فكرتِ في كلِّ شيءٍ، طاب مساؤكِ، أمّي".

التوى وجه جدّتي: "أنتِ تعلمين...".

نظرت *ما*: "ماذا؟ ماذا أعلم؟".

"لم أنسكِ يومًا أيضًا".

ولم تقولا شيئًا بعد ذلك، لذلك ذهبت إلى الأسرّة لأرى أيًّا منها نطّاط أكثر.

في الوقت الذي كنت أتشقلب فيه على السرير، أسمعهما تتحدّثان كثيرًا، فأفتح الباب، ثمّ أغلق بعد ذلك كلّ شيء.

هزّت *ما* برأسها: "أعتقدُ أنني سأحافظ على شعري طويلًا".

عندما كنّا نفرغ الأمتعة، واجهتني مشكلة كبيرة، فلم أستطع إيجاد السّنّ.

أبحث بين كلِّ أشيائي، وأحاول أن أتذكّر أين وضعته عندما أمسكته بيدي بعد أن أخرجته من فمي، ليس الليلة الماضية، ولكن ربما في ليلة سابقة في منزل جدّتي، أعتقدُ أنني كنتُ أمصُّهُ، ولديَّ فكرة سيّئة؛ ربما ابتلعتهُ عندما كنتُ نائمًا.

"ماذا يحدثُ للأشياء إذا أكلناها إنْ لم تكنْ طعامًا؟".

كانت *ما* تضع الجوارب في درجها: "مثل ماذا؟".

لا أستطيع إخبارها، فربما فقدتُ جزءًا صغيرًا منها: "مثل حجر صغير أو أيّ شيء آخر".

"أوه، عندها سينزلق من خلالك".

اليوم، لم ننزل إلى الأسفل في المصعد، ولم نصعده.

بقينا في شقّتنا المستقلّة نتعلّم كلّ الأشياء الصغيرة، قالت *ما*: "بإمكاننا النوم في هذه الغرفة، ولكن يمكنك اللعب في تلك الأخرى التي تصلها أشعّة الشمس أكثر".

"معكِ".

"حسنًا، نعم، ولكن في بعض الأحيان سأكون مشغولة بشيء ما، لِذا ربما خلال اليوم ستكون غرفتي منفصلة عن غرفتك".

ما الأشياء الأخرى؟

سكبت *ما* حبوب الفطور، وقالت: "اشكرِ الطفل يسوع".

وأردفت قائلة: "قرأتُ كتابًا في الكليّة ذُكر فيه أنّ كلّ شخصٍ ينبغي أن يكون لديه غرفة خاصّة به".

"لماذا؟".

"ليفكّر فيها".

"أستطيعُ التفكير في الغرفة معك، فلماذا لا تستطيعين التفكير في الغرفة معي؟".

تغيّرت ملامح وجه *ما*: "أستطيعُ، معظم الوقت، ولكنّه، في بعض الأحيان سيكون من الجميل أن يكون لي حيّز أمضي فيه بعض الوقت بمفردي".

"لا أعتقدُ ذلك".

زفرت زفرة طويلة: "دعنا نجرّب ذلك ليومٍ واحدٍ، نستطيع صنع ملصقات تحمل أسماء ونلصقها على الأبواب..."

"رائع".

نكتب اسم كلّ منا بلون مختلف على ورقة، وتشير إلى *غرفة جاك وغرفة أمّي*، وبعدها نلصقها بالشريط اللاصق.

يجبُ عليَّ أن أتغوّط، فأنظر إلى غائطي، لكنّني لا أجد السنّ.

جلسنا على الأريكة ننظرُ إلى المزهريّة على الطاولة، إنها مصنوعة من الزجاج ولكنّها شفّافة، فيها أزرق وأخضر بالكامل، فأقول لأمي: "لم أحبَّ لون الجدران".

"ما خطبها؟".

"إنها بيضاء جدًّا، أتعلمين ماذا، نستطيعُ شراء فلّين مربّع من المتجر ونلصقه عليها".

"لا يمكن جوزيه"، بعد دقيقة قالت: "هذه بداية جديدة، تذكّر؟".

قالت *تذكّر* ولكنها لا تريد أن تتذكّر الغرفة.

أفكّر في السجّادة، فأركضُ لأخرجها من الصندوق، وأسحبها خلفي: "أينَ سنضعُ السجّادة، بجانب الأريكة، أم بجانب سريرنا؟".

هزّت *ما* برأسها.

"ولكن...".

"جاك، إنها مهترئة وملطّخة منذ سبع سنوات... أستطيعُ أن أشمّ رائحتها من هنا، شاهدتك وأنت تحبو عليها، وحملتك عندما تعثّرت وسقطت عليها، حتى إنك تغوّطت عليها ذات مرّة، ومرّة أخرى انسكبَ الحساء عليها، ولن يكون بإمكاني أبدًا جعلها نظيفة حقًّا"، وكانت عيناها مشعّتين وكبيرتين جدًّا.

"نعم، وأنا وُلِدْتُ عليها ومتُّ عليها أيضًا".

"نعم، لِذا ما أريدُ فعلهُ هو أن أرمي بها في المِحرقة".

"لا".

"لو فكّرتَ بي لمرّة واحدة في حياتكَ بدلًا من...".

صرختُ: "أنا فعلتُ، أنا فكّرتُ فيكِ دائمًا عندما كنتِ غائبة".

أغمضت *ما* عينيها لثانية: "أتعرف شيئًا، تستطيع الاحتفاظ بها في غرفتك، لكن لفّها في الخزانة، حسنًا؟ أنا لا أريدُ أن أمتلكها أو أراها".

ذهبت إلى المطبخ، فأسمعُ رشّ الماء، وفي الحال التقطت المزهريّة، ورميتها على الجدار، فتناثرت إلى أجزاء صغيرة لا تُحصى.

عادت *ما* وقالت: "جاك...".

صرخت: "لا أريدُ أن أكون أرنبكِ الصغير".

ركضتُ إلى *غرفة جاك* مع سجّادتي، وأنا أسحبها خلفي، لكنها علقت بالباب، ثمّ وضعتها في الخزانة وتدثّرت بها، لقد استلقيتُ في الخزانة لساعات، ولكن *ما* لم تأتِ، فجفّت الدموع على وجهي وتصلّب جسمي، عندها تذكّرت ما قاله جدّي الثاني إنهم يصنعون الملح من خلال وضع مياه البحر في برك، وتركها تجفّ تحت أشعّة الشمس.

هناك صوتٌ مُخيفٌ *باز باز* بعدها سمعت *ما* تتحدّث: "نعم، أعتقدُ انه مرحّب بكما في أيّ وقت"، وبعد دقيقة سمعتها خارج الخزانة، وهي تقول: "لدينا زوّار".

إنه الدكتور كلاي، والممرّضة نورين، لقد أحضرا طعامًا اشترياه من الخارج، إنّه محارٌ ورزٌ وأشياء لذيذة صفراء زَلِقة، أمّا القطع المتناثرة من المزهريّة، فاختفت بالكامل.

لابدَّ أن *ما* ألقت بها في المحرقة.

هناك حاسوبٌ من أجلنا، جلبه الدكتور كلاي، لِذا أصبح بإمكاننا استخدامه للعب وإرسال الإيميلات، كما أرتني نورين كيف أقوم بالرسم على شاشته.

سألتني نورين: "ما كلّ هذه الخربشة البيضاء؟".

"هذا الفضاء".

"الفضاء الخارجيّ؟".

"لا، كلّ الفضاء الداخليّ، الهواء".

قال الدكتور كلاي *لما*: "حسنًا، الشهرة هي صدمة ثانوية، هل فكّرت في اسميكما الجديدين؟".

هزّت *ما* برأسها: "أنا لا أستطيع التخيّل... أنا هي أنا، وجاك هو جاك، صحيح؟ كيف أستطيع البدء بمناداته مايكل أو زان أو بأيّ اسم آخر؟".

لماذا قد تدعونني مايكل أو زان؟

قال الدكتور كلاي: "حسنًا ماذا عن لقبٍ جديدٍ على الأقل، وهكذا لا يلفت الانتباه بشكل كبير في المدرسة؟".

"متى أبدأ بالذهاب إلى المدرسة؟".

قالت *ما*: "ليس قبل أن تكون مستعدًّا لذلك، لا تقلق".

لا أعتقدُ أنني سأكونُ مستعدًّا يومًا ما.

في المساء، وبينما كنا نستحمّ، ألقيت برأسي على بطن *ما* في الماء، وكدتُ أنام.

نحنُ نتدرّبُ على الوجود في الغرفتين، فنصيحُ لبعضنا، ولكن ليس بصوتٍ عالٍ جدًّا، لأنَّ هناك أشخاصًا آخرين يعيشون في الطوابق الأخرى والشقق الأخرى في الطابق السادس بجوار الشقّة (ب). عندما أكون في غرفة جاك، و*ما* في غرفة *ما*، لا أجد في الأمر سوءًا، ولكنني أنزعج عندما لا أكون أعرف في أيّ غرفة هي.

قالت: "لا بأس، سأسمعك دائمًا".

أكلنا الكثير من الطعام الخارجيّ المُسخَّن في المايكروويف مجدّدًا، ذلك الموقد السريع الذي يعمل بسرعة فائقة، بواسطة أشعّة الموت غير المرئية.

أقول *لما*: "لا أستطيع إيجاد السّنّ".

"سنّي؟".

"نعم، ذلك السيّئ الذي سقط، لقد احتفظْتُ بهِ، وامتلكته طوال الوقت، ولكنني أظنّ أنني فقدته الآن، وربما ابتلعتهُ، لكنّه لم ينزلق مع بَرازي بعد".

قالت *ما*: "لا تقلق حيال ذلك".

"لكن...".

"مع تنقّل الناس في العالم، يفقدون الأشياء طوال الوقت".

"السّنّ ليس مجرّد شيء، يجب أن أمتلكه".

مكتبة
t.me/t_pdf

"ثِقْ بي، لا يتوجّبُ عليك ذلك".

"لكن...".

أمسكت بكتفيّ: "وداعًا أيّها السّنّ العفن القديم، إنها نهاية القصّة".

ضحكتْ لكنّني لم أضحك.

أعتقدُ أنني ابتلعتهُ بالخطإ، ربما لن ينزلق مع برازي، ربما سيختبئ في داخلي إلى الأبد.

* * *

في الليل، أهمِسُ إلى *ما*: "لا أزال مستيقظًا".

قالت *ما*: "أعلمُ، وأنا أيضًا".

غرفة نومنا هي غرفة *ما* في شقّة بناء العيش المستقلّ، الذي يقع في أميركا، التي تقع في الكرة الزرقاء والخضراء، والتي يبلغ عرضها مليون ميل والتي لا تكفّ عن الدوران، وخارج عالم الكرة هناك الفضاء الخارجيّ، وأنا لا أعلم لماذا لا نسقط، وتقول *ما* إنها الجاذبية، تلك الطاقة غير المرئية التي تبقينا عالقين على الأرض،

لكنني لا أستطيع الشعور بها.

يعلو وجه الله الأصفر(*)، نحن نشاهده خارج النافذة، فقالت *ما*: "هل تلاحظ، أنها كلّ يوم تشرق أبكر قليلًا من الصباح الذي سبق؟".

هناك ستُّ نوافذٍ في شقّتنا، وهي تظهر صورًا مختلفة بالكامل، لكنّ قسمًا منها يظهِرُ الصور نفسها، والمفضّل لديّ هو الحمام، لأنَّ هناك منطقة بناء، أستطيع النظر إلى الأسفل حيث الرافعات والحفّارون، وأقول كلّ كلمات دايلان لهم، إنهم يُشبهونه.

في غرفة الجلوس أنتعل حذائي ذا الشريط اللاصق لأنّنا سنخرج.

أرى المكان الفارغ الذي كانت توضع فيه المزهرية قبل أن أرميها، وأقول *لما*: "بإمكاننا أن نطلب واحدة أخرى من هدايا يوم الأحد".

بعدها تذكّرت، انتعال حذائها الذي لديه أربطة، فنظرت إليّ ولم تكن غاضبة.

"أتعلم، لن تضطرّ إلى رؤيته أبدًا مرّة أخرى".

"العجوز نيك"، قلت الاسم لأرى إن كان سيبدو مرعبًا، إنه مرعب ولكن ليس كثيرًا.

قالت *ما*: "يجبُ عليَّ رؤيته مرّة واحدة فقط، عندما أذهب إلى المحكمة".

"لماذا عليكِ ذلك؟".

"يقول موريس أستطيع القيام بذلك من خلال مكالمة فيديو، ولكنني في الواقع أريد أن أنظر في عينيه الصغيرتين الخبيثتين".

كيف ستكون عيناه؟ أحاولُ وأتذكّر عينيه: "ربما سيطلب منّا هدية يوم الأحد، وذلك سيكون مُضحكًا".

ضحكت *ما* ضحكة ليست شبيهة بضحكاتها الرنّانة الجميلة، ونظرت إلى المرآة، ووضعت خطًّا أسود حول عينيها، وآخر أرجوانيًّا على شفتيها.

فأقول لها: "تبدين أفضل دائمًا".

(*) تعبير ساذج لطفل سجين طوال حياته غير قادر على التعبير عن طبيعة الأشياء وواقعها.

ابتسمت لي عبر المرآة، فرفعت أنفي في النهاية، ووضعت أصابعي في أذنيّ وهززتهما.

نمسكُ بأيدي بعضنا، لكن الهواء دافئ حقًّا اليوم، لِذا أصبحت أيدينا دبقة.

ننظرُ إلى واجهات المتاجر فقط ولا ندخل، بل نمشي ونمشي.

تستمرُّ *ما* في القول إنّ تلك الأشياء الغالية سخيفة، وإنّ الأخرى خردة.

أُخبرُها: "إنهم يبيعون رجالًا ونساءً وأطفالًا هناك".

تستدير: "ماذا؟، أوه، لا، انظر، إنهُ متجر ملابس، لِذا عندما يُقالُ (*رجالًا نساءً أطفالًا*) فذلك يعني ملابس للجميع".

علينا عبور الشارع، ونحنُ نضغطُ على الزّرّ وننتظر الرجل الفضّي الصغير، إنه سيبقينا بأمان، وهناك شيء يبدو مثل الإسمنت، لكن الأطفال هناك يصرخون ويقفزون على الوحل فيتّسخون، نشاهدهم لفترة ولكن ليست طويلة جدًّا، لأنّ *ما* تقول إن مظهرنا قد يبدو غريبًا.

* * *

نلعبُ معًا *أنا جاسوس*، فنشتري المثلّجات وهي ألذّ شيءٍ في العالم، فكانت مثلّجاتي بنكهة الفانيليا والتي *لما* بنكهة الفراولة، وفي المرّة القادمة يمكننا تناول نكهات مختلفة، فهناك المئات، ثم شعرت بكتلةً باردةً في فمي، وقد رافقتني طوال الطريق وكانت تؤلمني. فقد خرجتُ إلى العالم منذ ثلاثة أسابيع ونصف، ولا زلتُ لا أعلم ما الذي يسبّبُ لي الألم.

لديّ بعض النقود المعدنيّة التي أعطاني إياها جدّي الثاني، فاشتريت لأمي مشبكًا لشعرها عليه دعسوقة، ولكنها مجرّد واحدة مُصنَّعة.

شكرتني مرارًا وتكرارًا.

فقلت لها: "تستطيعين أخذها للأبد حتّى عندما تموتين، هل ستموتين قبل أن أموت؟".

"تلك هي الخطّة".

"ما هي الخطة؟".

"حسنًا، في الوقت الذي تبلغ فيه مئة عام، سأبلغ أنا مئة وواحدًا وعشرين عامًا، وأعتقدُ أن جسدي سيصبحُ مهترئًا جدًّا"، تبتسم وتتابع: "سأكون في الجنّة أُجهّز غرفتك".

أُصحّح لها: "غرفتنا".

"حسنًا غرفتنا".

بعدها أرى كشك هاتف فأدخل إليه، وأتظاهر بأنّني سوبرمان وهو يغيّر ملابسه، فرحت ألوّح *لما* عبر الزجاج، فرأيت بطاقتين صغيرتين، عليهما صورتا وجهين مبتسمين، كُتب عليهما *شقراء مفلسة18، وفلبينية خُنثى*، إنّهما ملكي الآن، لأنَّ من يجد شيئًا يحتفظ بهِ، ومن يفقد شيئًا يخسرهُ، لكن عندما أريتهما *لما* قالت إنهما قذرتان، وجعلتني أرميهما في صندوق القمامة.

لقد ضِعْنا لبُرهة، بعدها رأتِ اسم الشارع حيثُ توجد الشقّة، لذلك نحنُ لم نضِعْ حقًّا. تعبَتْ قدماي، ولابدّ أن الناس في العالم يتعبون في الوقت نفسه.

في بناء الشقق أسير حافيَ القدمين، فلن أحبَّ الحذاء أبدًا.

الأشخاص في الطابق السادس(ج) هم امرأة وفتاتان صغيرتان، أكبرُ منّي، ولكن ليس بكثير.

ترتدي المرأة نظّارة شمسية كلّ الوقت حتى في المصعد، ولديها عكّاز تستند إليه، والفتاتان لا تتكلّمان أبدًا، وأنا أعتقدُ أنّهما خرساوان، ولكنّني لوّحت بأصابعي لواحدة منهما فابتسمت.

هناك أشياء جديدة كلِّ يومٍ.

اشترت لي جدّتي مجموعةَ ألوان مائيّة، مؤلّفة من عشرة ألوان مختلفة بيضاويّة الشكل، موضوعة في صندوق له غطاء شفّاف. عندما أستخدمها أشطف الفرشاة الصغيرة جيّدًا لأزيل عنها اللون الذي استخدمته قبل أن أستعمل لونًا آخر حتّى لا

تمتزج ببعضها، وعندما يُصبحُ الماء وسخًا أُغيّره. وفي المرّة الأولى أمسكت بلوحتي عاليًا لأُريها *لما*، فسالت الألوان واختلطت ببعضها، فتشوّهت لوحتي، ومنذ ذلك الحين أصبحت أتركها على الطاولة لتجفّ.

ذهبنا إلى أرجوحة المنزل الشبكيّة، ولعبت مع جدّي الثاني ألعاب التركيب فبنينا قلعة، وصنعنا هاتفًا خلويًّا.

تستطيع جدّتي القدوم إلينا لرؤيتنا فقط بعد الظهر، لأنّها في الصباح تعمل في متجر، حيثُ يشتري الناس شعرًا جديدًا وأثداءً بعد استئصال الأثداء وتساقط الشعر، ذهبت *وما* وألقينا نظرة خاطفة على متجرها، فلم تبدُ جدّتي كما أعرفها، وتقول *ما* إن كلَّ الناس لديهم شخصيّات مختلفة بعض الشيء.

يزور بول شقّتنا ويجلب معه مفاجأة من أجلي، إنها كرة قدم، مثل تلك التي رمتها جدّتي بعيدًا في المتجر، وأنزلُ معه إلى الحديقة، ولكن لم *ما* لم ترافقنا، لأنها ذهبت إلى المقهى للقاء إحدى صديقاتها القديمات.

قال بول: "عظيم، مجدّدًا".

قلت: "لا، أنت".

سدّد بول تسديدة قويّة، فطارت الكرة خارج البناء، واستقرّت بعيدًا بين الشجيرات.

صرخ: "انطلق من أجلها".

وعندما أركلُ، تقع الكرة في بركة ماء فأبكي.

يخرجها بول مع فرع شجرة، ويركلها بعيدًا بعيدًا.

"هل تريدُ أن تُريني كم أنت سريع في الركض؟".

أُخبرُهُ: "كان لدينا جهاز ركضٍ قرب السرير، وأنا أستطيعُ الركض بسرعة، وقد فعلتُ ذلك ذهابًا وإيابًا في ستّين خطوة".

"واو، أُراهن أنه بإمكانك الانطلاق بشكلٍ أسرع الآن".

هززت برأسي: "أنا سأسقط".

قال بول: "لا أعتقدُ ذلك".

"أنا دائمًا أفعلُ ذلك هذه الأيّام، العالمُ فيه الكثير من المطبّات".

"نعم، ولكن هذا العشب طريّ حقًّا، إذا سقطت، فلن تؤذيَ نفسك".

برونوين وديانا قادمتان، رأيتهما بعينيَّ الحادّتين.

* * *

يصبح الطقس يومًا بعد يوم أكثر حرارة، تقول *ما* إنها لا تصدّق إنّنا في نيسان.

بعد قليل أمطرت، فقالت *ما* إنه سيكون من الممتع أن نشتري مظلّتين، ونسير تحت المطر حيث تسقط القطرات على المظلّة فلا نبتلّ، ولكنني لا أعتقدُ ذلك.

في اليوم التالي، كان الطقس صحوًا فخرجنا، وكان هناك بِرَكٌ موحِلة، ولكنني لم أخف منها، بل دست عليها بحذائي الإسفنجيّ، فتلطّخت قدماي من خلال الثقوب، ولكن لا بأس.

هناك اتّفاق بيني وبين *ما*، سنجرّب كلّ شيءٍ مرّة واحدة حتى نعرف ماذا نحبّ.

أنا بالفعل أحبُّ الذهاب إلى الحديقة واللعب بكرة القدم وإطعام البطّ، وأنا حقًّا أحبُّ الملعب الآن، ماعدا تزحلق الأولاد خلفي مباشرةً على الزحلوقة وركلي من الخلف.

أحبُّ متحف التاريخ الطبيعيّ ماعدا الديناصورات الميّتة، وهي تبدو مجرّد عظام بالية.

في المسبح أسمعُ أُناسًا يتكلّمون الإسبانية ولكن *ما* تقول إنهم صينيّون، هناك المئات من اللغات الأجنبية المختلفة التي يمكن تحدّثها، وذلك يجعلني أشعرُ بالدّوار، ونزور متحفًا آخر إنه للرسم، يشبه إلى حدٍّ ما روائعنا التي صنعناها من دقيق الشوفان، ولكنها أكبر بكثير، كما يمكننا رؤية لزوجة الطلاء. وأحبُّ المشي عبر القاعات بأكملها، ولكن هناك الكثير من القاعات الأخرى، فاستلقيت على المقعد، فأتى رجلٌ يرتدي الزيّ الرّسميّ، وجهه غيرِ محبّبٍ، لِذا هربت منه.

يزور جدّي الثاني شقّتنا ويجلب معه أشياء مميّزة، درّاجة، احتفظا بها من أجل برونوين، ولكنني حصلتُ عليها أوّلًا لأنني أكبر، لها وجوهٌ لامعة على العجلات، ولكن يجبُ عليَّ أن أرتدي الخوذة وواقي الركبتين والمرفقين عندما أركبها في الحديقة، إذ ربما أسقط عنها.

يقول جدّي الثاني إنني طبيعيّ وأُجيد التوازن، وفي المرّة الثالثة التي ركبتُ فيها الدرّاجة، سمحت لي *ما* بعدم ارتداء واقي الركبتين والمرفقين، وفي غضون أسبوعين، فككنا العجلتين الإضافيّتين، لأنني لم أعد بحاجة إليهما.

دُعيت *ما* إلى حفلة موسيقية في حديقة، ليست قريبة من منزلنا، ولكنها في مكان يتوجّب علينا الوصول إليه بواسطة الباصّ، أحبُّ ركوب الباصّ كثيرًا، فنحن ننظرُ إلى الأسفل إلى رؤوس الناس ذوي الشعور المختلفة في الشارع.

القاعدة في الحفلة الموسيقية هي أن يُحدث الموسيقيّون الضوضاء وحدهم، ولا يُسمحُ لنا بإصدارِ همسة واحدة، باستثناء التّصفيق في النهاية.

قالت جدّتي *لما*: "لِمَ لا تأخذينه إلى حديقة الحيوانات؟"، ولكن *ما* قالت إنها لا تستطيع الوقوف أمام الأقفاص.

نتوجّه إلى مكانين مختلفين، فأحبُّ ذلك الذي يحتوي على نوافذ متعدّدة الألوان، ولكن الآلات كان صوتها مرتفعًا جدًّا.

كما ذهبنا لمشاهدة مسرحية، حيث يرتدي الكبار ملابس أطفال ويقلّدون تصرّفاتهم، والجميع ينجذبون إليهم، وذلك في حديقة أخرى، تدعى *ليلة منتصف الصيف*.

جلستُ على العشب وأصابعي في فمي لأبقى صامتًا.

تتشاجر الجنّيات من أجل طفلٍ صغيرٍ، ويقلن الكثير من الكلمات التي نسّقنها معًا.

أحيانًا الجنّيّات لا يظهرنَ، والأشخاص الذين يرتدون ملابس سوداء ينقلون الأثاث.

همست *لما*: "مثلما فعلنا في الغرفة"، فضحكت.

لكن بعدها الأشخاص الذين يجلسون بالقرب منّا يبدأون بالصياح: "كيف الروح الآن"، و"الكلّ يرحّبُ بتيتانيا". فأُصبْتُ بالجنون وقلت اسكتوا، بعدها صرخت عليهم ليهدأوا، فسحبتني *ما* من يدي على امتداد الطريق وصولًا إلى الأشجار الصغيرة، وأخبرتني أن ذلك يدعى مشاركة الجمهور.

إنهُ مسموحٌ، إنها حالة خاصّة.

وعندما نصل إلى الشقّة نكتب كلّ شيء جعلنا متعبين، القائمة أصبحت طويلة، وبعدها هناك أشياء لابدّ لنا من تجربتها عندما نكون أكثر شجاعة.

التحليق في الطائرة

دعوة بعض أصدقاء أمّي القدامى إلى العشاء

قيادة سيارة

الذهاب إلى القطب الشماليّ

الذهاب إلى المدرسة (لي) والكلّية (لما)

إيجاد شقّة خاصّة بنا لا تكون في مبنى العيش المستقلّ

اختراع شيءٍ ما

إقامة صداقات جديدة

العيش في بلد آخر لا في أميركا

الحصول على موعد لعب في منزل طفلٍ آخر مثل الطفل يسوع ويوحنا المعمدان

أخذ دروس سباحة

خروج ما للرقص في الليل، وبقائي مع جدّتي وجدّي الثاني على الفراش الهوائيّ

الحصول على عمل

الذهاب إلى القمر

والأكثر أهمّية كان الحصول على كلبٍ يُدعى لاكي، أنا مستعدٌّ كلّ يوم، ولكن *ما* تقول إنّ لديها ما يكفي في طبقها في هذه اللحظة، وربما عندما أصبح في السادسة.

"متى سأحصل على حلوى بالشموع؟".

قالت: "أُقسم ستّ شمعات".

في المساء سريرنا ذلك ليس سريرًا، أفركُ اللحاف، إنه منتفخ أكثر ممّا كان عليه اللحاف، عندما كنتُ في الرابعة لم أكنْ أعرفُ عن العالم، أو ظننْتُ أنه كان مجرّد قصص، وبعدها أخبرتني *ما* الحقيقة، وظننتُ أني عرفتُ كلَّ شيءٍ.

ولكن الآن أنا في العالم كلّ الوقت، أنا في الواقع لا أعرف الكثير، أنا دائمًا مندهش.

"*ما*؟".

"نعم؟".

ما زالت رائحتها كما هي، ولكن ثدييها أصبحا مجرّد ثديين الآن.

"هل تتمنّين في بعض الأحيان لو لم تهربي؟".

لم أسمع شيئًا، بعدها قالت: "لا، أنا لم أتمنَّ ذلك على الإطلاق".

* * *

أخبرت *ما* الدكتور كلاي: "إنّه معاكسٌ، كلَّ تلك السنوات كنتُ أتوق إلى العمل في الشركة، لكن الآن لا يبدو أنني على استعدادٍ لذلك".

أومأ إليها برأسه، إنهما يحتسيان القهوة التي يتصاعد منها البخار، أمّي تشربها كما يفعل الكبار للاستمرار، وأنا لا أزال أشربُ الحليب، ولكن أحيانًا أشرب الحليب والشوكولا، مذاقه مثل الشوكولا ولكنّه مسموحٌ، أنا على الأرض أقوم بعمل صعب مع نورين.

فتركيب أربعٍ وعشرين قطعة لصنع القطار، عمل صعب للغاية.

"معظم الأيّام... جاك يكفيني".

"الروح تحتار في مجتمعها الخاصّ... عندها... تغلقُ الباب..."
ذلك صوت قصيدته.

أومأت *ما* إليه برأسها: "نعم، لكنه ليس كما أتذكّر نفسي".

"يجبُ عليكِ أن تتغيّري، أن تكوني على قيد الحياة".

نظرت نورين إلى الأعلى: "لا تنسي، ينبغي عليكِ التّغيّر على أيّة حال، فأنت ستتخطّين العقد الثالث بعد ثلاث سنوات، ولديكِ طفل... وما كنتِ ستبقَيْنَ على حالكِ".

تكتفي ما بشرب القهوة.

* * *

في الصباح تساءلت إن كانت النوافذ يمكن أن تنفتح، فجرّبت نوافذ الحمام، وها أنا أتحسّسُ المقبض وأدفع الزجاج، أنا خائفٌ من الهواء، ولكنني أصبحتُ شجاعًا وخائفًا في الوقت نفسه، فأنحني خارج النافذة، فيظلّ نصفي في الداخل ونصفي الآخر يتدلّى في الخارج، إنه أروع شعور.

"جاك!" سحبتني أمّي إلى الداخل بالكامل من قميصي.

"أوو".

"نحن في الطابق السادس إذا وقعت ستحطّم جمجمتك".

أُقول لها: "لم أكن لِأسقطَ، أنا كنتُ في الداخل والخارج في الوقت نفسه".

أخبرتني وقد رسمت ابتسامة على شفتيها: "لقد كنتَ مجنونًا في الوقت نفسه".

تبعتها إلى المطبخ، فكانت تخفق البيض في الزبديّة لأجلِ الخبز الفرنسيّ المحمّص، أمّا القشورُ فتحطّمتْ، ورميناها في القمامة، وداعًا أيتها القشور، وأتساءل إن كانت ستتحوّل إلى بيضٍ من جديد.

"هل نعود بعد الذهاب إلى الجنّة؟".

اعتقدت أن *ما* لم تسمعني.

"هل ننمو في البطون مجدّدًا؟".

قطعت الخبز: "ذلك يُدعى التّقمّص، بعض الناس يعتقدون أننا قد نعود على شكلِ قرودٍ أو حلزونات".

"لا، البشر ينمون في البطون نفسها، وسأكبر في بطنك مجدّدًا...".

شغّلت *ما* الموقد: "ما سؤالك؟".

"هل ستظلّين تنادينني جاك؟".

مكتبة
t.me/t_pdf

نظرت إليّ: "حسنًا".

"وعد؟".

"سأناديك جاك دائمًا".

* * *

غدًا أوّل أيّام أيار، ذلك يعني أن الصيف قادم وسيكون هناك موكب، وقد نذهب لمشاهدته.

أسألُ: "هل هو يوم أيّار الوحيد في العالم؟"

نحنُ نتناول الغرانولا في أطباقنا على الأريكة ولا نُريقها.

سألتني *ما*: "ماذا تعني؟".

"هل كان هناك يوم أيّار في الغرفة أيضًا؟".

"أفترضُ ذلك، لكن لا أحد كان هناك ليحتفل به".

"نستطيع الذهاب إلى هناك".

أصدرت ملعقتها صوتًا في وعائها: "جاك".

"هل نستطيع؟".

"هل أنتَ حقًّا، حقًّا تريدُ أن...؟"

"نعم".

"لماذا؟".

أُخبرُها: "لا أعلم".
"ألم تحبّ العالم الخارجيّ؟".
"بلى، ولكن ليس كلّ شيء".
"حسنًا، ولكن ألم تحبّه ولو قليلًا؟ أما أحببتهُ أكثر من الغرفة؟"
"تقريبًا"، أنا آكل ما بقي من الغرانولا خاصّتي وجزءًا ممّا كان *لما* الذي تركته في وعائها: "هل نستطيع العودة أحيانًا؟".
"ليس لنعيش".
هززت برأسي: "فقط لزيارتها لمدّة دقيقة واحدة".
مالت *ما* بفمها ورفعت يدها: "لا أعتقدُ أنني أستطيع".
"بلى، أنتِ تستطيعين"، انتظري: "هل ذلك خطِرٌ؟".
"لا، ولكن مجرّد الفكرة بذلك، إنها تجعلني أشعرُ مثل...".
لم تقلْ مثل ماذا: "سأمسك بيدك".
حدّقت *ما* إليّ: "ما رأيك أن تذهب بمفردك؟".
"لا".
"مع شخصٍ ما، أعني، مع نورين؟".
"لا".
"أو جدّتك؟".
"معكِ".
"أنا لا أستطيع...".
أخبرُها: "قلت معًا".
نهضتْ، أعتقدُ أنها غاضبة، أخذت الهاتف إلى *غرفة ما* وتحدّثت إلى أحد ما.
لاحقًا في الصباح، طرق البوّاب على الباب، وقال إن هناك سيارة شرطة تنتظرنا.
"هل هي الشرطيّة".
قالت الشرطيّة: "بالتأكيد أنا، منذ وقتٍ طويلٍ لم أرَك".

هناك نقطتان صغيرتان على نافذة سيّارة الشرطة، أعتقدُ أنهما نقطتا مطر، عضّت *ما* على إبهامها، فأقول لها: "فكرة سيّئة"، وسحبت يدها بعيدًا.

"نعم"، أعادت قضم إبهامها، بالكاد همست إليها: "أتمنّى لو كان ميتًا".

أنا أعلمُ مَن تقصد: "لكن ليس في الجنّة".

"لا، خارجها".

"يطرق، يطرق، يطرق، لكن هو لا يستطيع الدخول إليها".

"نعم".

"ها ها".

مرّت عربتا إطفاء بالقرب منّا ينبعث منها صفارات إنذار: "قالت جدّتي هناك الكثير منه".

"ماذا؟".

"أشخاصٌ مثله في العالم".

قالت *ما*: "آه".

"هل ذلك صحيح؟"

"نعم، ولكن الشيء الأصحّ هو، هناك بعيدًا الكثير من الناس المعتدلين".

"أين؟"

حدّقت *ما* خارج النافذة، ولكنني لم أعلم إلى ما كانت تحدّق، قالت: "أناس ما بين الجيّد والسيّئ، وهم مزيج من الاثنين معًا".

النقاط على النافذة تنضمُّ إلى بعضها لتتحوّل إلى جدول صغير.

عندما توقّفنا، عرفت أننا وصلنا، لأنَّ الشرطية قالت: "ها نحنُ ذا".

أنا لا أتذكّر أيَّ منزلٍ خرجت منه *ما*، ليلة هروبنا العظيم، فلدى كلّ المنازل مرائب، ولا يبدو أيّ منها مميّزًا، بحيث يمتلك علامة تتيح حلّ اللغز.

قالت الشرطية: "كان ينبغي لي شراء مظلّات".

علّقت *ما*: "إنّه مجرد رذاذ ماء"، ونهضت ومدّت يدها إلى الخارج.

لم أفكَّ حزام المقعد: "المطر سوف يسقط علينا...".

"دعنا ننتهي من هذا، جاك، لأنّني لن آتي إلى هنا مجدّدًا".

أنقرُ على الحزام، فأتحرّر وأخرج من السيّارة خافضًا رأسي، ثمّ أغلق عينيّ قليلًا فتصبحان نصف مغمضتين، تقدّمت *ما*، وكان المطر يسقط عليّ، ويبلّل وجهي، وسترتي ويدي، ولكنّ المطر لا يؤلم، بل يبعث فقط شعورًا غريبًا بعض الشيء.

عندما صعدنا إلى الأعلى، ووقفنا قرب باب المنزل، عرفت أنّه منزل العجوز نيك، لأنّ هناك شريطًا أصفر كتب عليه بأحرف سوداء *مسرح جريمة ممنوع العبور*، وملصقٌ كبير له وجه ذئبٍ مخيفٍ يقول *احترس من الكلب*، أشيرُ إليها ولكن *ما* قالت: "ذلك فقط للتمويه".

أوه، نعم، الكلب المخادع الذي كان بصحّة جيّدة يوم كانت *ما* في التاسعة عشرة.

فتح رجل شرطة لم يسبق لنا أن التقينا به الباب من الداخل، فعبرت *ما* والشرطية أسفل الشريط الأصفر، وأنا كان يجبُ أن أميل قليلًا فقط.

المنزل كثير الغرف ومؤثّث بالكامل، وفيه كراسيّ كبيرة، وأضخم تلفاز رأته عيناي، ولكننا تقدّمنا وانعطفًا يمينًا، فكان هناك باب في الخلف، والعشب يغطّي الأرض، ولا يزال المطر يهطل، ولكنّني فتحت عينيّ جيّدًا.

قالت الشرطية *لما*: "امتدّ السياج خمسة عشرَ قدمًا على طول الطريق، وهذا لم يدفع الجيران إلى الشكّ في الأمر، فللرجلِ الحقُّ في الحفاظ على خصوصيّته".

هناك شجيرات وحفرة فيها عصيّ، ويحيط بها الشريط الأصفر، فتذكّرت شيئًا، وسألت *ما*: "هل هذا المكان الذي...".

وقفت وحدّقت إليّ وقالت: "لا أعتقد أنني أستطيع أن أنظر".

ولكنني فوق الحفرة، وهناك أشياء بنيّة في الوحل، فسألت الشرطية: "هل هذه ديدان؟"، كان صدري يخفقُ بشدّة.

"مجرّد جذور الشجرة".

"أين الطفلة؟".

أحدثت *ما* بجانبي صوتًا.

قالت الشرطية: "لقد حفرنا وأخرجناها".

قالت *ما*: "لم أكنْ أريدُها أن تكون هنا بعد الآن"، صوتها خشنٌ بالكامل، تنحنحت وسألت الشرطية: "كيف وجدت أين...؟".

مكتبة
t.me/t_pdf

"لدينا مَجاسٌّ لاكتشاف ما تحت التّربة".

قالت *ما*: "سنضعها في مكان أفضل".

"حديقة جدّتي؟".

"أأخبرُكَ شيئًا؟ بإمكاننا... بإمكاننا تحويلُ عظامها إلى رماد ونرشّها تحت الأرجوحة الشبكيّة".

"هل ستنمو، وتكون لديّ أخت مجدّدًا؟".

هزّت *ما* برأسها، وقد تبلّل وجهها بالكامل.

هناك المزيد من المطر عليّ، إنّه ليس مثل دشٍّ، ولكن أكثر نعومة.

استدارت *ما*، ونظرت إلى السقيفة الرمادية في زاوية الفناء، وقالت: "هذه هي".

"ماذا؟".

"الغرفة".

"لا".

"إنها هي، جاك، أنتَ فقط لم ترَها من الخارج على الإطلاق".

تبعنا الشرطية، ونحنُ نتخطّى المزيد من الأشرطة الصفراء.

قالت *ما*: "لاحظي أنّ الوحدات الهوائيّة المركزية مخفيّة بين هذه الشجيرات، والمدخل في الخلف، بعيدًا عن مجال النظر".

أرى معدنًا فضّيًا، إنه الباب أنا أعتقد، ولكن جانبًا منه لم أره أبدًا، ونصفهُ مفتوحٌ بالفعل.

سألتها الشرطية: "هل أدخل معكما؟".

صرختُ: "لا".

"حسنًا".

"فقط أنا و*ما*".

لكن *ما* أفلتت يدي وانحنت إلى الأسفل، وأحدثت ضوضاء غريبة، هناك شيء على العشب، على فمها، إنّه قيء، أستطيع الشمّ، هل تسمّمت مجدّدًا؟

"*ما*، *ما*...".

"أنا بخير"، مسحت فمها بقطعة نسيج أعطتها إيّاها الشرطية.

سألتها الشرطية: "هل تفضّلين...؟".

"لا" قالت *ما* وأمسكت بيدي مجدّدًا "هيّا بنا".

خطونا إلى الداخل عبر الباب وكان كلّ شيءٍ مختلفًا، أصغر من الغرفة وأكثر فراغًا ورائحتها غريبة، والأرضيّة عارية، ذلك لأنّه لا يوجد سجّادة، إنها في خزانتي في الشقّة، لقد نسيتُ أنّها لا يمكنها أن تكون في مكانين في الوقت نفسه، والسرير هنا، ولكن لا يوجد شراشف أو لحاف عليه، والكرسيّ الهزّاز هنا، والطاولة والخزانة ولكن لا يوجد أطباق أو سكاكين في الأعلى على الرفوف، وخزانة المطبخ والتلفاز والأرنب مع القوس الأرجوانيّ عليه، والرفوف لا شيء عليها، وكراسينا مطويّة في الأعلى ولكنها مختلفة بالكامل.

لا شيء يقول أيّ شيء لي، فهمستُ إلى *ما*: "لا أعتقدُ أنها هي".

"بلى، إنها هي".

أصواتنا لا تبدو كما هي: "هل تقلّصت؟".

"لا إنها دائمًا كانت تبدو هكذا".

هاتف المعكرونة اختفى، وصورة أخطبوطي، وأعمالي الفنّية، وكلّ الألعاب والقلعة والمتاهة، نظرت تحت الطاولة، لكن ليس هناك نسيج: "لقد أصبحتْ أكثر ظلامًا".

"حسنًا، إنّه يوم ماطر، يمكن إشعال المصباح لينير الضوء المكان"، وقد أشارت *ما* إلى المصباح.

لكنني لا أريد اللمس، نظرت عن قرب، وحاولت رؤيتها كيف كانت، فأجدُ رقم عيد ميلادي بجانب الباب، وقفت مواجهًا له، وبسطت يدي على قمّة رأسي، أنا أطول من الخطّ الأسود الخامس.

هناك شيء غامق بسيط على كلّ شيء، فأسأل: "هل ذلك غبارُ جلدنا؟".

قالت الشرطية وهي تقف خلف الباب: "بودرة مسح البصمات".

أنحني وأنظر تحت السرير إلى ثعبان البيض الملتفّ وكأنّه نائم، فلم أرَ لسانه، أصلُ إلى الأسفل بحرص شديد حتّى لا أشعر بوخز الإبرة الخفيف.

أنا أقفُ باستقامة "أين يكون النبات؟".

قالت ما: "لقد نسيتَ بالفعل؟ هنا تمامًا"، وتنقرُ على وسط الخزانة، وأنا أرى دائرة لونها أكثر زهوًا من البقيّة.

هناك علامة الشاحنة حول السرير، وقد حفرَتْ أقدامنا الحفرة الصغيرة في الأرض حيثُ اعتدنا أن تسير وتحت الطاولة أيضًا، أعتقدُ أنها كانت حقًّا غرفتنا".

قالت *ما*: "ولكن ليس بعد الآن".

"ماذا؟".

"إنها ليست غرفة الآن".

وتابعت: "لا أعتقدُ ذلك"، وتنشّقت الرائحة، وقالت: "كانت رائحتها أكثر عفونة، فالباب بات مفتوحًا الآن بالطبع".

أقول: "ربما ليست هي الغرفة نفسها، لأنّ الباب مفتوح".

ارتسمت على شفتي *ما* ابتسامة صغيرة: "هل أنت..؟"، تنحنحت: "هل ترغب في أن يُغلَقَ الباب لدقيقة؟"

"لا".

"حسنًا، أحتاج إلى أن أذهب الآن".

توجّهت إلى حائط السرير ولمسته بأحد أصابعي، الفلّين لا يشبه ملمسهُ أيّ شيء: "هل يمكنك أن تقولي لي طاب ليلك في النهار؟"

"هاه؟!"

"هل يمكننا قول ذلك عندما لا يكون الوقت ليلًا؟".

"أعتقدُ أنّها ستكون وداعًا".

"وداعًا أيّها الحائط"، وبعدها كرّرت ذلك للجدران الثلاثة الأخرى، وبعدها: "وداعًا أيّتها الأرضية"، وربّتُّ على السرير: "وداعًا أيها السرير"، وأنزلت رأسي تحت السرير لأقول: "وداعًا يا ثعبان البيض"، وهمست في الخزانة "وداعًا أيتها الخزانة".

في الظلام كان هناكَ صورة لي رسمتها لي *ما* يوم عيد ميلادي الخامس، أبدو فيها صغيرًا جدًّا، فألوّح لها وأتوجّه إليها، فأقبّلُ وجهها حيثُ تسيل الدمعات، التي هي بمذاق مياه البحر، ثم أعود وأسحبُ صورتي إلى الأسفل وأضعها في سترتي، و*ما* لا تزال تقف عند الباب.

ذهبت إليها وسألتها: "هل يمكنك أن تحمليني؟".

مكتبة
t.me/t_pdf

"جاك..".

"أرجوكِ".

حملتني *ما* عند وركها فوصلتُ إلى الأعلى: "أعلى".

أمسكت بي من ضلوعي ورفعتني أعلى فأعلى فأعلى، ولمست بداية السقف، وقلت: "وداعًا أيها السقف".

ثم وضعتني *ما* أرضًا بقوّة.

"وداعًا أيّتها الغرفة"، ولوّحت إلى الأعلى إلى كوّة السقف، وطلبت من *ما*: "قولي وداعًا".

"وداعًا أيّتها الغرفة".

قالت *ما* ذلك ولكن بشكلٍ صامت.

نظرت مجدّدًا مرّة أخيرة، إنها تبدو كفوهة بركان، ثقبٌ حيثُ انفجر شيء ما، وبعدها خرجنا من الباب.

مكتبة

في التاسعة عشرة اختطفها، وسبع سنوات في سجنه تركها، حملت منه وماتت طفلتها خلال المخاض، ثم أنجبت من دون مساعدة طبية وبمفردها قطعت الحبل السري. في غرفة تقع في فناء بيته الخلفي أقامت، في غرفة معزولة صوتياً، ومبنية بطريقة تجعل الخروج منها مستحيلاً، حتى أن قفل بابها مزود بقفل رقمي. لا تعرف عن الحياة شيئاً إلا من خلال تلفاز لا يلتقط سوى ثلاث محطات تلفاز. يزورها جالباً لهما الطعام، يعاشرها، وبعد ذلك يأخذ القمامة ويغادر. اليوم بلغ الطفل عامه الخامس، وهو لا يعرف عن الحياة إلا الغرفة وما يشاهده من التلفاز. ولكن الأم السجينة كرست حياتها لإنقاذ حياة هذا الطفل وإن كان والده هو سجّانها. طفل في الخامسة، لا يزال يرضع من ثديها، ولكنه يحسن القراءة، علمته بقدر ما استطاعت عن الحياة، واهتمت بصحته ولياقته على أمل أن يحظى بصحة جيدة. وذات يوم قرار معاً الخطة الكبرى، هل سينجحان فيها، وإن نجحا كيف سيكون العالم بالنسبة إليهما خارج الغرفة. إنها قصة نضال من أجل الحياة، وقصة رجل عديم الإنسانية، وقصة ستهز مشاعر قارئها بالتأكيد.

إيما دونهيو (ولدت في 24 أكتوبر 1969) هي كاتبة مسرحية إيرلندية-كندية، ومؤرخة أدبية، وروائية، وكاتبة سيناريو. وصلت روايتها لعام 2010 إلى الدور النهائي لجائزة مان بوكر، وكانت من أكثر الكتب مبيعًا على مستوى العالم.

telegram @t_pdf

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

ISBN: 978-614-01-3173-6
9 786140 131736